

تفسير القرآن الكريم

الجزء الحادى والعشرون من القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته



بِنْ إِلَيْ الْمُعْزِلِينَ عِلَا الْمُعْزِلِينَ عِلَا الْمُعْزِلِينَ عِلَا الْمُعْزِلِينَ عِلَا الْمُعْزِلِينَ

﴿ وَلا جُندِ لُوَا أَهْلَ الْكِتْبِ إِلَّا بِالَّيْ بِالَّيْ عِنَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هُمَّ وَقُولُواْ
ءَامَنَا بِالَّذِي الْزَيْنَ إِلَيْمَا وَأُندِلِ إِلَيْكَ الْمَالِمُ مُو إِلَّهُ كُمْ وَهِدُونَ عَنْ لَكُمْ مُوفِدُونَ عَنْ لَكُنكُ أَوْلِكُ الْمُسْلِمُونَ فَقَ وَكَذَلِكَ أَوْلُونَا إِلَيْكَ الْمُسْلِمُونَ فَقَ فَلَا الْمَالِكُ الْمُنْفِلَةُ الْمَالِمُ الْمُلْكِلَةُ وَمِنْ مُثَوَّلًا مَن وَمِنْ بِعِنْ وَمَنْ اللّهِ عَلَيْكُ مُنْ اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللللللللللللللللللللللللللللللللل

المضرداتء

الجسمدال، الحجاج والمناظرة والمناقشة.

أهل الكتـــاب؛ اليهود والنصاري، أتباع مومى وعيسى عليهما السلام.

الا بالتي هي احسن، إلا بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة الخشونة باللبن، والغضب بالكظم وضبط النفس، والمشاغبة بالنصح والتبيه إلى آيات الله وحججه.

مسسلمسون، خاضعون مطيعون.

وما يجحد بآياتنا، مع ظهورها وقيام الحجة على صدقها، والجحد: إنكار الشيء بعد معرفته والعلم به.

إلا الكاف وبعدوا المتوغلون في الكفر، وهم المشركون الذين كفروا برسالة محمد ﷺ وجحدوا بالقرآن.

الارتيساب، الشك.

المبط الكافرون.

الــظـــالـــون، الذين ظلموا انفسهم وجعدوا وجه الحق.

لتفسي

21 - وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ اللَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَا بِاللَّذِي أَمْزِلَ إِلَيْنَا وَأَمْزِلَ إِلَّكُمْ وَإِنْهَا وَإِنْهِكُمْ وَاحِدٌ وَتَحْنُ لَهُ مُسْلُمُونَ .

دعوة للمسلمين أن يتلطفوا في النقـأش والجدال مع أهل الكتاب باستعمال النفـمة الهادئة، والحكمة والأسلوب اللبن

كما قال تعالى: ادْعُ إِنِّي صَبِيل رَبِّكَ بالْحكَمة وَالْمَوْعِظَة الْحَسَنة وَجَادلْهُم باللِّي هِي أَحْسَن . . . (النعل: ١٢٥).

وقال سبحانه لموسى وهارون: ادْهَا إِلَىٰ فرعَوْنَ إِنَّهُ طَفَىٰ ﴿ فَقُولًا لَهُ قُولًا لَيْنَا لَمُكُ يَتَذَكُّم أُو يَحْشَىٰ (طه: ١٤٢. ٤٤).

وهذا منهج الإسلام فى النقاش والجدال، ورحابة صدره حيث يدعو إلى الإيمان بالرسل والكتب والأنبياء السابقين: لأن الرسل جميما أرسلهم إله واحد بالدعوة إلى توحيد الله، والتحلى بمكارم الأخلاق، والتخلَّى عن الرذائل والقبائح.

يقول الله تعالى: آمَنَ الرَّسُولُ بِعَا أَنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ والْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَيْهِ وَكُيِّهِ وَرُسُلِهِ لا نَصْرَفُ بَيْنَ أَحَد مَن رُسُله وَقَالُوا مَعِمَنَا وَأَطْفَنَا غَفُرَانَكَ رَبَّنَا وَإِنَّكِ الْمَصِيرُ ۖ (البقرة: ٢١٨٥).

وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لملاَّت، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، (١).

ما أجمل دين الإسلام، وما أسمى أهدافه، فقد احترم الرسالات السماوية، وسكنق بالكتب السابقة، وحث على النقاش الهادئ مع أهل الكتاب، واستممال اللغة الهدنية، والتمرف على ما عند الأخرين بالأسلوب الأحسن، على حدّ قول علمائنًا: تتماون فيما انتقفا عليه، ويمنز بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.

لكن من ظلم من أهل الكتاب واعتدى في فعله أو قوله فإنه يعامل معاملة مماثلة:

فَمَن اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْه بمثل مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ . . . (البقرة: ١٩٤).

وَقُولُوا آمَنًا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ...

أي: آمنا بالقرآن، وبالتوراة والإنجيل إيمانًا مجملا.

آخرج البخاري، عن أبى هريوة، قال: كان أهل الكتاب يقرأون الثوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسكام، هقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقُولُوا آمَنًا بِاللَّذِي أَنزِلَ إِلَيّا وَأَنزِلَ إِلَيْكُمْ وَرَاهِمُ وَلَا يَكُمُ مُّ وَلَا مَا اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَالْمَا اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ وَاللَّهِمُ وَاللَّهِ اللَّهِمُ وَاللَّهِ مِنْهُمُ لَا مُسْلُونَ مِنْ مِنْهُمُ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهُمُ وَاللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهُمُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُولِي اللَّهُ ال

أى: رينا وريكم واحد لا شريك له في الألوهية، ونحن له مسلمون مطيعون، مستسلمون لحكمه وأمره.

٤٧ - و كَذَلِكَ أَنزَلُنَا وَلِيْكَ الْكِتَابَ فَالَذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونُ بِهِ وَمِنْ هَوْلاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجَحَدُ بِالْبَاتِئَا إِذا الْكَانَةُ وَنَ .

أى: وكما أنزلنا الترواة على موسى، والإنجيل على عيمى، أنزلنا إليك القرآن، كتاب الله الخالد، الجرد عن الثيل والنظير، المشتمل على الإلهيات والتشريمات، والآداب والقصص وأخبار السابقين، ونظام الإسلام وآدابه وتشريعاته وأحكامه وحكمه.

فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكَتَابَ يُؤْمَنُونُ به ...

فالذين آنيناهم التوراة والإنجيل، كميد الله بن سلام وسلمان القارسي، وأشياههما ممن أسلم من أهل الكتاب يؤمنون بالقرآن، ويصدقون برسالة محمد ﷺ.

وَمَنْ هَؤُلاء مَن يُؤْمَنُ بِه ...

ومن أهل مكة من يؤمن بالقرآن كذلك، مثل المتحتثين الذين تركوا الإثم والشرك، وآمنوا بالقرآن عند نزوله مثل بحيرا الراهب.

وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ .

لا يروض الإسلام ولا يكذب بالقرآن إلا التوغل في الكفر، الذي يجحد بآيات الله مع ظهورها وقيـام الحجة على صدقها؛ أي: فهؤلاء هم الموغلون في الكفر الممرون على العناد.

٤٨ - وَمَا كُنتَ تَتَاواْ مِن قُبِّلِهِ مِن كَتَابٍ وَلا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ .

ما كنت يا محمد كاتبا ولا قاربًا، بل كنت أميا لا تعرف القراءة والكتابة، لحكمة إلهية عليا، هي نفي النهمة عن رمول الله ﷺ، بأنه نقل هذا القرآن من الكتب السابقة ثم ادعى أنه من عند الله.

ومكذا يفندُ القرآن شبه الكافرين حتى الطفولى منها، فمحمد ﷺ عاش بين قومه مدة من الزمان، عرفوا وتيقنوا بصدفه وامانته، حتى قال هرقل ملك الروم لأبى سفيان: هل جريتم عليه الكنب؟ قال أبو سفيان: لأ، فقال هرقل: ما كان ليدر الكنب على الناس ويكنب على الله.

ومع وضوح الدلالة والحجة على صدق القرآن، وشهادة الأعداء بأنه هوق مئافة البشر، وأن له حلاوة. وعليه طلاوة، وكلما تكرر حلا، وما يستطيع أن يقول مثله بشر، مع شهادة متذايد الكفر بأن القرآن فوق طلقة البشر، وأن مصدره قوة عليا – فقد ادعى بعض المشركين أن محمداً نقل أساطير الأولين وعلومهم، ثم صاغها من عنده مدعيا أنها قرآن من عند الله، قال تمالى: وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ اكْتَبِهَا فَهِي تُملِّل عَلْهِ بِكُرةً وَأَصِيلاً هِ قُلْ أَنْوَلَهُ النِّي يَعلَّمُ السرِّ فِي السَّمَواتُ وَالْأُرْضِ أَنْهُ كَانْ عَقْورًا رُّحِياً (القرقان: ١٥.) روى الطبرى، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ أميا لا يقرأ شيئًا ولا يكتب.

وقال ابن كثير:

المعنى: قد ليثت فى قومك يا محمد من قبل أن تأتى بهذا القرآن عمرًا لا تقرأ كتابا، ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك يعرف أنك أمىّ لا تقرأ ولا تكتب، وهكذا كان رسول الله ﷺ دائما إلى يوم الدين لا يحسن الكتابة، ولا يخط حرفا ولا سطرًا بيده، بل كان له كتّاب يكتبون له الوحى والرسائل إلى الأقاليم، وما أورده بعضهم من الحديث، أنه لم يعت حتى تعلم الكتابة قضعيف لا أصل له (٣).

٤٩ – بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعَلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالْمُونَ .

القرآن العظيم حفظه الله من التغيير والتبديل بطريقتين، الأولى: حفظه في الصدور، والثانية: حفظه في السطور.

فقد كان المسلمون يهدرون بالقرآن ليلاً ونهارًا، مسحرًا وقيل الفجر، في السلم والحرب، وكانت اتأجيلهم صدورهم، يقرأون القرآن عن ظهر قلب، كما أن النبي ﷺ اتخذ لتفسه كُتُلبا يكتبون الوحى على المظام، وجريد النخل والكاغد − وهو الورق الفليظ − وما تيسر لهم من وسائل الكتابة.

وانتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، والقرآن محفوظ في الصدور، ومكتوب في المنطور.

ثم استشهد سبعون من القراء في معركة اليمامة، فأشار عمر على أبي يكر بجمع القرآن في كتاب واحد، فمهد. أبو يكر إلى زيد بن ثابت كاتب الوحى بكتابة المسحف في كتاب واحد: خشية أن يضيع منه شيء بموت القرآاء.

وقد كان القرآن يقرأ على سبعة أحرف، فتغالط القراء وتعصب كل حافظ للقرآن للطريقة والقراءة التى حفظ بها، فأشار المنامون على عثمان بكتابة المصحف باللغة القرشية، على لهجة واحدة، هى اللغة الأم، وإحراق ما عداما من اللهجات.

وظل المصحف العثماني في يد المسلمين إلى يومنا هذا، فالجمع في عهد أبي بكر بمعنى تدوين القرآن كاملا في كتاب واحد، والجمع في عهد عثمان، هو كتابة القرآن باللغة العربية القصحي، ونشر القرآن في المدن الرئيسية، وإحراق اللهجات العربية الأخرى، وجمع الناس جميعا على المصحف الإمام الذي تكفل الله بحفظه، فقال تمالى:

إِنَّا نَحْنُ نُزُّلْنَا الذِّكُرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . (الحجر: ٩).

فالقرآن آيات بيئات ظاهرة واشحة الصدق، في صدور الصحابة والحافظين، وإعجازه واضح للميان، ودلائل صدقه واضحة، فهو لم يصطدم بالعلم، وأتى بمعجزات غيبية وعلمية واسلوبية ويلاغية، تؤكد أنه من عند الله تمالى وايس من صنع بشر، فقد تكلم القرآن عن مراحل تكوّن الجنين في بطن أمه، وأشار إلى بده الخليقة، وإلى خلق السماوات والأرمز، وإلى قلة الأكسجين في طبقات الجو العليا، وإلى تطور العلوم في آفاق الكون، وآفاق النفس، وتميز القرآن بالصحة والصواب وعدم الإضطراب، قال تعالى:

أَفَلا يُتَدَبِّرُونَ الْقُرَّانَ وَلَوْ كَانَ منْ عند غَيْرِ اللَّه لَوْجَدُوا فيه اخْتلافًا كَثيرًا. (النساء: ٨٢).

وَمَا يَجْحُدُ بِآيَاتَنَا إِلاَّ الظَّالَمُونَ .

أى: المتعدون الكابرون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه.

* * *

﴿ وَقَالُوالْوَلِآ أَنْزِكَ عَلَيْهِ ءَايَنُ مِّن رَبِيّةٍ قُلْ إِنَّمَا الْأَيَنُ عِندَاللّهِ وَإِنِّمَا أَفَا نَذِيرُ مُبِرُ ۞ أَوَلَوْ يَكُفِهِ مِّ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ يُتْلَى عَلَيْهِمَّ إِن فَلِكَ لَرَّحْكَةً وَذِكْرَى لِقَوْمِ يُوْمِنُون ۞ قُلْ كَفَن بِاللّهِ بَيْنِي وَيَيْنَكُمْ شَهِيدًا اللّهِ عَلَيْهِ يَمْلَوُ مَا فِي السَّمَوْنِ وَ وَالْأَرْضِ وَالْفَيْفِ وَاللّهِ عَامَنُوا بِالْبَطِلِ وَكَفَرُوا بِاللّهِ أُولَا يَكِ هُمُ الْخَلْمِرُونَ ۞ ﴾

المفردات،

الكتـــاب، القرآن.

ذك مطة وتذكرة.

شهه المحاضرا بعلمه،

التفسير

٥٠ – وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رُبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ .

أى: وقال كفار مكة على سبيل التمنت والمناد: ملا أنزلت على محمد معجزات واضحات تؤكد صدق رسالته، كنافة صالح، وعصا موسى، ومعجزات عيسى.

قل لهم يا محمد: أنا رسولٌ مبلغ عن الله ليس على إلا البلاغ، أما المجزات والآيات فهى شأن من شئون الله تمالى ينزلها بمشيئته وإرادته، وليس من شأتى كمبذ بيلًغ عن الله، أن أشرح عليه إنزال المجزات.

قال تمالى: وَمَا مَنَعَنَا أَن نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذُب بِهَا الأَوْلُونَ وَأَنْبَنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُصْرَةَ فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بالآيَاتِ الأَنْفُونِهَا ﴾ (الإسراء: ٥٠). ٥١ – أَوَ لَمْ يَكْفَهِمْ أَنَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتَلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمُ يُؤْمِنُونَ .

مرت البشرية بمرحلة الطفولة ثم بمراحل النمو، ونزلت معجزات مادّية كنافة مسالع، ومصا موسى، ومائدة عيسى، وكانت رسالة محمد ﷺ رحمة عامة للناس أجمعين، طاراد الله أن تكون محجزة هذه الرسالة، معجزة خالدة للبشر كافة بضلاف المجزات السابقة، فتاقة صالح لم يشاهدها إلا الجيل الذي شاهد حياة صالح، وعصا موسي لم يشاهدها إلا الجيل الذي عاصر موسى، ومائدة عيسى لم يشاهدها إلا الجيل الذي شاهد حياة عيسى، أما القرآن الكريم فقد اشتمل على صنوف البيان، وأخبار التاريخ، وأبات التشريع، وألوان الهداية، وهو يقرأ ويعضل عن ظهر قلب، وقد تكفل الله يعضفه، لتشاهده الأجيال السابقة واللاحقة.

والمننى: أقصَّر هذا الكتاب، قام يوضع لهم حقيقة الرسالة المحمدية، المشتملة على التوحيد والإيمان بالرسل والكتب، وإثباع الفرائض واجتتاب الفهيات.

اولم يكفهم هذا القرآن للمجن، للبن الحكيم الصادق، دليلا على صندق محمد، وأية عقلية خالدة، وممجزة مستمرة، حيث يقرأ هذا القرآن صباح مساء، وفيه الوان الهداية والتوضيح، قال تمالى: قُلَدُ أَثَرُكُمْ أَنْكُمْ كَبُا فِيهُ ذُكِّرُكُمْ أَفَلاَ تُعْفُونُ . (الإنهاء: ١٠).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَ حَمَّةً وَ ذَكَّرَىٰ لِقُومٍ يُؤْمِنُونَ .

أى: في هذا القرآن الكريم الذي تمم ممجزته الزمان والمكان لتممة عظيمة، وتذكرة بالغة لقوم يطلبون الإيمان ويحرصون على تحميله.

٥٢ - قُلْ كَفَيْ بِاللّهِ بَنِي وَيَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَوْضِ وَاللّذِينَ آمَنُوا بِالبَّاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللّهِ أَوْفَكَ هُمُ العَامُورُ وَ
 أَوْفَكَ هُمُ العَامُورُ وَ

أى: قل لهم يا محمد: كفى يائله عالمًا وحكمًا عادلًا وشهيدًا حاضرًا، يشهد لى بتبليغ الرسالة إليكم، ويشهد عليكم بالتكذيب والمقاد، وهو مسبحانه مطلع وهالم بما فى السماوات من أشلاك وأسلاك، ويما فى الأرض من مخلوقات، ويالتالى يعلم رسالتى إليكم وتكذيبكم لى، ولو كنت كاذبا لأهلكنى، كما قال سبحانه وتمالى: ولّو تُقُولُ عَ عَلَيْناً يُعْشَ الْأَثَّوِيلَ ﴾ لِأُخْلِنًا مِنَّهُ بالبِّمِنِ ﴾ ثُمُ لَقَعْلَنا مِنْهُ أَوْرَنِ ﴾ فَما منكُم مِنْ أَحَد عَنْهُ حَاجِرِينَ (المناقد: 12 - 42).

وَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَتِكَ هُمُّ الْخَاصِرُونَ .

أى: والذين صدهوا بالأوثان والأصنام ونحوها، وجحدوا الإيمان بالله ورسوله، أُولِّكُ مُّمُ الْحَاْمِـرُوكَ . حيث باموا آخرتهم وآثروا دنياهم، واشتروا الكفر بالإيمان، واتيموا الباطل والطواغيت والكفر بلا دليل، هكانوا هم الخاسرين خسارة كبرى، حيث حرموا الجنة ونسيمها، واستحقوا النار وعذابها. ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَدَابِ وَلَوَلاَ أَجَلُّ تُسَمَّى لِجَاآهُ مُرُ الْعَذَابُ وَلِيَأْنِيَتُهُم بَغْتَةُ وَهُمْ لايشْمُرُونَ۞يَسَتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلِنَّ جَهَنَّمُ لَمُحِيطُةُ إِلْلَكِفِرِينَ۞يَوَمَ يَغْشَنْهُمُ الْعَذَابُ مِن فَرْقِهِمْ وَمِن تَعْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْمَا كُنْمُ تَعَمْلُونَ۞﴾

المفرداتء

يست مجلولك، يطلبون تعجيل المذاب الذي توعدتهم به.

أجل مسسمتن، هو الأجل الذي ضريه الله لوقوع العذاب.

لا يشم مرون، لا يتوقمون نزوله بهم.

يقشاه يحيط بهم ويعمهم.

ويه الله أو الملك الموكل بالعذاب.

ما كنتم تعملون، جزاءه فلا تفوتوننا.

التفسين

٥٣ - وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلُولًا أَجَلُّ مُسَمَّى لَجَاءُهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِينَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُون .

اى: يستمجلك تضار مكة بنزول المداب يهم، استهتازًا وتحديا لك، مثل قولهم: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمُّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَّ الْحَقِّ مِنْ عِبدَكَ فَأَمَعُوْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ التَّنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَّعَلَيْهُمْ وَأَنْتَ فَيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعْتَبِهُمْ وَشَوْ يَسْتَعُونُونَ ﴿ (الاَتِعَالَ: ٢٠٠٧).

وَلُولًا أَجَلَّ مُسَمِّى لُجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِينَهُم بَافَتْ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ .

ولولا أنَّ الله مبيحانه وتمالى لا يُعَمِّل لمجلة المباد، وقد اقتضت حكمته إمهال الطالمين، رجاء هدايتهم، أو تحقيق الثواب للمؤمنين من أجل امتحانهم وطول بلائهم، أو لتخرج من ظهور الكافرين نرية ممالحة تعبد الله، وتهتدى بهدايته، أو نغير ذلك من حكم إلهية عليا يعلمها الله، من بينها: أنه يريد إمهال الطالمين إعنازًا لهم، أو استدراجا حتى يكون عذابهم عادلا، قال تمالى: وَوْ أَيَّاخُلُ اللهُ النَّامَى مِما كَسُبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَةٌ ولَكِن يُؤْخِمُ إِنِّي أَجِلُ مُسمَّى فَإِذَا جَاءً أَجْلُهم فَإِنْ اللهُ كَانَ بِعِلْدِهِ يَعْمِيراً. (قاطر، 26)

وخلاصة المثيء

لولا أن الله تعالى حدد أجلاً مممى لنزول العذاب بهم، لجاءهم العذاب عاجلا في الدنيا.

وَلَيَأْتِينُهُم بَغْتَةُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ .

وسوف يأتيهم المذاب فجأة وهم لا يحسُّون بمجيئه، بل يكونون في غفلة عنه.

ويشمل المنى ما أصابهم من العناب يوم بدر، حيث فاجأهم القتل والأسر، وهم فى غرور وتيه وكبرياء، لا يتصورون معه أن يصبيهم مثل ما أصابهم.

أو المزاد: وليـاتينهم المداب، وهم شارُّون آمنون، لا يخطر ببالهم أن ينزل بهم المداب، كشـأن العشويات النازلة على بمض الأمم السابقة بيانًا وهم ناثمون، أو ضحىً وهم يلمبون.

٤٥ - يَمْتُعْجُلُونَكَ بِالْعَلَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ .

أى: يطلبون منك حدوث المداب، وهو واقع بهم لا محالة، وإن جهنم منتصيحاً بهم من كل جانب، إحاطة السوار بالمصم، حيث لا يستطيمون منها فكاكا ولا هريا .

قال تمالى: يَوْمَ يُدَعُونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّم دَعَّا ﴿ هَاهُ النَّارُ الَّتِي كُتُمُ بِهَا تُكَذَّبُونَ. [الطَّور: ١٢، ١٤].

وقال تعالى: يُومْ يُسْحَبُونَ فِي التَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. (القمر: ٤٨).

٥٥ - يَوْمَ يَفْشَاهُمُ الْعَدَابُ مِن قَوْقِهِمْ وَمِن تَحْت أَرْجُلُهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُتتُمْ تَعْمَلُونَ .

يوم يعمهم المذاب ويحيط بهم من فوقهم ومن تحت ارجلهم، ومن جميع جهاتهم، بحيث يجدون من الهوان والأهوال ما لا يفى به مقال، ويقال لهم على سبيل التقريع والتوبيع: ذوقوا جزاء ما كلتم تعملون فى الدنيا من كفر ومعاس.

قال تمالى: لَهُم مِن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فُوثُهِمْ غُواشٍ . . . (الأعراف: ٤١).

وقال تعالى: لَهُم مَن فَوْقهمْ ظُلَلٌ مَنَ النَّار وَمن تَحْتهمْ ظُلَلٌ . . . (الزمر: ١٦).

وقال عنز وجل: أَوْ يَعْلُمُ اللَّهِينَ كَفُرُوا حِينَ لا يَكُفُونَ عَن وُجُوهِهُمُ النَّارُ وَلا عَن ظُهُروهِمْ وَلا هُمْ يُعصَرُونَ. (الانبياء: ١٠) الانبياء: ١ ﴿ يَنِعِبَادِىَ الَّذِينَ اَمَنُوَا إِنَّ أَرْضِى وَسِعَةٌ فَإِنَّىَ فَأَعْبُدُونِ ۞ كُلُّ نَفْسِ ذَاَمِهَ ٱلْمَوْتِ ثُمُّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَنِ لَثَبُوثَتُهُمْ مِنَ ٱلْمَنَّةِ غُرُفا يَحْدِي مِن غَيْمِ الْأَنَهُ لُرُحْلِابِينَ فِيماً إِنْهَ مَأْجُرُ الْمَنْطِينَ ۞ الَّذِينَ صَبُرُوا وَعَلَى رَيِّمَ بَنُوكُلُونَ ۞ وَكَأَنِّنَ مِن دَاتَبَةٍ لَانْفَعِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرَزُقُهَا وَإِنَّاكُمْ وَهُوَ السَّعِيعُ الْعَلِيمُ۞﴾

مهيده

تتحدث الآيات عن المؤمنين بمكة، وكانوا يتمرمنون للاضطهاد والتمنيب، فتدعوهم إلى الهجرة هى أرض الله الواسمة، وتهون شأن الدنيا وتبين أن الموت واقع لا محالة، سواء هى مكة أو الحبشة أو المدينة، فلا داعى للإقامة بدار مذلة أو هوان، وتذكر جزاء المؤمنين هى الجنة وتعيمها، وأنهارها وحسن جزائها، وتؤكد أن الرزق بيد الله، الذى يرزق الطير والنمل والحيوان والإنسان.

التفسير

ra - يَا عَبَادِيَ اللَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسْعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُلُونَ .

نداء للمؤمنين أينما كانوا، إذا أحسُّوا بالظلم أو الهوان، أن يرغبوا في الهجرة إلى مكان آخر.

رُوى عن مقاتل، والكلبي أن الآية نزلت في الستضعفين من الثرمنين يمكة، أمروا بالهجرة عنها، وعلى هذا اكثر المسرين

والمبرة هنا بمموم اللفظ، لا بخصوص السبب، هالآية تخلق هى للؤمن حافزًا إلى الهجرة، وتحثّه على التخلص من الأدى والضيق، والهجرة إلى أرض الله الواسمة.

أخرج الإمام أحمد، عن الزبير بن الدوام رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله، فحيثما أصبت خيرا فاقم، (أ).

وقد هاجر المسلمون إلى الحيشة مرتين، واستقيلهم أصعمة النجاشي استقبالا حسنًا، فأقاموا في بلاد الحيشة يعبدون الله تمالي.

ثم هاجر المسلمون إلى الدينة الذورة، وأقاموا بها دولة الإسلام، وكانت الهجرة إلى المدينة فتحا مبيئًا. وكانت الهجرة إلى المدينة واجهة قبل فتح مكة للقادر عليها، فلما جاء نصر الله والفتح، قال ﷺ: ولا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استقرتم فانفرواء (°).

٥٧ - كُلُّ نَفْس ذَائقَةُ الْمَوْت ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ .

تأتى هذه الآية هى القرآن لتهوين أصر الدنيا، وبيان أن الجزاء المادل مسكون فى الآخرة، وأن الدنيا. متاعها ظيل، فيمكن للإنسان أن يستهين بأمر الهجرة، والانتقال من بك إلى بك، مادام ذلك هى مرضاة الله. والمش،

كل نفس – سواء أكانت في وطنها الذي عاشت فيه أم في غيره – ذائقة الموت، وخارجة من الدنيا إلينا، فنه فيها حزايما، فالتزمر اأمرنا وأنَّها ندابنا، لأنَّ عافيتكم وجزابكم الحقيقي عندناً .

٥٨ - وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمُلُوا الصَّالَحَات لَيْوَكَنُّهُم مَّنَ الْجَنَّد غُرَفًا تَجْوي من تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالَدِينَ فِيهَا نَعْمَ أَجْرُ الْعَاملينَ.

والذين ممدقرا بالله واكثروا من عمل الصالحات، لتنزانهم منازل رفيمة في الجنة، حيث يتمتعون بقصورها العالية، ومنازلها الرفيمة، والأنهار تجرى من تحتهم، وهم خالدون فيها خلودًا أبديا سرمديا، هأنمم بذلك الجزاء، وهو سكن النازل العالية في الجنة، والتمتع بنيمها، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

جاء في تفسير القرطبي:

خرّج الشرميذي، عن على رضى الله عنه، شال: رصول الله ﷺ: دان هى الجنة لضرفها يرى ظهورها من بطونها، ويطونها من ظهورهاه فقتام إليه أعرابى فقال: لن هى يا رسول الله؟ قال: دهى لن أطاب الكلام، وأملمم الطعام، وأدام الصيام، وصلى لله بالليل والناس تهام» ⁽¹⁾.

٥٩ - الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبُّهِمْ يَتُوكُّلُونَ .

ونلمح أن الله تمالى يمنح المؤمنين ويثنى على صفاتهم، بعد أن ذكر عقاب الكافرين ووعيدهم، فقد أشى الله على صفاتهم، ومنها المعبر والتوكل، أي مسبروا على أنى المسركين، وعلى الهجرة وطراق الوطن، متوكلين على الله، فهم قد عملوا ما عليهم، وتركوا لله نجاح سميهم، وهذه حقيقة التوكل، أي: الأخذ بالأسباب، وترك النتائج على رب الأرباب، وبهذا نفرق بين التوكل والتواكل، هقد رأي سيدنا عمر بن الخطاب قوما من أهل اليمن هقال لهم: أنتم متواكلون، المتوكل هو الذي يبدر البدرة وينتظر من النائج الشرة.

أى: أن الفّلاخ يصرت الأرض ويمنقيها، ويهنر البنرة ويتمهدها بالنظافة والسماد والمنقى، ثم ينتظر الحصاد، وكذلك المتوكل يأخذ بالأسباب، ويعمل الأعمال اللازمة هى السمى للننيا والجهاد والهجرة، ثم يتوكل على الله تمالى ممتمدًا على فضله ورزقه. ١٠ - وَكَأَيْنِ مَن دَابُّهَ لأَ تَحْمَلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّميعُ الْعَلِيمُ .

كثير من الدواب الذي تدب على وجه الأرمن كالنمل والطير والبهائم، لا تطيق حمل رزقها، ولا تحمل شيئا لغد، أو تأكل بأفواهها ولا تحمل رزقها، الله تمالى يرزقها أينما توجهت، كما يرزقكم، وهذه الدواب مع ضعفها وتوكّفها، وأنتم مع قوتكم واجتهادكم، سواء هى أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله.

قال القرطبى:

اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَيَأْكُمُ... يسرَى بين الحريص والمتوكل هي رزقه، وبين الراغب والقاتم، وبين صلحب الحيلة هي الرزق والملجز، حتى لا يفتر الجلَّد أنه مرزوق بجلده، ولا يتصور الماجز أنه معنوع بمجزء، وهي الصحيح عن النبي ﷺ: فل أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تفدو خماصا وتروح بطائاء "أ.

وَهُو السَّمِيعُ . لدعائكم وقولكم: لا نجد ما نتفق بالمدينة، الْعَلِيمُ . بما هي قلويكم.

* * *

﴿ وَلَهِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَنِ وَالأَرْضَ وَسَخَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَر لَيْقُولُنَّ اللَّهُ فَالَنَ يُوْفِكُونَ إِنَّهُ اللَّهَ يَشِطُ الرِّنْقَ لِمِن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِمِهِ وَيَقْدِرُ أَنَّ اللَّهُ وَكُلِّ مَن عِلِيمُ اللَّهُ وَلَيْ مَنَا اللَّهُ وَلَيْ مَنَا اللَّهُ وَلَيْ مَنْ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ فَلِي اللَّهُ وَلَيْ مَنْ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ فَلُ اللَّهُ فَلُو اللَّهُ وَلَيْ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ وَلَيْ مَنْ اللَّهُ فَلُو اللَّهُ وَلَيْ مَنْ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ وَلَيْ مَنْ اللَّهُ فَلُونَ اللَّهُ فَلُولُونَ اللَّهُ فَلُولُونَ اللَّهُ وَلَيْ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ وَلَيْ مَنْ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ فَلُولُ اللَّهُ فَلُولُ اللَّهُ فَلُولُونَ اللَّهُ وَلَوْلُونَ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ وَلَوْلَ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَوْلُونَ اللَّهُ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ وَلَ

المفردات

وسخر الشمس والقمرة ذللهما وسيرهما شي مساراتهما.

هَـَانَىٰ يَصِيرِهُـونَ؛ فكيف يصرفون عن توحيد الله ؟

يبسسط الرزق، يوسمه ويزيده.

ويسقسمسطره يضيقه ويقلله.

احيا به الأرض: أخصبها وجعلها ذات زرع.

مــــوتهــاه جَنْبها.

التفسين

٦١ - وَلَن سَأَلْتُهُم مِّنْ خَلَقَ السَّمُوات وَالأَرْضَ وَسَخَّر الشَّمْسَ وَالْقَمْرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ .

أى: إذا سألت هؤلاء المشركين عن الصانع لهذا الكون، الذى خلق السماء مرفوعة وخلق الأرض مبسوطة، وسخر الشمس تجرى لأجل مسمى، وقدر نور القمر وجعله هلالا ثم بدرًا ثم يعود هلالاً، ثم يدخل فى المحاق والظلمة في آخر الشهر، أى: من أبدع نظام الكون، وخلق السماء والأرض، وسيّر الشمس والقمر ؟ ليقولنّ: الله تمالى هو الذى خلق السماوات والأرض، وسخر الشمس والقمر.

فَانَّىٰ يُؤْفَكُونَ .

فكيف يصدرفون عن عبادته وعن توحيده؟ أى: كيف يمترفون بأنه الخالق وحده، ثم يشركون معه فى العبادة اصنامًا واوثانًا، لا تتمع ولا تضرّ ولا تسمع ولا تجيب ١٩

ولما ذكر سبحانه وتعالى اعترافهم بالخلق، ذكر حال الرزق، من قبيل أن كمال الخلق ببقاء الرزق، ولا بقاء للخلق إلا بالرزق، فقال سبحانه:

الله تمالى يوسعُ على من يشاء من عباده، فى المال أو الجاه، أو السلطان أو العلم أو الهيمة أو القبول، أو الزوجة الصالحة أو النرية الفاضلة، كما يضينَّ على من يشاء فى هذه الأرزاق لحكمة إلهية عليا، فهو سبحانه أعلم بطقة ويما يصلحهم.

ذال رسول الله 癱 فيما يرويه عن رب العزة سبحانه وتمالى: «إن من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا الغني، ولو افقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادى من لا يُصلح إيمانه إلا الفقر، ولو إغنيته لأفسده ذلك،،

وهن معنى الآية هوله تعالى: وَلُو بَسُطَ اللّهُ الرِّزْقُ لِصِيَادَهُ لَيْمُواْ فِي الأَرْضِ وَلَكِنَ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاهُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِرٌ بَصِيرٌ » وَهُو اللّذِي يُنزِلُ الْفَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا فَقطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتُهُ وَهُو الْوَلِيُ التَّحْمِيدُ (الشوري: ١٨٠، ١٨).

١٣ – وَلَئِن سَأَلْتُهُم مِّن نُوْلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءُ فَأَحْيًا بِهِ الأَوْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيْقُولُن اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بِلُ أَكْثَرُهُمْ
 لا يَشْقُونَ .

وإذا سألت هؤلاء الشركين: من الذي ساق السحاب وانزل المطر، وأخصب الأرض هاهتزت وريت وأنبتت من كل زوج بهيج، بعد أن كانت جدباء مبتة، فأحياها الله بالمار؟ إذا منالتهم عن مسخَّر المنحاب ومنزل المار، ومحيى الأرض بالنبات، ليقولن: الله مو الذي فعل ذلك. قل: الحمد لله، والشكر لله، الذى خلق الخلق ويسر الرزق، وانزل المطر وأنبت النبات، ظه وحده الحمد والشكر. أو الحمد لله الذى أنماقهم بذلك.

ومع اعترافهم بأنه سيحانه الخالق الرازق فإنهم يعبدون غيره، أو يشركونه معه فى العبادة، مثل النجوم والانواء والأصنام والأوثان.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقَلُونَ .

بل اكثرهم ليسوا من أهل التمقل والتدبر والتأمل، والأهتداء إلى أن الله وحده هو الخالق الذي يستحق العبادة دون سواه.

* * *

﴿ وَمَا هَذِهِ ٱلْحَيْوَةُ الدُّنَا ۗ إِلَّا لَهُو وَلِيَبُّ وَإِنَّ الدَّارُ ٱلْآخِرَةُ لَهِى َالْحَيُواُ أَلْوَكَ الْوَا يَمْ لَمُونَ ۖ إِنَّ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلفَّلْكِ دَعُواْ اللَّهُ عُلِّصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا بَضَنَهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَاهُمْ يُشْرِكُونَ اللَّهِ الرَّعَامُ وَالْمِمَا مَا تَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُواْ فَمْوَى يَعْلَمُون اللَّهُ ﴾

المفردات،

الله المساور الاستمتاع باللذات.

الساسم به الميث وما لا فائدة فيه.

ثهى الهسيسوان، لهى الحياة الدائمة الخالدة التى لا موت فيها، والحيوان مصدر حيى، كالحياة، وأصله: الحييان تحركت الياء وانفتح ما قبلها فتلبت وأوا، وفى بناء الممدر على فملان زيادة معنى، لما يقيد من الحركة والاضطراب، لأن الحياة حركة، والموت مكون.

تمهيده

ذكر القرآن فيما مديق اعترافهم لله سيحانه وتمالى بأنه الخالق الرازق، ثم هم بعد ذلك يتركين عبادته ويعبدون ما سواء، اغترارا بزينة الحياة الدنيا، فذكر هنا أن الحياة الدنيا زائلة، ثم أرشدهم إلى أنهم مع شركهم يالله، إذا علينوا الغرق أو الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين، فإذا نجوا وانتقلوا إلى اليابسة، عادوا إلى كفرهم وشركهم، وغدًا يقون جزاهم.

التفسيره

٦٤ - وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنيَّا إِلاَّ لَهُو وَلَعب وَإِنَّ الدَّارَ الآخرةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

ما هذه الدنيا الفائية التى يتشبث بها المشركون، إلا لهو يلهو به الكبار شى غفلة وعَمَه، ولعب يلعب به المنفار فى عبث ويهجة، ثمّ لا تلبث أن تزول.

وَإِنَّ الدَّارَ الآخرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لُو ۚ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

إن الدار الآخرة لهى الحياة الحقيقية، التي لا موت بعدها، ولا يُكنُّر صفوها، ولا ينقطع تعيمها.

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . ذلك ويفقهونه لما آثروا عليها الدنيا الفانية.

٦٥ - فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْقُلْكِ دَعَوا اللَّهَ مُخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرّ إِذَا هُمْ يُشْر كُونَ .

أى: إذا ركب هؤلاء المُسركون السفينة، وسارت بهم هى عباب البحر، ثم اكفهر اللجرّ واشتدت الزياح، وعصفت بهم المواصف، نسوا الهتهم، وأخاصوا المبادة والدعاء لله أن يتجهم، ظما استجاب الله لهم ونجاهم إلى الباسة عادوا إلى الشرك وإلى عبادة الأصنام، وكان الأولى أن يشكروا الله وحده، وأن يعبدوه وحده.

قال عكرمة بن ابي جهل:

كان أهل الجاهلية إذا ركبوا فى البحر حملوا ممهم الأصنام؛ فإذا اشتدت عليهم الربح القوها فيه، وقالوا: يارب بارب.

قال الفخر الرازيء

وهذا دليل على أن معرفة الربّ في فطرة كل إنسان، وأنهم إن غفلوا في السراء، شلا شك أنهم يلوذون إنه في حال الضراء. 1 هـ.

٦٦ - لِيَكُالُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلَيْتَمَتُّهُوا فَسَوْفَ يَطْلَمُونَ .

أى: يشركون لتكون عاقبة أمرهم الكفران بما آتيناهم من نعمة التجاق، وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الأصنام، فسرف يعلمون عاقبة ذلك حين يلقون عذاب يوم القيامة.

وذهب بمض المُصرين إلى أن اللام هي هوله تمالي: لِكُفُرُوا. لام الأمر، وأن الأسلوب مصوق مصاق تهديدهم ورعيدهم، هو على حدُّ قوله تمالى: اعْمَاُوا مَا شُتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ يُعِيرٌ. (هسلت: ٤٠).

أى: اكفروا بنعم الله، وتمتموا بلذائد دنياكم، وتجمُّعوا على عبادة أصنامكم، فسوف تعلمون عاقبة كفركم حين تلقون المذاب الشديد. ﴿ أُوَلَمْ يَرُواْ أَنَّاجَمَلْنَا حَرَمًا ءَامِنَا وَيُنْخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمُّ أَفِيَالْبَطِلِ يُوْمِثُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكُفُرُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِتَنِ أَفَرَىٰ عَلَى اللَّهِ صَنْدِاً أَوْكَذَبَ بِالْحَقِّ لِمَا جَاءَهُۥ اَلْيَسَ فِحَهَنَمَ مَثْوَى لِلْصَنِينَ ۞ وَالَّذِينَ جَهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَتُهُمْ سُبُلَنَا وَإِنْ اللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ ﴾

المفردات،

حسرمسا آمناه مكانا مقدمنًا يأمنون فيه، وهو مكة.

ويتُ خطف الناس؛ الخطف والتخملُف: الأخذ بسرعة، والمراد به: القتل والسلب.

أف بالباطل؛ الأصنام أو الشيطان.

افتري على الله كذبا: اختلق على الله كنبا حيث ادُّعي له شريكا.

مـــــــ في دار إقامة دائمة ومستقر.

جساهدوا فسيئاء غالبوا انفسهم وشيطانهم وأعداءهم لأجلتا.

التهسمانياتهم لنيسرن لهم،

سيبيناه مأرق الوصول إليناء

تمهيده

يمتن الله على مشركى مكة ينعمة الأمن والأمان، مع أن العرب من حولهم كثير، وهم أهل إغارة وفتاره ولكن الله حفظهم من ذلك، وأطمعهم من جوع وأمنهم من خوف، فكان الأولى بهم أن يشكروا هذه النعم، وأن يؤمنوا بالرسول الدربى الأمن، تكنهم كفروا بالله، وعبدوا الأصنام، وكذبوا محمداً ∰. فاستحقوا الثواء والإقامة في جهنم، أما المؤمنون المجامدون، فإن الله تمالى يعمد أنهم سبل التصر والسمادة، جزاء أيمانهم وإحسانهم.

التفسيره

٧٧ – أَوَ لَمْ يَرُواْ أَنَا جَمَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِيعْمَةِ اللَّهِ يَكُفُرُونَ .

اولم يشاهدوا بانقسمهم أن مكة آمنة مطمئته، سللة من الفزو والقتل والإغفارة، والمرب حولهم يشتّون الحروب لاتمه الأسباب، ويقومون بالإغارة والقتل، بمضمه على بعض، وكان الأولى بهم بعد ذلك أن يؤمنوا بالله وحدم، فإذا بهم يؤمنون بالأوثان والأصنام، ويتركون الإيمان بالله، ويكفرون بمحمد رصول الله ﷺ.

وفي هذا المني يقول الله تعالى:

لإيلاف قُريْش ﴿ إِيلافِهِمْ رَحَلَةَ الشِّنَاءِ والصَّفِ ﴿ فَلَيْعَدُوا رَبُّ هَلَا الَّبِيَّ ﴿ اللَّهِ أَطَعَمَهُم مَن جُوعِ والسَّهُم مِّنُ

وقال تعالى: ومن دُخَلُهُ كَانَ آمنًا ... (آل عمران: ٩٧).

وقـال ﷺ: من أصبح آمنا في سريه، محافي في بدنه، عنده قـوت يومـه، فكأنما حيــزت له الدنيـا بحذافيرهاء (^).

١٨ - وَمَنْ أَظْلُمُ مِمِّنِ الْفَرَىٰ عَلَى اللَّه كَذَبًا أَوْ كَذَبُ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثُوى لَلْكَافِرينَ .

أى إنسان أشد ظلما لنفسه ممن اختلق على الله كذبا، هادعي أن له شريكا، مع وضوح الأولة على وحدانيته، وتوافر الشواهد على الوهيته، أو جاوز الحدود في الظلم حين كذّب بمحمد ﷺ مع صدقه، ومع مجزهم عن الإنيان بمثل ما جاء به، لقد استوجبوا الثواء في جهنم، ففيها متسع لهم ولأمثالهم من الكافرين المكذبين.

٦٩ - وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهُدِينَهُمْ مُسُلِّنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحسنينَ .

تأثي هذه الآية هي آخر السورة لتربط أولها بآخرها، فقد تحدثت هي أولها عن الجهاد، وتحمل البلام، وللراد به جهلد النفس والصبر على الابتلاء، ثم ختمت السورة بيبان أن الله يكرم المجاهدين بمر الدنها وسمادة الآخرة.

والمعنى: والذين غالبوا وجـاهدوا من أجلنا، وهى سبيل نشــر ديننا، وتحـملوا هى ســـيـل ذلك البــلاء والامتحان، لنيمـّرن لهم السبل للوصلة إلى مرضانتا.

وَإِنَّ اللَّهُ لَمْعَ الْمُحْسنينَ .

بالنصر في الدنيا، وبالنميم المقيم في الآخرة.

روى ابن أبي حاتم، عن الشعبي قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام؛ إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك، ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك.

وقال ابن عطية:

وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فَيناً . . . هي قبل الجهاد العرفي، وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته.

وقال أبو سليمان الدارائي:

ليمن الجهاد هي الآية قتال الكفار فقطه بل هو نصد الدين، والردّ على للبطلين، وقمع الطالين، وأعظمه الأمر بالمروف، والنهي عن المُكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر .

خلاصة ما تضمنته سورة العنكبوت

- ١ اختبار المؤمنين ليعلم صدقهم في إيمانهم.
- ٢ في الجهاد اختبار للمجاهد، والله غني عن ذلك.
 - ٣ الحسنات يكفّرن السيئات.
- أمر بالإحسان إلى الوالدين ويرهما، مع عدم طاعتهما في الإشراك بالله.
 - ٥ حال المنافق الذي يظهر الإيمان ولا يحتمل الأذى في سبيل الله.
- ٦ حال الكافرين الذين يُضلُّون غيرهم، ويقولون المؤمنين: نحن نحمل خطاياكم.
- قصص الأنبياء: كلوح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وصالح، وموسى وهارون، وبيان ما آل إليه أمر الأنبياء من
 النصر، وأمر أمهم من الهلاك بضروب مختلفة من المقاب.
 - ٨ حجاج المشركين بضرب الأمثال لهم بما فيه تقريمهم وتأنيبهم.
 - ٩ حجاج أهل الكتاب بالحسنى والحكمة،
 - ١٠ إثبات النبوة ببيان صدق معجزته ﷺ.
 - 11 الردّ على شبهات الشركين.
 - ١٢ استعجالهم بالعذاب تهكُّما.
 - ١٢ أمر السلمان بالهجرة وتقوى الله.
 - ١٤ اعتراف كفار مكة بأن الخالق للكون هو الله سيحاثه وتعالى.
 - ١٥ بيان أن الدار الآخرة هي الحياة الحقّة.
 - ١٦ امتنائه على قريش بالأمن والأمان، ثم كفرانهم بنعم الله وإشراكهم به سواه.
- ١٧ الجهاد أنواع، منه قتال الكافرين، ومنه جهاد النفس، والأسر بالمروف والنهى عن المذكر، وقد وعد الله
 بهداية الجاهدين وإكرامهم.

+ + +



سبب تزول السورة:

أهداف سورة الروم

سورة الروم مكية، نزلت بعد سورة الانشقاق، وآياتها ٦٠ آية، وقد نزلت سورة الروم هى السنة التى انتصر فيها الفرس على الروم، وكان ذلك قبل الهجرة بسنة.

وسميت هذه السورة بسورة الروم، لقوله تمالى في أولها: الَّمْ ﴿ غُلِّبُ الرُّومُ . (الروم: ١، ٢).

قال القسرون (⁽⁾؛ يمت كسرى جيشا إلى الروم واستعمل عليهم رجلا يسمى «شهريران» فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم، فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم، وكان قيصر قد بعث رجلا يدعى ويعتس، فالتقى مع «شهريران» بأذرعات ويصرى وهي أدنى الشام إلى أرض المرب، فغلبت قارس الروم، ويلغ ذلك النبي على المن التوم، وأصحابه بعكة فشق عليهم. وكان النبي على يكره أن يظهر الأميون من أهل المجوس على أهل الكتاب من الروم، وفرح كفار مكة وشمتوا، وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخوانتا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم.

فأنزل الله تمالى سورة الروم، وفيها ما يفيد أن أهل فأرس قد غلبوا الروم فى أرض الأردن وفلسطين وهى أقرب البلاد إلى جزيرة العرب، ثم وعد الله بأن ينتصد الروم على الغرس فى جولة أخرى خلال بضع سنين، والبضع هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، وقد التقى الجيشان فى السنة السايمة من الالتقاء الأول، وغلبت الروم فأرس.

وعن أبى سعيد الخمري قال: لما كان يوم بدر غلب للسلمون كفار مكة، وأتى السلمين الخير بعد ذلك -والنبى والمؤمنون بالحديبية - بأن الروم قد غلبوا أهل فارس (^(۱) فضرح السلمون بذلك، الانتصار أهل الكتاب على عباد الأوثان، هذلك قوله تمالى: ويَوْمَعْذْ يَقْرُحُ الْمُؤْمِنُونَ » بِتَصْرِ اللهِ يَنصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُو اَلْمَزِيزُ الرَّحِيمُ . (الروبَ 1، ه)

فصلان مترابطان:

يمضى سياق سورة الروم في فصلين مترابطين:

الفصل الأول: بريط بين نصر المؤمنين والحق الذي تقوم عليه السماوات والأرض وما بينهما، ويرتبط به أمر النعنيا والأخرة، ووجه إلى سنة الله فيمن مضى قبلهم من القرون، ويقيس عليها قضية البمت والإعادة، ومن ثم يعدرض عليهم مشهدا من مضاهد الكون، وآيات الله المبثوثة في ثناياه، ودلالة طلك المضاهد وإيحاثها للقلوب، ثم يعدرض عليهم مشهدا من مضاهد الكون، وآيات الله المبثوثة في ثناياه، ودلالة طلك المضاهد والمحالة الأهواء التي لا ويضرب لهم من أنفسهم ومما ملكت أيمانهم مثلاً يكشف عن سخافة فكرة الشرك، وقيامها على الأهواء التي لا تستخد إلى حق أو علم ، . وينتهى هذا الموضوع بتوجيه الرسول ﷺ إلى انتهاع طرية الحق الواحد الثابت الواضعية

طريق القطرة التي نطر الله الناص عليها، والتي لا تتبدل ولا تدور مع الهوى، ولا يتفرق متبعوها شيما واحزابا، كما تفرق الذين اتبعوا الهوى.

ويستفرق هذا الفصل من أول السورة إلى الآية ٢٢ .

الفصل الثاني: يكشف هذا الفصل عما في طبيعة الناس من تقلب لا يصلح أن تقام عليه الحياة، ما لم يرتبطوا بمعيار ثابت لا يدور مع الأهواء، ويصور حالهم في الرحمة والضرر وعند بسط الرزق وقبضه، ويستطود بهذه الزاوية بهذه الزاوية المناسبة إلى وسائل إنفاق هذا الرزق وتنميته، ويعود إلى قضية الشرك والشركاء فيحرضها من هذه الزاوية فإذا هم لا يرزقون ولا يعينون ولا يحيون ويربط بين ظهور الفساد في البر والبحد وعمل الناس وكسبهم، فإذا هم لا يرزقون ولا يعينون والنعطر في عواقب المشركين من قبل، ومن ثم يوجه الرسول ﷺ إلى الاستقامة على دين الفطرة من قبل أن يأتى اليوم الذي يجزى فيه كل إنسان بما كسبت يداه ويعود بهم بعد ذلك إلى آيات على مناهد الكون - كما عاد بهم في الفصل الأول - ويعتب على ذلك بأن الهدى هدى الله، وأن الرسول ﷺ لا يطلك إلا البلاغ، فهو لا يهدى العمى ولا يسمع العمه، ثم يطوف بهم في جولة جديدة في ذات أنفستهم ويذكرهم بأطوار نشأتهم من بدئها إلى منتهاها، منذ الطفرية الواهنة الضميقة إلى الموت والتيامة، ويعرمن عليهم مشهدا من مشامدها، ثم ينتهي هذا الموضوع ويختم معه المدورة بتوجيه الرسول ﷺ إلى العسبر ويعرمن عليهم مشهدا من مشامدها، ثم ينتهي هذا الموضوع ويختم معه المدورة بتوجيه الرسول ﷺ إلى العمير

ويستغرق هذا الفصل من الآية ٢٣ إلى آخر السورة.

الأفكار العامة للسورة

الفكرة الرئيسية هي سورة الروم هي الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين احوال الناس وأحداث الحياة، وماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، وسنن الوجود ونواميس الكرن، ومن خلال هذه الارتباطات بيدو أن كل حركة وكل حالة وكل نصر وكل هزيمة كلها مرتبطة برياما وثيق محكومة بقانون دقيق، وأن مرد الأمر فيها كله لله: لله الأمر من يُقبل ومن يعنى . . (الروب: ٤) ، وهذه هي المعتبيّة الأولى التي يؤكدها القرآن كله، بوصفها الحقيقة للوجهة هي هذه العقيدة، الحقيقة التي تتشاً عنها جميع التصورات والمشاعر والقيم والتقديرات، والتي بدونها لا يستقيم تصور ولا تقدير.

وهناك أفكار متعددة مبثوثة في ثنايا السورة منها:

ذكر أخبار القرون الماضية، وذكر قيام الساعة، وآيات التوحيد والحجج 'لترافقة الدالة على الذات والصفات، ويبان البعث يوم القيامة، وتمثيل حال المؤمنين والكافرين، وتقرير المؤمنين على الإيمان، والأسر بالمعروف والإحسان إلى نزى القربى، ووعد الثواب على أداء الزكاة، والإخبار عن ظهور الفساد في البر والبحر، وعن آثار القيامة، وذكر عجائب السنع في السحاب والأمطار، وظهور آثار الرحمة في إنبات النبات وظهور الربيع، وذكر إصدار الكفار على الكفر، وتخليق الله الخلق مع الضعف والعجز، وإحياء الخلق بعد الموت والحشر والنشر، وتسلية الرسول ﷺ.

عالمية الدعوة الإسلامية:

لم يقف القرآن في سورة الروم عند حادث هزيمة الروم أمام الفرس، ثم الوعد بغلية الروم على الفرس. ولكنه انطلق من ذكر هذه الحادثة ليريط بين سنة الله في نصر المقيدة السماوية، والحق الكبير الذي قامت عليه المماوات والأرض وما يهنهما، وليصل بين ماضى البشرية وحاضرها ومستقبلها.

ثم يستمارد إلى الحياة الآخرة ومشاهدها. ثم يعاوف بالمسلمين في مشاهد الكون ومشاهد الثقس وأحوال . البشر وعجائب القطر، ومن ثم يرتقع تصورهم لحقيقة الارتباطات وحقيقة الملاقات في هذا الكون الكبير، ويشمرون بدقة السنن التي تحكم هذا الكون وتصرف أحداث الحياة، وتحدد مواضع النصر ومواضع الهزيمة.

وهي ظل ذلك التصور الواسع الشامل، تتكشف عالية هذه الدعوة، وارتباطها بأوضاع العالم كله من حولها.

ويدرك المعلم موقفه وموقف أمته هى ذلك الخضم الهائل، ويعرف قيمته وقيمة عقيدته هى حساب الناس وحساب الله: هيؤدى حيثئذ دوره على يصيرة، وينهض بتكاليفه هى ثقة وطمانينة واهتمام.



سورة الروم مكية، وآياتها ستون، نزلت بعد سورة الانشقاق

وقد بُدثت سورة المنكبوت قبلها بالجهاد وخنمت به، ويدثت سورة الروم بما يغيد أن الله ينصد المُومَنين، واشتملت سورة الروم على أدلة التوصيد، والنظر فى الأفاق والأنفس، وهى معان ذكرت فى سورة السنكبوت، وتأكدت فى سورة الروم.



﴿ الّهَ ۞ غُلِيَتِ الرُّومُ ۞ فِهَ أَدَى ٱلأَرْضِ وَهُم مِنْ بَعْدِ غَلِيهِ هِ مَسَيَغْلِبُوك۞ فِي ضِع سِنِيكَ لِلَّهِ ٱلْأَمْسُ مِن مَّسَلُّ وَمِنْ بَهْدُ وَيَوْمَ لِلْ يَعْلَمُ الْمُوْفِ مُثُوك۞ يَنْصَرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَكَّةُ وَهُوَ الْمَنْ يِزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَعَدَ اللَّهِ لَا يُعْلِقُ اللَّهُ وَعَدَهُ، وَلَيْكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ صَلَّى يَعْلَمُونَ ظَلْهِ رَا قِنَ الْمُنْوَوَ الدُّنَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ عَنْهُ وَنَ ﴾

المفردات،

هي اهتي الأرض، هي أقرب أرضهم من الروم، أو من أهل مكة الذين يساق إليهم الحديث.

من بعب طلبهم: من بعد كونهم مفاويين.

هي بضع سفين، البضع: من الثلاث إلى التسع.

ظاهر الهيالا الليله عن ما يشاهدونه من زخارهها ولذاتها الموافقة لشهواتهم، التي تستدعى أنهماكهم فيها، وعكوفهم عليها .

المسزيسسي الفالب،

التفسيره

١ - الم

حروف للتحدى والإعجاز، ويبان أن الخلق عاجزون عن الإتيان بمثل الشرآن، مع أنه مكرّن من حروف عربية يتطقون بها ويتكلمون بها، وقيل: هي حروف تشير إلى أسماء الله تعالى أو صفاته، وقيل: إنها أدوات للتبيه، كالجرس الذي يقرع فيتنبه التلاميذ إلى دخول الدرسة. . ٣ ، ٢ ، ٤ – غَلَبْت الرُّومُ ﴿ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِنْ يَعْدِ غَلِيهِمْ سَيَقَلُبُونَ ﴿ فِي بِصْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بِعْدُ وَيُوعَدْ يُفِرَحُ الْمُؤْمِدُونَ.

غُلبت فارس الروم في أقرب أرضهم إلى فارس، أو في أقرب أرضهم إلى بلاد العرب، وهي الأردن وفلسطين.

ولما يلغ الخبـر اهل مكة هرجوا بذلك وشمـتـوا في السلمين، وقـالوا: انتم والنصـارى أهل كـتـاب، ونحن وهارس وثبيرن، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرن عليكم.

فتحدث القرآن الكريم بأن الروم متعاود الكرّة، وستتنصر على القرس خلال بضع سنين، والبضع من ذلاخ إلى تسع سنوات، وقد تم ذلك بعد ٧ سنوات من هزيمة الروم أمام الفرس، وانتصدر الروم على الشرس، وجاءت الأخبار بذلك إلى المسلمين، بعد عونتهم من صلح الحديبية، وتحقق وعد الله، وهو سبحانه لا يخلف البحاد.

وكان أبو بكر الصديّيق قد اتقق مع أبيّ بن خلف على رهان، خلاصته أن الروم إذا غلبت الفرس يدهَع أُبِيّ ابن خلف الأبي بكر مائة بعير، وإذا غُلبت الفرس الروم يدفع أبو بكر لأَبِّيّ بن خلف مائة بعير.

ومات أُبِيّ بن خلف في غزوة احد، فلما تم نصر الروم على الفرس في صلح الحدييية، دفع ورثة أُبِيّ بن خلف لأبي بكر مائة بمير، وجاء بها إلى النبي 義 فأمره أن يتصدق بها، وكان ذلك قبل أن ينزل تشريع تحريم الرمان إلا في صور مينة.

فِي بطبع سنينَ للهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ يَعْدُ وَيَوْمَعَدْ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ.

أى: تم النصر خلال سبع سنين، وكان ذلك بأمر الله وتدبيره، هليست انفلية دائما بحسب القوة والكثرة، بل هناك سنن وضعها الله للفلية والنصر، ومن هذه السنن:

اخذ العدة، وإعداد القوة، والاستمانة بالله، فالنصر من عند الله: كُم مِّن فِتَهَ قَلِيلَةٌ طَلَبَتْ فِنَهُ كُيْرِةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَ الصّارِينَ . (العِرد: ٢٤٩).

ومن تدبير الله أن جمل هذه الأمم الكبيرة تتهارش وتتحارب مع بمضها، حتى تضمضا مما، ثم يأتى الإسلام بقوته الفكرية والمادية فينتصر على الفرس وعلى الروم وعلى غيرهما.

وعندما انتصرت الروم على فارس فرح المُمنون بانتصار أهل الكتاب من الروم على القرس الوشيين، والله تمالى ينصر من يشاء، فلا معقب لأمره، وهو المزيز الفالب، الرحيم بمياده المُومَتين.

٥ - يِنْصُرْ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحيمُ .

سيفرح المؤمنون بهذا النصر الذي نصر الله هيه الروم النصاري، أصحاب قيصر ملك الشام على فارس أصحاب كسرى الوثنيين الجوس، والله هو الننتم من أعدائه، المؤ الوليائه، الرحيم يسياده.

-1-1-11 112

نزلت الآیات حین غلب سابور ملك الفرس علی بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزیرة، واقاصی بلاد الروب وهجم علی هرقل ملك الروم حتی الجاء إلی القسطنطینیة، وحاصره فیها مدة طویلة، ثم عادت الدولة لهرقل، فیمد نزول سورة الروم سنة ۲۲۲ م بیضع منین، احرز هرقل أول نصر حاسم للروم علی الفرس، فی بینوی علی نهر دجلة، وانسحب الفرس لذلك من حصارهم للقسطنطینیة، ولقی كسری ابرویز مصرعه سنة ۲۷۸ م، علی ید ولده (شیرویه).

ولقد كانت هاتان الدولتان مسيطرتين على المالم القديم، هارس هي الشرق، والروم هي الغرب، وكانتا بتنازعان السيادة على بلاد الشاء وغيرها (١١).

٣ - وَعْدَ الله لا يُخْلفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكنَ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ .

إذا أخبر الحق سبحانه خبرا تحقق، وإذا وعد وعداً فقد صدق، وإذا أخبر عن غيب وقع مصداقه، واستبان للجـاحدين من نور إشرافه ما يؤيد صدق القرآن وإصجازه، وتحقق سائر ما أخبر به كذلك من ظهور الإسلام على اللهـُين كله، وزهوق الباطل، وعلو الحق، وجعل المستضمنين أثمة، وإيراشهم أرض عدوَّهم إلى غير ذلك.

وما الطف ما قال الزبير الكلائي؛ رايت غلبة فارس الروم، ثم رايت غلبة الروم فارس، ثم رايت غلبة المىلمين على فارس والروم، كل ذلك في خمس عشرة سنة، من أواخر غلبة فارس إلى أواثل غلبة المىلمين (١٠١).

لقد وعد الله أن ينصر رسله، وأن يؤيد المُؤمنين، وأن يعق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، والله تمالى لا يخلف وعدم.

وَلَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُعْلَمُونَ .

اى: بحكمته في كونه وأفعاله المحكمة، الجارية على وفق المدل، لجهلهم وعدم تفكرهم.

وقال في ظلال القرآن،

وتحقيق هذا الوعد طرف من الناموس الأكبر الذى لا يتنهير. ولكنُّ أكَفُرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ . ولو بدا هى الظاهر أنهم علماء، وأنهم يعرفون الكلير، ذلك أن علمهم سطحى بظواهر الحياة، ولا يتعمق فى سننها الثابتة، وقرانينها الأصيلة، ولا يدرك نواميسها الكهرى وارتباطاتها الوثيقة. 1 هـ.

٧ - يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مَنَ الْحَيَاة الدُّنّيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَة هُمْ غَافَلُونَ .

أي: اكثر الناس لهم علم ظلمري بالدنيا وعلومها المادية، كتديير ششون الديشة، وتحصيل الأموال، والكسب من تجارة وزراعة ومنناعة وغيرها، ولكلهم غاطون عن أمور الدين والآخرة، ولا ينظرون إلى المستقبل، وما ينتظرهم من نبيم مقيم إن آمنوا وعماوا المسالحات، أو عذاب مهين إن كفروا وعصوا ربهم.

قال الزمخشري في تفسير الكشاف:

آغاد قوله تمالى: يُطَبُّونُ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةُ اللَّنِيّا ... أن للدنيا ظاهرا وياطنا، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارهها والتتمع بملاذها، وياطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة، يتزود منها إليها، بالطاعة والأعمال الصالحة. أه.

ولله در القائل:

ومن البلية أن ترى لك صاحبًا في صورة الرجل السبع المبصر نظن بكل مصيبة في ماله وإذا أصيب بدينه لريشعر

المفردات

هي الفسسسهم، أي تقكرا عميقاً لا تقكرا ظاهريا، أو: أولم يتفكروا هي أمر أنفسهم، فإنها أهرب إليهم من غيرها، فبالتفكر يرجمون عن غفاتهم.

بالحسيق، بالعدل والحكمة.

وأجل مسسمى، وقت سمَّاه الله لابد من الانتهاء إليه، وهو قيام الساعة.

يلقمساء ريهم، بالبعث بعد الموت.

كالقام وأن الآخرة لا تكون.

أشسد منهم قسوة، كماد وثمود

البسهاسساته المجزات والآيات الواضحات.

أمساموا السسواى: كذبوا، والسواى تأتيث الأسوا، أي: الأقبح، أي: كان عاقبة المكذبين النار.

تمهيده

هذه الآيات مرابطة بما قبلها، تتضمن تهديد المشركين، وحقهم على التفكر والنظر فى المخلوقات الدالة على وجود الله تمالى، فهو سيحانه الخالق الرازق، لا إله غيره، ولا ربّ سواه، بعد ما صدر منهم من إنكار الإله، وإنكار البحث، وغفلتهم عن الآخرة.

التقسيره

٨ - أَوْ لَمْ يَتَفَكُّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا يَبْيَهُمَا إِلاَ بِالْحَقِّ وَأَجَلِ مُسَمًّى وَإِنْ كَثِيراً مِنْ اللَّهِ لِللَّهِ يَهُمْ إِلاّ بِالْحَقِّ وَأَجَلِ مُسَمًّى وَإِنْ كَثِيراً مِنْ اللَّهُ لللَّهِ يَلْمَاء يَهُمْ لَكُولُ وَنَ .

أي: أغفل هؤلاء الناس من التامل في انفسهم تأملاً عميمًا، كيف خلقهم الله ومنحهم العتل والفكر، ليتأملوا في خلق السماء والأرض، وما بينهما من فضاء وهواء، وتكامل في الخلق، فهذا الكون لم يخلق إلا بالحق والمدل، ووجد لغاية محددة وأجل مسمَّى، ثم تنتهى هذه الحياة الدنيا، لتبدأ مرحلة أخرى من الموت والبعث والحشر والعساب والجزاء.

وَإِنَّ كَلِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِالقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ .

أي: أكثر الناس في انشفال تام يدنياهم ولدائدهم، غافارن عن آخرتهم، أو جاحدون كافرون، بينما القليل من الناس مؤمن بالله مصدق بالآخرة، ويالبحث والحساب والجزاء.

قال القرطبى:

وهي هذه الآية تنبيه على الفناء، وعلى أن لكل مخلوق أجلا، وعلى ثواب المحسن وعقاب المسيء. أهم.

٩ - أوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقبَةُ اللّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشْدُ مُنهُمْ قُولًا وَالْأُرُوا الأَرْضَ وَعَمْرُوهَا الْخَرْضَ مَا عَمْرُوها وَجَوْتُهُمْ رُسُلُهُم بِاللّمُونَ.

السير هى الأرمن هد يكون بالجمعم للسياحة والتأمل، وهد يكون بالمقل واستقراء التاريخ، أي: أو لم يعرُكوا عقولهم وأفهامهم ونظرهم هى سماع أخبار الماشين من الأمم السابقة والقرون السالفة، الذين عمَّروا هى الأرض اكثر من أهل مكة، وكانوا أكثر من أهل مكة أموالا وأولادا وعمرانا.

ولما جامتهم رسلهم كموح وهود وصالح وموسى وعيسى، بالبَيَّات. بالرسالات والمجزات، كذبوا رسلهم، فاستمقوا المذاب والمقاب، وما كان الله ليظلمهم فيما حل بهم من عذاب وتكال، ولكن هم الذين ظلموا أنفسهم حين جعدوا آيات الله وكفروا بها، فاستحقوا ما نزل بهم من العذاب. ١٠ - ثُمُّ كَانَ عَاقبَةَ اللَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بآيَات اللَّه وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزُءُونَ .

جمل الله عاقبة الكنين لرسله، والجاحدين للإيهان بكتبه وأنبيائه، المقوية التي هي أسوأ المقويات، وهي الهلاك في الدنيا، أو التار في الآخرة، أو هما مما

أَنْ كُذَّبُوا بِآيَات اللَّه وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهُزِّءُونَ .

أى: أوقعنا بهم العذاب، لأنهم كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله، واستخفُّوا بها.

وَحَاقَ بِهِمِ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ. (هود: ٨).

. . .

﴿ اللَّهُ يَبْدُونَا الْخَلَقَ ثُمُّ يُعِيدُهُ ثُمُّ إِلَيْهِ تُرْحَمُونَ ۞ وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ۞ وَلَمْ يَكُنَّ لُهُم مِن شُرَكَا بِهِمْ شُفَعَتُو أُوكَ الْوَالِيشُرَكَا بِهِمْ كَنْوِينَ ۞ وَيَوْمَ نَقُومُ السّاعَةُ يَوْمَيْدِ يَنَفَرَقُونَ ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَبُوا بِعَنَا وَلِقَآي العَسَلِ حَنْتِ فَهُمْ فِي رَوْضَ يَيْحُبُرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَبُوا بِعَنَا وَلِقَآيِ الْاَخْرَةِ فَأُولَتِهِكَ فِي الْعَمَدَ لِيعْفَمُونَ ۞ ﴾

المفردات،

يبلس الجسرسون، يسكنون وتقطع حجتهم، يقال: أبلس الرجل، إذا سكت وانقطمت حجته، والمبلس: الساكت المنقطم الحجة، البائس منها.

من شمرك اثهم: من أصنامهم ومعبوداتهم.

شقه من عداب الله.

كسلف سيرين، أى: كفروا بالأصنام وتبرأوا منها، حين يئسوا من شفاعتها، وجاء التعبير بمعنى الماضى لتحققه.

يشط والكافرون.

روض المراد بها هنا: الجنة.

يحمب حدث يسرُّون مدوريًا تهلكت له وجوههم، يقال: حبره يحبُره، وبضم الباءه حُبورًا، إذا سره مدوريًا يتهلل له وجهه.

محمض رون، مجبرون على الحضور، لا يغيبون عنه.

لتفسب

١١ - اللهُ يَبْدُأُ الْعَظْقُ ثُمُّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

الله تعالى خلق هذا الخلق وأنشاء من المدم، فبيد القدرة الإلهية رفع الله السماء، ويسط الأرش، وأرسى الجبال، وسخر الهواء والرياح والأمطار، والشمس والقمر والليل والنهار، وهو سبحانه قادر على الإعادة والحشر والحساب والجزاء، فالإعادة لمون من اليدء، قال تعالى: كُماً يُمَاّكُمْ تُوثُونُنَ. (الأعراف: ٢٩).

وعند الله الملقتي هي الآخرة هيكون الجزاء والثواب والمشاب، قال تدالى: فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَةً خَيْراً برهُ ه ومَن يَعْمَلُ مَثْقَالَ ذَرَةً شَراً يُرهً . (الزوزية: ١٨٠).

١٢ - ويَوْمُ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبلسُ الْمُجْرِمُونَ .

يعرض القرآن هنا مشهداً من مشاهد القيامة، أي: عند قيام الساعة وابتداء اليوم الآخر للحصاب والجزاء، يبلس المجرمون ويقفون ساكتين بالسين، قد انقطمت حجتهم، فلا امل ولا رجاء في النجاة من هول هذا اليوم.

١٣ - وَلَمْ يَكُن لَهُم مِن شُرَكَائِهِمْ شُفَعاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافرينَ .

لم يجد الكفار من يشفع لهم من الأصنام والأوثان، التي كانوا يميدونها رجاء شفاعتها، إذ قالوا هي الدنيا: مَا نَشِّكُمُ إِلاَّ لِيَّرِيُّونَ إِنِّي اللَّهُ زُلِقِيْ . . . (الزمر: ٣).

لقد خاب ظنهم وانقطع رجاژهم، وذهب أملهم في الأصنام التي عبدوها، ثم لم يجدوا لهذه العبادة نفعا أو شفاعة، عندثذ كقروا بالأصنام وتبراوا من عبادتها، وندموا على شركهم في الدنيا، ولات ساعة مندم.

قال تمانى: إذْ تَبَرَآ اللَّهِينَ اتَّبُعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبُعُوا وَرَاُّوا الْمُغَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبُعُوا الْوَ أَنْ لَنَا كُوَّةً فَتَشِرًا عَيْهُمْ مَكُما تَرِّعُوا هَنَّ ... (البقرة ١٦٠٠، ١٦٧٠).

والآية دليل على إعلان إشلاسهم، وإعلان خسرانهم، وجاءت بصيغة للأضى للإعلان بأنه واقع لا محالة، فكانه وقم فملا وأُخبر عنه،

١٤ – ويَوْمُ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَعَدْ يَتَقَرَّقُونَ .

فى يوم القيامة مشاهد عدّه، وقد سنبق ذكر إبلاس المجرمين ويأسهم وإملان خسرانهم، ومنا بيين أنه عند قيام القيامة يتفرق الخلق إلى مؤمنين وكافرين، قال نمائى: وأمَّتأزُوا الَّيْومُ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ . (س: ٩٠). هيذهب الأشتياء إلى النيران، ويؤخذ المعداء إلى الجنان. قال قتادة: هي والله الفرقة التي لا اجتماع بمدها.

10 - فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات فَهُمْ فَي رَوْضَة يُحْبَرُونَ .

أي: إن الأزمنين الذين آمنوا بالله ومـلائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعملوا الأعصال المسالحـات، هـأحسنوا المبادات والماملات، هؤلاء يدخلون الجنة، حيث يعمهم الفرح والسرور والحبُّور الذي يملأ القلب، ويظهر اثر البشاشة والحبور والسرور على وجوههم التى تتهال فرحا، بما هم فيه من تميم ورضوان ومسرة.

قال تمالى: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفي لَهُم مَن قُرَّة أَعْيِن جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. (السيدة: ١٧).

وروى احمد، والشيخان، والترمذي، وابن ماجة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: طبيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمت، ولا خطر على قلب بشره (۱^{۷۳)}.

١٦ – وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلَقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُعضرُونَ .

وأما الذين كفروا بالله ورمنوله، وكذبوا بأياته التشريعية والكوثية، وأنكروا وقوع البعث بعد الموت، فهم مخلدون في عذاب جهنم، لا غيبة لهم عنه وهم مجبرون على حضوره.

قال تمالى: كُلُّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمِّ أُعِيدُوا فِيهَا . . . (المع: ٢٢).

وقال سبحانه وتعالى: وَالْذِينَ كَفُرُوا لَهُمْ فَارْجَهُمْ لا يُقْضَىٰ عَلَهِمْ فَيَمُونُوا وَلا يُعْفَفُ عَيْم نَجْرِي كُلُّ كُفُور . (هاهو: ١٦).

* * *

﴿ فَسُبْحَنَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۞ وَلَهُ الْحَمَّدُ فِي السَّمَنُونِ وَالْأَرْضِ وَعَشِنَا وَحِينَ تُطْهِرُونَ ۞ يُخْرِجُ الْعَقَ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُحْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْعَي وَنَحِي الْأَرْضَ بَعْدَمُوْتِهَا وَكِذَلِكَ تَخْرَجُونَ ۞﴾

المفردات:

هسيبحان الله؛ سبحان: هو التسبيح، وهو إخبار هي معنى الأمر، بنتزيه الله تمالى والشاء عليه، أي: سيّموا الله وعظموه وانكروه هي هذه الأوقيات، أو صلوا هي هذه الأوقيات التي تظهر فيها قمرته، وتتجدد فها نميته.

حين تمسيسون، تدخلون في الساء، وفيه صلاتا المفرب والمشاء.

وحين تصبحون، حين تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح.

ومشييسياه المشي آخر التهار وفيه صلاة العصر.

وحين تظهرون، تدخلون في الظهيرة وهيه مملاة الظهر.

يحسرج الحي، المؤمن من الكافر، والدجاجة من البيضة.

مصن الأحيت، من الكافر، والنبات من الأرض،

ويطرع البت من الحيء كالكافر من المؤمن، والسقط من الأمَّ.

وكذلك تخرجون، تبعثون من قبوركم.

تمهيده

تذكر الآيات مظاهر القدرة الإلهية التي يسنّ ابتهال الإنسان عندها بالذكر والتسبيح، في موعد المساء وقدوم الليل، وعند الصباح، وفي وقت المشي والظهيرة.

فائله سبحانه وتعالى بيده القدرة، وإنبات النبات، وهداية الناس، فيخلق الكافر من الثومن، ويخلق المؤمن من الكافر، ويعيى الأرض بالأمطار وإخراج النبات، وكذلك البعث وإحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم، بعد جمع ما تقرق من آجزائهم الأصلية.

التفسيره

١٧ - فَسُبْحَانَ الله حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ .

أي: نزهوا الله سيحانه في وقت المساء حين إقبال الليل وظلامه، وفي وقت الصباح حين إسفار النهار بضيائه، أي انكروا الله وعظموه وسيحوه، وانكروا قدرته وعظمته، فهو الذي يسخر الليل ليكون سكنا ونوسا وهدوءًا، ويسخر النهاز ليكون بطأ ونشاطا وسمها وعملا.

أو أقيموا الصلاة عند الساء، وهي صلاة الغرب وصلاة العشاء، وعند الصباح وهي صلاة الصبح.

١٨ - وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السُّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُطَّهِّرُونَ .

وهو سبحانه مستحق للحمد من جميع خلقه، فى السماوات من الملائكة، وفى الأرض من الملها، من أصناف خلقه فيها، من جن وإنس وطير، ووحش وسياع وسائر الخلوقات والموجودات تحمده، فبيد القدرة الإلهية خُلُق هذا الكون ويُسرت له أسباب البقاء والحياة، والتكامل والتناشم.

قال تعالى: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا . . (الأنبياء: ٢٧).

وَعَشَيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ .

اي: مبيعوه ونزهوه في وقت المشي، أي: في صلاة المصر في آخر النهار.

رَحِينَ تُظْهِرُونَ . وهي وسط النهار وقت الظهيرة بصلاة الظهر،

١٩ - يُخْرِجُ الْمَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْمَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضُ بَعْذُ مَوْتِهَا وكَذَلكَ تُخْرَجُونَ .

أي: هو مبيحانه التعادر على خلق الأشهاء المتعابلة بمضها من بعض، فهو يخرج المؤمن من الكاهر، والكاهر من المؤمن، والنبيه من الفاهل، والفاهل من النبيه، والملائر من البيضة، والبيضة من الطائر، والإنسان من النطقة، والنطقة من الإنسان، ويسهى الأرض بعد موتها بإنزال المطر وإنبات النبات.

وَكُذَلِكُ تُخْرَجُونَ .

وبمثل ذلك تخرجون من القبور أحياء، بعد أن كنتم أمواتا، وذلك على الله يسير.

تعليق على الآيات:

من شأن القرآن أن يحرك القلوب، ويلفت الأنظار إلى مظاهر القدرة الإلهية، عند قدوم المساء وظهور الشفق وقدوم الليل، وكذلك عند المساح وانتشار الضوء، وعند الظهيرة حيث تتحول الشمس من جهة المشرق إلى الوقوف في كيد السماء، وعند العشي حين يقترب النهار من نهايته.

وقد ذكر العلماء أن الآيات تشير إلى الصلوات الخمس:

فقى الساء صلاتا المغرب والعشاء.

وفي الصياح مناذة الفجر.

وهي الظهيرة صالاة الظهر.

وفي المشيّ مملاة العصر.

وكلهـا أوهـات تظهـر هيـهـا آثار القـدرة، في المساء والصبـاح والظهيـرة والمشى، والآيات تحـرك التلوب لتنيقظ، وتتذكر الخالق القلار، وهو سبحانه القـاهر فوق عباده، وله الحمد هي المماوات والأرض، لحفظهما بنظامهما وتكاملهما، كما أن الموت والحياة والتقدير والتحويل بيده سبحانه.

قال تعالى: الْحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السُّمُوات وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَات وَالنُّورَ . . . (الانعام: ١).

وقد أقمتم الله بالليل والثهار والشمس والقمر، والضحى والرياح، ويغير ذلك من مظاهر الكون؛ ليلفت إنظارنا إلى عظمة الخالق وجمال الكون ونظامه. قال تمالى: وَالشُّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿ وَالْقَمْرِ إِذَا تَلاهَا ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَامًا ﴿ وَاللَّهِلِ إِذَا يَعْشَاهَا ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا يَاهَا ﴿ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا . (الشمس: ١-٦).

وقال تمالى: وَاللَّيْلِ إِذَا يَفْشَىٰ ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى. (الليل: ١٠١).

وقال تمالى: وَالطُّحُيْ * وَاللَّيْلِ إِذًا سَجَىْ. (الضعي: ٢،١).

وهال تصالى: قُلِ اللَّهِمُّ مَالِكَ المُلكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزعُ الْمُلْكَ مَعْن تَشَاءُ وَتَدلُّ مَن تَشَاءُ بِيَادِكَ الْخَيْرُ وَالْكَ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ قَديرٌ مَ تُولِجُ اللَّيلَ فِي الشّهارِ وَتُولِجُ النّهارَ فِي اللَّهِلِ وَتُعْرِجُ اللّهَارَ فِي اللَّهِلِ وَتُعْرِجُ اللّهَارَ فِي اللّهِارَ فِي اللّهَامِ وَتُولِجُ اللّهَارَ فِي اللّهِلِ وَتُعْرِجُ اللّهَارِ وَتُولِجُ اللّهَارَ فِي اللّهِارِ وَتُعْرِجُ اللّهَارِ وَتُولِجُ اللّهَارِ وَتُولِجُ اللّهَارَ فِي اللّهِارِ وَتُعْرِجُ اللّهَارِ وَتُعْرِجُ اللّهَارَ فِي اللّهِارِ وَتُولِجُ اللّهِارَ فِي اللّهَامِ وَتُولِعُ اللّهِالِ وَتُعْرِجُ اللّهَارَ فِي اللّهِ اللّهِ اللّهُ مَا اللّهُ وَسُوارِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ وَتُعْرِجُ اللّهِ ال

* * *

لفردات:

ان خلقكم من تراب؛ خلق أباكم آدم من تراب.

يشمسسرو من لحم ودم.

تنتشر من فضل الله.

مسن الفسسسكم؛ من جنسكم.

أزواجــــا، زوجات.

اتسكنوا إليهاء انميلوا إليها وتألفوها.

مـــــودة، معبة.

رحم شفقة.

وتحمية عن صنع الله وحكمته.

واختيه الشائستكم، واختلاف لفاتكم مع أن الأصل واحد.

منامكم بالليل والثهاره نومكم فيهمأ لاستراحة الجسد والنفس والفكر.

يسم عب ويه سماع تدير وتفهم،

وطم مُاه في النيث للمقيم.

انتقوم السماموالأوني بأسره أن توجد على الفضاء بقدرته وتدبيره.

تخسر جسين تفاجأون بالخروج من فيوركم تلبية لنداء الله.

تمسده

تتحدث الآيات عن جوانب القدرة الإلهية، فهو سبعانه خلق آدم من تراب، وخلق ذريته من نطقة مرت يمراحل إلى أن صارت خلقا آخر، وهو الذى خلق للرجل زوجة من جلسه لهانس إليها، وجمل بين الزوجين الشفقة والمية والراقة، وهو خالق الكون، وخالق الإنسان من طون الأرض، هنبه الأسهل ومنه الكفور.

ومن فضل الله علينا نممة النوم بالليل والنهار، ونممة اليقطة والبحث عن الرزق، وتتوع الناس في السغر والتجارة والممل.

ومن آيات الله تسخير السحاب والبرق والرعد والمطر، وكذلك الإحياء والإمانة، والبعث والحشر، والحساب والجزاء.

التفسير

٢٠ - وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِن تُرَابِ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَسَفَيرُونَ .

ومن دلائل قدرته انه خلق آباكم آدم من تراب، وخلفكم من نطقة، تحولت إلي علقة، ثم إلى مصنفة، ثم إلى مصنفة، ثم إلى مطام، ثم كسا المطام لحما، ثم أنشأ الله هذه الخلقة خلقا آخر متكاملا، فيه الروح والحياة، فإذا به بشر عاقل يتصدرف فى فنون المعايش والمكاسب، كما شاوت الله بين الناس فى العلوم والفكر، والحُسنّن والقبح، والفنى والفقر، والمعادة والشقاوة.

٢١ – وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْرَاجًا لِتَسكُنُوا إِنْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُودَةٌ وَرَحْمَةُ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ
 اللهُم يَنفُكُورُن َ

ومن دلائل قدرته ان خلق لكم من جنسكم الأممى أزواجًا لتأنسوا بها وتسكنوا إليها، بالحبة والشفقة والمؤانسة، ولو كانت من جنس آخر، كالجن أو الحيوان، لما حصل هذا الائتلاف بين الأزواج، بل كانت تحصل النفرة، وذلك من تمام رحمته بينى آدم.

قال ابن عباس:

المودة: حب الرجل امرأته، والرحمة: شفقته عليها أن يصيبها بسوه،

إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتِ لِلْمُومِ بِتَفَكِّرُونَ .

أى: يتأملون فى خلق الإنسان، وفى تيسير أسباب الزواج ليممر الكون بامتداد الإنسان فى ذريته وأولاده، فتيل أن يموت يترك أسرة تممل وتتزوج وتتجب وقتكّر، وتنافس الأخرين فى إممار الكون.

٢٢ – وَمَنْ آيَاتِه خَلْقُ السَّمَوَات وَالأَرْض وَاخْتلافُ ٱلْسَنَّعَكُمُ وَٱلْوَانكُمْ إِنَّ فِي فَلكَ لآيَات لِلْعَالمِينَ .

ومن دلائل القدرة خلق السماوات سقفا مرهومًا، ممتدًا بدون عمد، وخلق الأرض وإعمارها بالجيال والبحار، والأنهار والفضاء والهواء.

ومن دلائل القدرة اختلاف اللغات والأصوات من عربية وعجمية وتركية، وإنجليزية وهرنسية وأربية. واختلاف الألوان من أبيض وأسود وأحمر، واختلاف الهيئات والشمات، بعيث وقع التمايز والتعارف، حتى لا يشتبه شغص بشخص، ولا إنسان بإنسان، مع أنهم جميما من ذرية آدم.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتِ لَلْمَالِمِينَ .

أى: دلائل لاثحة لأولى العلم الذين يتفكرون فيما خلق الله، فيعلمون أنه لم يطلق الخلق عبثًا بل خلقه لحكمة بالنة فيها عبرة لن تذكر.

٢٢ – وَمِنْ آيَاتِه مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتَفَاؤُكُم مَن فَصْلُه إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَات لَقُومُ يَسْمُعُونَ .

ومن دلائل القدرة نومكم هي ظلمة الليل، ووقت الظهيرة بالنهار، راحة لأبدائكم، وطلبكم الرزق بالنهار.

قال تمالى: وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا. (النيا: ٩-١١).

أى: جعلنا النوم راحة تامة تقطع العمل والحركة، وجعلنا الليل سكتا وهدوءًا مناسبا للراحة، وجعلنا النهار بقطة وحركة وطلما للمعاش.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتِ لَقُومٍ يَسْمُعُونَ .

سماع تفهم واستبصار، فيتعظون بذلك، ويدركون أن صانع ذلك لا يعجزه بعث العالم وإعادته.

من هدى السنة:

كان ﷺ إذا وضع جنبه للنوم يقول: دياسمك رببً وضعت جنبي ويك أرفعه، إن أمسكت روحى فارحمها، وإن أرساتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك المسالحين، (١٠).

وإذا استيقظ من النوم يقول: «الحمد لله الذي أحيانًا بعدما أمانتا وإليه النشور» (١٥).

وإذا أرق من الليل يقول: «اللهم غارت النجوم، وهدات الديون، وأنت حى قيوم، يا حى يا قيوم أَنِّمَ عينى وأهديّ ليلي، (١٦).

وعلّم الذي ﷺ أحد أصحابه هذا الدعاء عند الأرق: «اللهم رب السماء وما أظلت، والأرضين وما أظلت، والشهاطين وما أضلت، كن لي جارًا من شرار خلقك عزّ جارك» (١٧).

٢٤ - وَمِنْ آيَاتِهِ يُويكُمُ البَّرْقَ خَوْفًا وَظَمَعًا وَيُقِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُعْفِي بِهِ الأَرْضَ بَعَدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلكَ لآيات لِقُومُ يَمْقُلُونَ .

ومن دلائل قدرة الله أنَّه يريكم البرق والرعد والمطر خوضا من عنابه، وطممًا هى رحمته بنزول المطر، خصوصًا أهل البادية الذين يعرثون الأرض ويضمون البدّر، ويخاشون من تأخر المطر، ويرجون نزوله، أو خوشًا للمسافرين فى البر الذين يمنعهم المطر من السفر، وطمعًا للمقيمين فى نزول المطر لإصلاح الأرض ونجاح الزراعة.

وعادة يأتى بعد البرق والرعد المطر، وأحياتا يصباحب المطر هذه الطواهر المليهمية الكونية، وعند مجيء المطر ونزول الماء يتحرك النَّباتُ، وتهتز الأرض بالزراعة، ويحيى الله الأرض بعد موتها، شمن استخدم عقله وفكره، أدرك جوانب القدرة الإلهية، التي سخَّرت هذا الكون، وسيطرت عليه، وسخرت السحاب والأمطار والرعد والبرق.

جاء في ظلال القرآن:

وظاهرة البرق ظاهرة ناشئة من النظام الكونى، ويطلها بعضهم بأنها تنشأ من انطلاق شرارة كهريائية بين سعابتين معملتين بالكهرباء، أو بين سعابة وجسم أرضى، كقمة جبل مثلا، بينشأ عنه تقريغ هى الهواء يتمثل هى الرعد الذى يعقب البرق، وفى الفالب يصاحب هذا وذاك تساقط المطر، نتيجة لذلك التصادم، وأيا ما كان السب، فالبرق ظاهرة تاشئة عن نظام هذا الكون، كما خلقه البارى وقدًره تقديرًا. 1 هـ. والقرآن الكريم يتخذ من الظواهر الكونية وسيلة لوصل القلوب بالله، فإذا كان الكون خليقة حية متعاطفة متجاوية، مطيمة لربها خاضعة خاشعة، فالإنسان الذي يدبُّ على هذا الكوكب الأرضى واحد من خلائق الله، ينبغى أن يتفق مع هذا الكون في طاعته وامتثاله لأمر الله.

ومن استخدم عقله وفكره، وتدبّر وتامّل في خاق الله، أدرك أن وراء هذه الصنعة البديمة يدا حنائية تحفظها وتمسكها.

٢٥ - وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ .

ومن دلائل قدرته قيام السماء، وارتفاعها هي الفضاء بنظام دقيق، وقيام الأرض ميسوطة، وفوقها الجبال والهواء بأمر الله وقدرته.

ههو الذي خلق هذا الكون، وسخَّره وأبدع نظامه، والكون كله خاضع لله خضوع القهر والغلبة، وكذلك السماء والأرض.

قال تعالى: ثُمُّ اسْتُوكَ إِلَى السُّمَاءِ وَهِي دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ النَّهَا طُوعًا أَوْ كَرَمًا قَالَنَا الْهَيَا فَاللَّهِينَ هِ فَقَضَاهُنَّ مُنْهَ سَمَوَاتِ فِي يُومُنِنِ وَأُوسَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُنْيَا بِمَصَابِحَ وَحِلْقًا فَلِكَ تَقْدِيرُ الْمَوْنِدِ الْعُلِيمِ . (هسلت: ٢٠١١).

وقال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُمسكُ السُّمُوات وَالأَرْضَ أَن تُزُولًا . . . (هاطر: ١١).

ثُمُّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعُولَةً مَنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ .

أى: بيد الله البعث والحشر والحماب والجزاء، فإذا انتهى أمر اللنبيا أمر الله القبور أن تلقى من فيها، وأمر الأرواح أن تمود للأجسام، وحُشر الخلائق أجمعون.

قال تمالى: وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَفَادرْ مِنْهُمْ أَحَدًا . (الكهد: ٤٧).

وقال تمالى: يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِعَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِشُمْ إِلاَّ قَلِيلاً . (الإسراء: ٥٠).

وقال تمالى: إن كَانَتْ إلا صَيْحة وَاحِدة فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ . (يس: ٥٢).

﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ كُلُّلَةٌ مُقَانِنُونَ ۞ وَهُوالَّذِي يَبَدَ وُّا اَلْحَلَقَ ثُمَّرَ يُعِيدُهُ وَهُو اَهْوَنُ عَلَيْهٌ وَلَهُ اَلْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَهُو اَلْعَزِيزُ الْحَكِيدُمُ ۞ ﴾

المفردات

ق الد منقادون خاضعون.

البشيل الأصلي، الوصف الأعظم.

المسسرين الغالب،

التفسير

٢٦ - وَنَّهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانتُونَ .

أى: جميع من هي الكون من إنس وجن وملك، وما عمى أن يكون به من مخلوقات لا علم لنا بها، هؤلاء جميعا خاضمون لا يريد الله يهم، من موت أو حياة، وحركة أو سكون، هييد الله الخلق والأمر وهو على كل شيء قدير.

٧٧ - وَهُوَ الَّذِي بِيَدَأُ الْخَلْقُ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُو أَهُونُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَكْمِمُ .

الله تعالى بدأ خلق الكون كله، قال تعالى: لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ٱكْبَرُ مِنْ خَلَقِ النَّاسِ... (غاهر: ٥٧).

والله تمالى يميد هذا الكون بالبحث بعد الموت، والإعادة أهون من البدء بالنسبة للمخاطبين، وإلا هالله تمالى ليس عليه هين وأهون، فجميم الأمور هي فيضته وتحت قدرته.

هال تعالى: إنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيِّمًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيكُونُ ﴿ فَسَبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيَّءٍ وَإِلَّهِ تُرْجُونَ. (يس: ۲۸، ۲۸).

والمقصود من الآية التقريب بالنسبة لمقول النكرين للبعث والإعادة، فإن إعادة شيء من مادته الأولى، أهون على الناس من إيجاده ابتداء.

وقصاري ذلك:

إنه أهون عليه بالإضافة إلى أعمالكم، ويالقياس إلى اقداركم، وذهب بعض للقمدرين إلى أن داهما. التفضيل، على غير بابها، فيكون معنى: ورُمُّ أَفَرُنُ مُنْهَا. وهو هين عليه. ولَّهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ في السِّمُوات وَالأَرْض وَهُو الْمَزِيزُ الْحَكِيمُ .

وله الوصف الأعلى الذي ليس لفيره ما بدانيه فيهما، كالقدرة العامة والحكمة التامة، فكل شيء بدءًا وإعادة، وإيجادًا وإعداما عنده على حد صواء، ولا مثل له ولا ندً، فهو منزه عن النظير والثيل. لُبِسَ كَمِثْلُهِ شَيءً وهُو السَّمِيرُ الْهِيرِيُ . (الشريق: 11).

وهُو الْمَزِيزُ . الغالب الذي لا يُغلب ولا يُغالب.

الْحكيمُ . في تدبير خلقه وتصريف شئونه فيما أراد وفق الحكمة والسداد،

* * *

﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَّشَلًا مِنْ أَتَفْيكُمْ هَل لَكُمْ مِن مَّامَلَكَتْ أَيْمَنْكُمْ مِن شُرَكَآءَ فِى مَارَزَقَنَكُمْ مَّانَتُكُمْ مِن شُرَكَآءَ فِى مَارَزَقَنَكُمْ مَّانَتُكُمْ كَنِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَنِيفَنَكُمْ كَنِيفَتُكُمْ كَنِيفَنَكُمْ أَنفُسَكُمْ كَنْ لِكَ نَفُصِّلُ الْآيَانِ لَقَوْمِ يَعْقِلُونَ اللَّهِ اللَّيْفَ اللَّهِ الْقَوْآءَهُم بِغَيْرِ عِلْقِفْمَن يَهْدِي مَنْ أَنْسِكُمُ اللَّهُ وَمَا لَكُمْ اللَّهُ اللَّ

المضردات

من الشهور اليكم، منتزعًا من أحوال أنفسكم، التي هي أقرب الأمور إليكم، وأعرفها عندكم.

ملكت أيصالكم، مماليككم وعبيدكم.

شيهما رزقتاكم، من العقار والنقول.

فأنتم فيه سواء، يتصرفون فيه كتصرفكم.

تحسا السونهم، تخافون أن يستبدوا بالتصرف فيه.

كخيفتكم انفسكم؛ كما يخاف الأحرار بمضهم من يمض،

تقسيصل الآيات، نبينها بالتمثيل الكاشف للمعاني،

التفسيره

٢٨ - صَرَبَ لَكُم مَثَلاً مِنْ أَنفُسكُم هَل لَكُم مِن مَا مَلَكَت أَبْمَانكُم مِن شُركَاه فِي مَا رَوْقَاكُم فَالتُم فيه سَوَاءً
 تَعَافُونَ نَهُم تَصْفِينَكُم أَنفُسكُم كَلَلك نُفصلُ الآيَات تقوم يقفلُونَ

أي: إن الله تمالي يضرب لكم مثلا منتزعًا من أنفسكم تشاهدونه وتفهمونه، وهو:

هل يُغْبَل أحدكم إن يكون عبده شريكًا له في ماله، يتصرف العبد في ماله تصرفًا كاملاً بعون الرجوع إليه، فيكون العبد وسيده سواء في التصرف في المال والمقار؟

فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتكُمْ أَنفُسكُمْ . . .

هذا من نتمة للثل، أى: لستم وعبيدكم سواء هن أموالكم، وأنتم لا تعطون عبيدكم حرية التصرف في أموالكم، بعيث تخافون أن يستبدوا بالتصرف فيها، كما يخاف الأحرار بعضهم من بعض.

وإذا كلتم لا ترضون الأنفسكم أن يشارككم عبيدكم في أموالكم وتصرفاتكم، فكيف رضيتم لله تمالي شريكا له في خلقه وملكه، حيث كانوا يقولون في تلبيتهم بالحج: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك.

كُذَلِكُ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقُومٍ يَعْقِلُونَ .

كذلك نوضع المائى بضرب الأمثال، وإخراج المقول فى صورة الحسوس، لتتضح المقهقة كاملة امام عبونكم، فنتحرك عقولكم إلى التأمل والثدير، فى أن أحدكم يأنف أن يساويه عبده فى التصرف فى أمواله، فكيف تجلون لله الأنداد من خلقه ؟

٢٩ - بَلِ اتَّبِعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْم فَمَن يَهْدِي مَنْ أَصْلُ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن تَاصرينَ .

لقد ذكرنا عددا من الأدلة على وجود الله، وأرسلنا رسولنا إليهم، وأنزلنا عليه كتابا مبينا لهدايتهم، لكنهم اختاروا اتباع الهوى وتقليد الآباء، ووآثروا عبادة الأصنام باتباع أهوائهم هى عبادتها، وتقليد الأسلاف هى ذلك،، كما يقول القرطبى هى تفسير الآية. 1 هـ.

هٰ لا أحد يستطيع هداية من أضلهم الله عن الحق، بسبب إعــراضهم عنه، ومــا لهــؤلاء من ناصــرين يُعْلُمــونهم من الضلال وتيماته.

قال ابن كثير: وَمَا لَهُم مِن فَاصِرِينَ ، ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير.

وقال القاسمى: لا يقدر على هدايته أحد، ومَا لَهُم مِن تَأْصِرِينَ ، أي: يتصرونهم من الله إذا أراد بهم عذاباً ،

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلِدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّيْ فَطَرَالْنَاسَ عَلَيَّهَا لَاَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِيثُ الْفَيِّدُ وَلَنَكِنَ أَكْبَ الْسَكَاسِ لَاَيْعَلَمُونَ ۞ ۞ مُنِينِ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِمُوا الصَّلَوْةَ وَلَاتَكُونُواْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ الَّذِيثَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيعًا كُلُّ حِرْبٍ بِمَالَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۞ ﴾

المردات

أقب عليه من أقام المود وقوّمه إذا عدُّله، والمراد: الإقبال على دين الإسلام، والثبات عليه،

السفسط سرة؛ الحال التي خاق الله الناس عليها، من القابلية للحق، والتهيؤ لإدراكه.

خَسِلَسَقُ السِّلْسِهُ، هو فطرته المذكورة أولا.

البقيب يبع السنقيم الذي لا عوج فيه.

مليبين اليسه: راجمين إليه بالتوية والإخلاص، من أناب، إذا رجع مرة بعد أخرى.

الت وه: خافوه.

فسرقسوا دينهم، اختلفوا فيما يعبدونه على حسب اختلاف أهوائهم.

شبي سعسا: فرقا، تشايع كل فرقة إمامها الذي مهد لها دينها، وقرره ووضع أصوله.

كل حسسريه الحزب: الطائفة من الناس، والجمع: أحزاب.

تمهيده

هذه الآيات توجيه للرسول ﷺ أن يثبت على الإسلام مخلصا له، غير ملتقت عنه يمنة أو يسرة، فهو فطرة الله التي خلق المقول ممترفة بها .

التفسير

٣٠ - فَاقَمْ وَعَهْكَ لِلدِّينِ حَيِفًا فَعُوْتَ اللّهِ أَوْ . فَطَوَ النّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْديلُ لِخَلْقِ اللهِ ذَلكَ الدِّينُ الْفَيْمُ وَكَكِنُ
 آكَتُرَ النّاس لا يَطْنُونَ .

أى: أعرض عن هؤلاء المُشركين المشالين، وأقبل يذاتك على دين الإسلام، ممرضا عن المُشركين فالإسلام دين الفطرة البشرية، التى فطر الله الناس عليها، وخاق عقولهم قابلة للامتداء إلى الحق، والإيمان بالله، واليقين بأن هذا الكون اليديع للنظم لايد له من إله قادر متصف بكل كمال.

لا تَبْديلَ لخَلْق الله ...

خبر مراد منه النهي، أي: لا تبدلوا دين الله وخلقته التي خلق الناس عليها.

وقال الفخر الرازي:

لا تَدُيلُ لَخَقِّ اللهُ . . . بل كلهم عبيد لا خروج لهم عن ذلك، حتى إن سالتهم من خاق السماوات والأرض، يُقولون الله، لكن الإيمان الفطري غير كاف.

ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ... أَنَى: المستقيم الذي لا عوج فيه.

وَلَكِنُ أَكْثُرُ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ . أنَّ ذلك هو الدين المنتقيم الذي يجب الإيمان به، لعدم تدبرهم، وإهدارهم عقولهم،

٣١ - مُنيبينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقْيِمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

سيق أن أمر الله نبهه ومن آمن به بالترجه لهذا الدين، وإخلاص المبادة لله وحده، فهو دين الفطرة، ولما كان الخطاب للنبئ وامته، أو من آمن به، أو لكل من يتأتى منه الخطاب، جاءت هذه الآية بلقط الجمم.

مُنبينَ إِلَيْهِ وَاتَّلُوهُ . . .

أى: أقيموا وجوهكم – أيها الناس – لخالقكم وحده، حال كونكم راجمين إليه بالتوية والإنابة المتكررة، مقبلين عليه بالاستغفار والتوية، متقين ئه في كل أحوالكم.

وَأَقِيمُوا الْمُلَاةَ . . .

داوموا على الصلاة في خشوع واطمئتان.

وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

الذين يقصدون الرياء والمسمعة، أو يعبدون معه الملائكة أو الجن، أو البقر أو الشجر، أو الملوك أو غير ذلك، بل أخلمنوا له العبادة وحدم سبحانه، لأن العبادة لا تقم إلا مع الإخلاص له وحدم.

٣٢ - مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ .

أى: لا تكونوا من الشركين الذين اختلفوا فى شأن دينهم اختلاهات شتى، على حسب أهوائهم، ومساروا شيما وفرقا واحزابا متنازعة.

كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ .

أى: كل حزب منهم صار مسرورًا بما لديه من دين باطل، وملَّة فاسدة، وعقيدة زائتة، وهذا الفرح بالباطل سببه جهليم وانطماس يصائرهم عن الانقياد للحق.

قال الفخر الرازي في التفسير الكبير ما يأتي:

مُبِينَ إِلَيْهُ وَاتَّقُوهُ . . . اثبت التوحيد الذي هو مخرج عن الإشراك.

وَلا تُكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

أراد إخراج الديد عن الشرك الخفيّ، أي: لا تقصدوا بمملكم إلا وجه الله، ولا تطلبوا به إلاّ رضاء الله، فإن من حصل على رضا الله، فقد حصل على معادة النفيا والآخرة.

منَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شَيْعًا . . .

يمنى لم يجتمعوا على الإصلام، وذهب كل واحد إلى مذهب، ويعتمل أن يقال: و كَانُواْ شُوهًا ... يعنى بمضهم عبد الله للدنيا، ويعضهم للجناء، ويعضهم للخلاص من النار، وكل واحد بها في نظره فرح، وأما المُعْلِمنُ فلا يفرح بما يكون لديه، وإنما يكون فرحه بأن يُرضى الله، ويقت بين يديه، وذلك لأن كل ما لُدينا نافد، لقوله تمالين. ما عندكُمْ ينفدُ ومَا عندُ الله بأق ... (التحل: ٩١). فلا مطلوب لكم فيما لديكم حتى تضرحوا به، وإنما للطلوب ما لدى الله ويه الفرح، كما قال تمالى:

ولا تَحْسَبُنُ اللَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوَاتًا بَلُ أَخَيَاءً عِندَ رَبِهِمْ يُرْزَقُونَ هِ فَرِحِينَ بِمَا آنَاهُمُ اللَّهُ مِن فَصَّلِهِ . . . (ال عمران: ۱۱۹، ۱۷۰)

جعلهم فرحين بكونهم عند ريهم، ويكون ما أوتوا من فضله الذي لا نقاد له،

ولذلك قال تمالى: قُلُ بِمُصَّلِ اللَّهِ وَيُرِحُمَّهِ فَلِمُلَكَ فَلَيْكُرُحُوا . . . (يريس ٥٠، لا بما عندهم، فإن كل ما عند العبد ذاهد (١٨). ﴿ وَإِذَا سَنَ النَّاسَ ضُرَّدَ عَوَارَتَهُم شَنِيدِنَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَا قَهُم يَنْهُ رَحَّهُ أَذَا فَي فَي مَهُم مِنِهِم أَشِرِكُونَ ۞ لِيكَفُرُوا بِمَا ءَائِننَهُم فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ أَمَانَزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلَطَنَنَا فَهُوَيَتَكُمُّ مِنَا كَانُوا بِمِثْمَرِكُونَ ۞ وَإِذَا أَذَ فَنَالْنَاسَ رَحَمُهُ فَرِحُوا بِمَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّنَةُ لِمِافَدَ مَتَ أَيْدِيمُ إِنَاهُمْ يَقْنَطُونَ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَشْطُ الرِّزْقَ لِمِن يَشَاةً وَمَقْدِازً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَعْنِي إِنَاهُمْ يَقْنَطُونَ ۞ ﴾

المفرداتء

محسر السنساس؛ أصابهم شيء قليل.

يش رك ون، يشركون به غيره في المبادة.

البكةرواد البجعدوا النعمة التي أعطيت لهم.

سماسطسالها، حجة ويرهانا،

وإن تصبهم سيئة، بلاء وعقوبة.

يستقسا طون، بيأسون من رحمة الله.

ويةان ويضيق.

التفسير

٣٣ - وَإِذَا مَسُ النَّاسَ ضَرًّ دَعُوا رَبُّهُم مُنسِينَ إِلَيْهِ ثُمُّ إِذَا أَذَاقَهُم مَنْهُ رَحْمَةً إِذَا قَرِيقٌ مَنْهُم بِرَبَهِم يُشْرِكُونَ .

إذا مسّ هؤلاء المشركين الذين يعبدون مع الله إلهّا آخر، حُشِّ. فأصابهم جدب وقعطه، أو أي بلاه وشدة، كالمرش أو التمرض للخطر، في جو أو بحر أو بر، ونحو ذلك من حالات الاضطرار، تضرعوا إلى الله مستقيثين به، مقبلين عليه راجمين إليه، حتى إذا كشف عنهم البلاء، وأسبغ عليهم التممة والخصب والسمة، إذا جماعة منهم يشركين به فيمبدون ممة الآلهة والأوثان.

هما أعجب هذا الإنسان، عند الشدة والبلاء والخوف والاضطرار يدعو ربه مخلصا له الدين، منقريا إليه وحده لا شريك له، فإذا استجباب الله دعاءه، وكشف عنه الضرّ، وأسبغ عليه التعمة، نجد طائقة من الناس تشرك بالله آلهة آخرى، وشيد معه سواه. ٣٤ - لَيْكُفُرُوا بِمَا آتَيْناهُمْ فَتَمَتُّمُوا فَسُوفَ تَعْلَمُونَ .

أى: فليجحدوا نعمتي كيف شاءوا، وليستمتعوا بمتع الدنيا ورخاثها، فمتاعها قليل زائل.

. فَسَ فَ تَعْلَمُ ثَنَ . عقامي وشدة عذابي في الآخرة على كفركم في الدنيا .

والفعل في الآية فعل آمر للتهديد، مثل قوله تعالى: اعْمَلُوا مَا شَتْمُ ... (همالت: ١٠٠٠).

والمعن في اليه فقل امر تفهديد، مثل قوله تعالى: اعملوا ما تشم ... (فصلت: ١٠).

أى: اكفروا وتمتموا بالملاذ في دنياكم فإن المذاب ينتظركم في الأخرة على كفركم في الدنيا.

قال بعضهم: والله لو توعدني حارس درب لخفت منه، فكيف والمتوعَّد مُّنا هو الذي يقول للشيء كن فيكون.

٣٥ - أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ مُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ .

والاستفهام هذا استقهام إنكارى، والمنى: هل نزل عليهم ملك أو كتاب أو حجة، فيها تقرير ما يفعلون من عبادة الأوثان، أو فيها دليل لهم يبيح نهم الشرك.

والجواب ممروف، وهو أن الله لم ينزل عليهم كتاباء ولم يبعث لهم رسولاً ولا حجة تبيح لهم السرك، بل هو عمل اخترعوه من عند انفسهم.

٣٦ - وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةُ فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيَّنَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقَتَطُونَ .

من شأن الإنسان إذا جامت إليه التممة والصبحة، وألمال والأولاد والجاء والسلطان وأشباء ذلك، قرح بهذا هرج البطر والأشرء وإذا سلبت عنه التممة يسبب سلوكه وارتكابه للمماصى والآثام، إذا به يصيبه القنوط والياس من روح الله وفضله، وهذا إنكار على الإنسان من حيث مو إنسان، فهو جازع في الباساء، شعيح في التمماء، ما عدا المؤمن فهو صابر في البأساء، شاكر لربّة في التعماء.

روى مسلم فى كتاب الزهد والرفائق، أن رسول الله ﷺ، قال: عمجها للمؤمن لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته سراء شكر هكان خيرًا له، وإن أصابته ضرًاء صبر هكان خيرًا له، (١٠).

٣٧ - أَرْ لَمْ يَرُواْ أَنْ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَات لِقُومٍ يُؤْمِنُونَ .

أو لم يشأهدوا بأعينهم أن الله تعالى له حكمة إلهيـة عليا، فهـو بيمنط الرزق لن يشـاء، فيعطيه الثال والصحة، أو الجاء والسلطان، أو أشهاء ذلك.

وَيُقْدُرُ . ويضيق على من يشاء لحكمة إلهية يطمها سبحانه.

لذلك لا ينيغى للإنسان أن يقتط أو بيأس عند التقتير في الرزق، ولا يجوز له أن يبطر أو يطفى عند وجود الغنى والخير.

إِنَّ فِي دَلِكَ لِآيَاتِ لِقُومٍ يؤمُّونَ .

دليل لمن آمن بالله، وأن بيده الخلق والأمر، وتوسيع الرزق وتضييقه، فأسلم القهاد له سبحانه وصبر في الباساء وشكر على النعماء.

هَال تدانى: وَلُو يُسَطَ اللَّهُ الرُّوقَ لِعِدُوهِ لِنَوْدا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُتزِلُ بِقَدَرٍ ما يَشَاهُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بُصِيرٌ . (الشوري: ١٧).

فكم أخفق الجادُّون، ونجح المبطلون، لحكمة يعلمها الله، ونحن نحنى رءومنا لمشيئته وحكمته.

* * *

﴿ فَعَاتِ ذَا ٱلْقُرْفِى حَقَّهُ، وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِيثِ يُرِيدُونَ وَمَعَدَ اللَّهِ وَأَوْلَتِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿ وَمَا عَانَدَتُمُونِ يَنَا لَمِرَبُوا فِي آمُولِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ وَأَوْلَتِكَ هُمُ ٱلْمُصَّبِعِثُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهُ اللَّ

المفردات

والسيسكسون، المعدم الذي لا مال له، أو له شيء لا يقوم بكفايته.

وابن السبيبيل؛ السافر المحتاج إلى نفقة سفره.

يريدون وجه الله: يقصدونه بمدروفهم خالصًا.

را المدية التي يتوقع بها مزيد مكاهات.

فالأيريو عند الله، فالا يزيد عند الله، فهو مباح ولكن لا ثواب فيه.

المؤكسسيساة، الصدقة، لأن السورة مكية، والزكاة فرضت في المدينة، أو مطلق الإنفاق.

المُصْحِمَةُ وَالْجِزَاءِ. الدَّينِ يضاعف الله لهم الثواب والجِزاء.

تمهيده

إذا كان الغنى والفقر بيده مديعانه، وهو مديحانه كريم رحيم، فتُعطف على نوى القربى والمدكين وابن المديل، وساعد المحتاجين والفقراء، فإن الله مخلف على النفقين وهو سبحانه الخالق الرازق المحيى المهيت، ولا تمتطيع الأمنام أن تصنم شيئا من ذلك.

التفسير

٣٨ – فَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجُهُ اللَّهِ وَأُولَتُكَ هُمُ الْمُفْلَحُونَ .

أعما أيها النبى الكريم، ومن تبدك من المؤمنين، القرابة حقوقهم من الصلة والعطف عليهم، ومساعدتهم، وقد حكى عن أبى حنيفة أنه استدل بهذه الآية على وجوب النفقة على كل ذي رحم محرم.

والسروة مكية، لكنَّها تحدثت عن وجوب الإنضاق على فثات من الفقراء والمحتاجين، ثم فُصلَّت الزُكاة وحددت مصارفها هى للدينة، وقد بين القرآن أن للأل مأل الله، وأن العبد مستخلف عن الله هى هذا المال، لذلك يجب أن يؤدى حقوق الله فيه، ومن هذه الحقوق: الزكاة والصدقة وصلة الرحم، ورعاية للسكين وابن السبيل، وكتالة الينيم، وتمكن الماجز عن العمل من مهنة يتكسب منها.

قــالت خديجـة للنبى محمد ﷺ عندما نزل عليه الوحى لأوّل مرة: إنك لتصل الرحم وتكسب المدوم، وتقرى الضيف، وتمين على نوائب الزمان، والله لا يخزيك الله أبدًا (٢٠٠).

تلك هي أخلاق الإسلام في المؤاخاة والتكافل والتراحم والتماون.

قال القاسمي في تفسير الآية:

فَآتَ ذَا الْفُرْبَىٰ حَقَّهُ . . . إي: من الهرّ والمملة، واستدل به أبو حنيفة - رحمه الله - على وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب، لأن: فأت . أمر للوجوب.

والظاهر من والحق، أنه ماليّ، وهو استدلال متين.

وَالْمسْكِينَ . وهو الذي لا شيء له ينفق عليه، أو له شيء لا يقوم بكفايته،

وُ أَبْنَ السَّبِيلِ . أي: السائل في الطريق، والذي انقطع به الطريق، فلا يستطيع مواصلة السفر.

وحقهما هو تصيبهما من الصدقة والواساة (٢١).

وقال القرطبى:

واختلف في هذه الآية، فقيل: إنها منسوخة بآية المواريث، وقيل: لا نصخ، بل لقريب حق لازم في البرّ على كل حال، وهو المسجيح، وقال مجاهد وقتادة: صلة الرحم فرض من الله عز وجل، حتى قال مجاهد: لا تقبل صدقة من أحد ورحمه معتاج. 1 هـ.

ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجُهُ اللَّهِ . . .

أى: هذه النفقة والرعاية والمطف والمواساة، خير وفضل لمن أنفق عليهم، وأعطاهم المال والرعاية، ابتغاء ثواب الله وفضله، أو أملا في النظر إليه يوم القيامة. وَأُولَٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ . الفائزون في الدنيا والآخرة،

وكون هذا الإعطاء خيرًا، لأنه سبب التكافل والتماون بين المسلمين، وهي التماون والتكافل قوة وتوادد وتراحم وتازر، وتعنَّس من أمراس الفقر والتمزق والحقد والحسد.

٣٩ – وَمَا آتَيْتُم مَن رِبًّا لِيَرْبُو فِي أَمُواَل النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مَن زَكَاةً تُريبُدُن وَجَهُ اللَّهِ فَأُولَئكُ هُمُ الْمُضْعَفُونَ .

للمفسرين في هذه الأية رأيان:

الأول: أن الريا في الآية براد به: الهدية يقدمها إنسان إلى الأغنياء يرجو أن يعوضوه أحسن منها، وهذا مباح وإن كان لا ثواب هيه، لأنه قصد بهديته ثراب الدنيا والتربح منها، فقد آخذ عوضه من الناس.

الراي الثاني: أن الآية نزلت في الزيادة التي حرمها الشارع،

قال ابن عباس:

الربا توعان: ريا لا يصح، وهو ريا البيح،

وريا لا بأس به، وهو هدية الرجل بريد هضلها وإضعافها، ثم تلا هذه الآية: وَمَا آتَيْتُم مِنْ رِبًّا لِيَسْرَوَ فِي أَمُوال النَّاسَ فَلا يُرِبُّو عِندَ اللّٰهِ . . .

وقد رجح القاسمي أن هذه الآية في التعذير من الريا المحرم وذكر خمسة أدلة:

الأول: أن هذه الآية شبيهة بقوله تمالى: يُمُحِنُ اللهُ الرَّبَّا رِيْزُيِي المُنْقَاتِ... (البقرة ٢٧٦). وهي هي ريا البيع الذي كان فاشيا في أهل مكة، حتى صار ملكة راسخة فيهم، امتصوا بها تُروّة كثير من البرِّساء، مما خرج عن طور الرحمة والشفقة، والكمال البشرى، فتمى عليهم حالهم، طلبا لتزكيتهم بتويتهم منه، ثم أكّد ذلك في مثل هذه الآية مبالغة في الزجر (٢٣).

وقد استرسل القاسمي هي ذكر آدلة على أن الآية يراد بها الربا الذي حرمه الله تعالى بعد ذلك تحريما هاطما، وأن المقصود من الآية التنفير من الربا على سبيل الندرج هي التشريع، حتى إذا جاء التحريم النهائي له، تقيلته نفوس الناس بدون مفاجأة لهذا التحريم (٣٣).

وقال الألوسي: الظاهر أن المراد بالريا منا الزيادة المروفة في الماملة التي حرَّمها الشارع، ويشهد لذلك ما روى المدى من أن الآية نزلت في ريا ثقيف، كانوا يرابون، وكذلك كانت قريش تتعاملي الريا.

ورجَّع الزمخشري هي تصمير الكشاف أن المراد بالآية تحري المريا، وبييان أن الله لا بيبارك للمرابي هي ماله، بل بيارك للمزكّى وللتصدق. وَمَا آتَيْتُم مِنْ زَكَاة تُريدُونَ وَجُهَ اللَّه فَأُولَتُكَ هُمُ الْمُضْعَفُونَ .

ومن أعطى صدقة أو زكاة يقصد بها وجه الله خالصا، فله الثواب المضاعف والجزاء الأفضل عند الله تعالى.

قال تعالى: مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيْضَاعَفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً . . . (البقرة: ٢٤٥).

وقال سبحانه: مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كُرِيمٌ . (الحديد: ١١).

وقد آخرج البخارى، ومسلم، والتسائم، والترمذى، وابن ماجة، وابن خزيمة هى صحيحه، من أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: د ... وما تصدق أحد بعدًل تمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمان بيمينه فيربيها لصاحبها، كما يربّى أحدكم قُلوُّه أو فصيله، حتى تصير التمرة أعظم من جبل أحدى (⁷⁷).

٤٠ - الله ألذي خَلَقَكُمْ ثُم رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُركَاتِكُم مَن يَفْعَلُ مِن فَلِكُم مَن شَهْءِ
 ٠٤ - الله ألذي خَلقكُمْ ثُم رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُركانِ عَلَى يُشْركُونَ .

كان المُشركون يُقرون لله بالخلق والإيجاد، فالله تمالي خالق هذا الكون وخالق الإنسان، وهو مبيعاته الرازق وممبيب أسياب الرزق، بتسغير السحاب والأمطار وإنبات النبات، وتسغير السُّنن في البحر، وتيسير الصيد من البحر والبرّ، وتيسير التجارة والزراعة وأنواع المُكاسب لإعمار الأرض، حيث قدّر في الأرض أرزاقها، واستمرنا فيها، وبيد الله الموت وقبض الروح والبعث والإحياء يوم القيامة.

ثم يستفهم القرآن استفهاما إنكاريا مرادًا به التوييخ والتقريم، فهقول:

هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مِّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ مُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشرِكُونَ .

هل من الأصنام أو الآلهة المدَّعاة التي تعبدونها من يقعل شيئا من الخلق أو الرزق أو الإماتة أو الإحياء. وهو استفهام إنكاري للتقريع والتوبيخ، أي: لا يقدر أحد من الأصنام أو الشركاء أن يقعل شيئا من ذلك.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

نتزه الله تمالى وتسامى أن يكون له شريك فى ألوهيته، من صنم أو وثن أو ملك أو جن أو عزير أو مسيع، فالجميع عباد خاشمون لله، لا شركاء له.

قال تمالى: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَد وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهُ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهُ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ مِنْ اللَّهِ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَّهُ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ مُنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّ

﴿ طَهَرَ الْفَسَادُ فِي ٱلْبَرُواْ لَبَعْرِيهِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَذِي عَمُواْ الْعَلَهُمْ مُرْجِعُونَ ۞ قُلْ سِبُرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَكَانَ عَقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَحْتُرُهُم مُشْرِكِينَ ۞ قَاقِدْ وَجَهَكَ لِلِّذِينِ ٱلْفَيِّ حِرِينَ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ لَامَرُدَلَهُ, مِنَ ٱللَّهُ يَوْمَهُذِ يَصَدَّعُونَ ۞ مَن كَفَرَفَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَالْأَنفُسِمِ مَهْ مَهَ هُدُونَ ۞ لِيجْزِي الَّذِينَ ءَامُنُواْ وَعَبِلُواْ الْصَلِيحَتِ مِن فَضْلِهِ عَلِنَهُ الْكَفِينَ ۞ ﴾

المفردات،

البُسيسينُ الجزء اليابس من الأرض.

البـــــــ الجـزه الماثى، والمراد من أهل البـر: سكان الشرى والمدن والفياض، وأهل البـعـر: سكان السواحل وركاب البعار.

بماكسسيت: بسبب معاصيهم وذنويهم.

المناهم، وعقره، المناهم وبال بعض أعمالهم، وعقوبته هي الدنيا.

يرج منون، يتويون.

مساقسيسة، عاقبة كل شيء آخره ونهايته والمبرة منه.

الم وج ... هاك، وجَّه نفسك للعمل بالدين السنقيم.

القب يه البليغ الاستقامة وهو الإسلام.

لا مسسود له: لا يقدر أحد أن يرده.

يُصَـَّدُ فُصِّونَ، يَضْرِقُونَ، قَرِيقَ في الجِنةَ وقريق في السمير،

يُم البون، يوطئون منزلهم ويسوّونه في الجنة.

تمهيده

تشير الآيات إلى عدالة السماء، وبيان أن الله تمالي يمجل المقوية على بعض الناص في الدنيا، انتقاماً عاجلاً علّهم يتربون، وقد انتقم الله من أمم سابقة كماد وثمود، فمجلًّ بالتوية والاستقامة والتمسك بالإسلام، قبل أن يأتى يوم القيامة فيتقرق الناس حسب إعمالهم، فالكافر يلقى عقوية كفره، والصالح يزيده الله من فضله.

لتفسيره

أى: أنتشر الغلاء والرياء، والخلل والانتحراف، ونقص الزروع والأنفس والثمرات، وقلة الملر وكثرة الجعب والقحمل والتصعفر، بسبب شوم معاصى الناس، وننويهم من الكفر والظلم، وانتهاك الحرمات، ومعاداة الليّين الحق، والاعتداء على الحقوق، ومعصية الله على وجه الأرض، وعلى ظهر السُّمَّن فى لجع البحر، لينيقهم الله تعالى جزاء بعض عملهم، وسوء صنيعهم، لعلهم يرجعون عما هم عليه، ويتويون إلى الله تعالى فى الدنيا قبل للوت.

أى: تاملوا فى أخبار الأرض، وقصمص الأمم البائدة، الذين أهلكهم الله لشركهم المستنبع لكل عصبيان، كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقومه، وقوم لوط وقوم شعيب، وأمثالهم من للكندين للرسل، الذى أهلكهم الله جزاء كفرهم وشركهم، وترك آثارهم عظة وعبرة.

والمراد: انتظوا واعتبروا بمن أهلكهم الله بسبب كفرهم وشركهم، لتتجوأ من الممير المحتوم، الذي يصيب كل كافر وظالم.

اتجه بدانتك إلى الدين المستقيم وهو الإسلاب عابدًا لله، مؤمنا بكتبه ورسله واليوم الآخر، مستقيما على الطاعة، من قبل النه عالى المائمة، حيث لا يستطيع إنسان أن يعنم مجىء هذا اليوم، لأنه ياتم بأمر الله ومشيئته وقدره، وما قدَّره الله وأراد حدوثه فلا رادً له، ولابد أن يكون ذلك اليوم، الذي يتقرَّق فهه الناس بحسب إعمالهم، فغريق في الجنة وفريق في السعير.

من كفر فعليه وبال كفره.

قال الرُمخشري، كلمة جامعة L لا غاية وراءه من المندار، لأن من ارتكب ضرر الكفر، فقد أحاطت به كل مضرّة. ا هـ. أى: فعلى الكافر إلّم الكمّر وعقويته، ووزُره وسوء عاقبته، ومن آمن بالله وعمل الأعمال المسالحة، فقد. مهد لنفسه فراشا وثيرا مريحًا، ومسكنا فسيحا، وقرازًا دائما في الجنة.

هممنى: يُمَهَّدُونُ ، يجهِّرُونِ القراش ويعدَّون التزل في الجنة، توملتُة من يريد الراحة والاستقرار على اسرَّة الجنة وفرشها.

20 - ليَجْزِي اللَّذِينَ آمَنُوا وعَملُوا الصَّالحَات من فَضَّله إنَّه لا يُحبُّ الْكَافرين .

أنا أُجازى المُؤمنين الممالحين بفضلى وإحسانى وإنمامى، هاكاهن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى ما شاء الله، تفضالا وترحمًا ومكاهاة بالحسنى وزيادة.

قل تمالى: لَلْفَيِنَ أَحْسَنُوا الْحُسَنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وَجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلْةٌ أُولِيكَ أَصْحَابُ الْجَنَّهِ هُمْ فِيهَا خَالدُونَ . (يبض بـ n).

إِنَّهُ لا يُحبُّ الْكَافِرِينَ .

إنه بيغض الكافرين ويعاقبهم عقابا عادلاً لا جور فيه، وفيه تهديد ووعيد.

قال تعالى: أَفْتَجَعُلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ هِ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿ أَمْ لَكُمْ كِنَابٌ فِيهِ تَدُوسُونَ ﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيُّرُونَ . (القلم: ٢٥ - ١٨).

المضردات

ومسن آيساتسه: من دلائل قدرته.

المسويسسات، رياح الخير والرحمة، وهي الشمال والمبيا والجنوب، وأما الدبور هريج المذاب، قال ﷺ: واللهم اجملها رياحًا، ولا تجملها ريعاء،

مسيسشرات ميشر بالخير وهو الطرء

لينيقكم من رحمته: نزول الطر، وحصول الخصب والنافع.

القلك بأمسوه السقن بإذنه عند هبوب الريح.

وثملكم تشكرون: ولتشكروا نعم الله عليكم.

البسسينات المجزات والحجج الواضحات.

تنسيسن تحرك.

ينشر.

الــــودق: المطر،

المبياء المسائلة ساكنين متحيرين من شدة الحزن، آيسين من إنزاله.

تمهيده

القرآن الكريم يراوح في أسلويه، ويتخول النفوس بالوعظة، فقد تحدث فيما سبق عن الفصاد في الأرض، وعن عقوية المفصدين، وهنا يتحدث عن أدلة القدرة الإلهية في إرسال الرياح وإنزال المطر وإنبات النبات، وتخال ذلك التصرية عن الرسول ﷺ بانه ليس أول من كذبه الناس، فقد كُذبت رسل سابقة كنوح ولوط وإبراهيم وموسى، ثم انتقم الله من الكذبين، وفي هذا تهديد ووعيد لأهل مكة.

التفسيره

27 - وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلِ الرِّيَاحَ مُبشَرِّات وَلِيلْدِيقَكُم مِن رُحْمَتِهِ وَلَتَجْرِيَ الْفَلْكُ بِأَمْرِهِ وَلَتَبَعُوا مِن لَعَلْهِ وَالْمَاكُمُ تَشْكُرُونَ .

من آيات القدرة الإلهية أن الله تمالى يحقط هذا الكون، ويمدّه بعوامل البقاء والنماء، ظهر سبحانه يرسل الرياح بين يدى المطر، لتبشر الناس يقدوم المطر، فيحرثون أرضهم ويبدّرون الزرع، ثم ينزل المطر فيمم الخمس، والنماء، وتحيا الأرض ويخضر الزرع، وتتحرك السفن في البحر بحركة الرياح.

ثم ياكل الإنسان والحيوان، وتنقل السفن التجارة والزراعة، من مكان إلى مكان، فيستفيد البائع والمشترى، وينتف الناس، وعندقذ يجب أن يشكروا الله تمالى الذي أنمم عليهم بالمديد من النمم.

قال تمالي: وَمَا بِكُمِ مَن نَعْمَة فَمِنَ اللَّهِ . . (التمل: ٥٣).

· وقال تمالئ: وَإِنْ تُعَلُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْمَّوهَا . . (النسل: ١٨).

٤٧ - وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِنِّي قُومُهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيَّاتِ فَانتَفَمْنَا مِنَ الّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ خَفًّا عَلَيْنَا نَصُرْ الْمُؤْمِينِ .

من حفظ الله لهذا الكون أنه سخر الشمس والقمر، والرياح والأمطار، والليل والنهار، والنبات والثمر، وسخر السفن، ويسر التجارة والزراعة والصناعة، ليستقيد الإنسان بإصلاح دنياه وليشكر ريّّه.

وقد أرسل الله الرميل، وأنزل عليهم الكتب لهداية الناس، شأنزل الثوراة على موسى، والزيور على داود، والصعف على إبراهيم، والإنجيل على عيمى، والقرآن على محمد، كما أعطى هؤلاء الرسل البينات والمجزات، فآمن بمض الناس وكفر أكثرهم، فأرسل الله نقمته وعذابه على المكنبين، وتكفل الله تمالى بنصر المؤمنين، وجمل ذلك حقا واجيا عليه.

وقد يتأخر النصر لحكمة إلهية عليا، فمن الواجب الا بيـاس المُؤمنون، بل عليهم أن يستمروا في أداء دعوتهم، وتحقيق رسالتهم، وأداء النصيعة، والتحدير من الغواية، ولا ينبغى للمؤمن أن يترك راية الحق، بل هو يعمل رسالته ويمضى، ويسلَّم الراية من جيل إلى جيل، وقد تكفل الله بعفظ كتابه. قال مسجانه: وَلَقَدْ كُتُبُنَا فِي الرِّبُورِ مِنْ بَعْد الذِّكُرُ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عَبَادي الصَّالحُونَ. (الانبياء: ١٠٥).

روى ابن أبى حاتم، والطبرانى، والترصدى، وابن مردويه، عن أبى الدرداء رضى الله عنه، قال: سممت رسول الله ﷺ يقول: مما من امرى مسلم يردّ عن عرض أخيه، إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة، ثم تلا هذه الأبه: و كَانْ خُفَّا طَيَّا يُصَرُّ الْفُرْسَىٰ . (٣٠).

قال الزمخشرى:

هى قوله تمالى: وكَانَ حَفًا عَلِيّاً نَصَرُ الْمُؤْمِينَ . تمطيم للمؤمنين، ورفع من شانهم، حيث جعلهم مستحقين عليه ان يظهرهم ويطفرهم.

٨٤ – الله الذي يرْسل الرياح قشير صَحَابًا فَيَسْطة في السَّمَاء كَيْفَ يَشاهُ وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَتَرَى الوَدَق يَخْرُجُ مِنْ
 خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هُمْ يَستَشْرُونَ .

يقرر القرآن هذه الحقائق المشاهدة أمام أعين الناس، ههو سيحانه يرسل الرياح وفق ناموسه، في تكوين الكون وتنظيمه وتصريفه، فتنشئ سحابا بما تحمله من بخار الماء المتصاعد من كتلة الماء في الأرض، حيث ترسل الشعمى أشعتها، فيتصاعد البخار صوب السعاء، فتحمله الرياح، فينشره الله في السماء، ويوجهه إلى الجهة التي قدر لها أن يُساق للطر إليها، وأحيانا يجمع الله السحاب ويجمله قطعا، فترى المطر يضرج من وسطه، فإذا نزل للطر على من يشاء الله من الخلائق، إذا بهم قد استبشروا وفرحوا بما أصابهم من المطر، فالماء حياة الزرع والضرع.

قال القاسمي في تفسيره:

إما سائرًا وواقفا، مطبقًا وغير مطبق، من جانب دون جانب إلى غير ذلك. وَيَجْعُلُهُ كِسُفًا . أي: قطعا تارة أخرى. فُتَرَى الْوُفُوَّلَ. أي: المطر. آ هـ.

٤٩ - وَإِن كَانُوا مِن قَبُلِ أَن يُنزِّلُ عَلَيْهِم مِن قَبَلْه لَمُبْلسينَ .

أى: كان الناس قبل نزول المطر قد استحكم يأسهم من المطر، فقد تطاول عليهم الجدب، ويُحُد عهدهم بالمطر حتى يثسوا منه، وأبلسوا وقتطوا، وانقطع رجاؤهم فى نزول المطر، فسبحان مغيَّر الأحوال من اليأس إلى الرجاء، ومن القنوط إلى البشرى، ونزول الرحمة والتمهة.

٥٠ – فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْبِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لُمْحْبِي الْمَوْتَىٰ وَهُو عَلَىٰ كُلِّ شَيْ فَديرٍ .

أي: تأمل أيها الماقل في أثر القدرة الإلهية في هذا الكون، حيث أرسل الله للطر، وترجَّه إلى الأرض الميتة، فأحياها بالنبات والزراعة، إن تأملك بمن قابك سيعطيك الفهم والبصيرة والعظة، بأن من أحيا الأرض بعد موتها قادر على بعث الموتى، وإخراجهم من قبورهم بعد جمع ما تقرق من أجزائهم الأصلية، فهو سبحانه قادر على كل شيء،

ومن آثار هذه القدرة خلق هذ الكون وحفظه، وتسخير السحاب والمطر، وإحياء الأرض بعد موثها، كذلك إحياء الموتى ويعقهم من شيورهم للحساب والجزاء.

أي: إذا أرسل الله ربعا عائية تحمل التراب والقبار والإعصار، فتلوّن الزرع واصفرّ، وذيل وفقد الاخضرار والنضارة، فإن الناس تنفير بسرعة، وتكفر بنممة الله الذي ساق إليهم المطر، وأحيا الأرض وأنبت الزرع، فهم لا يحتملون البلاء، ولا يصبرون على البأساء، ولا يتأملون في أن المصيبة في الثمار، قد تكون ابتلاء من الله، تستحق الصبر على الباساء، والرضا بأسباب القضاء.

قال القاسمي:

وَقُونَ أُوسُلُنَا رِيحًا. على الزرع، فَرَآوُهُ مُصَفَّرًا . اى: من تاثيرها هيه، لُظُّوا مِنْ بَعْده يَكُفُرُونَ . اى: من بعد اصفراره يجعدون ما تقدم إليهم من النعم، أو يقنطون ولا يصبرون على بلائه، وهيه مَن دمَّهم وعدم تديرهم، وسرعة تزازلهم، لعدم تشكرهم وسوء رايهم، ما لا يعقني (٢٦). أهـ.

والمقلاصة: أن الناس ترى بأعينها أنمم الله متكررة، وإذا جاءت ريح ضارة أو سامة، فاصفر النزرع ومال إلى الفساد، فإن الناس تتنكّر للخالق الرازق، وتنسى فضله السابق، ولا تصبر بل تكفر.

+ + +

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْنَى وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَلَةَ إِنَا وَلَّوَاْمُدِّيِنَ ۞ وَمَاۤ أَنتَ بِهَادِ ٱلْعُمْي عَنضَلَائِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ مِتَا يَنِنَا فَهُم مُسْلِمُونَ ۞ ۞ ﴾

المفردات،

لا تسمع الموتى؛ أي: سماع تدبر واتعاظ، لأنهم سنُّوا عن الحق مشاعرهم.

ولا تسمع السم، لأنهم قد أصيبوا بالصمم، وهو ثقل السمع، والقرد: أصم.

لِاا وقوا مسفهرين؛ إذا أعرضوا عنك مولَّين، قيَّد عدم السماع بالإعراض، فإن الأصم إذا أقبل على السماع، وإن لم يسمع الكلام، استقاد منه بواسطة الحركات على اللسان بعض الأشياء.

ـــسلمـــون، مخلصون منقادون الما تأمرهم به.

التقسيره

٥٢ - فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمُوتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّواْ مُدَّبِرِينَ .

هذه الآية تسلية للرسول ﷺ عما يلقاء من عناد المشركين، فهم أشبه بالوتى وبالصم والسمى، لعدم استعدادهم لسماع ادلة الهداية، سماع تدبر واتماظ، فإرشاد الميت محال، وإرشاد الأصم معب، خصوصا فى حالة إعراضه وإدباره، وكذلك من مات قابه وعميت بصيرته، فإن من الصعب هدايته وتوجههه.

والمعتىء

أنت مبلّغ عن الله، عليك البـلاغ وليس عليك هداهم، فبلا تيـأس ولا تبتشس إذا أعـرض المشركـون عن دعوتك، مع وضوح الأدلة امامهم، فإنك لا تستطيع أن تُسمع الميت، سماحًا فيه الفهم والاستجابة.

وكذلك هؤلاء الكفار فقد مائت قلوبهم، وأنت لا تستطيع أن تسمع الأممة المصاب بالممم، وكذلك لا تستطيع أن تسمع الشركين دعوتك؛ لأنهم أصمّوا آذانهم، وأعرضوا بمقولهم وأفكارهم عن الإسلام، ولم يسمعوا لك سماع تقهم وتدير.

قال تمالى: إِنَّ الْذِينَ كَثَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمُ ٱلنَّذِرَتُهُمْ أَمْ لَمْ تُتَلِّوهُمْ لا يُؤْمُونَ ﴿ حَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَيْصَارِهِمْ غَشَارَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . (البترد: ٢، ٧).

٥٥ - وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْمُمْيِ عَن صَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُسْلِمُونَ .

ليس في وسمك أن تهدى من عميت بصيرته، واختار الضلال على الهدى، إنما آنت ندير، والله على كل شيء قدير، فهو سبحانه الذي يهدى من يشاه، ويضل من يشاه، وليس ذلك لأحد سواه.

إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُسْلِمُونَ .

أى: لا تسمع المنماع الذي ينتفع به ساممه، فيتأمل ويتدبر، ويتأثر بما يسمع، إلا من آمن بالقرآن شَلْأَن قليه، وزاد يقينه، وتوكَّل على الله، واسلم وجهه إلى الله، فهو خاضع لأمر الله مستمسك بهديه.

قال تمالى: أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ للإصلام فَهُو عَلَى نُورٍ مِّن رُبِّهِ . . . (الزمر: ٢٢).

وإن المؤمن هو الذى يسمع دعوة الإسلام، فيستجيب لهداية السماء، وينضم إلى جماعة المؤمني، وهؤلاء قاريهم حية، ويصائرهم مفتوحة، وإدراكهم سليم، فهم يسمعون فيسلمون، ولا تزيد الدعوة على أن تتبه فطرتهم فتستجيب، (٣٧).

في أعقاب تفسير الآيتين ٥٦ ، ٥٣ من سورة الروم:

تكلم المُمسرون عن سماح الموتى، واستفادتهم بدعاء الحي تهم، وخلاصة كلامهم: أنَّ من العلماء من أهاد ان الموتى لا يسممون استدلالا يقوله تعالى: ﴿ فَأَنْكُ لا تُسْمُرُ الْمُوتَىٰنِ...

وذهبت طوائف من امل انعلم إلى سماديم من الجملة، وقال ابن عبد البرد إن الأكثرين على ذلك، وهو اختيار ابن جرير الطبيري، وتنا ذكره ابن قتيبة وغيره، واحتجوا بما في الصحيحين عن أنس، عن أبي طلعة رصى الله عنهمنا. قال: لما كان يوم بدر وانتصبر رسول الله على مشركي مكة، أمر الرسول إلله ببضمة بمشرين رجازً من صناديد قررش فالقوا في طُويًّ - أي: بشر من أطواء بدر - وأن رسول الله الله انداهم: ويا أباحهل بن مشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حمًّا ؟ فإني قد وجدت ما وعد ربح، حمًّا ؟ فإني قد وجدت ما وعد ربح، حمًّا كان عنها والذي نقس عمد بيد، ما أنتم باسم لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون، (٢٥).

وهذا هو الصحيح المؤيد بالشواهد الكثيرة، منها ما رواه ابن عبد البر مصححا له، عن ابن عباس مرفوعا: «ما من أحد يمرّ بقير أخيه المبلم. كان يعرفه فى الدنيا، فيسلم عليه إلا ردّ الله عليه روحه حتى يردّ عليه السلام».

وروى ابن أبى الدنيا، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يزور قبر آخيه، ويجلس عندم إلاّ استأنس به، وردّ عليه حتى يقوم».

وقال أبو هريرة رضى الله عنه: إذا مرّ الرجل بقبر يعرفه، فسلَّم عليه، ردّ عليه السلام،.

واجمع السنف على هذا، وشرع السلام على الموتى، مما يدل على شعورهم وعلمهم بالسلّم، وعلَّم النبى إن المنه إذا راوا القبور أن يقولوا - فيما رواه مسلم عن بريدة -: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، أنتم السابقون، وإذا إن شاء الله بكم لاحقون، برحم الله المستقدمين منّا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم الماقية، (٢٠).

وكل ذلك دالٌ على أن السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويمقل ويردّ، وإن لم يسمع المُسلّم الردّ، (٣٠).

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن ضَعْفِ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ يَعْدِ ضَعْفِ قُوَّةَ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّم ضَعْفَا وَشَيْبَةً يُخَلُقُ مَا يَشَاءً ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْفَدِيرُ ۞﴾

المفردات

خلقكم من ضمسهم ابتداكم ضعفاء، وقيل: خلقكم من أصل ضعيف وهو النطفة.

ثم جعل من بعد ضعف قوة، بعد ضعف الطفولة قوة الشياب، بعد بلوغ الحُلُّم.

مُسعَدَّ الشيف الشيخة ثم ردكم إلى أصل حالكم من الضيف بالشيخوخة والهرم.

التفسيره

٥٤ – الله الله عند خلفكم من صَمَف ثُم جَعَل مِن يَعد صَمَف قُوةً ثُم جَعَل مِن يعد قُوة صَمْفًا وشَيئة يَحْلَقُ مَا يَشَاءُ
 وَهُو الْعليم الْفَايدِ

خلق الله الإنسان من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضفة، ثم كوَّن عظامه، ثم كسا العظام لحمًّا، وتفغ فيه الروح، ثم أخرجه من بطن أمّه واهنا ضعيفا، فقوله: ثم همُّّهُ ... أي: ابتداء ضعيفًا، ثم يشب الوليد فليلاً قليلاً، فيكون صغيرا، ثم فتَّى، ثم شابا قويا يتمتع بالقوة في الكيان الجسدى، وفي البناء الإنساني، وفي التكوين النفسي والمقلي.

ثُمُّ جَعَلَ مِنْ بَعْد قُولة ضَعْفًا وَشَيَّةً . . .

ينحدر الإنسان من قمة هرم الشباب، إلى سفح الهرم متدرجا من القوة إلى الضعف في الجسم والإرادة، حتى ليهفو الشيخ أحيانا كما يهفو الطفل، ولا يجد من إرادته عاصما، ومع الشيخوخة الشبب، يذكر تجسيما وتشخيصا لهيئة الشيخوخة ومنظرها.

وإن هذه الأطوار التي لا يفلت منها أحد من أبناء الفناء، ولا تتخلف مرة ظيمن يمدّ له في الممر، دليل على أن الخليقة في يد القيضة الإلهية للديرة.

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ .

يضمل الله ما يشاء ويوجد ويبدع ما يشاء، من ضعف وقوة، ويدء وإعادة، ويتصرف في عبيده يما يريد، وهو العليم التام العلم بتدبير خلقه، القدير الشامل القدرة على ما يشاء.

والآية وصف لمراحل المصر التى يمر بها الإنسان، حيث يولد ضعيفا، ثم يصل إلى القوة في مرحلة الشباب، ثم يعود إلى الضعف في مرحلة الشيغوخة، ولو تصورنا الحياة أشبه بهرم، فإن مرحلة الشباب هي قمة ذلك الهرم، والطفولة بداية السفم، والشباب صعود للقمة، والشيغوخة عود إلى سفح الهرم. وقد أمرنا الإمملام بإعداد القوق، والمحافظة على الصححة، والرقى النفسى والفكرى والمحاطفي، وذلك بالقراءة والرياضة، والشي والسياحة، وانتامل والنديّر، في ملكوت السماوات والأرض، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرّه حلوه ومره، وتقبل مراحل الممر، والإيداع فيها بما يناسبها من تقديم الخيرة، وممساعدة العباد، والتماون وانتراحم وعمل الخير، وتقريج كرية للكروب، والإحسان للممل، ويذلك يكون المؤمن منفعة ومعونة ونعمة لكل من حراه.

* * *

﴿ وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةُ يُفْسِدُ الْمُجْرِمُونَ مَالَسِتُواْ غَيْرَ مَسَاعَةً كَذَلِكَ كَاثُواْ وَفَكُونَ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْمِنْمَ اللَّهِ الْمَالِيَةُ وَكِنْبِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ البَّعْثِ فَهَا لَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَا اللّهِ مَا اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللل

المفردات

السبب اهبية، يوم القيامة، سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا.

مسا ليستسواه ما أقاموا بعد الموت.

غيرساهية، غير قطعة قليلة من الزمان.

ولا هم يستمتيون، يطلب منهم إزالة عتب الله وغضبه عليهم بالترية والطاعة، فقد حق عليهم العذاب، يقال: استمتينى فائن فاعتبته، أى: استرضائى فأرضيته.

التفسيره

٥٥ - وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبُتُوا غَيْرَ مَاعَةٍ كَذَلَكَ كَانُوا يؤقَّكُونَ .

أى: ويوم تجىء ساهة البعث، فييمت الله الخلائق من قبورهم، يقسم الجرمون الذين كانوا يكفرون بالله فى الدنيا، ويكتسبون فيها الآلام، انهم ما أقاموا فى قبورهم إلا قليلا من الزمان، وهذا تقليل منهم لمة لبثهم فى البرزخ على طولها، وهم قد صدووا فى الآخرة عن معرفة مدة مكثهم فى ذلك الحين.

كَذَلَكَ كَانُوا بِهُ فَكُونَ .

مثل ذلك الصرف عن حسن التقدير، كانوا يُصرفون فى الدنيا عن معرفة الحق، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

فالآية تقتح عيونهم فى الدنيا قبل فوات الأوان، وترشدهم إلى أن الحياة الدنيا قصيرة بالنسية للأخرة. فلا يغربكم ما فيها من لهو وعبث وياطل، فكل ذلك قصير الأمد، فارجعوا إلى سبيل الرشاد.

ويحتمل أن يكون قسمهم منصبًا على مدة ليثهم هى القبور، كما يحتمل أن يكون ذلك عن ليثهم هى الأرض أحياء وأمواتًا، كما يحتمل أن يكون عن مدة مكثهم هى الدنيا.

قال ابن کثیر،

يخبر الله تمالى عن جهل الكفار هي الدنيا والآخرة، ففي الدنيا هطوا ما هطوا من عبادة الأوثان، وهي الآخرة يكون منهم جهل عظيم ايضا، فهنه إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا غير ساعة واحدة هي الدنيا، ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم، وأنهم لم يُنتظروا حتى يُعذر إليهم. أ هـ.

ووقيل: كان قسمهم استقلالا لأجل الدنيا، لما عاينوا الآخرة، تأسفًا على ما أضاعوا في الدنياء (٢١).

٥٦ - وَقَالَ اللَّذِينَ أُوتُوا الْمِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدَ لَبُشَّمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنِّي يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ.

أي: قال الذين أعطاهم الله العلم والإيمان من الأنهياء والملائكة وصالح المؤمنين: لقد مكلتم في الدنها فترة كافية للعمل الصالح، ولكنكم كفرتم، فسجلت أعمالكم في كتب الله، التي تسجَّل فيها أعمال الناس إلى يوم البحث، فهذا يوم البحث الذي أنكرتموم، ولكنكم كنتم تجهلون أنه حقٌ، فتستعجلون به استهزاء، وهي الآية دليل على هندل العاماء وعظيم قدرهم.

وقال أحمد مصطفى الراغى في تفسير الراغي:

وشال الذين أوتوا العلم بكتـاب الله، والإيمان بالله، لأوثنك المُكرين: لقـد لبـثتم من يوم مماتكم إلى يوم البحث هى شوركم، وفى هذا رد عليهم وعلى ما حلفوا عليه، وإطلاع لهم على الحقيقة، أ هـ.

فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنْكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ .

أى: ذال العلماء للؤمنون لهم أيضا: هذا هو اليوم الذي أتكرتموه فى النفياء وزعمتم أنّه لن يكون لفزوركم بالدنياء وغفلتكم عن الأدلّة للتظاهرة على أن البعث حقّ، وأن القيامة حقّ، وأن الدنيا عمل ولا حمساب، وأن الآخرة حساب ولا عمل. ٥٧ - فَيَوْمَنَذُ لا يَنفُعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْدُرْتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتُونَ .

في يوم البحث والجزاء لا يقبل من الذين ظلموا اعتذارهم، ولا ندمهم على ما فعلوه في الدنيا، ولا يقال لهم أرضوا ريكم بتوية وطاعة، كما كان يقال لهم ذلك في الدنيا، وذلك لفوات أوان العمل.

والخلاصة: أنهم لا يماتبون على سيئاتهم، بل يماقبون عليها، ولا تقبل منهم التوية، لأن الوقت وقت جزاء، لا وقت عمل، فالآية تذكير للظالمين بالتوية والندم قبل فوات الأوان.

ونعو الآية قوله تعالى: وَإِنْ يَسْتَعْبُوا فَمَا هُمْ مِنْ ٱلْمُعْبَيِنُ . (قصلت: ٢٤)

* * *

﴿ وَلَقَدْضَرَبَا الِنَاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَ انِ مِن كُلِّ مَثَلِّ وَلَهِن حِثْمَتُهُم بِثَايَةِ لِتَقُولَنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواۤ إِنَّ اَنَّدُ الِلَّامُبْطِلُونَ ﴿ كَنَالِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُون ﴿ فَأَصْدِرْ إِنَّ وَعَدَاللَّهِ حَقُّ وَلَا يَسْتَخِفَنَكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِدُونَ ۖ ﴿ ﴾

اللف دات:

من كل مسسبقاء من كل صفة عجيبة هي هي غرابتها كالأمثال، مثل: أدلة التوحيد، وصدق الرسول ﷺ، وأدلة البعث والحشر والحساب والجزاء.

مستنطقات مزورون أصعاب أباطيل.

يسط بسع، يختم.

لا يعلم سيون، جهلة مقلدون لا يطلبون العلم، ويصرون على خرافات اعتقدوها.

لا يستخشنك؛ لا يحملنُّك على الخفة والقلق.

لا يسوق السوق الا يصدقون بالبعث، ولا يؤمنون بالله ورمبوله إيمانًا حقًا.

التفسيره

٥٨ – وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرَّانِ مِن كُلِّ مَثْلَمٍ وَقَينِ جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَ أَلَّذِينَ كَفَوُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ .

قدمنا للناس في هذا القرآن من كل صفة عجيبة، حيث اشتمل على بدء انخليقة، وقصص الأنبياء وللرسلين، واحاديث الأمم السابقة، ولفت الأنظار إلى هذا الكون المجيب، وبيان أنمم الله على عباده، وآيات الله هى الكون والتفس، والخلق واليمث والحشر والجزاء، كل ذلك فى أسلوب بديع، وبيلن معجز، ينقتل بالإنسان من قصة إلى خير إلى احكام إلى عظة. ومن نظام الدنيا إلى مضاهد الآخرة. حيث صرّف الله القول، وبوّع هى أساليب الأحكام والمظات، تنويدًا كأنه لذل والقصة المجيبة.

قال تعالى: وضربنا لكم الأمثال . (براهيم: 10).

وهال سبحانه: وَلَقَدُ صَرُقَنَا فِي هَذَا القُرُانَ لِنَدُكُرُوا وَمَا يَزِيدُهُمُّ إِلاَّ نَقُورًا . (الإسراء: ٤١). وَلَسَ جَنَّهُمْ بِآيَةً لِيُقُونُونُ اللّذِينَ كَانُرُوا إِنْ أَنَّمُ إِلاَّ مُطَلُّدِنَ .

اى: أقسم يا محمد، اثن التيتهم باية جديدة من آيات القرآن الكريم، أو بممجزة جديدة مما اقترحوه، أو من غير ما افترحوه؛ فإن يؤمنوا ولن يصدقوا، وإنما يقابلون الأيات والمجزات بالتكذيب، وادعاء أنها سحر وباطل.

٥٩ - كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ .

اى: بمثل ذلك التكذيب والإعراض يترك الله القاوب مقفلة ، مغتومًا عليها ومطبوعًا عليها، هلا تسمح بدخول جديد من الهداية والإيمان، ولا بخروج قديم من التقليد والاعتقاد الفاسد، فهم لا يبحثون عن الحق، ولا يطلبون العلم، بل يُصرون على خرافات اعتقدوها، وترُّهات ابتدعوها.

فهم جاهلون للحق، ويجهلون أنهم جهلة بالحق، أى: إن جهلهم مركب، فهو منارف لهم عن طلب العلم، ومعرفة الصواب، كما قال الشاعر:

> قال حسار المكير توسا لو أصفون لكنت أركب لانني حسامل بسسيط وصاحبي جسامل سركب

ومكذا نجد هذه السورة الكهة، سورة الروم، تأخذ بأنهان المشاهدين إلى الآخرة، والبعث والحساب، ثم تشمّم إلى الدنيا والقرآن وعجائبه.

وفي ختام السورة وصية جديدة للرسول والمؤمنين بالصبر، واليقين بالتصر، ليتوافق الختام مع البدء، حيث بُدئت السورة بييان هزيمة الروم أمام القرص، ويوعد الله أن ينتصر الروم على القرس في بضع سنين، وأن هذا الرعد لن يتخلف فالله لا يخلف للهماد، ثم يكون الختام مؤيدًا لهذا المش. ١٠ - فَاصِيرٌ إِنَّ وَعَدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يُسْتَخَفُّنْكَ الَّذِينَ لا يُوقُنُونَ .

اى: اصبر يا محمد على اداء رسالتك، وتبليغ دعوتك، انت ومن ممك من المؤمنين، متحملين الشكوك من الكافرين، والمقبات من المشركين.

وَلا يَسْتَخَفِّنُكَ الَّذِينَ لا يُوقُّنُونَ .

أى: لا يحملنك على الخفة والقلق، الذين لا يوقنون بوعد الله، فهم هى شك منه وقلق وحيرة، لأن قلويهم محجوية عن الإيمان بالله، واليقين بما عنده.

إن الله تمالى منجز لك وعده بالنصر والتوفيق، فالا يتسرب إليك القلق أو الشك أو الخفّة، من تكنيبهم بالآيات، وإنكارهم لها ومكرهم فيها، فإن الماقبة للمتقين، ولن اعتصم بما جثت به من المؤمنين، وفي هذا إرشاد للنبي ﷺ وتعليم له، بأن يتلقى للكاره بصدر رحب، وسعة حلم.

أخرج ابن أبي شبية، وابن جرير، وابن المنفر، والحاكم، والبيهقي: أن رجلا من الخوارج نادى عليًا وهو هي صلاة الفجر، فشال: وَلَلْمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى اللَّهِينَ مِن قَبْلِكَ لَينَ أَشْرَكْتَ لَيَحْيَظُنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونُنُ مِنَ الْخَاسِرِينَ. (الارم: ٢٥)، هاجليه وهو هي الصلاة: فأصر إِلاّ وَعَدَ اللَّهَ حَقَّ وِلا يَسْتَخْلُكَ الَّذِينَ لا يُوقُونَ .

والحمد لله الذي يتممته تتم المسالحات، وصل اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصنعيه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدَّين.

خلاصة موجزة لما اشتملت عليه سورة الروم

- ١ إثبات النبوة بالإخبار بالغيب.
- ٢ البراهين الدالة على الوحدانية.
- ٣ الاعتبار بما حدث للمكذبين من قبلهم.
- الأدلة التي في الآفاق، شاهدة على وحدانية الله، وعظيم قدرته.
 - ٥ الأدلة على صبعة البعث.
- ٦ الأمر بعبادة الله وحده، وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها.
 - ٧ النهي عن اتباع الشركين الذين فرقوا دينهم بحسب أهوائهم.
- ٨ -- من دأب الناس الفرح بالنعمة والقنوط من الشدة، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات.
 - ٩ الأمر بالتصدق على ذوى القربي والساكين وابن السبيل.
 - ١٠ في النظر في آثار الكذبين عبرة لن اعتبر.
- ۱۱ تسلية الرسول 🎉 على عدم إيمان قومه، بأتهم صم عمى، لا يسمعون ولا يبصرون.
- ١٢ الرسول ﷺ قد بلغ الفاية في الإعدار والإندار، لكن قومه قد بلغوا الفاية في التكنيب والإنكار.
 - ١٢ -- أمره ﷺ بالاستمرار في تبليغ الدعوة، مهما لاقي من الأذي والإحباط، فإن الماقبة للمتقين.



أهداف سورة لقمان

سورة لقمان سورة مكية، وآياتها ٢٤ آية، نزلت بعد سورة الصافات، وسورة لقمان من أواخر ما نزل بمكة فقد نزلت بعد الإسراء وقبل الهجرة، وقد سميت بسورة لقمان لورود قصة لقمان فيها، وكان من الحكماء الأقدمين، ولم يرد اسم حكيم غيره في القرآن.

وسورة لقمان رحلة هائلة بعيدة الآماد والآفاق، تطوف بالقلب في جولات متمددة لتأكيد قضية المقيدة وترسيخها في النفوس، وهي القضية التي تمالجها السور المكية في أساليب شتى، ومن زوايا متنوعة، تتعلول القلب البشرى من جميع أقطاره، وتلمس جوانبه بشتى المؤذرات التي تخاطب الفطرة وتوقظها.

هذه القضيمة الواحدة – قضية المقيدة – تتلخص هنا هي توحيد الخالق وعبادته وحده، وشكر آلاته، وهي اليقين بالآخرة، وما هيها من حساب دقيق وجزاء عادل، وهي اتباع ما آنزل الله، والتخلي عما عداء من مـالوهات وممقدات.

والسورة تتولى عرض هذه القضية ثلاث مرات هى ثلاث جولات، تطوف كل منها بالقلب البشرى هتعرس عليه دعوة الهدى من جانب الوحى، ومن جانب الحكمة، ومن جانب الكون الكبير: سماثه وأرضه، وشمسه وقمره، وليله ونهاره، وأجوائه ويحاره وأمواجه، وأمطاره ونباته وأشجاره، وأخيرًا من جانب القدرة الإلهية المعيطة بكل شيء، صاحبة الملك في الأولى والآخرة.

فقرات السورة

يمكن أن نقسم سورة لقمان إلى ثلاث فقرات أو جولات:

الجولة الأولى:

تبدأ الجولة بعد افتتاح السورة بالأحرف القطعة، فتقرر أن هذه السورة من جنس تلك الأحرف، هي آيات التبدأ الجمرف، هي آيات الكتاب الحكيم، وهي هدى ورحمة للمحسنين، وهؤلاء المسنون هم: اللّذين يُعْيِمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزّكاةَ وَهُم بِالآخِرَةَ هُمْ يُوقُونَ . (النمان: ٤) فتقرر قضية اليقين بالآخِرة، وقضية المبادة لله، ومعها مؤثر نفسي ملحوظه: أوْفُك عَلَى هَدُي مُن رَبِّهِمْ وَلُوْفُكُ هُمُ النَّفُلُحُونَ . وتمان: ٥) . ومن ذا الذي لا يريد أن يكون من المفلحين؟.

وفي الجانب الآخر فريق من الناس يشتري لهر الحديث ليضل عن سبيل الله بقير علم، ويتخذ تلك الآيات هزوا، وهؤلاء يماجلهم بمؤثر نفسي مخيف مناسب لاستهزائهم بآيات الله: أُولَّكُ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ. (تنديا: ٢٠. ثم يمضى هى وصف حركات مذا الفريق: وإذا تُعلَّىٰ عَلَيه آياتُنَا وَلَىٰ مُسْتَكِّراً كَأَنْ لُمُ يُسْمَعُهَا... (لقمان: ٧). ومع الوصف مؤثر نفسى منفر من هذا القريق: كَأَنْ فِي أَثْنِيهِ وَقُراً. ومؤثر آخر يشيفه مع التهكم الواضح فى التعبير: فَيْشَرُوْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ . (لقمان: ٧). والبشارة هذا فيها ما فيها من التهكم اللحوظ.

ثم يمود إلى المؤمنين يفصل شيئا من فلاحهم الذي اجمله في أول السورة ويبين جزامهم الحمين في الآخرة. ثم يعرب صفحة الكون الكبير مجالا للبرهان القاطع الذي يطالع الفعارة من كل جانب، ويخاطبها بكل السان ويواجهها بالحق الهائل الذي يعرب عليه الناس غلطين، وأمام هذه الأدلة الكونية التي تهول الحص وتنبه الشمرو، يأخذ بتلاييب القلوب الشاردة، التي تجمل لله شركاء وهي ترى خلقه المظيم: هَذَا خَلِّقُ اللَّهُ فَأَرْنِي مُأذًا لِنَاسٍ مَنْ فَرَدُ بَلُ الظَّالُونُ فِي ضَلًا أَبِينٍ . (قصار: ١١).

وتستفرق هذه الجولة من أول السورة إلى الآية ١١ .

الجولة الثانية:

تبدأ الجولة الثانية من خلال نفوس آدمية، وتتناول القضية ذاتها بأسلوب جديد ومؤثرات جديدة، إنها نصيصة من رجل حكيم يعظ ابنه فيقدم له خلاصة تجاريه وحكمته، فيامره بالتوحيد، وينهاء عن الشرك، ويعثه على بر الوالدين وطاعتهما فيما يأمران به، إلا إذا أمرا بالشرك ونحوه، وينبه لقمان ولده إلى إحاطة علم الله حكل شيء، إحاطة يرتمن لها الوجدان البشري.

ثم يتابع لقمان وسيته لابنه هيامره أن يقوم بتكاليف المقيدة من الأمر بالمروف والنهى عن المُكر، وأن يصبر ويعتمل، فإن الصبر من أمهات الفضائل.

ويحث لقسمان ولده على مكارم الأخلاق، وآداب النفس والسلوك، هينهـاه عن الكبـر والبطر، ويأمـره أن يمثـل في مشهته، وأن يفض من صوته، وأن يلزم الرفق والهدوء والاعتدال.

وقد استفرقت هذه الجولة الآيات من (١٢ - ١٩).

الجولة الثالثة:

تستفرق الجولة الثالثة بقية السورة: الآيات من (٢٠ – ٢٤)، وتبدأ بعرض أدلة التوحيد في خلق السماء والأرض، وفي تسخير الكون وإسباخ الثمم الظاهرة والباطنة، وفي ظل هذه النمم الظاهرة والأدلة الملموسة بيدو الجدل في الله مستتكرًا من الفطرة، تمجه القلوب للسنقيمة.

ثم يتابع السياق استنكار موقف الكفر والجمود وتقليد الآباء دون تبصر وروية، ومن ثم يعرض قضية الحزاء في الأخرة مرتبطة بقضية الكفر والإيمان. ثم يقف الكافرون وجها لوجه أمام منطق الفطرة وهى تواجه هذا الكون فلا تملك إلا الاعتراف بالخالق الواحد الكبير، وتمرض الآيات مشهدًا كونيا بهز القلب البشرى، مشهد الليل وهو يطول فيدخل هى جمعم النهار ويمند، والنهار وهو يطول فيدخل هى جمعم الليل ويمند، ومشهد الشمص والقمر مسخرين في فلكههما يجريان في حدود مرسومة إلى وقت لا يعلمه إلا خالقهما . ويتخذ من هذا المشهد الكونى دليله إلى الفطرة على القضية المهودة وهي فضية التوحيد .

ثم يلمس القلوب بمؤفر آخر من نممة الله على الناس في صورة الفلك التي تجرى هي البحر، ثم يوفقهم أمام منطق الفطرة حين تواجه هول البحر مجردة من غرور القدرة والعلم الذي يبمدها عن بارثها، ويتخد من هذا المنطق دليلا على قضية التوحيد: وَإِفَا غَشِيهُم مُوّجٌ كَالظَّلُو دَعُواْ اللَّهُ مُثْلِّصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَاهُمْ إِلَى البَّرِ فَينَهُم مُقْتَصِدٌ مَا يَجَّمُدُ بَالِآتِا إِلَّا كُلُّ خَارَ كُفُورٍ . (إنمان: ٢٢).

ويمناسبة موج البحر وهوله، يتكرهم بالهول الأكبر، وهو يقرر قضية الآخرة، الهول الذي يفر هيه الوالد من ولده، والولد من والده: (أَ وَحَدُ اللَّهُ حَقَّ فُلا تُمُرِّتُكُمُّ الْحَيَّاةُ اللَّذِيَّا ... [لقمان: ٣٦].

وتختم السورة بدّية تقر القضايا التي عالجتها في إيقاع قوى عميق مرهوب، فتذكر أن الله قد استاثر يخمس لا يعلمهن سواه: إنَّ اللهُ عَندُهُ عَلَّمُ السَّاعَةِ وَيُتَوِّلُ الْفَيْثُ وَيَقَلَّمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكُسِبُ غَدًا. وَمَا لَكُونِ نَفْسُ مُإِيَّ أُرْضِ تَمُوثُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمْ خَيِرٌ . (تقان: ٢٤) .

هذه الجولات الثلاث بأسائيبها ومؤثراتها ودلائلها وآياتها نموذج من أسلوب القرآن الكريم هي ممالجة القلوب، هذا الأسلوب المختار من خالق هذه القلوب، العليم بمداخلها، الخبير يما يصلح لها وما تصلح به من الأساليب.

﴿ الَّدَ ۞ قِلْكَ مَايَتُ الْكِنَتِ الْمُكِنَتِ الْمُتَكِيدِ ۞ هُدَى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوْةَ وَمُؤْفُونَ الزَّكُوةَ وَهُم إِلْآئِخَرَةِهُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُوْلَئِهَكَ طَلَ هُدُى مِّن رَبِّهِمْ وَأُولَئِهَكَ هُمُّ الْمُفْلِحُونَ ۞ ﴾

المفردات

الهسكسيسم؛ المشتمل على الحكمة، أو الحكيم قائله.

هدى ورحمها أي: الآيات هادية راحمة.

يقيمون العملاة، من إقامتها: تعديل أركانها، وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وآدابها، من: أقام المود، إذا قوَّمه.

يسوقت سون، يؤمنون أقوى الإيمان.

أوثثك على هديُّ، أولتك المسنون في أعمالهم، متمكنون من الهدى الذي جاهم من ربهم،

المفلح ... ون الفائزون، لاستجماعهم العقيدة الحقة، والعمل الصالح.

تمهيد،

سمورة لقمان سورة مكهة، تهتم بالمقيدة والسلوك والآيلت الكونية الدالة على قدرة الله، الخالق العظيم القادر المنم للتقضل.

وعنيت بالحثّ على مكارم الأخلاق هي وصية لقمان لابنه، بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمروف والنهى عن المنكر، وير الوالدين، والصبر والتواضع،

ودعت إلى إعمال النظر والفكر، وذم التقليد والجمود، لأن فيه إنكارًا للعقل وتعطيلاً له.

التفسيره

١ - الَّمَ .

حروف التنبيه كالجرس الذي يقرع، فينتبه التلاميذ لدخول الدرسة، أو هي للتحدّى والإعجاز، وبيان أن الخارثق عاجزون عن الإتبان بمثل القرآن الكريم، مع أنّه مؤلف من حروف عربية، ينطقون بها، فدلّ ذلك على أنه ليس من صنع بشر، ولكمه تتزيل من حكيم حميد.

٢ - تلْكَ آيَاتُ الْكتَابِ الْحَكيمِ .

هذه الآيات المشتملة عليها هذه الممورة، أو المشتمل عليها القرآن الكريم، آيات القرآن ذى الحكمة، التى لا خال فيها ولا عوج، ولا تناقض ولا اختلاف. فالقرآن مشتمل على الحكمة والصواب، محفوظ من كل تحريف وتبديل، ناماق بكلّ ما يوصل إلى السمادة المنيوية والأخروية.

٣ - هُدُى ورَحْمَةُ لَلْمُحْسِينَ .

هذه الآيات هداية كاملة، ورحمة شاملة للمحسنين في أقوالهم وفي أفمالهم، وفي كل أحوالهم.

٤ - الله ين يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤتُّونَ الرُّكَاةَ وَهُم بالآخِرَة هُمْ يُوقُّونَ.

أى: من صفات هؤلاء المحسنين أنهم يؤدون الصلاة كاملة في خشوع وحضور قلب، ومحافظة عليها كاملة
 الأركان، والسنن والآداب، في وقتها، فتكون بعثابة عهد بين المؤمن وريه، يستوجب بها الجنة، كما صح في
 الحدث الشريف.

وَيُؤْتُونَ الزُّكَاةُ . . .

ينشون الزكاة لمستحقيها، وفى الزكاة ترابط وتماون وتكافل، ومملاح للأفراد والمجتمعات، والتزام بحق الله وأوامره، وقد اقترنت الزكاة بالمملاة، في عشرات المواضع في القرآن الكريم.

وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِبُونَ.

يؤمنون بالآخرة وما فيها من حساب وجزاء وجنة ونار، أشد الإيمان وأقواه.

٥ – أُولَتُكَ عَلَىٰ هُدًى مِن رَبِّهِمْ وَأُولَتِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ .

أى: أوثنك المحسنون المتصفون بإقام الصلاة وإيناء الزكاة، واليقين الجازم بالآخرة، على هداية عظيمة بالغة من ربهم، توصلهم إلى الطلوب، وأوثنك هم الفائزون بسمادة الدنيا والآخرة، فالفلاح والهدى والتوفيق، والرعاية والنتاية الإلهية من نصيبهم. ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهُوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِعِلْمِ وَيَتَخِذَهَا هُزُوّاً أُوْلِيِّكَ هُنُمْ مَذَابٌنُّهُ مِينٌ ۞ وَلِذَانْتُنَى عَلَيْهِ ءَايَنُنَا وَلَى مُسْتَصَّبِرًا كَأَن لَرَيْسْمَهَا كَأَنَ فِيأَةُ نَيْهِ وَقَرَّا فَاشِرُوْمِهَا لَهِ إِلَيْدِ ۞﴾

المضردات،

الهسو الهسلديث، كل ما كان من الحديث وكان مهليا عن سبيل الله، مما نهى الله أو رسوله عن الاستماع إليه، واختار ذلك الطبرى.

ليستشله ليصد ويملع.

سيبيل الله: دينه الموصل إليه، أو كتابه الهادي إليه.

وا وا عرض عنها غير معتد بها.

مسستكبرا: مبالفًا في التكبر.

كأن تميسمعها، مم أنه سامم.

وقسين وهو مانع من المداع.

ف ب شده، أعلمه، وذكر البشارة للتهكم.

التفسير

٦ – وَمِنِ النَّاسِ مَن يَشْتَوِي لَهُوْ الْحَدِيثِ لِيُصِلُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمِ وَيَتَخْلَمُا هُزُواْ أُولَتِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ .

من الناس من يؤثر الباطل على الحق، والكفر على الإيمان، ويؤثر أحاديث الباطل وأغاني الجون وتحريك الهوي على القرآن والإيمان، بِغُبِّ عِلْم ، باهمية الحق والقرآن والإيمان، هي سلامة الفرد والمجتمع، أو بغير بصيرة، حيث يستبدل الضلال بالهدى، والباطل بالحق، جهلا منه بالضلال الذي يسير فيه.

وَيَتَّخَذَهَا هُزُواً ...

يتخذ آيات الله ووحيه سخرية، حيث يكنُّب بها ويستهزئ بها.

أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَلَابٌ مُهِينٌ .

هؤلاء أصدقاء الباطل وأعداء الحق، لهم عذاب شديد، مذلٌّ مهين لهم، جزاء عنادهم ومكابرتهم.

وقد ذكر جمهور الفصرين أن الآية نزلت في النضر بن الحارث، كان يضرج تاجرًا إلى فارس، فيشتري أخبار الأعاجم، وفي يمض الروايات كتب الأعاجم فيرويها، ويحدّث بها قريشا، ويقول لهم: إن محمنًا يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وأخبار الأكامسرة، فيستملحُون حديثه، ويتركون استماع القرآن، فنزلت هذه الآيات.

ذكر ذلك ابن عملية هن تقسيره، وابن المريي، والقرطبي، وابن الجوزي، والألوسي، والواحدي هي أسباب النزول، والسيوطي هي الدرّ المتنور . مع اختلاف عباراتهم هي حكاية ذلك بين التطويل والاختصار .

هل تدل هذه الآية على تحريم الفناء 9

ذكر الطبرى وغيره في تقسير هذه الآية، أنها نزلت في قرشي اشترى مغنية، شغل بها الناس عن أتباع الرسار، ﷺ.

وروى الترمذى هى سننه (٥ / ٣٤٦ / التفسير)، عن أبى أمامة رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلَّموهنَّ، ولا خير هى تجارة فيهن، وثمنهن حرام،، وهى مثل ذلك أنزلت هذه الآية، و مَنْ النَّاسَ مَنْ يَشْرَي لَهُوَ الْعَمْلِيثُ . . . الآية.

قال الترمذي: هذا حديث غريب، إنما يُروى من حديث القاسم، عن أبي أمامة، والقاسم ثقة، وعلى بن يزيد يُعَنَّفُ هي الحديث.

وقال ابن كثير عن هذا الحديث في تفسيره (٣ / ٤٤٢): على وشيخه والراوى عنه، كلهم ضعفاء، والله أعلم،

وقال ابن عملية هي تقسيره (١١ / ٤٨٤): والذي يترجح أن الآية نزلت هي لهو حديث مضاف إلى كشر، طائلك اشتدت الفاط الآية بقوله: ليُعشلُ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرٍ عَلْمٍ رَبِّخِلْهَا هُزُواً . . . وبالتوعد بالمذاب المهين، وأما لفطة الشراء فتحتمل الحقيقة والمَجازً. أ هـ.

أما الحقيقة فإن التضر بن الحارث كان يشترى كتب الأعاجم، ويثقل منها حديث رستم واسفنديار، ويقول: إن حديثي أحسن حديثا من معمد.

وأما المجاز هالمراد بالشراء هنا: الاختيار والاستحسان، والترغيب هي الباطل، حتى يشغل الناس عن القرآن والإسلام، قال تمالى: أُولِنك الله بِينَ اشْتَرُوا الصَّلالةَ بِالهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تَجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهِتَّدِينَ . (البقرة: ١٦).

وقال قتادة: اشتراؤه: أستحبأبه، يختارون حديث الباطل على حديث الحق.

من تفسير القرطبي:

ذكر القرطبي في تقميره (٥٤/١٤) حديث أبي أمامة وآثارًا بنحوه في ذمَّ الفناء والتحذير منه، ثم قال:

ولهذه الآثار وغيرها، قال العلماء بتحريم الفناء، وهو الفناء المتاد عند الشتهرين به، الذي يحرك التفوس، وبيعث على الهوى والغزل، والجون الذي يحرك الساكن، وبيعث الكامن، فهذا النوع إذا كان في شعر يشبب فيه بذكر النَّساء، ووصف محاسفين، وتكر الخمور والمحرمات؛ لا يُختلف في تحريمه، لأنه اللهو والفناء للذموم بالاتفاق.

هناما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه هى أوقات الفرح، كالعرس والعيد وعند التنشيط، على الأعمال الشاهة، هناما ما ابتدع اليوم من الإدمان على مصاع المفانى بالآلات المطرية من الشيابات والطار والمازش. والأوتار فعرام،

وقد استطرد القرمليي في تفصيل أحكام الفناء والسماع، كما قصل الآلوسي ذاك أيضا عند تفسير هذه الآية واطال فيه (٢٣).

من الدرّ المختار:

التفنى لنفسه لدهم الوحشة لا بأس به عند العامة، على ما هي (المناية) وصحصه المينى وغيره، وإليه ذهب شمس الدين المسرخمس، قال: ولو كان فيه وعظه وحكمة فجائز اتفاقًا، ومنهم من أجازه هي المرس كما جاز ضرب الدُّفَّ هيه، ومنهم من أباحه مطلقا، ومنهم من كرهه مطلقاً، انتهى كلام الدرّ.

من تفسير الألوسى:

ومثل الاختلاف في القناء الاختلاف في السماع، فأباحه قوم كما أباحوا النفاء، واستداوا على نثله بما رواء البخاري، عن عائشة، قالت: دخل على النبى 熊، وعندى جاريتان تغنيان بغناء بُماث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه.

وفي رواية لمدلم تسجَّى بثريه، ودخل أبو بكر فانتمرني، وقال: مزمارة الشيمان عند النبي ﷺ. فاقيل عليه رسول الله ﷺ، فقال: «دعهما»، فلما غفل غمزتهما فخرجتا، وكان يهم عيد. (٣٦).

والحق أن الغناء الذى لا يصرك الشهوة، ولا يحث على الفجور وشرب الخمور، يجوز هي التلميات كالعيدين، كما ورد هي حديث البخاري السابق عن عائشة، وكالمرس، لما ورد أن الرسول ﷺ، حينما علم بزواج هناة، قال: هملاً يعتقد معها من بقول:

وعند التشهيد'، على القيام بالأعمال الشاقة، كغناء وأناشيد أصحاب الحرف والصناعات، وكحداء الإيل للسير على قطع الله أوز واجتياز الصحراء، كما يجوز مماع ذلك، والله أعلم. ⁽⁷⁰⁾. ٧ - وَإِذَا تُتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أَذُنَيْه وَقُرًّا فَبَشِّرهُ بِعَدَابِ أليم .

وإذا تُعْرا على هذا الضال آيات الله أعرض عنها، غير معتد بها، متكبرًا مبالنًا في الكبر، وحاله هي ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع، كانَّ هي أذنيه مسمما واثنلاً ماننًا من السماع، فأتذره يا أبها الرسول بالمذاب الأليم، جزاء إعراضه عن آياتنا، وتكبره عن الاستجابة لهدايتنا.

قال ابن كثير في تفسير الآية ما يأتي:

أى: هذا القبل على اللهو واللعب والطرب، إذا تليت عليه الآيات القرآنية، ولّى عنهـا وأعـرض وأدبر، وتصامّ وما به من صمم، كانه ما يسمعها، لأنه يتأذى بسماعها، إذ لا انتفاع له بها، ولا أرب له فهها.

فَشَرَّهُ بِعَلَىٰ إِلَيْمٍ .

أي: يوم القيامة يؤلم، كما تألم بسماع كتاب الله وآياته.

* * *

﴿ إِنَّالَذَينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّلِحَتِ لَهُمْ جَنَّتُ ٱلنَّعِيمِ ۞ خَلِينَ فِيمَّا وَعْدَاللَّهِ حَقَّاً وَهُوَالْعَزِيزُ الْمَكِيمُ ۞﴾

المفرداتء

جِئات النهيم؛ أي: جنات النميم الكثير، حيث يتتعمون بأنواع الملاذ، من المأكل والمشارب.

وهمد الله حسقماء أي: هذا ثابت لا مصالة، لأنه وعد الله، ووعده لا يتخلف.

المسسسنين الذي قهر كل شيء، ودان له كل شيء.

الحسكسيسم؛ في أقواله وأفعاله.

التفسيره

٨ . ٩ - إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَاوا الصَّالحَاتَ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ * خَالدينَ فيهَا وَعْدَ اللّه حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكيمُ.

تأتى ماتان الآيتان هى بيان جزاء المؤمنين، الذين استجابوا لأمر الله، فالذين آمنوا بلله وصدقوا المرسلين وعملوا الأعمال الصالحة المتابعة لشريعة الله، مالهم إلى جنات النعيم، التى ينتممون هيها بأنواع الماكل والملابس والمساكن، والمراكب والنساء والنصرة والمساح الذي لم يخطر بيال أحد، وهم هى ذلك مقيمون دائما فيها، قد حتى الله لهم وعده، وهو سبيحانه الأعراب المنابع، وها مسيحانه، التريي فهر كل شيء، ودان له كل شيء، أمكرم، هى اهواله وفي أهماله، الذي يضم الشيء هى موضمه.

﴿ حَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ بِغَيْرِ حَمْدِ ثَرَقَهُمُ ۗ وَٱلْقَى فِي ٱلأَرْضِ رَوَامِى أَن تَعِيدُ بِكُمُّ وَيَثَّ فِهَامِن كُلِّ دَابَّةً وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءُ فَأَنْبَنَنَا فِيهَا مِن صُلِّلِ زَفْج كَرِيدٍ ۞ هَنَدَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِ عِلَى اللَّهِ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن دُونِدِ عَبِي ٱلظَّلِيمُونَ فِي صَلَالِمُّ مِنْ ۞ ﴾

المفرداتء

يف يسر هسمسه: المُمَد واحدها: عماد، وهو ما يُعْمد به، أي: يستد به، تقول: عمدت الحائما، إذا دعمته.

رواسمسسى، جبالا ثوابت.

تمييسده تضطرب.

بثُ فسيسمها البث: الإثارة والتقريق، كما قال تعالى: كَالْفُرَاشِ الْمَبُّوثِ . (القارعة: ٤). والمراد: الإيجاد والإظهار،

زوج : صنف.

ك ... التفعة ...

التفسيره

١٠ حَلَقُ السَّمَوَاتِ بِفَيْرٍ عَمَدُ تَرُونَهَا وَٱلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن قعيدَ بِكُمْ وَبَثُ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَةً وَأَنزَلْنَا مَن السَّمَاء مَاهُ فَايَّتَنَا فِيهَا مِن كُلِّ وَرَجْ كُرِجَ .
 من السَّمَاء ماهُ فَايَّتَنَا فِيهَا مِن كُلُّ زَوْجٌ كُرْجٍ .

خلق الله السماوات ورهيرا هوق ربوسنا بدون اعمدة، ونحن نشاهدها صبياح مساء، مرفوعة عالية بدون اعمدة، مع أن يبوتنا لا ترتقع اسقفها إلا على اعمدة، ومن تسبيح المُومَنين: سبحان الأبدى الأبد، سبحان من رفع السماء بلا عمد، سبحان من همم "لأرزاق هلم ينس آحد، سبحان من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

فالضمير في: تُروّثُهَا ، عائد على السماوات، قال الحسن وقتادة: ليس لها عمد مرئية ولا غير مرئية، ويجوز أن يعود الضمير على الأعمدة فيكون مخفوضا مثلها .

أى: إن الله خلق السماوات بغير أعمدة مشاهدة بالمين، وإن كانت لها أعمدة غير مرقبة منها الجاذبية، أو قوة القدرة الإلهية التى أبدعت كل شيء خلقته. قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد: لها عمد لا ترونها.

وْ أَلْقُىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدُ بِكُمْ . . .

ووضع الله في الأرض جيالا راسية، أرست الأرض وثقلتها، حتى لا تميد ولا تضطرب بأهلها، قال تمالي: وأَلْجَالُ أَرْسَاهًا . (النازعات: ٢٢).

وَبَتُ فِيهَا مِن كُلُ دَابَّة ...

أوجد في الأرض من أصناف الحيوانات ما لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذي خلقها.

وَأَنزَلْنَا مِنَ السُّمَاءِ مَاءُ فَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِن كُلِّ زُوْجٍ كَرِيمٍ .

أنزل الله من السماء ماءً، فأحيا به الأرض بعد موتها، وأنبت فيها أصناف التباتات، مختلفة الألوان والأشكال، كما أنبت فيها أمناف الحيوان والإنسان.

قال الشعبى؛ والتاس ايضا من نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو تثيم. وجاء في تفسير روح البيان؛ فلشيخ إسماعيل حقى البروسوى المتوفى سنة ١١٧٣ هـ :

واعلم - وقتنا الله جميما للتمكير في عجائب صنعه، وغرائب فدرته - أن عقول المقاده، وأهبام الأذكياء قاصرة متحيرة هن أمر النباتات والأشجان، وعجائب اوخواصها وهوائدها، ومضارها ومنافعها، وكيف لا وأنت تشاهد اختلاف أشكالها، وتباين الوانها، وعجائب صور أوراقها، وروائح أزهارها، وكل لون من ألوانها ينقسم إلى أقسام، كالحمرة مثلاً: كوردي، وأرجواني، وسوسنى، وشقائتى، وخمرى، وعنابي، وعقيقى، ودموى وغير ذلك، مع اشتراك الكل في الحمرة، ثم عجائب روائعها، ومخالفة بمضها بعضا، واشتراك الكل في طيب الرائعة، وعجائب أشكال أثمارها وحبوبها، وأوراقها، ولكل لون وربح وطعم، وورق وثمر وزهر وحبّ، خاصية لا تشبه الأخرى، ولا يعلم حقيقة الحكمة فيها إلا الله، والذي يعرفه الإنسان في ذلك بالنسبة إلى ما لا يعرفه كقطرة من عراس، أهد الم

من أثوان البيان:

هي الآية بيبان قدرة الخالق الذي خلق المسماء مرتضعة بفير عمد مبرئية، وأحكم بناءها وحفظها من السقوط، ويسط الأرض وحفظ توازنها بالجيال المرتفعة الشاهقة، ونثر فيها المخلوقات من الحيوان والإنسان، ثم تحدث عن قدرة الرازق، بعد أن تحدث عن قدرة الخالق، فبين قدرته على إنزال المطر، وإنبات سنوف النباتات المتددة، كثيرة النافع جميلة للنظر.

١١ – هَلَمَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلال مُّبِينٍ

أى: هذا الذى ذكر من خلق السماوات والأرض، وما فيها من جمال وإيداع ونظام، خلق الله الواحد القادر، المستحق للمبادة، ومع هذا هانتم عبدتم الأوثان والأصنام، وغير ذلك من المخلوقات، فأخبرونى ماذا خلقت هذه الأصنام حتى يكونوا شركاء لله.

ثم صدرح بظلم أهل مكة، وشركهم وضلالهم الواضيح، فقال: بأن الظَّالُمُونُ فِي صَّلَالٍ مُّبِيْنِ . أي: الكاهرون من أهل مكة ظلموا أنفسهم يعدولهم عن الإيمان والإسلام، إلى الضلال الواضيح البيَّن.

﴿ وَلَقَدْءَ انْيَنَا لُقَمْنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ اَشْكُرْ لِلَّيْوُومَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَقْسِيدٌ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِيُّ حَمِيدٌ ۗ ۞ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِآبَنِهِ وَهُوَ يَعِظُلُهُ يَبُنَى لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّهُ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلُو عَظِيدٌ ۞ ﴾

المضرداتء

لق مصاف: كان نجارًا أسود من سودان مصر، ذا مشافر، آتاه الله الحكمة.

الحكم المقل والقطنة.

السشمكسر، الثناء على الله تماثى، وإصابة الحقّ، وحب الخير الثاس، وتوجيه الأعضاء وجميع النعم لما خلقت له.

تمهيد،

التفسيره

حكم منسوبة الى لقمان

نُسب إلى لقمان من القالات الحكيمة شيء كثير، كقوله لابنه ما يأتي:

أى بنى"، إن الدنيا بدر عميق، وقد غرق فيها ناس كثيرون، فاجمل سفينتك فيها تقوى الله تمالي، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكل على الله، تملك تنجو، ولا أراك ناجيا.

وقوله؛ من كان له من نفسه وأعظ، كان له من الله حافظ.

وقوله: من أنصف الناس من نفسه، زاده الله بذلك عزًا، والذلّ في طاعة الله أقرب من التعزز بالمصية. وقوله: يا بني، لا تكن حارًا فتبتلم، ولا مُرّا مُتَّفَعَات.

وقوله: يا بني، إذا أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه فآخه، وإلا فاحدره. ·

١٢ - وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقُمَانَ الْحَكْمَةَ أَن اشْكُرْ للْه وَمَن يَشْكُرْ فَاتَّمَا يَشْكُرُ لَفقْهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنيٌّ حَمِيدٌ .

ولقد أعطينا لقمان الفهم والمقل، وحمن التيمدر والإصابة في القول، وأمرناه أن يشكر الله عز وجل على مـا آتاه، وخصّه به من بين أبناء جنسه، وأهل زمانه، ومن يشكر الله فإن فائدة الشكر إنها تمود عليه، حيث يمتحه الله زيادة في النممة والحكمة، ومن يكفر بنعمة الله هإنما يعود صرر الكفر على نفسه، لأن الله غنى عن عباده، محمود بالفعل في السماء والأرض.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقْرَاءُ إِلَى اللَّه وَاللَّهُ هُوَ الْغَنيُّ الْحَمِيدُ . (طاطر: 10).

وقد أفاض الطبرى في وصف لقمان وحكمته وبلده، وكذلك ابن كثير، وجمهور المُفسرين على أن لقمان كان عبدًا صالحا أعطاء الله الحكمة، ورجع ابن كثير أنه كان عبدًا صالحًا حكيمًا، ولم يكن نبيا، واستئد إلى أن يعض الروايات آفادت أنه كان عبدًا مملوكا ليعض الناس، ثم منَّ الله عليه بالحكمة والعلم والقبول، فرآه زميل له في مجلس، وقد خضع له الناس، وأنستوا واستمعوا، فقال له: ألست أنت الذي كنت ترعى معى الفتم في مكان كنا وكذا؟ قال: نم، قال: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، والصمت عما لا يعنيني.

وروى جابر، عن عكرمة، قال: كان لقمان نبيا.

وذهب ابن كلير إلى أنه لم يكن نبيا، لأن الرسل تبحث فى احساب قومها، قال: وجمهور السلف على أنه لم يكن نبيا، وإنما تُقل كونه نبيا عن عكرمة، وإستاده ضميت، والله اعلم.

وروى ابن كثير فى تقمىيره، عن قتادة، عن عبد الله بن الزبير، قال: قلت لجابر بن عبد الله: ما انتهى إليكم من شأن لقمان؟ قال: كان قصيرًا أفطس من النوية.

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن السبي، قال: كان لقمان من سودان مصر، ذا مشاهر، إعطاء الله الحكمة، ومنعه النبوة (٣٠).

١٣ – وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لا بْنِهِ وَهُو يَعِظُهُ يَا بُنيُ لا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ .

واذكر إذ قال لقمان الحكيم لابنه المشفق عليه، وهو ينصحه، ويقدم له التذكير بالخير، فيما يرق له القلب، قائلا له:

يَا بُنَيُّ لا تُشْرِكُ باللَّه ...

أى: اعبد الله وحده، ولا تشرك بعبادته أحداً من خلقه، فليس من المدل أن تسرّى بين الخالق الرازق، الذي ييده الخاق والأمر، وهو على كل شهره قدير، وبن من لا يطلق ولا برزق، ولا يُرق، ولا يُصوّر منه شرره من ذلك.

إِنَّ الشَّرِكَ لَطُلُمٌ عَظِيمٌ .

أى: أعظم الطّلم، والطّلم هو وضع الشيء هي غير موضعه، ومن أشرك بالله فقد وضع العيادة والتأليه والخضوع والدعاء هي غير موضعه.

روى البعشارى، ومسلم، عن عبد الله، قال: لما نزلت: اللهين آمُنُوا وَلَمْ يُلِّبُ مُوا إِيَّانَهُمْ بِظُلِّمٍ . . (الانسام: ٨٨-شق ذلك على أصحاب رسول ﷺ، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: وإنه ليس بناك، آلا تسمم إلى قول لقمان: يَا بَنِي لا تُطْرِكُ بِاللهُ إِنْ الشَّرِكُ نَظْلًمْ عَظِيمٌ . يه (٢٨).

وفي الحديث الصحيح، أن رجلا قال: يا رسول الله، أيّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجمل لله نداً وهو خلقك». قال: ثم أيّ ؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يأكل معك»، قال: ثم أيّ 8 قال: «أن تزاني حليلة جارك» (٣٠). ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ يَوَلِدَيْهِ حَمَلَتَهُ أَمَّهُ. وَهَنَا عَلَى وَهِنِ وَفِصَالُهُ. فِي عَامَيْنِ أَن ٱشْصَّارِ لِي وَلِوَلِينَكَ إِلَى ٱلْمَصِيرُ ۞ وَإِنجَهَدَاكَ عَلَى آَنُ تُشْرِكَ فِي مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمُ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ إِلَى شُمَّ إِلَى مَرْجِعُكُمْ فَأَنْبِشُكُمْ عَالَيْنَمُ عَمَا فِي الْمُنْمُرُ تَعْمَلُونَ ۞ ﴾

المفردات

السيوهيين، الضعف.

الفيحيال: القطام.

جــــــاهـداك» حرصا على متابعتك لهما في الكفر.

الــــاب، رجع.

التفسين

١٤ - وَوَصَّيْنَا الإنسانَ بِوَالدَيْهِ حَمَلَتْهُ أَمُّهُ وهُنَا عَلَىٰ وَهُنْ وَقِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنَّ اشْكُو لِي وَلَوَالدَيْكَ إِلَيَّ الْمُصِيرُ.

هذا كلام مستأنف على نهج الاستطراد في أثناء وصية لقصان، تأكيداً لما في الوصية من النهى عن الإشراك، فهو من كلام الله عز وجل، ولم يقله للقمان، وقبل: هو من كلامه تمالي للقمان.

والثعثبيء

وامرنا الإنسان أن يحسن إلى والديه، وأن يردُّ الجميل إليهما، فقد تكفلا بتربيته ورعايته وومسيناه بالأمُ خاصة، لأنها تحملت المشقة والوهن والضعف في الحمل والولادة والرضاع والكضالة، وقيل: وَهَنَّا عَلَىْ رَهُمْ . . . مشقة على مشقة.

قال الرّجاج؛ المراة إذا حملت توالى عليها الضعف والمُشقة، ويقال: الحمل ضَنَعَف، والطلق ضعف، والوشع ضعف، وقبل: الحمل كلما عظم ارّدادت ثقلاً وضعفاً .

وَفَصَالُهُ فَي عَامَيْن . . .

أي: فطامه في عامين، والحولان نهاية مدة القضاء،

قال تمالى: وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنْ حَوِلْيْنِ كَامِلَيْنِ لَمَنْ أَوَادَ أَنْ يُتِمَّ الرّضَاعَة . . . (البقرة: ٢٣٣).

ومفهوم الآية أنهما الفاية التي لا تتجاوز، والأمر فيما دون ذلك موكول إلى اجتهاد الأم.

أَن اشْكُرُ لِي وَلُو الدِّيكَ إِلَيَّ الْمُصِيرُ .

وصينا الإنسان أن يشكر ريّه لقاء ما أنم به عليه من النمم التي لا تحصي، وأن يشكر والديه لقاء ما تحملاً في سبيل تربيته، وذلك بالدعاء لهما، والبرّ بهما وإكرامهما وطاعتهما، والمرجع والمصير إلى الله تمالي، فيجازي عباده على ما قدَّموا، وفي الحديث الشريف: ووالذي نفس محمد بيده، لتموتنَّ كما لتأمون، ولتبعثنُّ كما تستيقطون، ولتعلمينَ على ما تملون، ولتجزئنَّ بالإحسان إحسانًا، وبالسوء سوءًا، وإنها لجنة أبدًا، أو لنار أبدًا».

وروى ابن كثير، عن معاذ بن جبل، أنه قال هي خطبة له: وأن المعبير إلى الله، وإلى الجنة أو إلى النار، إقامة فلا ظمن، وخاود فلا موت.

10 - وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِه عَلْمَ فَلا تَطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَسْرُوفًا وَالْبِحْ سَبِيلَ
 مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمِّمَ إِلَى مُرْجِعُكُمْ فَأَلْيُكُمْ بِمَا كُتُمْ تَعْمُلُونَ .

وإن حملك والداك بجهد على أن تشرك بالله ما لا تعلم أنه إله - والله تعالى لا شريك له - هلا تعلمهما في الشرك، ومع هذا صاحبهما بالمروف، والكرم والمرومة والبر، مثل القيام بشئونهما من طعام وكسوة، وعدم جغائهما، وكذلك رعايتهما في للرض والموت، وما يتصل بذلك من شئون الدنيا فهي قصيرة الأمد.

وَاتَّبِعْ مَسِيلَ مَنْ أَنَابَ إِنِّي ثُمَّ إِنِّي مُرْجِعُكُمْ فَأَنْبِتُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

واسلك طريق المؤمنين الراشدين الملتزمين، ولا تتبع والديك المشركين، وإن كنت مأمورًا بحسن مصاحبتهما في الدنيا، ثم إن المرجم والمات إلى الله، والجزاء منه تمالي.

> قال تمالى: فَهَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذُرَّةٍ خُيرًا يرةً ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مُثْقَالَ ذُرَّةً شُراً يَرهُ. (الذلذلة: ٧ . ٨). والآية الكريمة نزلت هي سعد بن ابي وقاص، ورد ذلك هي كتب التفسير وأسباب النزول.

> > قال ابن جرير الطبري، وذكر أن هذه الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمَّه.

قال سمد : لما أسلمتُ حقّبتُ أمَّى لا تأكل طعاماً، ولا تشرب شراباً، فناشدتها أوَّل يوم هابت وصبرت، فلما كان اليوم الثاني ناشدتها هابت، فلما كان اليوم الثالث ناشدتها هابت، فقلت: والله لو كانت لك مائة تُغَس هفرجت نفسًا نفسًا، ما تركت ديني هذا، فلما رأت ذلك، وعرفت أنَّى أست فاعالُّ، أكّلت (⁻¹). ﴿ يَنْهُنَّ إِنَّا إِنْ تَكُ مِثْقَ الْ حَبَّةِ مِّنْ خَرْدِلْ فَتَكُن فِي صَخْرَة أَوْفِي السَّكُوتِ أَوْفِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفُ خَبِيرٌ ۞ يَنْهُنَّ أَفِيمِ الصَّكُوةَ وَأَمُرُ بِالْمَعُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكِ وَأَصْبِرَعَكَ مَا أَصَابِكُ إِنَّ ذَلِك مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۞ وَلاَتُصِيْرَ فَلَك لِلنَّاسِ وَلاَتَشْنِ فِي الْأَرْضِ مَرَمًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلُّ غَنَالٍ فَخُورٍ ۞ وَأَفْصِدْ فِ مَشْيِك وَاعْمُضْ من مَوْ وَاعْ إِنَّ أَن كَلَ الْأَصْورَتِ لَصَوْتِ لَصَوْتُ الْمُعِيرِ ۞ ﴾

المضردات،

إن تُسسبكُ؛ أي: إن تكن في الصغر قدر حبّة الخردل مثلاً.

م_ ثـ تـ الله المثقال ما يقدر به غيره لتساوى ثقلهما، وهو في المُرف معلوم وزنه.

پات بهــــا الله؛ يحضرها فيحاسب عليها،

الصطبيعة، يصل علمه إلى كل ختى.

خسبسيسر، عالم بكنهه،

الذالبيسيك، إشارة إلى ما ذكر من الصبر على ما أصابك وغيره.

من عسرة الأمسور، مما عزمه الله وقطعه على عباده وأمر به.

ولا تصمر خداك، ولا تُمل خدِّك عن النَّاس، ولا تولُّهم صفحة وجهك، كما يفعل المتكبرون.

التفسير

١٦ - يَا بَنْنَيُ إِنْهَا إِن تَكُ مِنْفَالَ حَبَّهَ مِنْ خُرْدَلَ فِتَكُن فِي صَخْرَةِ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنْ اللّهُ لَطَيفٌ خَبِيرٌ .

هذه وصايا ناهمة قد حكاها الله تمالي عن لقمان الحكيم، ليمتثلها الناسُ ويقتدوا بها، فقال:

يَا بُنيُّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَل . . .

أى: إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت في السعد قدر حبة الخردل مثلاً، وكانت مع ذلك في أخفى مكان، وأحرزه كجوف الصخرة، أو يعيدة في السماء، أو قريبة في الأرض.

يَأْتَ بِهِا اللَّهُ . . .

يحضرها الله يوم القيامة، حين يضع الوازين القسط، ويجازى عليها إن خيرا فخيرًا، وإن شرًا فشرًا.

atl تمالى: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَمِسُطُ لِيومُ الْقِيَامَةِ فَلا تُظَلَّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةِ مِنْ خُرِدُلِ أَتَيَّنا بِها وَكَفِي بِنَا حَامِينِ ، (الانبياء: ٤٤).

وقوله تملني: يأت بها الله . . . إما على ظلمره، أو معناه: بمعنى يعضر ثوابها وجزاءها، ويجملها كالحاضر الشاهد للتذكير والاعتراف بها .

إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خُبِيرٌ . يصل علمه إلى كل خفي، فالا تخفى عليه الأشياء، وإن دقت ولطفت واستترت.

خُبِيرٌ . عالم بكنهه ومستقره، عالم بدبيب النمل في الليل البهيم.

١٧ - يَا بُنَيَّ أَقِم الصَّلاةَ وَأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلكَ مِنْ عَزْم الأُمُورِ .

يا بنيّ، حافظ على الصلاة، بحدودها وأركافها وخشوعها، وأداثها هي أوقائها، لتكون صلة بين العبد وريه. وأَمْنِ الْمُعْرُوفُ وَاللُّهُ عَنِ الْمُدُكِّنِ ...

بحسب ملاقتك وجهدك، محتميا لله صابرًا على ما تلقاه هي سبيل ذلك، إن الصبر على ما أصابك وعلى سائر ما أمرت به مما عزمه الله تمالي، وأمر به أمر إيجاب والزام، ظرّم قبوله والعمل به والحرص عليه .

١٨ - وَلا تُصَمِّرُ خَدُكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ .

ولا تتكبر على عباد الله، ولا تمل خدك تيها وعجبًا، بل تواضع للناس.

قال الطبري:

وأمثل الصبّد داء يلخذ الإبل في اعتاقها او ربوسها، حتى يلوى أعتاقها عن ربوسها، فشبّه به الرجل التكبر، ومنه قول عمرو التقلبي:

وكنا إذا الجبارُ صَعَرِ خلة أصنا له من مَيله فننقوما

وَلا تُمش في الأرض مراحاً . . .

جذلا فرحا متكبِّرا، متبطرًا جبارًا عنيدًا، أي: لا تفعل ذلك فيبغضك الله.

إِنَّ اللَّهُ لا يُحبُّ كُلُّ مُخْتَالَ فَخُورٍ .

والمختال: المتكبر المعجب بنفسه، وهو مأخوذ من الخيلاء وهو التبختر في الشي كبرا.

والفخور: كثير الفخر والمباهاة بنفسه، وماله، واعماله وعطائه، والقليل منه جائز إذا كان تحدثا بنعمة الله، مثل اختيال الجاهدين بين الصفين.

١٩ - واقصد في مشيك واغطض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير.

أى: امش مشيا وسطًا بين بين، ليس مثل دبيب المتماوتين، ولا مثل سرعة الفرطين، بل سيرًا مقتصدًا معتدلاً، والقصد: الاعتدال.

وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنْ أَنكُرُ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمير .

أى: اخفض من صوتك، واجمله قصداً، ولا ترفعه إذا تكلمت، فالصوت الهادئ أوقر للمتكلم، وأبسط لنقس السامم وفهمه، إن أقبح ما يستكر من الأصوات ويستكره منها صوت الحمير.

وهذا تعبير بالصورة حيث لفت الأنظار إلى صورة الحمار عند نهيقه، تحذيرا من رفع الصوت، حتى لا يتشبّه صاحبه بالحمار، وهى صورة للتحذير والتنفير من رفع الصوت، وقد استشهد الحافظ ابن كلير بعديث النبي ﷺ: «إذا سمعتم صبياح الديكة فاسـألوا الله من شضاه، وإذا سمعتم نهيق الحميـر فتحوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانًا» (⁽⁴⁾). ثم قال ابن كثير: وقد أخرجه بقية الجماعة سوى ابن ماجة، وهي بعض الألفاط: «بالليل» فالله أعلم.

وساق ابن كثير في تفسيره طائفة من حكم لقمان مثل: إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك.

ثم ساق هصلا هي الخصول والتواضع، وهصلا آخر هي ذم الشهرة، أو الاشتهار بين الناس بالبدعة أو القسوق، ثم هصلا هي حسن الخاق، ثم هصلا هي ذم الكبر، وهصلا هي ذم الاختيال.

وكلها تتلاقى على رسم صدورة للمؤمن الموصول قلبه بالله، فهو متواضع ملتزم بمكارم الأخلاق، بعيد عن التكرير والتجبّر، يشرّ من البدعة والخروج عن الصراط للمستقيم، وهو ملتزم يهدى النبى ﷺ في رحمته وتواضعه ومراقبته لله، ويعده عن التكبر والتجبّر، وهذ الوصايا النافعة في سورة لقمان، ورد نظير لها في سورة الإسراء، وأيضا ورد وصف عباد الرحمان في سورة الفرقان، ومجموع هذه الوصايا التي وردت في الأيات ٢٢ − ٢٩ من مسورة الفرقان، وفي الأيات ٢٢ − ٢٩ من مسورة الفرقان، وفي الأيات ٢٢ − ١٩ من مسورة لقمان، هذه الواطن الشاركة في القرآن الكريم، كما ورد في السنة المطهرة الشاركة في القرآن الكريم، كما ورد في السنة المطهرة منافعة من الأحلايث النبوية الصحيحة، تحتّ المسلمين على التمسك يروح هذا الدين، مثل التكافل والتراحم والتعان، وأن الموالن والبراحم المنافقة من البدين، والزبا والغرور، وأكل أموال

أى أن القرآن والسنة يتلاقيان في الحث على مكارم الأخلاق، ويحذران من الكبائر والرذائل.

قال ﷺ: وإنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، (٢١).

وقال ﷺ: «إن أحبكم إلى وأهريكم منّى منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكناها، الذين يأتفون ويؤلنون، وإن أبضكم إلى وأبعدكم منّى منازل يوم القيامة، الثرثارون التشدهون المتعيهةون،، هيل: يا رسول الله، مؤلام الثرثارون المتشدهون، هنا للتعيهةون؟ قال: «المتكبرون» (٤٠).

* + +

﴿ الرَّرَوْ الْنَالَةُ سَخَرَاكُمُ مَّا فِي السَّمَوْنِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ طَلِهِرَةً وَيَاطِئَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجُدِلُ فِ اللَّهِ يِعَيْرِ عِلْمٍ وَلَاهُدَى وَلَاكِنْكِ ثُمْنِيرٍ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَمُمُ التَّبِعُواْ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بُلْ نَتَيْعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ مَا بَآهَ نَا أَوْلَوْكَ اَنَ ٱلشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَنْابِ السَّعِيرِ ۞ ﴿ وَلَاهُ مَا مَنْ السَّيْطِ وَلَاهُ مَا مَنْ السَّيْطِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّ

المفردات،

سيحقب و ذلل، والتسخير: سياقة الشيء إلى الفرض المختص به قهرًا.

اسميسية، اتم واكمل.

تعبيم عمد به الإحسان.

بغسبهسسوهلم، بنير برهان من الله.

مسها أنزل الله؛ أي: على رسوله من الشرائع المطهّرة،

ماوچنناطيه آباءنا، يريدون ما عبد آباؤهم من دون الله.

التفسيره

٢٠ - أَلَمْ مَرُواْ أَنَّ اللَّهَ سَحْرَ لَكُم مَّا في السَّمُوات وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَعَ عَلَيكُمْ تَعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِئةً وَمِنَ النَّاسِ
 مَن يُجَادَلُ في الله بِغْرِ عِلْمٍ وَلا هَدُى وَلا كتابٍ غُيرٍ

آثم تشاهدوا أبها الناس من أدلة القدرة الإلهية، أن الله ذلل لكم الاستفادة مما خلق هي هذا الكون، حيث جعل السماء سقفا مرفوعا، وزينها بالنجوم والشمس والقمر، والملائكة والسحاب والمطر. وذلل لكم ما فئ الأرض من النبات والأشجار والأنهار والبحار، والثمار والهواء والفضاء والليل والنهار. والمادن والدواب وما لا يحصى من النمم.

وأسبغ عليكم نعمه الظاهرة منها كالممع واليصس وحسن القامة، وتسوية الأعضاء، كاليدين والقدمين والشفتين واللسان، والبلعوم وللريء والقلب والمدة وسائر الأجهزة، كالجهاز الهضمى والجهاز المصبى والجهاز التناسل والجهاز اللمفاوى، كما أسيغ عليكم النمم الباطئة التى تشاهد آثارها كالهداية والفهم والعقل.

وكم هي بدن الإنسان من تمم لا يبلمها ولا يهتدى إلى العلم بها، ومندق الله العظيم: وإن تَعَدُّوا بَحْمَةُ الله لا تُحَمِّرُها . . . (التحل: ١٨).

فالإنسان مغمور في كل لحظة من لحظات الليل والنهار، بنعم الله السابغة الواشرة، التي لا يدرك مداها، ولا يحصى أنماطها.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّه بِغَيْرِ عِلْمِ وَلا هُدَّى وَلا كَتَابِ مُّنيرٍ .

مع وضوح الأدلة على وجود الله، وظهور آياته في الأفاق، وتمدد نممائه وآلائه، فإن فريقا من المنكرين الجاحدين ينكرون وجود الله، ولا يشكرون ولا يذكرون، ولا يتدبرون ما حولهم، ولا يوشون بالمتمم المتمشل الكريم، وهم في جدالهم لا يمتمدون على كتاب ماثور، أو علم صحيح معقول، أو هداية من رسول يوحى إليه، أو كتاب مبين كالقرآن الكريم.

٢١ - وَإِذَا قِبِلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بِلْ نَتْبِعُ مَا وَجَدَّنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ .

وإذا قبل لكفار مكة أو النضر بن الحارث، وأبّى بن خلف، وأشياههم من الجادلين بالباطل: اتبعوا ما أنزل الله تمالى من الرحى والقرآن على رسوله محمد ﷺ قال هؤلاء الجائزون للكابرون: بل نتيج ما وجدنا عليه آباطا، من عبادة الأوثان، والتقرب إلى الأصنام، فيصدون على التقليد الأعمى الآبلتهم، قل لهم يا محمد: انتهمون الآباء وتصرون على تقليدهم بدون تعقل أو تفكير، وإن كان الشيطان هو الذي يوسوس للآباء والأجداد، ليصدهم عن طاعة الله، ويزين لهم الضائل والكفر وعبادة الأوثان، حتى تكون نهايتهم النار، وعذابها وسعيرها وأهوالها.

وقريب من الآية قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ أَلَهُمُ أَتَّبُمُوا مَا أَنْزِلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ تَشَيَّمُ مَا أَلْفَيْنَا عَلِيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لُو كَانَ آبَاؤُهُمُ لا يَشْقُدُونَ شَيْنًا وَلا يَهْتُدُونَ . (البقري: ١٧٠).

والآية دليل واضع على تحرير الإســلام للمقل والفكر، ووجوب النظر في الدليل والحجة، والبعد عن التقليد والجمود،

قال الألوسى:

وفي الآية دليل على النم من التقليد لن قدر على النظر،

واما اتباع الفهر هي الديّين بمد العلم بدليل ما أنه محق، فاتباع هي الحقيقة لما أنزل الله تمالي وليمن من التقليد المنموم في شيء، وقد قال سبحانه: فأساًلو أهلُ اللّكُرُ إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ . (التحل: ١٤).

* * *

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَحْهَهُ ۚ إِلَى اللّهِ وَهُوَ تُحْسِنُّ فَقَدِ اَسْتَمْسَكَ بِالْمُزْوَةِ اَلْوُفْقَ ۚ وَلَى اللّهِ عَقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۞ وَمَن كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنِك كَفُرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُلِيَّتُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّا اللّهَ عَلِيمُ إِذَا نِ الصَّدُودِ ۞ ثَمَيْحُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُهُمْ إِلَى عَذَا سٍ غَلِيطٍ ۞ ﴾

المضرداتء

يصلم وجسهاه يفوض إلى الله جميم أموره.

مستحسست مطيع لله في أمره ونهيه.

العسروة الواققي، أواق المرى وأمتنها، وهو مثل، وأصله: أن من يرقى إلى جبل شاهق، أو يريد النزول منه، يستمسك بعيل متين مأمون الانقطاع.

ماقبة الأموره مصير الأمور ونهايتها.

فتلب السهم، فتخبرهم.

نَــفُــطـرهـــم، تلجثهم ونلزمهم. صــــداب فلهخاه، عذاب شديد ثقيل، ثقل الأجرام الفلاظ.

التفسير

٢٢ - وَمَن يُسلَمُ وَجَهَهُ إِلَى اللَّهَ وَهُو مُحْسنٌ فَقَد اسْتَمْسنَكَ بِالْقُرُوةَ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّه عَاقبَةُ الأُمُورِ .

ومن يفوض أمرء إلى الله، ويعتمد عليه سيحانه، مع إخلاص القلب وطهارة النية، فقد تمسك بالمروة الوثنى، والحيل القوى المتين.

والأصل في المروة الوثقي: أنها الحيل القرى الذي إذا أراد إنسان صمود جيل أو التزول منه تملّق به، فهي تعبير ممثور لبيان أن الملم الخلص لله، المقمد عليه، متمملك ياقوي سبب، وأوثق قوة.

وَإِلَى اللَّهُ عَاقِبَةُ الأُمُورِ .

أى: مصير الأمور ونهايتها إلى الله، ومن وجد الله وجد كل شيء، ومن فقد الله فقد كل شيء،

قال ابن كثير: فَقَد استمسنكَ بالعُروة الْوَثْقَى . . . أي: فقد أخذ مونقا من الله متينا أنه لا يعذَّبه.

وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير:

أوثق المرى جانب الله، لأن كل ما عداه هالك منقطع، وهو باق لا انقطاع له.

٢٢ - وَمَن كَفر فَلا يحزُّنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجَعُهُمْ فُننِّئُهُم بِمَا عَملُوا إِنَّ اللَّه عَليمٌ بذَات الصَّدُور .

يقابل القرآن بين موقف المؤمن المستممك بحبل الله تمالى، وموقف الكافر، فيقول للنبي 藥؛ لا تحزن ولا تبتئس بإصرار الكافرين على الكفر، وإعراض المشركين عن دعوة القوحيد، فكل هؤلاء سيرجمون إلى الله تمالى في الأخزة، فيملمهم باعمالهم، ويحاسبهم ويجازيهم جزاء عادلاً من جنس أعمالهم، فالله تمالى مطلع على ما في نفوسهم، وخبير بخبيئة القلوب ودخيلتها، قال تمالى على لسأن لقمان الحكيم:

يًا بُنيُ إِنْهَا إِن تَكُ مُفَعَالَ حُبُّةٍ مِنْ خُرِدُلَ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ لِي السَّمُواتِ أَوْ فِي الأَوْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللّهَ لطيفٌ خَبِيرٌ . (انتدان 17).

جاء في صفوة التفاسير للشيخ محمد على الصابوني:

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . أي: عليم بما في قلوبهم من المكر والكفر والتكذيب فيجازيهم عليه.

٢٤ - نُمَتُهُمْ قَلِلاً ثُمَّ نَصْطَرُهُمْ إِلَىٰ عَنَابِ غَلِيظً .

هؤلاء الكفار يتمتمون في الحياة الدنيا بما يستمتع به الكافر من زينة الدنيا ويهجتها، لكنه في الآخرة يلجأ لجوء للضطر إلى عذاب شديد اليم، يضيّق عليه في جهنم، وإذا شاهد الوان المذاب والضيق، رأي أنه لم ير نمهما قمل في الدنيا، بالنسبة لما هو فهه من الوان العذاب.

قال تعالى: مَنَاعٌ في اللُّنْيَا ثُمُّ إِلَيَّنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُدْيِقُهُمُ الْمَدَابِ الشُّدِيدَ بِمَا كَانُوا يكَثّْمُرُونَ . (يونس: ٧٠).

وقد عبر القرآن عن متاع الدنيا بأنه فليل، لأن الآخرة هي الحياة الحقيقية البرزخية الأبدية.

قال تعالى: قُلْ مَنَاعُ الدُّنِّيَا فَلِيلَّ وَالآخِرَةُ خَيرٌ لَمَن اتَّفَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَعِيلاً . (التساء: ١٧).

وقال سبحانه وتعالى: بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنِّيَا ﴾ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ . (الأعلى: ١٦ ، ١٧).

وفى الحديث النبوى الشريف: «إذا دخل الؤمن الجنة، قال الله تمالى له: يا عبدى هل رأيت بُوُّسنًا قطه. فيقول: لا يا ربّ ما رأيت بؤسًا قطةً، وإذا دخل الكافر جهنم، قال له الله تمالى: يا عبدى هل رأيت نميمًا قطةً فيقول: لا يا ربّ لم أر نميمًا قطه (¹¹⁾.

ةالكافر من هول ما يرى من المذاب الغليظه يهون ويضعف ويذهب فى سبيل البعد عنه كل تعيم، فيقول: يا رب ثم أر نعيما قطه يجوار ما أنا فيه من العذاب.

قال تمالى: وَإِنَّ الدَّارَ الآخرةَ لَهِيَ الْحَيْوَانُ لُو كَانُوا يَعْلَمُونَ . (المنكبوت: ١٤).

أى أن الحياة الحقيقية الأبدية السرمدية هي حياة الآخرة،

* * *

﴿ وَلَهِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلَ ٱحْتَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللّهَ هُوَٱلْغَنِيُّ ٱلْحَيِيدُ ۞ ﴾

التقسب

٧٥ - وَلَكِن صَأَلْتُهُم مُنْ خَلَقَ السَّمَوَات وَالأَرْضَ لَيْقُولُنَّ اللَّهُ قُل الْحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ .

أقسم حمّا أنك يا محمد إذا سألت مؤلاء المشركين: من الذي خلق المحماوات والأرض؟ فإن أجابتهم ستكون خلقهن الله.

ههذه المسماء المرفوعة الممتدة المائية، لا يرفعها ولا يمسكها غير الله، وهذه الأرض للبسوطة الممتدة الواسمة الأطراف طولا وعرضا، لا يحقظها غير الله، والفطرة السليمة تشهد بأن هذا الخلق البديع المنظم لا يقدر على خلقه غير الله، ولم يدُّع أحد أنه خلق السماوات والأرض، ولابد لهما من خالق، لأن كل مخلوق لابد له من خالق، ولن يكون هذا الخالق إلا الله.

قُلِ الْحَمْدُ لَلَّه . . .

الحمد لله الخالق القادر، الحمد لله الذي أودع هي فطرة الإنميان الاعتراف بالحق، وبالعظمة والقدرة لله، والحمد لله على كلَّ حال.

بَلُّ أَكْثَرُهُمُ لا يَعْلَمُونَ .

أى: أكثر المشركين لا يعلمون من له الحمد، ومن له الخلق والأمر، ومن يستحق المبادة، ومن ثمّ يجادلون ويجهلون منطق الفطرة ودلالة هذا الكون على خالته العظيم. 27 - لله مَا في السُّمُواتِ والأرضِ إِنَّ اللَّهِ هُوْ الفتيُّ الْحِمِيدُ .

الله تمالى له ما فى السماوات من أملاك وأفلاك، وأبراج وشموس وأقمار وغير ذلك، وله ما فى الأرض من خلق وشجر ونهر، وبعر وجبل وسهل وغير ذلك، له سبحانه ما فيهما ملكا وخلقا وتصرفا، وليس ذلك لأحد سواه، فلا يستحق المبادة فيهما غيره، إن الله تمالى هو، الْفَتِيُّ . عن جميع خلقه، الْحَمِيدُ . المحمود على سائر صفاقه والطافه وإنمامه.

قال تمالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقُرَاءُ إِلَى اللَّهَ وَاللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . (ظاطر: ١٥).

﴿ وَلَوْ أَنَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةِ ٱقْلَندُّ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ. مِنْ بَعْدِهِ. سَبْعَةُ ٱلجُحْرِ مَانِفِدَتْ كَلِمَتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزُ عَكِيدٌ ۞ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَابَعْثُكُمْ إِلَّاكَنَفْسِ وَحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِعْ بَصِيدُ ۞ ﴾

التفسده

٧٧ - وَلُو أَنْمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَوَةَ أَقْلامُ والبَحْرُ يَمُدُهُ مِن يَعْدُهِ سَيْعَةُ أَيْحُرٍ مَا نَفِدَتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنْ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

تدل الآية على سمة علم الله تعالى، فكمالاته تمالى لا تحدُّ، وقدرته وعلمه وإرادته وسائر صفاته لا حدود لها.

ويضرب القرآن مثالا معسوسًا، حيث كانت الناس تكتب بالقلام البوم،، وتملأ الدواة أو الزجاجة بالحير لكتاباتها المحدودة، فأفاد القرآن أن جميع ما في الأرض من أشجار لو تحوّلت إلى ألفلام، والبحر تحوّل إلى مداد، لتكتب كلمات الله وآياته ومطوماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات الله، ولو جثنا لهذا البحر بسيمة أبحر مثله، وتحولت البحور إلى مداد لتكتب آيات الله وكلماته، فستقد البحور كلها قبل أن تنفد كلمات الله وآياته.

إن الله عُزِيزٌ. غالب مقتدر، حَكِيمٌ . في تصرفاته فلا يخرج عن الحكمة ما يتكلم به.

وهي معنى الآية يقول الله تصالى: قُل لُو كَانَ ٱلبَّحْرُ مِدَادًا لِكَلِّمَاتِ رَبِّي لَقَدَ ٱلبَّحْرُ قَبَلَ أن تَعَفَّدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جُمْنَا بِعِنْكُهِ مَدْدًا . [الكيف: ١٠٩].

وقد ذكر ابن كثير وغيره أن سبب نزول هذه الآية ما يأتي:

قال الشركون: إنما هذا الكلام الذي يأتى به محمد يوشك أن ينفد، فقال تمالى: وَلُو أَنَّمَا فِي الزَّرْضِ مِن شَعِرَةَ أَقَلَامٌ . . . وعن ابن عباس: أن أحبار بهود قالوا للنبي ﷺ: أرأيت قولك: وما أُوتِتِم مِّن أَفَظُمُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿ (الإسراء: ٥٨) ـ إيانا تريد أم قومك؟ فقال ﷺ: وكلا عنيت، فقالوا: أنست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شيء؟ فقال ﷺ: وإنها في علم الله قليل، وعندكم من ذلك ما يكفيكم، وأنزل الله فيما سألوه عنه من ذلك: ولُوْ أنّما في الأرْض من شُجِرَة قُلامً ٢٠٠٠ هـ . ١ هـ .

قال العلماء: والمراد بالآية الإعلام بكثرة معانى كلمات الله، وهى غير متناهبة هن نفسها، وإنما هرب الأمر بهذا للثال لأفهام البشر بما يتناهى؛ لأنه غاية ما يمهده البشر من الكثرة، لا أنها تنفد بأكثر من هذه الأفلام والبحور ...

قال الألوسي: والراد بكلمات الله تمالي، كلمات علمه سبحاته وحكمته.

وقيل: المراد بها: مقدوراته، وعجائب خلقه، والتي إذا أراد سبحانه شيئًا منها، قال له كن فيكون. أ ه. .

وفي التفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ما يأتي:

ليمن المراد بذكر المدد في قوله: سبعة أبعر . خصوص المدد، وإنما المراد الكثرة، واختير ع<mark>دد سبعة</mark> بخصوصه من بين الأعداد، لأن كثيرا من المعودات التي لها شأن سبع، كالسماوات، والكواكب السهارة، وإيام الأسبوع، إلى غير ذلك. 1 هـ.

ومما يستحق التأمل أننا الآن في عام ١٤٢١ هـ بعد مرور أكثر من أربعة عشر قرنا على ذول القرآن الكريم، وقد كنب في تفسير القرآن الكريم أكثر من ثلاثة آلاف تفسير، فضالا عن كتب علوم القرآن ويلاغته وإعرابه وإعجازه، وما يتمثل به من دراسات متعددة، ولا يزال القرآن الكريم مصدر هداية وإعجاز وإرشاد، ومع تقدم العلوم والتقنية، فإن هذا التقدم العلمي، لم يصطدم بأي حقيقة علمية ذكرت في القرآن، بل إن العلم الحق أصبح يؤكد ويؤيد ويتناسق مع ما ذكره القرآن.

وفي كتاب: «التوراة، والإنجيل، والقرآن في ضوء العلم»، للمستشرق موريس بوكاي ما يفيد الآتي:

تكلمت التوراة عن بدء الخليقة، وعن أمور تاريخية وعلمية، واصطدمت أخبار التوراة بحقائق العلم، وكذلك الأناجيل، لكن القرآن تكلم عن خلق الكون، وخلق آدم ومراحل تكون الجنين في بطن أمّه، وانتهاء إحساس الجد بالمذاب بعد احتراقه، وأهمية الحديد والمسلب في الصناعة والعلم، وتنوع الاختراعات والابتكارات في الجد بالمذاب بعد احتراقه، وأهمية الحديد والمسلب في الصناعة والعلم، وتنوع الاختراعات والابتكارات في القل العلم، وفي أقاق النفمن، وتطور وسائل المواصلات، ونقص الأوكسجين في طبقات الجو العليا، واضطاراب الكون عند نهاية الدنيا، وتحول الشمس إلى ما يشبه النجوم القزمة، وتسيير الجبال، وتشقق السماء وانطماس ضوء النجوم، وانمحاق الشمس والقمر، وتبديل الأرض والسماوات، وغير ذلك من الحقائق التي أيدها العلم، ولا يزيدها التقدم العلمي إلا تأييدا وتصديقا، مما يؤيد أن القرآن هو حقائك المال، وأنه ممجز، خصوصا أنه نزل على نبى أمن، خلال القرن المادس المبلادي، ولم تكن اكتشفت حقائق علمية كليرة عرفت فيما بعد.

فالدورة الدموية مثلا يعتبرها العلماء من ابتكار مارفى فى القرن العاشر المبالادى، وهذه الحقيقة جاءت على لسان نبى امَّى هى قول القرآن الكريم: ۚ وَإِنْ لَكُمْ فِى الأَنْمَامُ لِعَبْرُةَ تُسْقِيكُم مِّمًا فِي بِلُونِه من يَبْنِ فَرْتُ وذم قِبَا خالصاً مناقطً للشَّارِين . (العمل: ٢٦).

وكذلك هوله تعالى: صَرْبهِم آياتنا في الآفاق وفي أنفُسهِمْ حَىٰ يَبَيْنُ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُف بِرَبَكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلُّ شِيْءَ شَهِيدٌ . (هسلت: ٥٠).

والخلاصة: القرآن كلام الله حقا، ومعانيه وآدابه وأحكامه وتشريعاته وهداياته، لا نهاية لفضلها وبركتها.

كما قال سبحانه؛ وَلَوْ أَنْمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةِ أَقَلامٌ وَالْبَحْرُ يُمُدُّهُ مِنْ بَعْدِه مَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدتُ كَلَمَاتُ الله إِنَّ اللَّهُ عَرِيرٌ حكيمٌ.

٢٨ - مَا خَلْقُكُمْ وَلا يَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنْفُس وَاحَدَةَ إِنَّ اللَّهَ صَمِيعٌ بَصِيرٌ .

قدرة الله لا حدود لها فهو على كل شيء قدير، وخلق الخلائق جميما من أول آدم إلى قيام الساعة هين على الله تمالى كطلق نفس واحدة، ويمت جميع الخلائق وإخراجهم من قبورهم، وإعادة الحياة إليهم للحماب والجزاء هين على الله تمالى، كيمت نفس واحدة، لأن الله على كل شيء قدير، فهو يصدر الأمر مرة واحدة لا يكرره،

قال تعالى: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَزَادَ شَيًّا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ . (يس: ٨٢).

وهال تمالى: وهُوَ الذِي يَسْدُأُ الْحَاقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وهُو أَهُونَ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثْلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَواتِ والأَرْضِ وهُو الْفَرِيزُ الْعَكِيمُ . (الروب: ٢٧).

قال ابن كثير:

أي: ما خلق جميع الناس، ويعثهم يوم لليماد بالنسبة إلى قدرته إلا كتسبة خلق نفس واحدة، الجميع هين عليه.

قال تمالى: وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَّمْحِ بِالْبَصِرِ . (القمر: ٥٠).

اى: لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة فيكون ذلك الشيء، لا يحتاج إلى تكراره وتوكيده.

إِنَّ اللَّهُ سَمِيعٌ بُصِيرٌ .

أى: كما هو مدميع لأقوالهم بصير بأهمالهم، كسمعه ويصره بالنسبة إلى نقس وأحدة، كذلك قدرته عليهم كقدرته على نقس وأحدة.

ولهذا قال تعالى: مَا خُلَقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسِ وَاحِدَةَ إِنَّ اللَّهَ صَمِيعٌ بَصِيرٌ .

﴿الْمَرَانَّالَهُ مُولِحُ الْتَلَ فِالنَّهَارِ وَيُولِحُ النَّهَارَفِ الْيَّلِ وَسَخَّرَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُكُلُّ يَجْرِيَ إِلَّى أَجَلِ مُّسَتَّى وَأَنَّ اللَّهُ بِمَا تَسْمَلُونَ جَيِدُّ الْكَانِلُانِ إِنَّ اللَّهُ هُوَالْحَقُّ وَالْاَمُلُونُ عَنِيدِهِ اللَّهِ الْمَالِكُ الْمَاسَةُ وَالْحَرْبِيعْمَتِ مِن دُونِهِ الْلَيْطِلُ وَأَنَّ اللَّهُ هُو الْحَرْبِيعْمَتِ مِن دُونِهِ الْلَيْكِ وَالْعَلَى الْمَالِكُ الْمَاسِلُونِ اللَّهُ الْمَالِكُ اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَيْهُم مُّمَّا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ الْمُعْلِقُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُولِ اللَّهُ الْمُنْ الْمُعْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

المفردات،

سولى الشياب بدخل الليل، والمراد: أنه يضيف الليل إلى النهار، والمكس بالمكس، فيتضاوت بذلك حال [حدهما زيادة ونقصانا.

سيحسب ميروذال.

كل يجسسون كل يسير سيرًا سريمًا.

إلى أجل مسمى، قيل: هو يوم القيامة، وقيل: هو منتهى دورتهما.

بتمسمسة الله: بما تحمله من الطعام والمتاع ونعوهما.

<u>هـ ـ هـ ـ يـ هم،</u> غطاهم وأحاط بهم.

معقبة عصده سالك للقصد المنويّ من التوحيد.

ف إنك لو رأيت أبا عدميس ملأت بديك من غلو وختر

تمهيده

تمند الأيات جانبا من دلائل القدرة الإلهية، والنم المتمندة من الله على عباده، ومن هذه آلنهم ما ياتي: ١ - زيادة الليل هي الشتاء والنهار هي الصيف، وتسخيرُ الشمس والقمر طلوعاً وأهرلاً.

٢ -- الله هو الحق، والأصنام والأوثان باطل.

- السفن تسير في البحر، تحمل نعم الله من القمح والشعير والأغذية، والفواكه والملابس وسائر الامتمة.
 ليستفيد من ذلك المُتندِّر والستورد.
- د راكب البحر يتعرض لهيلج البحر، فيخلص في الدعاء، فإذا هدأ البحر ووصل إلى اليابسة، فالناس فسمان:
 مؤمن شاكر، وكافر حاحد.

التفسيره

٢٩ – أَلَمْ مَرَ أَنْ اللهُ يُولِحُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِحُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ وَسخْر الشَّمْسُ وَالْقَمْرَ كُلُّ يَجْرِي إلى أَجْلِ
 مُسمَّرٍ وَأَنْ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيِرٌ .

الم تنظر أيها الماقل، أو يا كلّ من يتأتى منه النظر، أن الله يطيل الليل فى الشتاء، قياخذ الليل من ساعات النهار، من الشتاء، قياخذ الليل من ساعات النهار، تدريجيا، حتى يصل أقيل إلى أربع عشرة ساعة، ثم يقصر الليل تدريجيا، حتى يصل فى المسيف إلى عشر ساعات، والنهار إلى أربع عشرة ساعة، وقد ذلل الشمس والقمر، وخلقهما مسخرين، تعلل الشمس فى ميمادها، تمالاً الشهار، وتتنظيم منها الإنسان والحيوان والنبات، والنفضاء والهواء والأقلاك والأقمار، وقد منخر الله القمر قيبدا هلالاً صغيرا، ثم يكير تدريجيا حتى يصبح بدرًا كامار، ثم يتاقس فيرجع صغيرا كما بدا، وإذا انتهى أمر الدنيا أنمدم ضوء الشمس، وأنمدم ضوء الشمس والقمر بيًّران مسخران إلى أمد محدد، هو يوم القيامة، أو نهاية عمرهما حيث تصبح الشمس من النجوم النورة.

قال تمالى: إِذَا الشُّمْسُ كُورَاتُ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَفَرَتْ . (التكوير: ٢،١).

أى: إذا انتهت وظيفة الشمس والنجوم، قامت القيامة وبدأ الحساب والجزاء.

وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ .

فهو سبحانه مطلع وشاهد، يرى كل شىء، لا تخفى عليه خافية، وسيحاسب الإنسان على عمله، ويجازيه عليه جزاء السميع البصير الخبير.

٣٠ - ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلَيُّ الْكَبِيرُ .

ما تراه من آثر القدرة الإلهية في الخاق والمراقبة والإيجاد والعدم، واختصاص الباري سبعانه وحده بذلك، ثابت بسبب أن الله وحده هو المتحقق في ذاته، وفي جميع صفاته، والكمالات النائقة بربوبيته، فهو سبعانه الحقيقة الأبدية، هو آلأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، هو سبعانه حي لا يموت، والجن والإنس يموتين، وكل ما نراه متغير و فأن، والله وحده الدائم الباقي. قال تعالى: كُلُّ مَنْ عليها فات ، بيقي وَجُهُ رَبِّكَ ذُو الْجلال والإكرام . (الرحمن: ٢٧،٢٦).

هما بي من الأس من أصنام وأيقار وأشجار؛ وآلهة متعددة، بأمال ليس له حقيقة الألومية، فلا إله إلا الله، وأن الله سبحانه هو العلى الكبير، التمالي على جميع الأشياء، الكبير عن أن يتصف بنقص، أو أن يكون له شريك.

٢١ - ٱلله تَوَ أَنَّ الفَّلُكُ تُجَرِي فِي الْبَحْرِ بِنعْمَت اللَّه ليُريَكُم مَنْ آيَاته إِنْ فِي ذَلكَ لآيَات لِكُلِّ صَبَّارٍ شُكُورٍ .

من شأن القرآن أن يلفت أنظار الناس، وأن يرشدهم إلى أنعم الله حواهم، فقد سبق أن لفت نظرهم، إلى ما في المرض ما في السماء، من تسخير الشمس والقمر، والله في الأرض ما في السماء، من تسخير الشمس والقمر، والله وي الأرض والبحر، فنمثلك والسفن تجرى فوق سطح للماء، وتحركها الرياح التي سخرها العليم القدير، فأنهم الله تحركها، وهي في نفس الوقت تحمل التجارة والطعام، والفواكه والأرزاق، من بلد إلى آخر فيستفيد المسدَّر والمستورد، ويربح التاجر ويستفيد الناس، وفي هذه النعم دلائل بيئات، لكل صبار كثير الصبر على الباساء، شكور كثير الشماء.

فالصير نصف الإيمان، ومن دلائل الإيمان الصير على البأساء، والشكر على التعماء، والرضا بالقضاء.

وراكب البحر إذا كان مؤمنا صبر على الأنواء والرياح الماتية، منتظرًا الفرج، فإذا سارت الريح رخاء وهدا الوج شكر الله تمائى على أنممه فهو الجدير بأن يرى آيات الله أمامه، متمثلة في أنممه المديدة، فيصبر على الشدائد، ويشكر الله على النمم المتمددة، كما قال تمائى:

لِيُرِيَكُم مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتِ لِكُلِّ صَبَّارِ شَكُورٍ .

وقال سبحانه وتعالى: أَبْن شَكُرتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لشَدِيدٌ . (إبراهيم: ٧).

٣٢ - وَإِذَا غَشِيهُم مُوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعُوا اللَّهُ مُخْلَصِينَ لَهُ الدِّين . . .

تصورٌ هذه الآية طبيعة الإنسان، فهو في الشدة والكرب يلجـاً إلى الله لجوه المسطر، وعندما يكون في البحر وتشتد الرياح، ويرتفع الوج ويطلل الناس من شدة ارتفاعه، كانه غمامة فوق رءوسهم، هإنهم يستولى عليهم الهلع والجزع، ويطافون الموت، فيخلصون في الدعاء لله تعالى أن ينجيهم من هذه الكارثة.

فَلَمْ نَجَاهُمْ إِلَى الْبَرِ فَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَارِ كَفُورٍ .

هَإِذَا اَستَجَابِ الله الدعاء، ونجاهم من البعر إلى البر، ووطنت أقدامهم اليابسة، وجدناً بعض الناس مستمراً على إيمانه وإخلاصه، فهو مقتصد مقيم على القصد، أى: الطريق السوىٌ وهو التوحيد، باق على الإخلاص الذى كان عليه في البعر عند القرع. كما نُجِد أن بعض الناس قد رجع إلى الغُدْر والكفر، فلا يذكر لله فضلا، ولا يشكر لله نُعمة.

وَمَا يَجْحُدُ بَآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خُتَارِ كُفُورٍ .

وما ينكر نعم الله وفضله، إلا كل غادر شديد الفدر، كفور شديد الكفر.

جاء في تفسير القرطبي:

قال ابن عباس: مُقتمةً . موف بما عامد عليه الله في البحر.

وقال النمَّاش: يعنى عدلٌ في العهد، وفيُّ في البرُّ بما عاهد عليه الله في البحر.

وقال الحسن: مُقتعبدٌ . مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة.

وقيل: في الكلام حذف، والمني: فمنهم مقتصد، ومنهم كافر، ودلٌّ على المحدوف قوله تعالى:

وَمَا يَجْحُدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كُفُورٍ .

الختار: الغدَّار، والختر: أسوأ الغدر،

قال عمرو بن معد يكرب:

ف إنك لو رأيت أبا عسسسر سلات بديك من غَلْم وخَ غُرِ

قال الجوهري: الختر: الغدر، يقال: ختره فهو ختار، وقال عطية: إنه الجاحد،

أ والخلاصة:

ان أنمم الله متمددة، ومن بين هذه النمم استجابة دعاء المضطرين، ونجاة الكرويين من قاب العاصفة، إلى البر والسلام والأمان، وبعد النجاة تجد المؤمن الشاكر، والختّار الشديد الغدر، والكفور الجاحد، الذي يجحد آيات الله وينكرها، بعد أن شاهدها بمينيه. ﴿ يَتَأَيُّهُ النَّاسُ اَتَقُواْ رَيَّكُمْ وَاَخْسُواْ يَوْمَا لَا يَعَزِي وَالِدُّ عَن وَلَدِهِ وَلا مُولُودُ هُوجاذِ عَن وَلِدِهِ سَيْتًا إِنَّ وَعَدَ اللَّهِ حَقَّ فَلاَ تَغُرَّنَكُمُ الْحَيَوْةُ الدُّنِيَ الْمَلَّا عَلَيْ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْكُ وَعَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولِكُ اللَّهُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُوالِكُولِ اللَّهُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُونَالِلْمُ اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُونَا اللْفُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ الْعَلَالِمُ اللَّهُ عَلَالِمُ اللَّهُ عَلَيْ

الف دات:

التقيين (يكم خافوا عقابه.

واخسشموا يومساء هو يوم القيامة.

فسلاتفسرنكم، فلا تلهينكم ولا تخدعنكم.

الـهُون الشيطان، أو ما غرّ الإنسان من مال وجاه، وشهوة وشيطان،

المسماعسة: القيامة.

القسيث الطر.

مسا في الأرحسام؛ ما في أرحام النساء من صفاته وأحواله، ومستقيله وعمره ورزقه، وشقى أو سميد.

ومسسساتدرى، وماتعلم.

التفسيره

٣٣ – يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَقُوا رَبُكُمْ وَاخْشُواْ يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالدَّ عَن وَلَدِهِ ولا مُوْلُودٌ هُوَ جَازِعَن وَالِدِهِ شَيَّنًا إِنَّا وَعُد اللَّه حَلُّ فَلا تَفُولُكُمُ الْحَيَاةُ الدَّنيَّا ولا يَفرُكُم باللَّه الْفَرُورُ.

في ختام سورة لقمان ياتى هذا النداء الإلهى للناس اجمعين، يدعوهم للإيمان بالله ومراقبته وهواه، أي خشيته والخوف من معميته، والالتزام بطاعته، والخوف من الحساب والجزاء يوم القيامة، حيث يشتد الهول ويشيب الوليد، وينهل الإنسان سكران من غير مسكر، في ذلك اليوم تكون المسئولية هردية، ويتحمل كل إنسان جزاء عمله، فلا ينفع الأب أبنه، ولا يقضى عنه شيئا، وكذلك المولود لا ينفع أباه ولا يقضى عنه شيئا، هكل إنسان مرتهن بعدله، إن وعد الله تعالى بمجيء القيامة، ومحاسبة الناس حق، وصدق لا خلف فيه.

فَلا تَغُرُّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا . . .

بمشاغلها وأموالها، وما فيها من مناصب رجاه وسلطان، وتجارة وعمارة، يتنافس الناس فيها، فالعاقل من جمل الدنيا مزرعة الآخرة، واستثمر دنياء هي إعمار آخرته، فأقام المملاة وآتي الزكاة، وأدّى الواجبات، واجتب المنهات.

ولا يفُرَّنَّكُم بالله الْفَرُورُ .

لا تفرنكم متع الدنيا، من الشباب والمال والجاه والشيطان.

قال الراغب؛ الفّرور كل ما يفرّ من مال وجاه وشهوة وشيطان.

وقال غيره؛ لا يفرنكم الشيطان بتزيين الماصي، وتأخير التوبة، حتى يفاجئكم الموت.

قال في ظلال القرآن:

ولًا يَتُونَكُم باللَّه الْغَرُورُ ، من متاع يُلهى، أو شنل يُلمى، أو شيطان يوسوس هى الصدور، والشياطين كلير، الغرور بالمال شيطان، والغرور بالعلم شيطان، والغرور بالنُمُر شيطان، والغرور بالقوة شيطان، والغرور بالساطان شيطان، ودهمة الهوى شيطان، ونزوة الشهوة شيطان، وتقوى الله وتسوَّر الآخرة هما العاصم من كل غرور.

٣٤ – إِنَّ اللهُ عندُهُ عَلَمُ السَّاعَةَ وَيُتَوِّلُ الْفَيْثُ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسُ مَاذَا نُكَسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسُ ابْكِ أَرْسِ نَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٍ ٌ

هذه الآلية ختام سورة لقمان، وتمرض جانبا من مظاهر علم الله تمالى، فهو سبحانه علام الفيوب، وتذكر الآية خمسة أمور:

- إنّ الله عندة علم السّاعة . فهو سبحانه المستاثر بمعرفة يوم القيامة، لا يعلم ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل،
 لا يُجليها لوقتها إلا هُو تُقلَت في السَّمَوات والرُّوش لا تأتيكُم إلا يُختَّ ... (اكمراف: ١٨٧).
- ولمل حكمة ذلك أن يظل الإنسان مترقبا الموت، فقد يأتى فجأة ف*ى لي*ل أو نهار، وهى الأثر : من مات فقد. قامت قيامته.
- ويَتْرَلُ أَفْتُتُ . فهو مبحانه الذي يرمل المطر في وفته، بلا تقديم ولا تأخير، وفي بلد لا يتجاوزه إلى غيره،
 ويمقدار تقضيه حكمته،
- ويعَمَّمُ ما في الأَرْحَام . ههو سبحانه العليم بكل ما يتصل بهذا الجنين، من رزق وعمر، وهداية أو ضلال، وإن
 علم الإنسان ما يتصل بنوع الجنين من ذكورة أو أنوثة، فإنه لا يعلم شيئا عن مستقبله وأجله ورزقه وشقاوته
 أو سعادته.
- ع رما تدري نفس مُذاذ تكسب غفاً . لا يعلم الإنسان ماذا يكسب غدا من خير أو شر، ومن نفع أو صر، ومن يسر أو مسر، ومن سلعة أو مرض، ومن طاعة أو معصية، كل ذلك في أمر الغيب، يعلمه عالام الغيوب وحده، وشاعت حكمته أن يخفى ذلك، ليستمر تعلق الإنسان بريّه، ودعاؤه له وصلاته، فهو سيحانه يقول: ادمُوني أَسَّجِب كُمُّ . . . (غافر: ١٠).

ه – وَمَا تَدْرِي نَشَيْ بَأَيِّ أَرْضِ نَمُوتُ . اى: لا يدرى احد اين مضجعه من الأرض، اهى بحر ام هى بر، ام هى سهل ام هى جبل.

إِنَّ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .

هو سبحانه عالم الفهب مطلع على الظاهر والباطن، محيط علمه بكل كبيرة وصفيرة، خبير بخفايا النفوس ويوامانها وظواهرها.

قال تعالى: وَعندَهُ مَفَاتِحُ الْفَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوْ وَيَقَلُمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةَ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ سُجَّة فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبِ ولا يَاسِ إِلاَّ فِي كَتَابِ مُبِينَ . (الانعام: ٥٠) .

شهذا العلم الشامل لكل ما هى الغيب، وللبر والبحر، وللأشجار والأوراق، وللورقة الساقطة من هوق الشجر، ولكل حية هى ظلمات الأرض، وللأرض اليابسة والأرض التى غمرتها المياه، كل ذلك مسجل فى علم الله الذى لا يحول دونه حائل، من ليل أو نهار، أو أرض أو سماء، أو غائب أو شاهد. إنّ اللهُ عَلِيمٌ خَيِرٌ .

روى البخارى، ومعلم، عن ابن عمر، ان رسول الله ﷺ، قال: مضاتح الفيب خمس: إن الله عنده علم الساهة، وينزل الفيث، ويعلم ما هي الأرحام، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدًا، وما تدرى نفس بأيّ أرض تموت، إن الله عليم خييره(^(ه)).

وأخرج ابن المنذر، عن عكرمة، أن رجلا يقال له: الوارث بن عمرو بن حارثة جاء إلى النبي ﷺ، فقال:
يا محمد، متى قيام الساعة؟ وقد اجديت بلادنا فعتى تخصب؟ وقد تركت امرأتى حيلى فما تلد؟ وقد علمت ما
كسبت اليوم فماذا اكسب غداً؟ وقد علمتُ بأى أرض ولدتُ، فياى أرض أموت؟ فنزلت الآية: إنَّ اللهُ عندهُ عِلْمُ
السَّاعَةَ وَيُتَزِلُ الْفَيْثُ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ عَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ أَمَاذًا تَكْسِبُ عَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ أَمَاذًا تَكْسِبُ عَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بأَيْ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهُ
عليمٌ خَيرٌ

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

خلاصة ما اشتملت عليه سورة لقمان

- ١ القرآن هداية ورحمة للمؤمنين.
- ٢ قصص من ضل عن سبيل الله بغير علم، واتخذ آيات الله هزوا.
- ٣ وصف العالم العلوى، والعالم السفلي، وما فيهما من العجائب الدالة على وحداثية الله.
 - أ قصص لقمان، وإيتاؤه الحكمة، ثم نصائحه لابنه.
- ٥ النعى على المشركين في ركونهم إلى التقليد، إذا دعوا إلى النظر في الكون وعبادة الله.
- ا تعجيب الرسول من المشركين، حيث يقرون بأن الله هو الخالق لكل شيء، ثم هم يعبدون معه غيره ممن هو مخلوق مثلهم.
 - ٧ -- نعم الله ومخلوقاته لا حصر لها.
 - ٨ الأمر بالنظر إلى الكون وعجائبه، تنسترشد بذلك إلى وحدانية الصائم.
 - ٩ الأمر بالخوف من عقاب الله يوم لا يجزي والد عن ولده.
 - ١٠ مفاتيح الفيب الخمسة التي استأثر الله بعلمها.
 - ١١ إحاملة علمه تمالى بجميع الكائنات ظاهرها وبأطنها.



أهداف سورة السجدة

سورة السعدة مكية، وآياتها ٣٠، نزلت بعد سورة غافر، وقد نزلت سورة السعدة هي المرحلة الأخيرة من حياة المسلمين بمكة، إذ كان نزولها بعد الإسراء وقبيل الهجرة.

أسماء السورة:

لسورة السجدة ثلاثة أسماء:

الاسم الأول، صورة السجدة، لاشتمالها على سجدة التلاوة هي هوله تمالى: إِنْمَا يَزُبِّسُ بَآبَاتُنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكّرُوا بِهَا خُرُواً سُجِّنًا وَسَبُّوا بِمِحْدِ رَبِهُمْ لا يَسْتَكِرُونَ . (السجدة: ١٥).

الأسم الثاني؛ سجدة لقمان (٤٦)، للتمييز عن حم السجدة، وهي سورة فصلت.

الاسم الثاث: المضاجع، لقوله تعالى: تُتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ . . . (السجدة: ١٦).

مخاطبة القلوب

سورة السجدة نموذج متميز من نماذج الخطاب القرآني للقلب البشري، بالمقيدة الضخمة التي جاء
القرآن ليروقظها في الفطر، ويركزها في القلوب، وهي عقيدة الدينونة لله الأحد، الفرد الصعد، خالق الكون
والناس ومدير السماوات والأرض وما بينهما، وما فيهما من خلائق لا يعلمها إلا الله، والتصديق برسالة محمد
أله الموحى إليه بهذا القرآن لهداية البشر إلى الله، والاعتقاد بالبمث والقيامة، والحساب والجزاء.. هذه هي
التضية التي تعالجها السورة، وهي القضية التي تعالجها مسائر السور المكية، كل منها تعالجها بأساوب خاص،
ومؤثرات خاصة، تلتقى كلها في أنها تخاطب القلب البشرى، خطاب العليم الخبير المطلع على اسرار هذه القلوب
وخفاياها، العارف بطبيعتها وتكوينها، وما يستكن فيها من مشاعر، وما يعتريها من تأثرات واستجابات في جميع
الأحوال والطروف.

وسورة السجدة تمالج تلك القضية بأسلوب وبطريقة غير آسلوب وطريقة سورة لقمان السابقة، هي
تعرضها هي آياتها الأولى، ثم تمضى بقيتها تقدم مؤثرات موفظة لللقلب، منيرة للروح، مثيرة للتامل والتدبر كما
تقدم أدلة وبراهين على تلك القضية، معروضة هي صفحة الكون ومشاهده، وهي نشأة الإنسان وإطواره، وهي
مشهد من مشاهد اليوم الآخر حافل بالحياة والحركة، وهي مصارع الفابرين، وآثارهم القاطعة الناطقة بالمبرة
لن يسمع لها ويتبر منطقها.

وكذلك ترسم السورة صورا للنفوس المؤمنة هي خشوعها وتطلعها إلى ربها، وللنفوس الجاحدة هي عنادها ولجاجها، وتعرض صورًا للجزاء الذي يتلقاه هؤلاء وهؤلاء، وكأنها واقع مشهود حاضر للميان، يشهده كل قارئ نهذا القرآن.

وفى كل هذه المعارض والشاهد تواجه القلب البشرى بما يوقظه ويحركه ويقوده إلى التأمل والتدبر مرة. وإلى الخرف والخشية مرة، وإلى التطلع والرجاء مرة، وتطالعه تارة بالتحذير والتهديد، وتارة بالإطماع وتارة بالإقتاع .. ثم تدعه فى النهاية تحت هذه المؤثرات وأمام تلك البراهين، تدعه لتفسه يختار طريقه، وينتظر مصيره على علم، وعلى هدى، وعلى توره (٤٠٧).

أفكار السورة ونظامها

تبدا سورة السجدة بالحديث عن القرآن، وتبين أنه حق من مند الله، وتبين قدرة الله وعظمته، فهو خالق السماوات والأرض، وهو المهيمن على الكون، وهو المدير للأصر كله، وهو الخالق للإنسان، الذي وهبه السمع والبصر والإدراك، والناس بعد ذلك قلهلا ما يشكرون، ويذلك عالجت قضية الألوهية وسفقها: صفة الخلق، وصفة التدبير مذكورة في سياق آيات الخلق والتكوين، وتستقرق هذه الجموعة بما فيها صفة الإحسان، وصفة الإنمام، وصفة العلم، وصفة الرحمة، تستقرق من أول السورة إلى الآية ؟ .

ثم تتجدث الآيات عن إنكار الكافرين للبعث والحساب، وتجهيهم بأن البعث حق، وتمرض مشهدا من مشاهد القيامة يقف شيه المجرمون أذلاء يملئون يقينهم بالآخرة، ويقينهم بالحق الذي جاءتهم به الدعوة المحمدية.

وإلى جوار هذا المشهد الباش الكروب تعرض مشهد المؤمنين هي الدنيا وهم يعبدون الله، ويسجدون لمظمته، ويقومون الليل بالصلاة والعبادة، ثم تبشرهم بحسن الجزاء: فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أَخْفَيَ لَهُم مَنْ قُرَةً أَعْينِ جَزَاءُ بَما كَانُوا يَعْمُونَ . (السجد: ١٧).

ثم تشير الآيات إلى أن منطق المدالة يأبى أن يستوى الثومن والقاسق، فقد اختلفا فى العمل فى الدنياء. فيجب أن يضتلف الجزاء فى الآخرة، فللمؤمنين جنات المأوى، وللقاسقين عذاب منوَّع فى جهنم، وتستفرق هذه المجموعة الآيات من (١٠ - ٢٢).

وفى الآيات الأخيرة من السورة ترد إشارة إلى موسى عليه المىلام، ووحدة رسالته ورسالة محمد والمهتدين من قومه.

وتمقب هذه الإشارة جولة في مصارع الغابرين من القرون وهم يمشون في مساكنهم غاطين، ثم جولة في الأرض الميتة ينزل عليها الماء بالحياة والنماء فيتقابل مشهد البلي ومشهد الحياة في سطور، ويتسامل الكشار في أستخفاف عن موعد يوم الفصل بين الفرية بن، ويجيب القرآن بأنه إذا أتى يؤمنون بصدقه، فلا ينفعهم إيمانهم. ولا يمهلون ليستدركوا ما فاتهم.

وتختم السورة بترجيه الخطاب النبي ﷺ إن يعرض عنهم، وأن ينتظر ما يحل بهم من جزاء لمنادهم وكفرهم، قال تمالى: ويَقُولُونَ مَنى هَذَا الْفَتَحُ إِن كُتُمُ صَادَقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَشَعُ الّذِينَ كَفُرُوا إِيَّانُهُمْ وَلا هُمْ يَنظُرُونَ * * فَاعُرضُ عَنْهُمْ وَانظُرْ أَنْهِمْ مُنظُرُونَ . (السجنة، ٢٨ - ٢٠).

وتختم الصورة على هذا الإيقاع العميق، بمد ثلث الإيحاءات والمشاهد والمؤثرات، وخطاب القلب البضري بشتى الصور التى تأخذه من كل جانب، وتأخذ عليه كل طريق.





﴿الَّمْ ۞ مَٰزِنُٱلْكِتَٰبِ لَارْبَ فِيهِ مِن زَّبِ ٱلْمَنْكِينَ ۞ أَمْ يَقُولُوكَ ٱفْتَرَنَةُ بَلْهُوَٱلْحَقُّ مِن زَّيِكَ لِتُنذِرَقَوْمَا مَّا أَتَنْهُم مِن نَّذِيرِ مِن فَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْمَنُوك۞

المفردات:

المسسسم؛ حروف للتحدُّى، والتنبيه على إعجاز القرآن الكريم، أو هي كالجرس الذي يُقرع؛ هيتنبه التلاميذ لدخول المدرسة.

تنزيل الكتساب، أنزل القرآن،

لاريبوفسيسه، لاشك فيه.

السيتسراه، اختلقه من عند نفسه.

بسل هسو الحسق، القرآن هو الحق الثابت المنزل من الله.

المستسملان التغوف وتحذّر.

ما أتاهم من تثير؛ إذ كانوا أهل الفترة، لعلهم يهتدون بإنذارك إياهم.

التفسير

١ - ألَّمَ .

أحرف للتعدى وبيان إعجاز القرآن الكريم، فهو مؤلف من حروف عربية ينطقون بها، وقد عجزوا عن الإتيان يمثل القرآن الكريم، فدلًا ذلك على أنه ليس من صنع بشر، ولكنه تتزيل من حكيم حميد،

وقيل: هي أدوات للتتبيه، وإثارة الاهتمام، كالجرس الذي يقرع هينتبه التلاميذ لدخول المدرسة، فكذلك إذا هرعت اسماع المرب هذه الأحرف، التي لم يالفوا سماع امثالها نتبهوا، هيقرا القرآن عليهم ما بعدها من الآيات،

٢ - تَنزِيلُ الْكَتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَبِّ الْعَالَمِين .

هذا القرآن الكريم، لاشك أنه منزل من عند الله رب المالمين، على رسوله محمد ﷺ، فليس سحرا ولا شمرا ولا كهانة، وتكنه كلام الله خالق الناس أجمعين. ٣ - أَمْ يَقُر لُونَ اقْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَبُّكَ لَتَنذَر قَوْمًا مَّا أَنَّاهُم مَن نَذيرٍ مِن قبلك لَعلَّهُمْ يَهْتَدُونَ .

بل يقول كفار مكة: محمد قد افترى القرآن واختلقه من عند نفسه، وادعى أنه وحي من السماء وما هو بوحي.

بَلْ هُوْ الْحُقُّ مِن رَبِّك . . .

القرآن حق من عند الله خالق الكون، والقرآن تشريع إلهى عادل، لا تضارب فيه ولا تتاقض، بل هو تشريع عادل منصف، يخاطب القطرة الإلهية، ويواجه الناس أجمعين، الأمى والمتعلم، البر والفاجر، المؤمن والكافر، فهو هداية السماء، وحقيقة الوحى، أنزله الله رب العالمين.

لتُنذرَ قُوْمًا مَّا أَتَاهُم مَن نُذيرِ مَن قَبْلكَ لَعَلَهُمْ يَهْتَدُونَ .

أرسل الله محمدًا ﷺ إلى العرب خاصة، وإلى الناس عامة، وكانت رسالة إسماعيل عليه السلام إلى جمه من العرب المارية، ومرت فترة طويلة بين إسماعيل ومحمد ﷺ، فلم يرسل رسول في هذه الفترة إلى قريش، ولا إلى المناسبة إلى المناسبة الإقريش، وقريش من العرب المستعربة التي هي من نسل إسماعيل وجرهم، وكان محمد ﷺ، والى رسول إلى قريش، ولا يعرف التاريخ رسولا بين إسماعيل عليه السلام جد العرب الأول، وبين محمد ﷺ، وقد انذل عليه القرآن الكريم ليندرهم به.

لْمَلَّهُمْ يَهْتَكُونَ . إلى شرع الله والإيمان به وياليوم الآخر.

* * *

﴿ اللّٰهُ ٱلَّذِى خَلَقَ السَّمَوٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَايَنْهُ مَافِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُرَّاسَّوَىٰ عَلَ ٱلْمَرْشِ مَا لَكُمْ مِن دُونِهِ مِن وَلِيْ وَلَا شَفِعُ أَفَلَا نَتَذَكَّرُونَ ۞ يُنَيِّرُ ٱلْأَمْرَمِنَ السَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمُّرَسَّنُ مُ إِلَيْهِ فِي يَوْمِ كَانَ مِقْدَارُهُ ٱلْفَ سَنَقِمِمَّا تَمُدُّنِ ۞ ﴾

المقردات،

هي ســــــــــة أيام؛ في ست مراحل من مراحل الخاق والتكوين، نقــدر عند العلماء بـ ٦ مليارات سنة، ولم تكن مثل أيام الدنيا، حيث ثم يكن هي ذلك الوقت شمس أو قمر.

دم استوی، دم استولی.

على العسسريَّ، العرش أعظم الخلوقات، وهو لغة: سرير الملك، والقصود: قام وحده بملك كل شيء، وتدبير سماواته وارضه بعد خلقهما. من ولى ولا شفيع، من ناصر ينصركم، ولا وسيط يشفع لكم.

يدبرالأمسسر؛ بدير أمر الدنيا مدة بقائها، على وجه الإنقان ومراعاة الحكمة.

التفسيره

٤ - اللهُ الذي خلق السُمُوات والأرض وما بينهُما في ستَد أيام ثُمَ استُوى على العرش ما لكم من دونه من ولمي
 ولا شفيم الخلا تذكّرُون

الله تمالى هو الذى خلق السماوات وما فيها من أهلاك وأبراج وأملاك، وشموس وأقصار ونظام بديع، مرت عليه ملايين السنين، دون أن يصيبه خلل أو اضطراب، وكذلك خلق الأرض وما فيها من جبال وبعار وأثبار، وليل ونهار، ورياح وفضاء وهواء.

وَمَا بِيَهُمَا . . . من فضاء وهواء وكاثنات لا يحيط بحقائقها إلا الله الواحد القهار .

في سنّة أيّام . . . في ست مراحل من مراحل الخاق والتكوين، حيث كان الكون كرة ملتهية، مرت بها مراحل متمددة، تنتفصل السماء وترتقع، وتنفصل الأرض وتتبسط، ويكون بينهما خاق وسيط من الفضاء والهواء، وقد مرت سنة بلاين سنة على خلق هذا الكون حتى صار صالحا للعياة ^(AA).

قال في ظلال القرآن:

تلك الأيام الستة قد تكون ستة أطوار مرت بها السماوات والأرض وما بينهما، حتى انتهت إلى ما هي عليه، أو ست مراحل في النشأة والتكوين، أو ستة أدهار، لا يعلم ما بين أحدها والآخر إلا الله.

وهي على أية حال شيء آخر غير الأيام الأرضية، التي تمارف عليها أبناء الفناء، فاتأخذها كما هي، غيبا من غيب الله، لاسبيل إلى ممرفته على وجه التعديد.

إنما يقصد التمبير إلى تقرير النديير والقمير في الخلق، وفق حكمة الله وعلمه، وإحسانه لكل شيء خلقه، في الزمن والمراحل والأطوار القدرة لهذا الخلق المظيم. "

ثُمُّ اسْتُوكَ عَلَى الْعَرُّشِ . . .

ثم استولى على ملك الأشياء، ودبّر ملكه بعد تمام خلقه، لم يعنه في ذلك أحد، ولم يعتج إلى نصير أو شريك، فقدّروا فدرته، واشكروا نمعته.

مَا لَكُم مَن دُونه مِن وَلِي وَلا شَفِيعٍ ...

إنه سيحانه وتمالى المالك للكون والمدير له، وهو الإله الواحد، شاهمىندو واعيدوه، همن ترك عبادته لا ينقمه ناصر ينصره، ولا وسيعل يشفع له، أو يعقع عنه عذابه، أو يجيره من بأسه.

أَفْلا تَتَذَكُّ و دُ

وتذكّر هذه الحقيقة يرد القلب إلى الإقرار بالله، والاتجاه إليه وحده دون مواه.

٥ - يُدبّرُ الأَمْرُ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمُ كَانَ مَقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةَ مَمَّا تَعُدُونَ .

يدير أمر الكون كله في العالم العلوى والسفلي، ثم يصعد إليه أثر الأمر وتنفيذه بواسطة الملائكة، وهذا تمثيل لعظمة الله، وامتثال المخلوقات جميعا لمواده وتدبيره، كالحاكم المطلق الذي يصدر أوامره، ثم يتلقى من أعوانه ما يدل على تنفيذها.

قال الألوسيء

والمراد بمروج الأمر إليه بمد تدبيره - سبحانه - وصول خبر رجوده بالفمل كما دبر، إظهارا لكمال عظمته وعظيم سلطانه، وذلك كمرض الملائكة عليه أعمال العباد الوارد في الأخبار. أ هـ. (باختصار).

وفى تفسير القرطبى ما يأتى:

وقبال ابن عبياس؛ للشي كان مقداره لو سيار غيير لللك ألف سنة، لأن التزول خمصيمائة والصعود خمسمائة، وروى ذلك عن جماعة من المسرين، وهو اختيار الطيري، ذكره المهدوى...

والمني؛ أن جبريل لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم من أيامكم، ذكره الزمخشري.

وقيل: معنى: في يَوْمِ كَانَ مَقْدَارُهُ أَلْفَ صَنَةً مَمَّا تَعَدُّونَ .

ترهع الأُمُور الحاصلة هي الدنيا صغيرها وكبيرها إلى الله تدالي يوم القيامة ليفصل فيها، ويحكم هي شائها، ويوم القيامة مقداره الف سنة من أيام الدنيا، التي نمدّها هي هذه الحياة.

والمراد من الألف: الزمن المتطاول الذي هو في لمة المرب أقصى نهاية المدد،

وهي موضع آخر وصف الله تعالى مقدار هذا اليوم بخمسين الف سنة، قال تعالى: تَعُومُ الْعَلاكُذُ وَالُووْحُ إِلَّهُ فِي يَوْمُ كَانْ مُقْدَارُهُ خُمْسِينَ أَلْفُ سَنَةً . (المارج: ٤).

قال القرطبي: للعنى أن الله تمالى جمله هى صعويته على الكفار كخمصين ألف سنة، قاله ابن عباس، والعرب تصف أيام الكروه بالطول، وأيام السرور بالقصر، قال شاعرهم:

ويوم كظلّ الرمح قصّر طوله دم ُ الزقِّ عنّا واصطفاق المزاهر

وقيل: أن يوم القيامة فيه أيام، فمنه ما مقداره آلف سنة، ومنه ما مقداره خمسون الف سنة (١٩).

من تفسير ابن كثير:

يُدَبِّرُ الأَفْرِ مِنَ السَّمَاءَ إلى الأَرْضَ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ . . .

أى: ينتزل أمره من أعلى السماوات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة، كما قال تعالى:

that the second second second

الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزّلُ الأمرُ بينهن . . . (الطلاق: ١٢).

وترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بينها ويين الأرض خمسمائة سنة، وسمك السماء خمسمائة سنة.

وقال مجاهد والضحاك؛ النزول من اللك هي مسيرة خمسمالة عام، ومسوده هي مسيرة خمسمالة عام، ولكنه يقطعها هي طرفة عين، ولهذا قال تمالي: في يرَّم كان مُقَدَّرُهُ أَلْنُ سَنَّةً مَنَّا تَمُلُونُ . ; هـ.

أي: في يوم عظيم، هو يوم القيامة، طوله ألف سنة من أيام الدنيا لشدة أهواله.

* * *

﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ ٱلْعَنْبِ وَٱلشَّهَدَةِ ٱلْمَزِيرُ ٱلرَّحِيمُ ۞ ٱلَّذِي ٓ أَحَسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَةٌ مَوبَدَاً خُلْقَ ٱلْإِنسَنِ مِن طِينِ ۞ ثُرَّجَعَلَ نَسْلَةُ مِن سُلَلَةٍ مِّن مَآءٍ مَّهِينِ ۞ ثُمَّ سَوَّدَهُ وَفَغَخَ فِيهِ مِن تُّومِيةٌ وَحَمَلَ لَكُمُّ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصَدَرَ وَٱلْأَنْفِيةٌ فَلِيلاً مَالمَشْكُرُون ۞ وَقَالُوۤ ٱلْوَآ أَءِ ذَاضَلَلْنَافِ ٱلأَرْضِ أَءِ اَلْفِي خَلْقِ جَدِيدٌ بِيْلَ هُم بِلِقَآ ء يَتِمْ كَفِرُونَ ۞ ۞

المفردات:

الفــــــينه ما غاب عن الخلق وخفي.

الشيهادة، ما شاهدوه ورأوه.

العسرين النبع في ملكه.

السرحسسسيم؛ بأهل طاعته، وفيه إشارة إلى أنه تمالي يراعي مصالح الناس تفضلا وإحسانا.

احسب سن اتقن ونظّم وحماً، وأبدع.

الإنسان، آدم.

ئىسسىلىك، دريته.

- الله الله عند الله النظمة، أو متبذل لا يعتني به.

المسكواه؛ قوّمه بتصوير أعضائه على ما ينبغي وأتمّه.

ضللنا في الأرض: خفينا وتحللت فيها أحزاؤنا.

التفسيره

١ - ذَلَكَ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ .

ذلك المثرر لهذا الكون، هو سبحانه المالم بجميع الأشياء، ما غاب منها وما حضر، وهو الخالق المسيطر المدير، وهو المزيز القوى القادر الفمال لما يريد، الرحيم بالمؤمنين الطائمين شإنه يشملهم يرحمنته في الدنيا والآخرة.

٧ - الَّذِي أَحْسَنَ كُلُّ شَيْء خَلَفَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسَان من طين .

لقد اتقن وأبدع كل شيء خلقه في هذا الكون، فالطير في الهواء، والسمك في الماء، والشمعس والقمر والليل والنهار، والهوام والنيات والإنسان، بل حتى العين والأنف والأنن واللهاة والأصابع، والأجهزة المتعددة في جمعم الإنسان مثل: الجهاز الهضعى، والجهاز المصبى، والجهاز اللمفاوى، كل شيء خلقه الله آية في الإبداع والجمال، وأداء الوظيفة التي يؤديها، فهو سبحانه بديم المعاوات والأرض.

قال تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ النَّيْلِ وَالْهَهَارِ لِآيَاتِ لاَّوَلِيَّ الْأَنْ قِيَّاماً وَقُمُودًا وَعَلَىٰ جَنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْق السَّمُواتِ وَالأَرْضِ رَبَّنا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطلاً سَبَّحَانَكُ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. (ال عمران: ١٩٠٠- ١٩١٤).

وقال سبحانه وتعالى:

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِينِ ﴿ وَفِي أَنفُسكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿ وَفِي السَّمَاءَ رِزَقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿ فَوَرَبُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقَّ مِثَلًا مَنْ أَلْكُمْ تَتَطَقُونَ ﴾ (الداريات: ٢٠ - ٣٣) .

هَ آيات الإبداع والجمال والإتقان ظاهرة في كل شيء، في السماء والأرض، والإنسان والحيوان والنبات، والدنيا والآخرة، كل ذلك بيد الله: الذي أُحْسَنُ كُلُّ شَيْءً خَلْقَهُ ... أي: أتقن وأبدء الخلق لكلّ مخلوقاته.

«انظر .. هذه التحلة، هذه الزهرة، هذه التجمة، هذا الليل، هذا الصبح، هذه الطلال، هذه السُحب، هذه المسهميّ المارية في الوجود كله، هذا التناسق الذي لا عوج هيه ولا شهوره (*9).

كل ذلك بيد الخالق المبدع، قال تعالى: و خَلْقَ كُلُّ شَيْءٍ فَقَدُّرُهُ تَقْديرًا . (الفرقان: ٢).

وقال تمالي: مَا تُرَىٰ في خَلْق الرُحْمَنِ مِن تَفَاوِّت . . . (اللك: ٢٠ .

فسبحان الله، والحمد لله على جليل نممائه وهدايته، الذي خلق وأبدع، وقدم الهداية للإنسان ليتأمل في هذا الكون البديع، وفي نفسه وخلقه.

وبدأ خُلُق الإنسان من طين .

وبدأ خلق آدم أبي البشر من طين، والطين مكوِّن من ماء وتراب.

وعند التأمَّل نجد أن القرآن الكريم تحدَّث عن خلق الإنسان من تراب ومن طبي، ومن سلالة ومن حما مسنون، ومن صلصال كالفخار، وكلها مراحل مرّ بها خلق الإنسان، حيث كان ترابا، ثم خلط بللاء فتحول إلى طبن، ثم ترك الطبن فترة فتحول إلى حما مسنون، ثم تحوّل إلى صلصال كالفخار، ثم نفخت فيه الروح.

٨ - ثُمَّ جَعَلَ نُسْلَهُ من مُلالَة مَن مُاه مُهين .

ثم جمل ذرية الإنسان يتناسلون من امتزاج نطفة الرجل بماء المرأة الذى فيه البويضة، التي تتلقح بنطفة الرجل، فيتم التوالد والتناسل، ويقاء النوع الإنساني من خلاصة ماء ضعيف، ممتهن عادة وهو الذيّ.

٩ - ثُمَّ سُوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ وجعَلَ لَكُمُ السَّمْعِ وَالأَبْصَارِ والأَقْعَدَةَ قَلِيلاً مَّا تشْكُرُونَ .

أتم الله خلق الإنسان وتسرية أعضائه، وتحول هن بطن أمّه من نطفة إلى علقة إلى مصنة إلى عظام، ثم كسا الله المظام لحما، ثم نفخ الله هيه الروح، وجمل الله له السمع ليسمع، والبصر ليبصر، والفؤاد ليفهم ويفقه، وأنمم عليه باجل النمم، بيد أن الإنسان ظليلا ما يشكر ربّه على هذه النمم الجليلة، بل كثيرا ما يقابل ذلك بالكفرد والكفر.

قال تعالى: وقليلٌ من عبادي الشكورُ . (سبا: ١٣).

١٠ - وَقَالُوا أَتَلَمَا صَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَتَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلَ هُم بِلِقَاءِ رَبِهِمْ كَافِرُونَ .

أى: إذا دهناً هى الأرض وتحولنا إلى لحم ودم ورفات وعظام بالبه تختلط بتراب الأرض، وغبنا فيها وامتزجنا بلجزائها، بدون تمييز بيننا وبين ترابها، أنجمع مرة أخرى ونبعث من جديد، هما أبعد الخلق والحهاة مرة أخرى، بعد أن يصبح الإنسان ترابا باليا غائبا هى الأرض.

بل هُم بلقاء ربهم كافرون .

إنهم نظروا إلى قدرتهم المحدودة، وقاسوا عليها قدرة الله، وهو سبحاته يقول للشيء كن فيكون، وهو سبحانه على كل شيء قدير، فهو سبحانه قادر على إحيائهم، وبعث الحياة فهم كما خلقهم أول مرة.

إنهم أذكروا البعث والحشر، والحساب والجزاء والمقاب، فاستبعدوا الحياة بعد الموت، وأنكروا قدرة الله على البعث والحشر، بل اعتقدوا ما هو أشتع من ذلك حيث كفروا باليوم الآخر.

وهي معنى هذه الآية، قال القرآن الكريم:

وَصَرَبُ لَنَا مَثَلاً وَنَسِي خُلِقَهُ قَالَ مَن يُبحِي العظام وهي رَمِيمٌ هِ قُلُ يُبحِيها الذي أنشأها أول مرّة وهُو بكُلّ خُلق غليمً . (١٠٠، ١٧٩.٨)

وقال سبحانه وتمالى: كَمَا بَدَأَنَا أُولَ خَلْق نُعِيدُهُ . . (الأنبياء: ١٠٤) .

وقال القرطبى:

بلُ هُم بِلْقَاءِ رَبِهِمْ كَافْرُونَ .

أى: ليس لهم جمعود قدرة الله تمالى عن الإعادة لأنهم يمترهون بقدرته، ولكنهم اعتقدوا أن لا حساب عليهم، وأنهم لا يلقون الله تمالى.

﴿ قُلْ اَنْوَفَكُمُ مَاكُ الْمَوْتِ الَّذِي ثُوَلِ اِيكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْحَعُون ۞ وَلَوْتَرَىٰ إِذ الْمُجْرِيُّون نَاكِسُوا رُبُوسِمِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْمَرْفَا وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلُ صَلِيحًا إِنَّامُوفَنُون ۞ وَلَوْشِنْ أَنَا الْأَنْذَا كُلُّ نِثَمَا كُلُ نَفْسٍ هُدَنهَا وَلَكِئنَ حَقَّ الْقُولُ مِنَ لاَمْلاَنَ جَهَنَمُونَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمِين ۞ فَذُوقُوا عِمَا فَي اللَّهُ اللَّهُ الْمَالَانَ مَعْمَلُونَ ۞ هَلَا إِنَّالَ الْمَالِدِينَا أَنْ اللَّهُ الْمُعْلَقِيلُ اللَّهُ الْمُلْلُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنَالُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْلِيلُولُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنَالُولُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْسِلَةُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْالِيْلَالِ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْالِ اللَّهُ الْمِنْ الْمُنْ الْمُ

المفردات،

يت وفياكم، يقبض أرواحكم، يقال: توفاه الله، أي: استوفى روحه وقبضها.

تاك سو رموسهم؛ خافضوها ومطأطئوها حياء وخزيا.

أبصب من البعث.

وسسم منك تصديق الرسل فيما كنبناهم فيه.

فسارج عناه إلى الدنيا.

مبسوقة ون، الآن ولم يبق لنا شك.

هــــاهــا؛ رشدها وتوفيقها إلى الإيمان.

حق القسول مني: ثبت قضائي وسبق.

الجسسة، الحن.

بما نسب يستم، بما تركتم لقاء اليوم الآخر وذكره، فالنسيان مشترك بين الغفلة والترك العمد.

نسب سيناكم؛ تركناكم في المذاب ترك النسي.

التفسيره

11 - قُل يَتُوفَاكُم مَلكُ الْمُوْت اللِّي وَكَالَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى وَبَكُمْ تُرْجَعُونَ .

أى: قل للمشركين يا محمد: إن ملك الموت الموكّل بقبض أرواحكم سيقبضها هي الوقت المحدد لانتهاء الأجل. ثُم إِنْ رَبِّكُمْ تُرْجُونَ ثُمُ إِنْ رِبِّكُمْ تُرْجُونَ .

بالبمث والحساب والجزاء، وهو تهديد لهم ووعيد،

وللحظ أن الله تمالى أضاف الموت إلى الملائكة، فقال: تُوفُّهُ رَسُلُنَا وهُمْ لا يُقرِّطُون . (الأنمام: ٦١) .

وأضافه إلى ملك الموت في هذه الآية، فقال: قُلْ يَتُوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمُوتُ الَّذِي وُكُلِّ بِكُمْ

قال القرطبي: واسمه عزرائيل، ومعناء عبد الله، وتصرفُّه كله بأمر الله تعالى، فهو سبحانه الفاعل حقيقة لكل فعل، قال تعالى: اللَّهُ يَتِرَقَّى الْأَنْضُ حِينَ مُوتِهَا وَأَثْنِي لُمْ تَمْتُ فِي صَامِها . . (الزمر: ١٢).

وقال تعالى: هو الَّذِي يُحْيى ويُميتُ . . . (غاهر: ٦٨).

وقال تعالى: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لَيَالُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً . . . (اللله: ٢) .

هملك الموت يقيض، والأعوان يعالجون، والله تعالى يزهق الروح، وهذا هو الجمع بين الآي والأحاديث.

وروى عن مجاهد: أن الدنيا بين يدى ملك الموت، كالطست بين يدى الإنسان، يأخذ من حيث شاء، وقد وي هذا المنى مرفوعًا.

وروى أن ملك الموت لما وكُلّه الله تمالى يقيض الأرواح، قال: رب جملش أذكر يسوء، ويشتمنى بنو آدم، فقال الله تمانى: إنى أجمل للموت عللا وأسهايا من الأمراض والأسقام، ينسبون للوت إليها، فلا يذكرك آحد إلا بخير، وروى أن ملك الموت يدعو الأرواح فتجيئه ويقبضها، ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة أو العذاب (٥١).

واو ترى يا صحمه، والخطاب له والمراد أمته، أو كلُّ من يتأتى منه الرؤية من المخاطبين، والقرآن هنا يعرض مشهدا من مشاهد القهامة حاضرا، حيث يشاهد هؤلاء المجرمون المكتبون بالبحث، وقد حشروا يوم القيامة يعلوهم الخزى والخجل، حيث طأطأوا روسهم عند حساب ريهم وملكوته وتصرفه، وقد تبينوا الحقيقة وأيقنوا بصدق الرسل، وقالوا: يا رينا، أبصرنا بأعيننا حقيقة البعث والجزاء، وسممنا بأذائنا تصديقك للرسل فيما أرسلوا به، وأيقنًا بصدق البعث والحماب والجزاء، فارجمنا إلى الدنيا مرة أخرى لنعمل عملا صالحا، بعد هذا اليقين والتأكد من صدق البعث والجزاء.

لو شاء الله لمنح كل نفس تقواها وإيمانها، لكنه ميز الإنسان بالمقل والإرادة والاختيار، وهداء النجدين وبين له الطريقين، وأرسل له الرسل، وانزل الكتب، وبين له ادلة الإيمان هي مذا الكون ومخلوقاته، وحركات اللهل والنهار، والنوم واليقظة، وشروق الشمس وطلوع القمر، وارتفاع السماء وانيساط الأرض، وخلق البر والبحر والهواء والفضاء، والنّبات والرياح وسائر المخلوقات، كل هذه ادلة تأخذ بيد الإنسان إلى الإيمان، والهداية عن تبصّر وتفكر.

لكن الكافر أو الفاجر يرفض استخدام عقله وهكره ولَبُّه، ويقاوم سُبُل الهداية، ويصر على الكَشر والفجور والكتود، وقد أقسم الحق سبحانه أن يملاً جهتم بالمصاة وأتباع إبليس، كما أن المُؤمنين أهل لطاعة الله في الدنيا ودخول جنته في الآخرة.

ِ جاء هي تفسير القاسمي ما يأتي:

ولو شئنا لآتينا كُلُ نَفْسِ هُدَاهَا . . . اي: تقواها .

وَلَكِنْ حَنَّ الْقُولُ مني . . . أي: في القضاء السابق.

لأَمْلُانُ جَهِّمُ مِن الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِنَ . أي: سبق القول، حيث قال تعالى لإبليس عند قوله: ولأغْرِيَّهُمُ أَجْمَعِنَ ﴿ إِلاَّ عِبَادُكُ مِنْهُمُ النَّمُ قَلْمِينَ ((الحجر: ٢٩٠ -٤). فرد عليه سبحانه: قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿ لأَمْلُانُ جَهَنَمَ حِكُ وَمِثْنَ تَمِكُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ . (من: ١٨٤ هـ).

أي: فبمورجب ذلك القول لم نشئاً إعطاء الهدى على المموم، بل منعناء عن أتباع إيليس، الذين هؤلاء من جملتهم، حيث صرفوا اختيارهم إلى الفيّ والقماد، ومشيئته تمالي لأفمال العباد منوملة باختيارهم إياها، فلمّاً لم يختاروا الهدى، واختاروا الضلالة، لم يشـًا إعطاء الهدى لهم، وإنما آتاه الذين اختاروه من النفـوس البـارّة. فيكون مناط عدم مشيئة إعطاء الهدى فى الحقيقة، سوء اختيارهم لا تحقق القول. أفاده أن السعود ^(٥).

وهي تخصيص الجن والإنس، في قوله تمالي: الأَمَّلانَّ جَهِتَم منكَ ومِن تَبِمكَ منهُم أَجِمعين . إشارة إلى أن الله عصم ملاككته من عمل يستوجبون به جهنه.

12 - فَلْدُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يُومِكُمْ هَذَا إِنَّا نِسِينًاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْد بِمَا كُتُتُمْ تَعْمَلُونَ .

تصنف الآية مشهدًا من مشاهد القيامة، حيث يقال للكافرين المرضين عن الإيمان: ذوقوا وتمرضوا لآلام المذاب في جهنم، بسبب أنكم أهملتم الاستمداد ليوم القيامة، ولم تقدموا له عملا ينفعكم فيه، فاهملتم هذا اليوم وعاملتموه معاملة الناسي له، المهمل نشأته، وقد عاملهم الله ينفس عملهم وجازاهم من جنس سُلوكهم، فأهملهم وتركهم في العذاب، وعاملهم معاملة الناسي لهم، والله تعالى لا ينسي شيئًا، ولا يضلُ عنه شيء، ولكن قابل نسيانهم وإهمالهم ليوم القيامة، بإهمالهم وتركهم في جهنه، وهذا ما يسمى بأسلوب القابلة أو الشاكلة.

قال تمالى: وَقِيلَ الْيُومُ نَسَاكُمُ كَمَا نَسِيتُمْ لَقَاءَ يَوْمُكُمْ هَذَا ... (الجائية: ٢٤).

وقال تعالى: نُسُوا اللَّهَ فَنسيَهُمُّ . . . (التربة: ١٧).

ويقال لهؤلاء الكفار توبيخا وتأكيدا:

وَذُوقُوا عَذَابِ الْخُلْد بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون .

أى: اصلوا عداب جهنم خالدين فيها أبدًا، جزاء كفركم وأعمالكم السيثة، ونلحظ منا تكرار القول لهم، حيث قال لهم أولاً:

فَلُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ ثَقَاءَ يَوْمُكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ . . .

ثم كرر القول لهم للإشعار بأن سبب المذاب لهم مجرد ما ذكر من النمبيان، بل له آسباب آخر من فنون الكفر والماصى التي كانوا مستمرين عليها في العنيا.

فقال سبحانه: وَذُوقُوا عَلَاكِ الْخُلُّد بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

ثم أسدل الستار على المشهد، وقد قيلت الكلمة الفاصلة فيه، وتُرك المجرمون لمسيرهم المهين.

﴿ إِنَّمَا يُوْمِنُ مِثَايِنِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ اَسَجَّكَ وَسَبَّحُواْ بِحَمَّدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونِ ﴾ ۞ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِع يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَفَنَنَهُمْ يَنْفِقُونَ ۞ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا ٱخْفِى كَثُمْ مِّن قُرَّةٍ أَعَيُنِ جَزَّةً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞﴾

المطردات

تكسروا بهساء وعظوا

خبروا سنجكأه سقطوا ساجدين،

الوُسطُسوب، جمع جنب، وهو الشَّق أو الجانب الأيمن أو الأيسر.

المنسساجع: واحدها مضجع، وهو مكان النوم.

خواسا وعامسها، خوفا من عذايه، وطمعا في ثوايه.

من قسسرة أعين، من شيء نفيس نقرَّ به أعينهم وتسرّ.

تمهيده

عقب الحديث عن جزاء الكافرين في جهنه، تعرض الآيات مشهد المؤمنين الذين يستحقون أهضال الله ومنته في الجنة، هؤلاء المؤمنون خاصعون ساجدون لله تعبدًا وطاعة وعدم تكبر، وهم في ظلام الليل ورغبة الجسم في النوم، يقاومون هذه الرغبة بالقيام والدبادة والتهجد، فاستحقوا النميم الذي لا مثيل له من السعادة وقرة المين.

وهي ممتى الآيات يقول عبد الله بن رواحة:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الصبح ساطع ببيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

التفسين

١٥ - إِنَّمَا يُؤُمِنُ بِآيَاتِنَا اللَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجُّنًا وَسَبَّحُوا بِعَمَد رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يستكبّرون .

يقارن القرآن بين موقف الشركين وعذايهم، وموقف الثرمتين ونعيمهم، فقد تحدثت الآيات السابقة عن موقف الخزى والهوان والمذاب للمجرمين، وهنا تتعدث الآيات عن مشهد وضيء يتناول صفات الثرمتين. ومعنى الآية: إذا امنتع المجرمون عن الإيمان، فإن للإيمان قرمًا هداهم ألله إليه، ومن صفاتهم أقهم إذا سمعوا آيات الله، أو وعظهم واعظ وذكرهم بأندم الله، وقموا على الأرض ساجدين للَّه، سجود عبادة خالصة، وجمعوا في سجودهم بين التسبيح والحمد، أي قالوا: سبحائك اللهم رينا ويحمدك اللهم اغفر لنا، حال كونهم متواضعين خاشمين لله، غير مستكرين ولا ممتندين عن السجود لله، والامتثال لأمره.

١٦ - تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبُّهُمْ خُولًا وَطَمِعًا وَمَمَّا رَزْقَاهُمْ يُنفقُونَ .

هؤلاء الزمنون يسلُّون لله تطالى فى أوقات ينام فيها الآخرون، ويقندون بالرفاد، مثل الصلاة بين المنرب والمشاء. أو صلاة المشاء فى جماعة، والنجر فى جماعة، أو التهجد فى الثلث الأخير من الليل، وهو وقت غارت فيه النجوم، ونامت الديون، ويقى الله الواحد القيوم.

والعقي، من صفات المُزمَّنين مناجاة ربهم بالليل، حين يعب الأخرون الرقاد، فإنهم يقرمون لله عابدين، بهجرون المضجم والسرير والرقاد، ويتطهرون ويصلون لله خاتُفين من عذامه، طاممين في رحمته.

ضعّيدتهم سليمة، وعبادتهم وصلاتهم وخضوعهم ودعاؤهم للَّه؛ متحقق بصورة طيبة، وكذلك يؤدون زكاة أموالهم، ويتصدقون على الفقراء، وينفقون من كل ما أعطاهم الله، من العلم والجاه، والفتوح والتقوى والتجليات الإلهية.

من كتب التفسير،

حقلت كتب التقسير بطائقة من الأحاديث النبوية الشريفة، فى فضل فيام الليل وثواب التهجد، ومن امثلة ذلك ما ورد فى تقسيرى القرطبى وابن كثير وغيرهما، كما نجد ذلك فى كتب السنّة الملهرة، وكتاب إحياء علوم الدين للغزائي، بتخريج الحافظ، المراقى.

نماذج من الأحاديث النبوية الشريفة :

آخرج احمد والترمدي، والتسائي، وابن ماجة، وابن جرير، والحاكم، وابن مرديه، عن معاذ بن جبل، قال:
كنت مع النبي ﷺ في سفر (٤٩)، فاصبحت قريبا منه، ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله، اخبرني عما يدخاني
الجنة، ويباعدني من النار، فقال: دققد سالت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تمالي عليه: تعبد الله ولا
الجنة، ويباعدني من النار، فقال: دققد سالت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تمالي ابواب الخير؟
المسرم جنّة، والصدقة تعلق الخطيشة، وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم قرا: تَحَجَأَقَيْ جُوْبُهُمْ عُنِ الْمَشَاجِم
يدُعُونُ رَبِّهُمْ خُوفًا وَضُمًا وَمُما رَوَّقَامُمْ يُسْقَونُ فَ قُلاَ تَمَالُم نَقْسُ مَّا أَخْفِي يَهُم مِّن فُرُهُ أَخْنِ بَوْبُهُمْ عُن أَرْاع يَعْمُون.
ثم قال: دالا اخبرك برأس الأمر وعموده وذرة سنامه ؟ فقلت: بلي يا رسول الله، فقال: دراس الأمر الإسلام،
وعموده المسلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» ثم قال: دالا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ فقلت: بلي يا نبي
الله، فاخذ بلسانه، ثم قال: دكنا على هذاه فقلت: يا رسول الله، وإنَّا المؤخذون بما نتكلم به؟ فقال: داكات يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائك السنتهم (٤٠).

وروى البيغاري، ومسلم، والشرمذي، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن رممول الله ﷺ. قال: «قال الله تمالي: اعددت لعيادي الممالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب يضره.

قال أبو هريرة: اقربوا إن شئتم: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفَى لَهُم مَن قُرَةَ أَعْيُن . . (٥٥).

١٧ - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قررة أغين جزاء بما كانوا يعملُون .

اى: فلا يملم أحد عظيم ما أخفى لهم، وخبِّن لهم من ألوان التعيم، والرضا والقربي، جزاءً وفاقا بما كانوا يمملون، لقد أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم.

آخرج الفرّريابي، وابن أبى شيبة، وابن جرير، والطبراني، والحاكم ومنحعه، عن أبن مسمود، هال: إنه لكتوب في التوراة: لقد أعد الله تعالى للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ولا يعلم ملك مقرب، ولا نبى مرسل، وإنه لفى القرآن: فَلا تَعْلَمْ نَفْسٌ مَّا أَخْفَى لَهُمْ مَنْ مُرَّةً أَخْشُ . . .

وقال ابن عباس: الأمر في هذا أجل وأعظم من أن يُمرف تقسيره.

قال القرطبي: وهذه الكرامة إنما هي لأعلى أهل الجنة منزلة (٥٦).

وجاء هي صعيح مسلم، عن المفيرة بن شمية، يرهمه إلى رسول الله ﷺ قال: مسأل موسى عليه السلام ريه، فقال: يا رب، ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يأتى بعدما يدخل أهل الجنة الجنة، فيُقال له: ادخل الجنة، فيقول: أى ربة، كيف وقد نزل الناس منازلهم واخدوا أَخَداتهم؟ فيقال له: اثرضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: وضيت رب، فيقال له: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك، فيقول: رضيت رب...ه (٧٠).

واخرج مسلم ايضا، عن أبى هريرة، قبال: قبال رسول الله ﷺ: بيق ول الله تعالى: أعددت لمهادى الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذُخْرًا بَلَّهُ ما أطلعكم عليه، ثم قرأ: فَلا نَعْلَمُ نَضَرَ مُ أَخْفَى لَهُم مَنْ فُرِهُ أَغِيْنِ ... (٩٨).

واقال ابن سيرين: المراد به: النظر إلى الله تمالى.

وقال الحسن: أخفى القوم أعمالا فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت (٥٩).

﴿ أَفَمَن كَانَ مُوْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِفَأَ لَا يَسْتَوُنَ ۞ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَتُواْ وَعِيلُواْ الْمَسَكِيدِ حَتِ فَلَهُمُ الْمَا الَّذِينَ ءَامَتُواْ وَعَيلُواْ الْمَسَكِيدِ حَتِ فَلَهُمُ جَنَّتُ ٱلْمَا أُوكَا أَنْ كُلُومِا كَانُوالِيَّمَ الْوَنْ اللَّهِ وَقُواْ عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُمُتُم النَّارِ اللَّذِي كُمُتُم بِيدِ اللَّمَّةِ فَوَاعَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُمُتُم بِيدِ اللَّمَّةِ فَي دُونَ الْعَذَابِ اللَّمَ مِنْ الْمَكْبِ الْمَا مَنْ اللَّمَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِمْنَ ذَكِرَ بِنَاكِتِ رَبِّهِ وَثُوا عَنْهَا إِنَّامِنَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ مِمْنَ ذَكُرَبِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمُ اللَّهُ اللَّذَالِيَّةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّذِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّذِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّذِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّذِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّه

المفردات

مسسسطومناً، مصدقا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

هـــــاســـــقــــــا ؛ كافرا خارجا من الإيمان وإحكام الشرع، ذهو أعم من الكفر، وأصل الفسق ؛ الخروج ، يقال : فسقت الثمرة ، إذا خرجت من قشرها .

جنسات السأوى؛ جنات المسكن الحقيقي، أما مساكن الدنيا فمرتحل عنها.

هــمـــاواهم الثان ملجؤهم ومنزلهم.

العسناب الأدلى؛ الأقرب والأقل، وهو عذاب الدنيا، مثل: القحط، والأسر، والقتل.

دون العذاب الأكبر؛ قبل عذاب الآخرة.

دم أعسرة منها؛ فلم يتفكر فيها.

من المسرمين، ممن أذنبوا أو أشركوا.

تمهيده

لما بيزًّه مال الكافرين والمُومَنيّن، عطف على ذلك سؤال المقالاء: هل يستوى الفريقان؟ ثم بين أنهما لا يستويان، وأعقب ذلك ببيان جزاء المُؤمَنيّن، وعقوبة الفاسقين.

سبب التزول،

قـال لبن عيـامن, وعطاء بن يصار: نزلت الآية الثامنة عشرة من سورة السجـدة في على بن أبي طالب والوليد. بن عقبة بن أبي معيط، وذلك أنهما تلاحيا. فقال الوليد: أنا أبسط منك لسانا، وأحدّ سنانًا، وأملاً هي الكتية جسدًا، فقال له على: اسكت فإنك فاسق، فتزلت الآية. وذكر الزجاج والنحاس أنها نزلت في على وعقبة بن أبي معيط.

قَالَ ابن عطية: وعلى هذا يلزم أن تكون الآية مكية، لأن عقبة لم يكن بالمدينة، وإنما قتل هي طريق مكة منصرف رسول الله ﷺ من بدر، وقد ناقش القرطبي سبب نزول الآية مناقشة عقلية طريقة (^^.)

التفسير

١٨ - أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَ يَسْتَوُونَ .

استقهام موجه لكل من يتأتى منه الخطاب، فالعبرة يعموم اللفظ لا بضصوص السبب، أى: أيستوى المّهمن الصالح السنقيم المطيع لربه، المُؤمن برسوله، الماتزم بأصول دينه، والشاسق الذى خرج على هدى السماء، وكذّب بالرسول، واجترا على معصية الله 19

لأيستوون.

أى: لم يستويا هي الدنيا، من ناحية العمل والسلوك والاعتقاد، هليس من المناسب أن يستويا هي الآخرة. من ناحية الجزاء والثواب والمقاب.

قال تعالى: أَمْ حُسِبَ الدِّينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّاتِ أَنْ تُجَعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آسُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَواءُ مُعْيَاهُمْ وَمَالُهُمْ سَاءُ مَا يَحَكُمُونَ . (المالي: ٢١).

وقال تمانى: لا يُستَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وآصُحَابُ الْجُنَّة أَصْحَابُ الْجَنَّة هُمُ الْفَاتْرُونَ . (الحشر، ٢٠).

وقال سبحانه وتمالى: أَمْ نَجْعُلُ النِّينَ آمَنُوا وَعُمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعُلُ الْمُتَّفِينَ كَالْفُجُّارِ . (من ۲۸).

وتتلاقى هذه الآيات على تأكيد عدالة السماء ، وإن الله سيحانه وتمالى لا يسوّى فى الجزاء بين المؤمن المستقيم البارّ الذي يعمل الصالحات ، والقاسق المنحرف الذي يعمل السيئات ، لقد اختلفا فى العمل ، فوجب أن يختلفا فى الجزاء .

19 - أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

أما الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعملوا الأعمال المسالحة هي الدنيا، هماقهم وجزاؤهم ونزلهم هي جنات التأوى التي يقيمون فهها إقامة دائمة، وينزلون فيها منزلة الإعزاز والتكريم، جزاء بما شموا هي الدنيا من عمل صالح. ٢٠ – وَأَمَّا اللَّذِينَ فَسَقُوا فَعَاوَاهُمُ النَّارُ كُلَّما أُوادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيها وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابِ النَّارِ
 اللّذي كُتُم به تُكَذَّبُونَ .

وأما الفاسقون الخارجون على أوامر الله، فمآلهم جهنم يضريهم لهيبها، وتقمعهم الملائكة بالعذاب.

قال الفضيل بن عياض:

والله أن الأيدى لمؤشّة، وإن الأرجل لقيدة، وإن اللهب ليرضعهم، ولللاتكة تقمعهم، ويتمنى الكفار الخروج من الثار، فتردهم لللاتكة إلى جهنم في حالة من الذل واليأس، وتقول لهم الملاتكة على سبيل الرَجر والتأنيب، وزيادة الحسرة في قلوبهم:

ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُعتُم به تُكَذَّبُونَ .

أى : تنوقوا وتحمُّوا عذاب النار، الذي كنبتم به في الدنيا، فإن الله أعدَّه للمشركين به.

كما قال تمالى: كُلُّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا منها منْ غَمَّ أُعِيدُوا فِيهَا . . (الحي: ٢٢).

وكما قال تعالى: وَنَادُواْ يَا مَالَكُ لِيَفْض عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مُّاكِثُونَ . (الرّخرف: ٧٧.

ثم بيِّن أن عذاب الآخرة له مقدمات في الدنيا، لأن الذنب مستوجب لنتائجه، عاجلا وآجلا، فقال سبحانه:

٢١ = وَلَتُدِيقَنَّهُم مَنَ الْعَدَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَدَابِ الأَكْبَرِ نَعَلَهُمْ يُرْجِعُونَ .

ولنيتلينهم بمصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها، من الجاعات والقتل والأسر ونحو ذلك، عظة لهم ، ليقلموا عن ذنويهم قبل المذاب الأكبر، وهو عذاب يوم القيامة.

جاء في تفسير القرطبي:

قال الحسن ، وأبو المالية ، والضحاك، وأبى بن كسب، وإبراهيم التخدى: المذاب الأدنى مصالب الدنيا وأسقامها، مما ستلى به العبيد حتى يقويوا .

وقال ابن مسعود، والحسين بن على ، وعبد الله بن الحارث: هو القتل بالسيف يوم بدر.

وقال مقاتل ، ومجاهد: الجوع سبع سنين بمكة، حتى أكلوا الجيف، ولا خالاف أن العذاب الأكبر عذاب جهنم . أ هـ.

وقال القاسمى:

وَلَّنُدِيَّقُهُم ، أي : أهل مكة، مَنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى ، أي : عدابَ الدنيا والجدب والقتل والأسر،

دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبِرِ . يعنى عداب الآخرة،

لَمُلْهُمْ يَرْجُعُونَ . أي : يتويون عن الكفر، ويرجعون إلى الله عند تصفية فطرتهم بشدة العذاب الأدنى، أ هـ. وقال النيسابوري:

ولم يقل : الأسغر ، في مشابلة الأكبر، أو الأبعد في مشابلة الأدنى، لأن المُصود هنا هو التخويف والتهديد، وذلك إنما يعصل بالقرب لا بالصغر، وبالكبر لا بالبعد .

٢٢ _ وَمَنْ أَظْلَمُ مَمَّن ذُكِّرَ بِآيَات رَبِّه ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِن الْمُجْرِمِينَ مُنطَّمُونَ .

أي : لا أحد أشـد ظلمـا ممن جاءت إليـه الرسل والكتب والمواعظة، تذكره بآيات الله، وقدعوه للإيمان والإسلام، فاعرض واستكبر وظلم وإجرم، إن هذا المجرم الظالم أهل لانتقام الله وعذابه.

قال القرطبي:

وَمَنْ أَظْلُمُ . أي: لا أحد أظلم لتفسه.

ممَن ذُكِّرُ بَآيَات ربّه . أي : بحججه وعلاماته.

ثُمُّ أَعْرُضُ عَنْهَا ، بترك القبول،

إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَقَمُّونَ . تِتَكذيبِهم وإعراضهم . أ هـ.

* * *

﴿ وَلَقَدْ مَانَيْنَا مُومَى ٱلْكِتَبْ فَلَاتَكُنْ فِي مِرْيَةِ مِنْ لِقَاَّيِّةٍ وَجَعَلْنَهُ هُدَى لِّبَيْنَ إِسْرَةِ مِلَ ۞ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَةٌ يَهْدُوك بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبْرُولُ وَكَانُواْ بِعَالِنَيْنَا يُوقِدُونَ ۞ إِنَّ رَبِّكَ هُويَفُصِلُ يَنْنَهُمْ مِرْمُ ٱلْفِينَمَةِ فِيمَاكَانُواْفِيدِ يَضَكِفُوك ۞ ﴾

المفردات،

الكتمساب التوراة.

فى محسوبة، فى شك.

من القسيسانية؛ من لقائلك الكتاب مثله، كما قال تمانى: وإنَّك ثَاقَيْ القُرُانَ من لُدُنْ حَكِيم عَلِيم ، (الندل: ١). وقبل: القصود: من لقاء موسى الكتاب، أو من لقاء محمد يعوسي، وقد التقيا ليلة الإسراء والمراج.

الله مسلمان قادة يُقتدى بهم في دينهم.

ا صُـسبِ سروا: على طاعة ربهم، وعلى البلاء في الدنيا.

يسوق نسون، يصدقون، لإمعانهم النظر فيها.

التفسيره

٣٢ _ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكَتَابَ فَلا تَكُن فِي مَرْيَة مِن لَقَانِه وجَعَلْنَاهُ هُدَى لبني إصرائيل .

إنزال الكتب شأن إلهي، وكذلك إرسان الرسل، فلست يا محمد بدعًا من الرسل، فقد أرسانا موسى بن عمران رسولا، وإنزلنا عليه التوراة كتابا، كما أرساناك يا محمد، وأنزلنا عليك القرآن، فلا تكن في شك من الوحي للنزل عليك.

قال القاسمي:

والمنس: إنا آتينا مومى مثل ما آتيناك من الكتاب، ولقيناه من الوحى مثل ما لقيناك، فلا تكن هي شك من إنك نقبت مثله.

ونهيه ﷺ عن الشك، المقصود به نهي أُمُّته، والتعريض بمن صدر عنه الشك في القرآن الكريم،

وقيل : ممنى الآية: آتينا موسى التوراة، فلا تكن فى مرية من لقاء موسى ليلة الإسراء والمراج، فقد لقيه النبى ﷺ وتناقش ممه، وفى مسسيح البضارى : دولقيت فى السماء السادسة موسى، ونمم الصاحب كان لكم،

لكن الزمخشري في تقسير الكشاف رجع الرأى الأول، حيث قال: والشمير في : لقائه ، لموسى، ومعناه: إنا آتينا موسى عليه المسلام مثل ما آتيناك من الكتاب، ولقيناه مثل ما لقيناك من الرحى، فلا تكن في شك من انك لقيت مثله، ولقيت نظيره، كقوله تعالى: فَإِنْ كُت فِي شَك مِّما أَنْرِنّنَا إِلَيْكَ فَاسْتُلِ الَّذِينَ يَقْرُ وُنَ الْكَتابُ مِن فَلْكُ ... (وينس: ٢٤).

ورجح صاحب الظلال هذا الرأى، حيث قال:

وتقسير هذا العبارة المعترضة : فَلا تَكُن فِي مَرِيّة مَن قَتَالِه . على معنى تلبيت الرسول ﷺ على الحق الذي جاء به، وتقرير أنه الحق الواحد الثابت، الذي جاء به موسى شي كتابه، والذي يلتقى عليه الرسولان، ويلتقى عليه الكتابان، هذا القسير أرجح عندى، مما أورده بعض للفسرين من أنها إشارة إلى لقاء النبي ﷺ لموسى عليه السلام في ليلة الإسراء والمراج ، فإن اللقاء على الحق الثابت، والمقيدة الواحدة، هو الذي يستحق الدُّكر، والذي ينسلك في سياق التثبيت، على ما يلقاء النبي ﷺ من التكنيب والإعراض، ويلقاء المعلمون من الشدة واللأواء، وكذلك هو الذي يتسق مع ما جاء بعده في الآية: وجعلًا منهم أنها يُهدُونَ بِأَمْرِنا لَمُا صَبْرُوا وَكَانُوا بِبَالِتنَا يُوقُون . للإيحاء للقلة المسلمة يومذاك في مكة، أن تصير كما صبر المختارون من بني إسرائيل، وتوفن كما أيقنوا، ليكون منهم المه للمعلمين، كما كان أولئك المه لبني إسرائيل، وتقرير طريق الإمامة والقيادة، وهو الصبر واليقين. أ هـ.

وقال الألوسى:

وَلَقَدْ آتَيْنًا مُومَى الْكِتَابَ . أي : جنس الكتاب.

فَلا تَكُن فِي مِرْيَة . إي : شك، مَن لَقَاله . أي : من لقائك ذلك الجنس.

وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لَبْنِي إِسْرَائيلَ .

أى : وجعلنا الكتاب الذي أنزل على موسى وهو التوراة، هداية لبني إسرائيل إلى طريق الحق والصواب.

٢٤ - وَجَعَلْنَا مَنْهُمْ أَتُمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمًّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقَدُونَ .

وجملنا من بنى إسرائيل أثمة يقتدى بهم هى الدين، والإيمان والهداية، وكان ذلك بسبب صبرهم على عنت فرعون، وشدة تملقهم بالثوراة وإيمانهم بها .

والآية توجيه لأتباع محمد ﷺ بالصبر على الحق، واليقين والإيمان بالوحى، هـإن ذلك سبيل الإمـامـة والتقوق، وعز الدنيا وشرف الآخرة.

٢٥ - إِنَّ رَبُّكَ هُو يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقَيَامَة فِيمَا كَانُوا فِيه يَخْتَلْفُونَ .

إن الله تمالى يقضى ويحكم بين المؤمنين والكفار، فيجازى كلا بما يستحق، أو إن ريك يقضى بين عباده فيما اختلفوا فيه من أمور الاعتقاد والدين والحساب، والثواب والمقاب، والأعمال، فيثيب للطبع بالجنة، ويماهب الماصى بالنار.

قال في التفسير الثير:

إن الله سبحانه هو القاضى المدل، والحاكم الطلق ، يُحقّ بين المُهنين والكفار، هيجازى كلا بما يستعق. ويفصل بين الختلفين من أمة واحدة، كما يفصل بين المُختلفين من الأمم. ﴿ أُولَمْ يَهْدِهُمُّ كُمْ أَهْلَكَ نَامِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَكِنِهِمُّ إِنَّ فِي. ذَالِكَ لَآيِنَةٍ أَفَلاَ يَسْمَعُونَ ۞ أُولَمْ يَرُواْ أَنَانَسُوقُ الْمَآءَ إِلَى ٱلأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْ بِهِ مِزَرَّعَا تَأْحُكُمُ مِنْهُ أَهْدُهُمُ وَأَنْفُسُمُ أَفَلا بُعِيرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَى هَلَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَدِيقِينَ ۞ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لاَ يَنفُعُ ٱلّذِينَ كَفُرُواْ إِيمَنْهُمْ وَلَاهْمُ يُنطَرُونَ ۞ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَانظِرْ إِنَّهُم مُنتظِرُون ۞ ۞

المفردات،

أو لم يهسدلهم، أو لم يتبين لكفار مكة.

كم أهما كالماء كثرة من أهلكنا قبلهم.

من القسيرون؛ من الأمم الماضية بسبب كفرهم.

الدلا يسمعون سماع تدبر واتعاظه.

الأرض الجُسول اليابسة التي لا نبات هيها، لأنه جرز نباتها، أي : قطع وأزيل.

ويقسمولون، للمؤمنين.

م. تي هذا القاتح؛ النصر، أو النصل في الحكم.

إن كنتم مسادقين: هي الوعد يه.

قل يوم الفستح، بإنزال المذاب بهم يوم القيامة.

فأعرض عنهم؛ لا تبال بتكنيبهم.

والست في النصرة أو إنزال المداب بهم.

إشهم منتظرون، الغلبة عليك، أو الموت ، أو القتل.

التفسير

٧٦ - أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُمْ أَهْلَكُنَا مِن قَبْلِهِم مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِتِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيات أَفَلا يَسْمَعُونَ .

يامس القرآن القلوب هي ختام السورة، ويرشد كفار مكة إلى دلائال القدرة، هيقول: أو لم يتبين لهم كثرة الأمم التي أهلكهـا الله عـقـابا لكشـرها، كـقـوم نوح ، وعـاد وثمـود ، وقـوم لوط، وقـوم شـميب، أنزل بهم المـذاب هاملكهم، وعرب الجـزيرة كانوا يمرُّون على مساكن الهالكين، ويشاهدون باعينهم، فهلا نظروا نظرة تبصرٌ، وهلا خـزكوا بصيرتهم ليتأملوا في أن من أهلك الكافرين من الأمم السابقة، قادر على أن يهلك كشار مكة. ٢٧ - أو لم يررًا أنا نسوقُ انسه إلى الأرض الجُرْز فلحرجُ به زرْعًا تأكُلُ منهُ أَنْعَامَهُمْ وانفُسَهُمْ أفلا يُبْصرُونَ .

أو لم يشامدوا بأنفسهم قدرة الله وعظمته، فهو سبحانه يسوق السحاب، وينزل المطر على الأرض الجرز، وهى الهابسة التى لا نبات فيها لانقطاع الماء عنها، وبسبب هذا الماء تخضرُ الأرض بالنَّبات، وتخرج أنواعا من الزروع، تستفيد يها الأنمام، كالكارُّ والمشب والتين، والبرسيم والبقول الخاصة بالأنمام ، كما تبرز الأرض من الحبوب والثمار والفائهة والخضراوات، ما يفيد الإنسان نفسه.

أفلا يُشمرُونُ . ذلك بأعينهم فيعتبرون ويتأملون في فضل الله وإحسائه على عباده.

وفي معنى الآية ، قال تعالى:

فَلْيَنظُرِ الإنسانُ إلى طعامه ، أنا صببَنا المهاءَ صبَّ ه ثُمَّ شقَفْنا الأَوْضَ شَفًّا ، فَالْبَتَنا فِيهَا حبًّا ، وَعَنبًا وَقَطْبًا ، ﴿ وَزَيْتُونَا وَنَحْلًا ﴾ وحَمالتُو عُلْبًا » وفاكية وأنا » متاعًا لكمّ ولأنعامكمّ . (مبد، ٢٢ - ٢٣).

٢٨ - ويَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنتُمُ صادقين .

تختم السورة بمرض مشهد من مشاهد الحرب الفكرية بين الشركين والمؤمنين، فقد كان كفار مكة يستهزئون بالمؤمنين، ويحاولون النيل من دين المؤمنين وعقيدتهم، فإذا قال المؤمنون لهم : إن هناك بمثًا وحضرًا وثوابا وعقابا، ويوما يفتح الله فيه بين المؤمنين والكافرين، أى : يحكم ويقضى بينهم، كما يحكم القاضى فى الدنيا بين المتخاصمين، وسمى القاضى فاتحا لأنه يفصل فى القضايا للفلقة فيفتح أمرها، ويفصل بين المظلوم والظالم.

ومعنى الأبية :

يقول كفار مكة مستهزئين بالمؤمنين: متى يجىء يوم الفتح ويوم الفصل بيننا ويينكم إن كقتم صادقين؟ أو متى يوم النصر الذى تلصرون هيه علينا؟ يقولون ذلك استبعادًا لوقوع المذاب بهم، واستهانة بالمؤمنين، وبمقيدتهم وإيمانهم باليوم الآخر.

٢٩ - قُلُ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفُعُ اللَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمُ ولا هُمْ يُنظَّرُونَ .

أى : إذا جاء يوم النصر في الدنيا، كيوم بدر أو فتح مكة، أو جاء يوم القيامة، فلن تقبل من الكفار توية ولا إيمان، لأن ذلك لا يقبل إلاّ في الدنيا.

والخلاصة :

إن جاء النصر يوم بدر فستقتلون ولا يقبل منكم الإيمان ولا ينفمكم ، تحيلولة القتل دون إيمانكم، وإذا كان يوم القيامة فسيحكم لكم بالنار، ولا تقبل منكم التروة ولا الإيمان، لأنه جاء بعد فوات الأوان.

قال القاسوب،

جاء في تفسير ابن كثير ما يأتي:

اى : إذا حلّ بكم باس الله وسخطه، وغضيه هى الدنيا والأخرى، لا ينفع الدين كشروا إيمانهم ولا هم ينظرون، كما قال تعالى: فَلَمَّا جَاءَتُهُمُ رُسُلُهُم بِالنِّبَاتِ قُرِحُوا بِما عِنْدُهُمْ مِنَ الْعُلُم وحَاق بِهِم مَّا كَانُوا به يستَهْزُنُونَ وَ فَلَمَّ أَوْا بَاسَنَا قَالُوا آمَنَا بِاللهِ وَحَدُّهُ وَكَثَرْنًا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ وَ فَلَمْ يَكُ يَفْعَهُمْ إِيَّالُهُمْ لَمَّا رَاوًا بأَسَا سُنْتَ الله الْجِي قُدْ خَلَّتُ فِي عَادِهُ وَخَسْرَ هَنَّالُكَ الْكَانُووْنَ . (غلار : ٨ - ٨٥).

ومن زعم أن المراد من هذا الفتح، فتح مكة، فقد أبيد النجمة، وأخطأ فأفحش، فإنه في يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريبا من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة با قبل إسلامهم لقوله تعالى :

قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيَانُهُمْ . . .

وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والقصل، كقوله تعالى: فَاقْتَحُ بَينِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَا . . (الشعراء: ١١٨).

وكقوله تعالى: قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَا بِالْحَقِّ وَهُو الْفَتَاحُ الْفَلِيمُ . (سيا: ١٦).

وقال تمالى: وأسْتَفْتُحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّادٍ عَنِيهِ . (يبراهيم: ١٥).

وقال تمالى: إِنْ تُسْتَفْتُحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ . . . (الأتفال: ١٩).

٣٠ - فَأَعْرِضُ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَّرُونَ .

لقد اديت رسالتك، ويلّعت لهم دعوتك، وقاباوها بالرفض والاستهزاء، فوجب أن تمضى فى طريقك، داعها إلى الله تعالى، مبشرا برسالتك قوما آخرين، معرضا عن هؤلاء الكافرين، منتظرًا ما ينزل بهم من الهزيمة فى الدنيا، والمقوية فى الأخرة ، إنهم ينتظرون ملاكك، أو الانتصار عليك، ولكن الله تمالى سيخلف ظفهم، وينزل بهم عاقبة كفرهم وجحودهم، كتوله تعالى:

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تُتَرَبُّصُ بِهِ رَبِّ الْمَتَوْنِ ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِي مَعَكُم مِنَ الْمَتَرِيْصِينَ . (العلور: ٢٠. ٢١).

وكقوله تعالى:

وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَعْدُ مَا يَنفِقُ مَفْرَمًا وَيَتَربُصُ بِكُمُ الدُّوائرَ عَلْيْهِمْ دَائِرةُ السُّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . (التوية: ١٨٠).

قال القرطبي :

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ . فيل : معناه : فأعرض عن سفههم، ولا تجبهم إلا بما أمرت به.

وَانتَظِرُ إِنَّهُم مُّنتَظِّرُونَ .

أى : انتظر يوم الفتح، يوم يحكم الله لك عليهم. أ هـ،

من تفسير الفخر الرازي:

هُوله تمالى: قُلْ يَوْمَ الْفُتْحِ لا يَنفُعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيَّانُهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ .

أى : لا يُقبِل إيمانهم في تلك الحالة، لأن الإيمان المقبول هو الذي يكون في دار الدنيا.

ولًا هُمْ يُنظُرُونُ . أى : ولا يمهاون بالإعادة إلى الدنيا ليؤمنوا، هيقبل إيمانهم، ثم لما يبيَّن المسائل واتقن الدلائل ولم يفقهم، فلل تمالى: فأعُر هرَ عَنهُمْ . أى : لا تقاطرهم بعد ذلك، وإنما الطريق بعد هذا هو القتال.

وقوله تمالى: وأنتظر أنهُم مُنتظرُونَ ، يحتمل وجوها: أحدها : وانتظر هلاكهم، فإنهم ينتظرون هلاكك، وعلى هذا هرق بين الانتظارين، لأن انتظار النبي الله بأمر الله تمالى بعد وعده، وانتظارهم بتسويل انفسهم، والتعيل على الطبطان.

وثانيها: وانتظر النصر من الله، فإنهم ينتظرون النصر من آلهتهم، وفرق بين الانتظارين.

وثالثها : وَانْعَظْرُ . عدايهم بنفسك، هإنهم ينتظرونه بانفسهم استهزاء.

كما قالوا: قَأْتُنَا بِمَا تَعَدُنَا . . (الأمراف: ٧٠).

وقالوا: مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ . (النمل: ٧١).

إلى غير ذلك. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، والحمد لله رب المالمين، وصلاته على سيد. المرسلين محمد النبي وآله وصعبه أجمعين، وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين (١٦١).



أهداف سورة الأحيزاب

سورة الأحزاب مدنية ، وآياتها ٧٣ آية ، نزلت بعد سورة آل عمران ، وتقع أحداث السورة فيما بين السنة الثانية والسنة الخامسة من الهجرة ، وهي فترة حرجة لم يكن عود المسلمين قد اشتد فيها ، إذ كانوا يتعرضون لدسائس المنافقين واليهود .

وسميت هذه السورة بهذا الاسم ، لذكر غزوة الأحزاب فيها ، في قوله تعالى : يُعَسَّبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمُ يُلْعَبُواً ... (الأحزاب: ٢٠).

أحداث السورة

تتناول سورة الأحزاب قطاعًا حقيقيًا من حياة الجماعة المسلمة ، في فترة تمتد من بعد غزوة بدر الكبرى إلى ما قبل صلح الحديبية ، وتصور هذه الفترة من حياة المسلمين في المدينة ، تصويرًا واقعيًا مباشرًا ، وهي مزدحمة بالأحداث التي تشير إليها خلال هذه الفترة ، والتنظيمات التي أنشأتها أو أفرتها في المجتمع الإسلامي الناشئ .

ولهذه الفترة التي تتناولها السورة من حياة الجماعة المسلمة سمة خاصة فهي الفترة التي بدأ فيها بررز ملامح الشخصية المسلمة في حياة الجماعة وفي حياة الدولة ، ولم يتم استقرارها بعد ، ولا سيطرتها الكاملة ، كالذي تم بعد فتح مكة ويحول الناس في دين الله أفواجًا ، واستتباب الأمر للدولة الإسلامية .

والسورة تتولى جانبًا من إعادة تنظيم الجماعة المسلمة ، وإبراز تلك الملامح ، وتتبيتها في حياة الأسرة والجماعة , ويبان أصولها من العقيدة والتشريع ، كما تتولى تحديل الأوضاع والتقاليد أو إبطالها وإخضاعها في هذا كله للتصور الإسلامي الجديد ، وفي ثنايا الحديث عن تلك الأوضاع والنظم يرد الحديث عن غزية الأحزاب وغزوة بنى قريظة ، ومواقف الكفار والمنافقين واليهود فيهما ، ودسائسهم في وسط الجماعة العسلمة ، وما وقع من خلفلة وأذى بسبب هذه الدسائس وتلك المواقف ، كما تعرض بعدها دسائسهم وكيدهم للمسلمين في أخلاقهم ويبوتهم ونسائهم .

ونقطة الاتصال في سياق السورة بين تلك الأوضاح والنظم وهاتين الغزوتين وما وقع فيهما من أحداث ، هي علاقة هذه وتلك بموقف الكافرين والمنافقين واليهود ، وسعى هذه الفئات لإيقاع الاضطراب في صفوف الجماعة المسلمة ، سواء عن طريق الهجوم الحربي ، والإرجاف في الصفوف والدعوة إلى الهزيمة ، أن عن طريق خلخلة الأوضاع الاجتماعية والآداب الخلقية .. ثم ما نشأ في أعقاب الغزوات والغنائم من آثار في حياة الجماعة المسلمة ، تقتضي تعديل بعض الأوضاع الاجتماعية ، ومن هذا الجانب وذاك تبدو وحدة السورة ، وتماسك سياقها ، وتناسق موضوعاتها المنوعة ، وهذا وذاك إلى جانب وحدة الزمن تربط بين الأحداث والتنظيمات التي تتناولها السورة .

فصول السورة

يمكن أن نقسم سورة الأحزاب إلى خمسة فصول ، يبدأ الفصل الأول منها بتوجيه الرسول ﷺ إلى تقرى الله ، وعدم الطاعة للكافرين والمنافقين ، واتباع ما يوحى إليه ربه ، والتوكل عليه وحده .

ويعد ذلك يلقى بكلمة الحق والفصل في بعض التقاليد والأوضاع الاجتماعية ، مبتدئا ببيان أن الإنسان لا يملك إلا قلباً واحدًا ، ومن ثم يجب أن يتجه إلى إله واحد ، وأن يتبع نهجًا واحدًا . ولذلك بأخذ في البطال عادة الظهار ، وهو أن يحلف الرجل على امرأته أنها عليه كظهر أمه ، منحرم عليه حرمة أمه ويقرر أن هذا الكلام يقال بالأفواه ولا ينشئ حقيقة وراءه ، بل تظل الزوجة زوجة ولا تصير أمًّا بهذا الكلام ، ثم من هذا إلى إبطال التبنى : وَمَا جَعَلُ أَمْعِاءً مُعَافًا النَّاعَةُمُ ... (الأحزاب: ٤) .

والدعى هو المتبنى يدعى الإنسان بنوته ، وهو لا يصير ابنا بمجرد القول ، ثم يأمرهم أن يدعوا المتبنى إلى أبيه ، فإن ذلك أقسط وأعدل من دعوتهم لمن يتبنونهم .

ثم ينشئ الولاية العامة لرسول الله ﷺ على المؤمنين جميعًا، كما ينشئ صلة الأمومة الشعورية بين أزواج الذبي ﷺ والمؤمنين ، ويعقب على هذا التنظيم الجديد بالإشارة إلى أن ذلك مسطور في كتاب الله القديم ، وإلى الميثاق المأخوذ على النبيين وعلى أولى العزم منهم بصفة خاصة على طريقة القرآن في التعقيب على النظم والتشريعات والمبادئ والتوجيهات لتستقر في الضمائر والنفوس ، ويستغرق هذا الفصل من أول السورة إلى الآية ٨.

غزوتا الأحزاب وبنى قريظة

نجد الفصل الثاني من السورة ممتدا من الآية ؟ إلى الآية ٢٧ ، ويتناول هذا الفصل غزوة الأحزاب ، ويصف مشاهدها وملابساتها ، ويصور أحوال المسلمين فيها ، وقد جاءتهم قريش من أسفل الوادي ، وغطفان من أعلاه، وأسقط في يد المسلمين ، فالأحزاب أمام المدينة ، ويهود بنى قريظة نقضوا عهودهم ، وأظهروا الخيانة والغدر للمسلمين ، وحفر المسلمون خندقًا لحماية المدينة ، وكان المسلمين في غاية الإجهاد والعسرة المادية ، واختدت المنابقة من بعض وعدم كنوز كسري وقيصر ، وظهر النفاق من بعض

المنافقين فقالوا: إن محمدًا يعدنا كثورْ كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يستطيع الخروج إلى الخلام وحده ، وفي ذلك يقول القرآن : وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنْافِقُونُ وَ ٱلْلَّينَ فِي قُلُوبِهِم مُرَضٌ مُّ وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُة إِلَّا خُرُورًا . (الأحزاب: ١٢)

واستنجد النبى بريه، ورفع يديه إلى السماء، وقال: «اللهم ربّ الأرياب، ومسبب الأسباب اهزم الأحزاب، اللهم من الأحزاب المنها والمحدد عيام المنهم وانصرنا عليهم يا رب العالمين، فأرسل الله ريخا عاتية، في ليلة شاتية مظلمة، خلعت خيام الكافرين، وكفأت قدريهم ، وانسحبت قريش وأحزابها في ظلام الليل يجرون أذيال المحوف والانكسار، وسجل الله ذلك في القرآن بقوله : يُنْلَّهُمُ اللَّهِنَ مَاشُوا آذَكُوراً بِشَمَّةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَهُمْ رِيحًا وَسُحَدًا لَمْ مُرْوَعًا رَكَالًا بِعَلَى مِنْ اللهِ عَلَيْهُمْ وَبُونًا أَسْفُلُ مَنْكُمْ أَرْفًا وَالْمَالُ مِنْكُمْ وَالْمَدَّالِ مَنْكُمْ أَرْفُلُكُمْ وَمِنْ أَسْفُلَ مِنْكُمْ وَإِذْ أَنْهَا لَهُ مَا اللهُ اللَّهُمُ مِنْ وَالْمَالُونُ وَالْمُوا أَرْفًا لِمَا مَا اللهِ عَلَيْكُمْ وَالْمُ مَالِهُمْ اللهِ اللهُ اللهُمْ اللهُ وَالْمُوا مُنْ اللهُ مَلْكُمْ اللهُ مَلْكُمْ اللهُ مَا لِللهُ اللهُمْ اللهُ واللهُمُمْ وَاللهُ مُنْفِيهُمْ اللهُ مَا لِللهُمُ اللهُمُ اللهُمُونُ وَزُولُوا وَازُوالُوا مُعْلِمُ اللهُمُ اللهُمُ اللهُمُ اللهُمُ اللهُمُمُ اللهُمُ اللهُمُمُ وَاللهُمُ اللهُمُمُ اللهُمُ اللهُمُمُ اللهُمُ اللهُمُمُونَ وَلْمُعْلَى اللهُمُمُ اللهُمُ اللهُمُمُ اللهُمُ اللهُمُمُونَا اللهُمُمُ اللهُمُمُ اللهُمُ اللهُمُوالِمُ اللهُمُمُ اللهُمُ اللهُمُمُ اللهُمُ اللهُمُوالِيَّامُ اللهُمُوالِيَّا اللهُمُمُ اللهُمُمُامُ اللهُمُوالِيَّا اللهُمُوالِيَّا اللهُمُوالِيَّا اللهُمُمُواللهُمُوالِيَّا اللهُمُوالِيَّا اللهُمُوالِيَّا اللهُمُوالِيَّا اللهُمُمُوالِيَّا اللهُمُوالِيَّا اللهُمُوالِيَّا اللهُمُوالِيَّا اللهُمُواللِيَّا اللهُمُوالِيُعُمُ اللهُمُوالِيُواللَّالِيُواللْمُوالِيُعُمُواللِيُوالْمُوالِيَّاللِمُوالِيُوالِيَّا اللهُمُوالِيُعُمُواللِمُواللِمُوالِيُواللِمُوالِيُوالِمُوالِيُوالِمُوالِيَا

وتصف الآيات مدق بعض المؤمنين وبلاءهم الحسن ، ولحلامهم اله في الجهاد ، حتى رُمي بعض الشهداء وفيه أكثر من سهمين ضرية بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، وفي مثل مؤلاء تقول السورة : وَلَمَّا رَعَا ٱلْمُهُمِّونَ ٱلْأَحْرَابَ قَالُواْ عَلَمًا مَا وَعَدَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَمَا وَلَمُولُهُ, وَمَا وَلَمُولُهُ وَصَدَق آللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَمَا وَلَمُهُ اللَّمُ عَلَيْكًا وَتَسْلِيمًا ه مِّنَ ٱلْمُهْمِينَ رِجَالُ صَدَقُواً مَا عَلَهُوا ٱللَّهُ عَلَيْهِ فَيِنْهُم مِن قَضَىٰ نَحْبُهُ وَمِنْهُم مَن يَصَوِّرُ وَمَا يَلُواْ لَبَعِيلًا ه لَيْجِزِي ٱللَّهُ كَانَ عَقُورًا وَجِمًا . (الأحزاب: ٢٧ – ٢٤).

ثم تصف الآيات رحيل الكافرين بفيظهم لم يذالها هيرا ، وحماية الله للمسلمين في هذه الموقعة ، وهو سبحانه القوى العزيز ، ولما رحلت الآحزاب عن المدينة نزل جبريل من السماء وقال : با محمد ، إن الملائكة لم تضم السلاح بعد ، انهب إلى بنى قريظة فإن الله ناصرك عليهم ، جزاء خيانتهم وغدهم ، فقال ﷺ : «من كان يرمن بالله واليوم الأحر فلا يصلين العصر إلا في بنى قريظة » أن . أجارهم عن ديارهم ، وغنم المسلمون بنى قريظة » ثم - أجارهم عن ديارهم ، وغنم المسلمون أرضهم ودورهم وأموالهم وحصونهم المنيعة بقدرة الله ، وهو على كل شيء قدير ، قال تمالى : وَرَدُ اللهُ اللَّهِينَ كَفُرُوا بِهَيْظِهِمْ أَمْ يَثَالُوا عَيْرًا وَكُفَى اللَّهُ الْمُؤْمِينَ الْقَعَالُ وَكُانَ اللَّهُ قَيْلُ عَرْ اللهِ عَلَى اللهُ وَيُلُّ حَرِيلًا » وَهُو عَلَى كُلُّ مُنْ مَنْ أَفْلُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ مُنْ وَقَدِينًا اللهُ وَيُلُّ حَرِيلًا عَيْرًا وَكُفَى اللَّهُ الْفُومِينَ الْقَعَالُ وَكُانَ اللَّهُ قَيْلُ عَلَى اللهُ وَيُلَّالُونَ عَلَى اللهُ عَلَى عَلَى اللهُ وَيَعَلَى عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى عَلَى اللهُ اللَّهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى عَلَى اللهُ عَلَى عَلَى اللهُ عَلَى عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى عَلَى اللهُ عَلَى عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى عَلَى اللّهُ عَلَى عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ ا

زوجات الرسول

تتناول الآيات ٢٨ - ٣٦ حديثاً عن زوجات الرسول ، وكانت الفنائم قد جاءت للمسلمين ، وأقبل المال بعد غزوة بنى فريظة ، فتطلعت زوجات الرسول إلى المتعة والنفقة الواسعة ، وقلن : يا رسول الله ، نساء كسرى وقيصر بين المطى والحلل ، والأماء والخدم ، ونساؤك على ما ترى من هذه الحال ، فنزات الآيات تخيرهن بين متاع الحياة الدنيا وزينتها وبين الله ورسوله والدار الأخرة ، وخير النبي نساءه ، ويدأ بعائشة، فقال لها : «سأعرض عليك أمرين ، أرجو ألا تقطعى في اختيار أحدهما ، حتى تستشيرى أبويك، ، وقرأ عليها الآيتين : يُثَلِّهُا النَّبِيُّ لَلْ لِأَوْرُ حِكَ إِنْ كُتِنُ أُبِرُ ثُنَّ الْمُؤَا اللَّهُمُ وَانِّ اللَّهَ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ أَعْلَى اللَّهُ أَمْدُ لِلْمُحْسِمَاتُ مِنْكُنَّ أَجُرًا مَظِيمًا . (الأحسران ١٩٠٢) .

فقالت عائشة : أفيك أشاور أبوى يا رسول الله ؟ أختار الله ورسوله ، وقالت كل نساته مثل ذلك ، فجعلهن الله أمهات المؤمنين ، وأشارت الآيات التالية إلى جزائهن المضاعف في الأجر إن اتقين ، وإلى العذاب المضاعف إن ارتكين فاحشة مبينة ، لأنهن في بيت النبرة والقدوة والأسوة ، فلهن ضعف الأجر إن أحسن ، وضعف العقوية إن أسأن ، فزلة العالم يقرع بها الطبل ، وزلة الجاهل يخفهها الجهل ، ثم أمرت الآيات زوجات الرسول بخفض الصوت وجعله مستقيما بدون تكسر ، حتى لا يطمع الشباب المنافق فيهن ، وحثهن على الاستقرار في البيت ، وعدم التبرج ، وتلاوة القرآن والثفقه في أحكامه ، واستطردت الآيات في بيان جزاء المؤمنين والمؤمنات كافة ، وكان هذا من الفصل الثالث في سورة الأحزاب .

قصة زينب بنت جحش

أرسل الله محمدًا ﷺ للناس كافة ، فحرر العبيد ، وعلم الناس المساواة ، وكرم إنسانية الإنسان ، ويين أن الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمى ، ولا لعجمى على عربي إلا بالنقوى .

وخطب النبي ﷺ زينب ينت جحش لزيد بن حارثة رضى الله عنه ، فاستنكفت وقالت : أنا خير منه حسبًا – وكانت امرأة فيها حدة – فأنزل الله تعالى : وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنَ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِنَّا فَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْعَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ, لَقَدْ صَلَّ صَلَّلاً شَيِنًا . (الأحزاب ٢٦١) . فقالت زينب : هل رضوته لى يا رسول الله زوجًا؟ قال رسول الله : «ندم» ، قالك : إذن لا أعصى الرسول ﷺ ، قد أنكحته نفسى .

وتم هذا الزواج ، ولأمر آراده الله لم يدم طويلا ، فقد كانت زينب تفخر على زيد بن حارثة بأنها حرة قرشة جميلة ، وأنه عبد لايدانيها فى نسبها وحسبها ، فلما تكرر ذلك منها عزم زيد على طلاقها ، وذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال له النبى : «أمسك عليه زو _ك واتق الله » رغبة فى إيقاء هذا الزواج ، وكان النبى يعلم بوحى من السماء أن زينب ستطلق وأنها ستكون زوجة للرسول ، ليبطل بهذا الزواج آثار التبنى بسابقة عملية يختار لها رسول الله ﷺ بصحوبة الخروج عليها، ولما طلقت زينب من ربد خطبها الذبى لنفسه ونزل الوحى من السماء يذلك ، حتى كانت زينب تفخر على ولما طلقت زينب من زيد خطبها النبى لنفسه ونزل الوحى من السماء يذلك ، حتى كانت زينب تفخر على أزواج النبى ، فتول : زوجكن أهاليكن ، وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سماوات .

ولم تمر المسألة سهلة ، فقد فرجئ بها المجتمع الإسلامي كله ، كما انطلقت ألسنة المذافقين تقول: تزرج حليلة ابنه .

وكانت المسألة مسألة تقرير مبدأ جديد ، لأن العرف السائد كان يعد زينب مطلقة ابن محمد فلا تحل له ، حتى بعد إبطال عادة التبنى فى ذاتها ، ولم يكن قد نزل بعد إحلال مطلقات الأدعياء ، إنما كان حادث زراج الذبى بزينب هو الذى قرر القاعدة عمليًا ، بعدما قويل هذا القرار بالدهشة والمفاجأة والاستنكار .

وفى هذا ما يهدم كل الروايات التى رويت عن هذا الحادث ، والتى تشبث بها أعداء الإسلام قديمًا وحديثًا ، وصاغوا حولها الأساطير المفتريات ، إنما كان الأمر أمر الله ، تحمله النبى وواجه به المجتمع الكارم لهذا الأمر كل الكرامية ، حتى ليتردد النبى فى تحمله ومواجهة الناس به .

هال تعالى : وَإِذْ تَقُولُ لِلّذِينَ أَنْمَمَ اللّهُ عَلَيْهِ وَأَنْهَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكَ عَلَيْكَ زُوْجَكَ وَأَنْقِ اللّهُ وَتُعْفِى فِي نَفْسِكَ مَا اللّهُ مُنْدِيهِ وَتَخَمَّى آثَالَى أَسْتَقَ أَصَقُّ أَن تَحْسُدُهُ قَلْمًا فَضَى زَيْدَ مَنْهَا وَطُرًا وَرُجَنَدَكُهَا لِكَى لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُلْفِينِنَ حَرْجً فِي أَوْرَاجٍ أَوْجِالِهِمْ إِذَا فَشَوْاً مِنْهُنُ وَطُرًا وَكَانَ أَمْنُ ٱللّهِ مَفْمُولاً . (الأحزاب: ٣٧) .

واستمرت الآيات توضع أنه لا حرج على النبى فيما فرض الله له ، فقد فرض له أن يتزوج زينب ، وأن يبطل عادة العرب فى تحريم أزواج الأدعياء ، ونكرت الآيات أن محمدا لم يكن أبا أحد من رجال العرب حتى يحرم عليه الزواج من مطلقته ، وإنما محمد رسول الله وخاتم النبيين ، فهو يشرع الشرائع الباقية ، لتسير عليها البشرية إلى يوم الدين ، ثم حثت الآيات على ذكر الله وطاعته .

وقد استغرق هذا الموضوع الرابم ، الآيات من ٣٦ – ٤٤ .

أدب بيت النبوة

يستغرق الموضوع الخامس الآيات من 8 ع إلى آخر السورة ، ويبدأ ببيان حكم المطلقات قبل الدخول،
ثم يتناول تنظيم الحياة الزوجية للنبي ﷺ ، فيبين من تحل له من النساء المؤمنات ومن تحرم عليه ،
ويستطود إلى تنظيم علاقة المسلمين ببيوت النبي . وزوجاته في حياته ويعد وفاته ، وتقرير احتجابهن إلا
على آباتهن أو إخوانهن أو أبناء إخوانهن أو نساتهن أو ما ملكت أيمانهن ، وإلى بيان جزاء الذين يؤدون
رسول الله ﷺ في أزواجه ويبوته وشعوره ، وهددهم باللعن في الدنيا والأخرة ، مما يشي بأن المنافقين
وغيرهم كانوا يأتون من هذا شيئا كثيرا.

ويمقب على هذا بأمر أزواج النبى ريئاته ونساء المؤمنين كافة آن يدنين عليهن من جلابيبهن : ذُ لِكُ أَذْنَىَّ أَنْ يُوْفُونُ لَا يُؤْفُونُ... (الأحراب : ٥٠) . وبتهديد المنافقين والذين في تلويهم مرض ، والمرجفين في المدينة ، بتسليط الذي ﷺ عليهم ، وإخراجهم من المدينة كما خرج بنو قينقاع من قبل وينو النضير بعدهم ، أو القضاء عليهم كما وقع لبني قريظة ، وكل هذا يشير إلى إيناء هذه المجموعة للمجتمع الإسلامي بوسائل شريرة خبيثة .

ثم ذكر من شرور هؤلاء الناس أنهم كانوا يسألون الذبى عن وقت الساعة على سبيل الاستهزاء والاستخفاف ، وأجابهم بأن علم الساعة عند الله ، ولرّح بأنها قد تكون قريبًا ، وأتبع هذا بمشهد من مشاهد القيامة حيث يتقلب المجرمون فى جهنم ، ويتمرغون فى العذاب والندامة .

ثم تعقب السورة بنهى المؤمنين عن إيناء النبى ، حتى لا يكونوا كالذين آنوا موسى بالطعن عليه ، ثم برأه الله وجعله نزيها وجيها .

تحمل الإنسان للأمانة

في آخر السورة نجد آية شهيرة تكشف عن جسامة العبء العلقى على عانق البشرية ، وعلى عانق الجماعة الإسلامية بصفة خاصة ، وهي التي تنهض وحدها بعبء الأمانة الكبرى ، أمانة العقيدة والاستقامة عليها .

لقد عرض الله حمل الأمانة على السمارات والأرض والجبال ، فأبين حملها لخطر أمرها ، وحملها الإنسان الذي خلق مزردا بالإرادة والكسب والاختيار ، والقدرة على الطاعة والمحمية .

فالسماء والأرض والجبال والبحار والكون كله يخضع لله خضوع القهر والغلبة، ولا يحتمل التكاليف، ولا يستطيع أن يتحمل الأمانة والتكاليف الشرعية ، فيناب على الطاعة ويعاقب على المحصية ، إنما الإنسان وحده الذي ميزه الله بالعقل والإرادة ، وكرمه وفضله بالكسب والاختيار، فله قدرة على الطاعة وقدرة على الطاعة وقدرة على على الطاعة وقدرة على عنه الخلطة والجهل ، وقد استعمر الله الإنسان في الأرض واستخلفه فيها لعلمه أنه وحده هو الذي يصلح خليفة عنه ، لما ركز في غرائزه وطبائعه من حب التنافس ، والتسابق في عمارة الأرض ، فمن ألهاع الله من طائفة الإنسان فله البعنة وله التربية عند الخطأ ، ومن كفر ونافق فله العذاب والمقاب. قال تعالى : إنّا عُرضًا آلْإِنَانَة عَلَى السَّمَة الْإِنسانُ إِنَّهُ كَانَ ظُلُومًا عَهُولًا عَلَيْهًا وَالْمُقْتَى مِنْهًا وَحُمَلُهَا الْإِنسانُ إِنَّهُ كَانَ ظُلُومًا جَهُولًا عَلَيْهًا وَاللهَ نَقُورًا اللهُ عَلَى الْمُؤْمِينَ وَالْمُؤْمِينَ وَالْمُؤْمِينَ وَكَانَ اللهُ ظُلُورًا . (حَيْهُ بِهَا . (كان ، ٧٧ . ٧٧).

بنيسية أتغيزال في

﴿ يَتَأَيُّهَا النِّيُّ اَتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَفِينِ وَالْمُنْفِقِينُّ إِتَ اللَّهَ كَاتَ عَلِيمًا حَكِمُنَا ﴿ وَاتَّعِمْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَمْمَلُونَ خِيرًا ۞ وَقَوَكَلْ عَلَّا لَنَّهُ وَكَنَى إِلَّهِ وَكِيلًا ﴿ ﴾

المطردات

ولا تطع الكافرين، فيما بخالف شريعتك وأوامر ربك.

عليما حكيما؛ وإسع العلم ؛ عقايم الحكمة .

وتوكل على الله ، فوض الأمر إليه .

وكفى بالله وكهلا ، كفي به حافظًا ومعيدًا .

تمهيدهي أسباب النزول

أخرج ابن جرير ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال - إن أهل مكة ، ومنهم الوليد بن المغيرة ، وشيبة ابن ربيمة ، دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله ، على أن يعطوه شطر أموالهم ، وحوّفه المتافقون واليهود. بالمدينة إن لم يرجع قتلوه ، فنزات الآيات .

وذكر الواحدى فى أسباب النزول أن الآيات نزلت فى أبى سفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبى الأعور السُّل عن الله عن أبى جهل وأبى الأعور السُّلمى ، قدموا المدينة بعد قتال أحد ، فنزلوا على عبدالله بن أبى (زعيم المنافقين) ، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه ، فقالوا للنبي ﷺ : ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزّى ومناة ، وقل : إن لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها ، وندعك وربك ، فشق على النبي ﷺ قولهم ، وأنزل الله عز وجل هذه الآيات .

وكل هذه الروايات تتلاقى على أن المشركين في مكة والمنافقين في المدينة حاولوا النيل من الإسلام والمسلمين ، فأنزل الله هذه الآيات تشدُّ أزر الرسول ﷺ ، وتثبته وتعلن رفض الإسلام لحيل الكفار والمنافقين . وروى أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، تابعه ناس من اليهود نفاقًا ، وكان يلين لهم جانبه ، ويظهرون له النمنح خداعًا ، فحذره الله منهم ونبهه إلى عداوتهم .

التفسد ،

١ - يَنْأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ أَتِّي ٱللَّهَ وَلَا تُطع ٱلْكَنْفِرِينَ وَٱلْمُمَنْفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا .

وإن الإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة ، يقوم على هذه الشريعة نظام ، وهذه للثلاثة مجتمعة مترابطة متفاعلة هي الإسلامه ٢٠٠١ .

وقد بُدئت السورة بدعوة النبى ﷺ إلى تقوى الله ومراقبته ، وامتثال أمره والابتعاد عن نواهيه ، وهو ترجيه لأمته على توالى للعصور والدهور .

قال طلق بن حبيب : التقوى مى أن تعمل بطاعة الله ، على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معمدية الله ، على نور من الله ، مخافة عذاب الله .

وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا .

لا تستجب لمطالبهم ، ولا تستمع لنصائحهم المغرضة ، بتفصيص بعض المجالس للأغنياء ، وطرد المُمعناء والفقراء عن هذه المجالس ، وقد كان ضغط الكافرين والمنافقين عنيفًا في المدينة وما حولها ، في هذه الفترة التي نزلت فيها السورة ، حوالي سنة خمس من الهجرة .

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا .

فهو العليم بما يضمرونه ، الحكيم في تدبير أمرك وأمر أصحابك ، وسائر شئون خلقه ، فهو أحق أن تتبع أرامره وتطاع .

٢ - وَٱلَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِيرًا .

اتبح الوحى والقرآن الذي ينزل عليك أيها النبى بواسطة جبريل من عند الله ، وهذا الوحى هداية السماه لك ولأمتك ، وللناس أجمعين إلى يوم الدين .

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا .

فهو سبحانه مطلع وخبير بما تعمل أنت وأممحابك ، لا يخفى عليه شىء منه ، ثم يجازيكم على ذلك بما وعدكم به من الجزاء .

٣ - وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً.

اعتمد على الله وحده ، فهو نعم المولى ونعم النصير ، والتوكل على الله يتضمن الاعتماد عليه والثقة به ، وانتظار النجاح والتوفيق منه ، بعد الأخذ بالأسباب .

التوكّل غير التواكل :

المتوكل يعمل ويكدح ويأخذ بالأسباب ، كالفلاح الذي يحرث الأرض ، ويسقيها وينظفها ويهيئ التربة للقوس ، ثم يضم الحبّ ويعتمد على الرب .

رأى عمر بن الخطاب قوماً من أهل اليمن فسألهم : ما هي حريثكم ٢ قالوا : نحن متوكلون ، فقال عمر لهم : أنتم متواكلون ، المتوكل هو الذي يأخذ بالأسباب ، يغرس الحبّ تم يعتمد على الرب .

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً .

كفي الله حافظًا ومعينًا ووليًا ونصيرًا.

والمقصود: إن الله عامسك وحسبك، فهو وحده جالب النفع لك، ودافع الضرعنك.

إن هذه الأيات الثلاث تهدف إلى غرس المرة والكرامة في نفوس المسلمين.

وقد اشتملت على ما يأتي :

١ – تقوى الله وطاعته واتباع وحيه.

٢ -- الابتعاد عن طاعة الأعداء من الكافرين والمنافقين .

٣ -- التوكل على الله ، فمن وجد الله وجد كل شيء ، ومن فقد الله فقد كل شيء .

﴿ مَّاجَعَلَ اللَّهُ لِرَحُٰلِ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ * وَمَاجَعَلَ أَزْوَجَكُمُ اَلَّتِي تَطْلَهِ رُونَ مِنْهُنَّ أَتُعَبِّكُمْ وَالْمُ مِا أَوْلِهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُو لَهُ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ أَلْكُفَّ وَهُو يَهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ فَإِن لَمَّ مَعْلَمُوا ءَابِآءَ هُمْ فَيَالَمُ مِنْكُمْ فَي اللّهِ مَعْلَمُوا ءَابَآءَ هُمْ فَي اللّهِ مَعْلَمُوا ءَابَآءَ هُمْ مَلَا مَلْكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَعْلَمُوا عَلَيْهُ فَي اللّهِ مَعْلَمُوا عَلَيْهِ وَلَلْكِن فَعَلَمُوا عَلَيْهِ وَلَلْكِن مَا اللّهُ عَفْولًا وَحِيمًا ۞ ﴾ مَا اللّهُ عَلْمُوا وَحِيمًا ۞ ﴾ مَا اللّهُ عَلْمُولًا وَحِيمًا ۞ ﴾

المطردات :

جـــهــــل، خلق .

تنظ الهرون؛ الظهار: قول الرجل لزوجته: أنت على كظهر أمى، يريد بذلك تحريمها كما تحرم الأم.

أهمها وكم ، جمع دعيّ ، والمراد به هذا : الابن بالتبنى ، وقد كانت تجرئ عليه أحكام الابن في الجاهلية ، وصدر الإسلام .

السبيك، الطريق.

التعوهم البائهم السبوهم الآبائهم الذين ولدوهم .

هسو أقسسط ، أعدل .

مسوالسيكم؛ أولياؤكم فيه .

جـــنــاح، إثم.

فيما أخطأتم به ؛ فيما فعلتموه مخطئين جاهلين قبل النهى .

تعمدت قاويكم ، قصدته عمدًا بعد النهى عنه .

التفسير،

\$ – مَّا جَمَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلِ مِّن قَلْشِن فِي جَوْفِهِ وَمَا جَمَلَ أَزْوَجَكُمُ ٱلنَّتِي تُطْلهِرُونَ مِنْهُنَّ أَمْهَلِيكُمْ وَمَا جَمَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَنْاتِكُمْ قَوْلُكُم بَالْفَارِكُمْ وَٱللَّهَ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهَوْ يَهْدِينَ ٱلسَّبِيلَ .

تمهيد :

ورد في أسباب النزول ، وفي تفسيري القرطبي وابن كثير وغيرهما: أن هذه الآية عالجت ما كان متفشيا في الجاهلية من أخطاء، ومن هذه الأخطاء أن الظهار وهو قول الرجل لزوجته: أنت على كظهر أمى، يحرم الزرجة فتحرم عليه كما تحرم الأم ، وقد بين القرآن أن هذا عدوان ، وتحريم للحلال ، فالزوجة أصلّها الله للإنسان ، فلا يجوز أن يحرّمها كما تحرم عليه الأم ، فالأم تجب طاعتها والبربها ، والزوجة يحلّ الاستمتاع بها .

وكان الرجل فى الجاهلية إذا أعجبه إنسان لظرفه ونبله ألعقه بنسبه ، فقال: هذا ابنى ويرثنى ، فيصبح له حكم الابن فى الميراث ، وفى حق النسب إلى أبيه المدّعى ، ولا يجوز للأب المدّعى أن يتزوج امرأة ابنه بالتبنى ، وقد أراد القرآن إبطال هذه العادة المستحكمة فى الجاهلية ، واختار القرآن محمدًا ﷺ ليكون فدوة عملية فى ذلك .

قصة زيدين حارثة

كان زيد بن حارثة مسبيا من الشام ، سبته خيل من تهامة ، فاشتراه حكيم بن حزام بن خريلد ، فهيه لعمته خديجة ، فهميته خديجة للنبي ﷺ ، فأقام عنده مدّة ، ثم جاء عمّه وأبوه يرغبان في فدائه ، فقال لهما النبي ﷺ : «خيرًاه فإن اختاركما فهو لكما دون فداء» ، فاختار زيد بن حارثة الرُق مع رسول الله ﷺ ، وقال : هذا الرجل ما رأيت منه إلا كلّ خير ، وأنا أفضله على أبى وعمى ، فلما رأى النبي ﷺ تعلّقه به ، قال : «يا معشر الناس ، اشهدوا أن زيد بن حارثة ابنى يرثني وأرثه » ، فرضى بذلك أبوه وعمه ، وكان يدعى زيد بن محمد ، فلما حرم الله نسبة الولد المتبنى إلى غير أبيه ، قال النبي ﷺ له : «أنت زيد بن حارثة احداء .

من تفسير القرطبي

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى :

مَّا جَعَلُ ٱللَّهُ لِرَجُلِ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ...

عن الواحدى والقشيرى وغيرهما: نزلت فى جميل بن معمر الفهرى ، وكان رجالاً حافظًا لما يسمع ، فقالت قريش ما يحفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان ، وكان يقول : لى قلبان أعقل بهما أفضل من عقل محمد، فقالت قريش ما المشركين يوم بدر ومعهم جميل بن معمر ، رآه أبو سفيان فى العير ، وهو معلَّق إحدى نعليه فى يده ، والأخرى فى رجله ، فقال أبو سفيان : ما حال الناس ؟ قال : لنهزموا ، قال : فما بال إحدى نعليك فى يدك ، والأخرى فى رجلك ؟ قال : ما شعرت إلا أنهما فى رجليًّ ، فعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده ، اهد.

وقال ابن عباس : سببها أن بعض المنافقين قال : إن محمدًا له قلبان ،لأنه ريما كان في شيء فنزع في غيره نزعة ، ثم علد إلى شأنه الأول ، فقالوا ذلك عنه ، فأكتبهم الله عز وجل⁰⁴ .

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُل مِّن قَلْيَيْن فِي جَوْفِهِ ...

خلق الله الإنسان وله اتجاه ومنهج وطريق يسير عليه ، فمن لختار الإسلام والإيمان والهداية ، سار في هذا الطريق ، ومن لختار الضلال أو الكفر أو النفاق ، سار في طريقه ، ومن أمثلة العرب : (إنك لا تجنى من الشوك العنب) ، فالمؤمن يصدر عنه السلوك المستقيم ، والكافر يصدر عنه أفسال الكفر والضلال .

ظم يخلق الله لرجل قلبين في جوفه ، يكون في أحدهما إيمان وفي الأخر كفر ، بل الإنسان له قلب واحد ، فإذا اعتذق التقي والهدى ظهر ذلك في سلوكه ، وإذا اعتذق الفسوق والكفر ظهر ذلك في سلوكه .

قال ﷺ: «إن النور إذا بدخل القلب اتسع له الصدر وانشرح» ، قيل : يا رسول الله ، هل لذلك من علامة؟ قال : «نعم ، التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الطور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت» ا^{دم}، ثم ثلاً قوله تمالى : أَفَضَ شَرَحَ ٱللَّهُ صَنْفَرَهُمْ لِلإُصْلَكُمْ فَهُوْ عَلَىٰ قُور مِّن زَّهُمْ ... (الزمر: ۲۲) .

وَمَا جَعَلَ أَزْوَ جَكُمُ ٱلَّذِي تُطَلْهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَ لَتِكُمْ ...

كان الرجل إذا قال لامرأته : أنت على كظهر أمّى ، حرمت عليه على التأبيد ، فرسم القرآن طريقًا جعل الطلاق مزقتًا ، بأن يعتق المظاهر رقبة ، فإن لم يجد صام ستين يومًا ، فإن لم يجد أطعم ستين مسكيئًا ، قبل أن يقرب زيجته .

كما بين القرآن الكريم أن هناك فرقاً بين الأم والزوجة ، فالأم تجب طاعتها والدر بها ، والزوجة أحلّ الله الاستمتاع بها ، وأوجب لها حسن العشرة ، وحين يقول الرجل لامرأته : أنت على كظهر أمّى ، لا تتحول إلى أمّ ، ولا تكون الزوجة التي ظاهر منها زوجها مثل الأمّ .

وَمَا جَعَلَ أَدْعِيّاءً كُمْ أَيْنَاءً كُمْ ...

لم يجمل الولد العدَّعى مثل الابن ، لأنه ليس ابنا صلبيا ، وأجمع أهل التفسير على أن هذه الآية نزلت في زيد بن حارثة ، وقد أبطل الله هذا الإلحاق الوهمي ، وهذا النسب المزعوم بهذه الآية ، ويقوله تعالى : مُّا كَانُ مُحَمَّدُ أَبِّا أَخَدِ مِّن رُجَّالِكُمْ ... (الأحزاب : ٠٤) .

وهذا هن المقصود بالنَّفي ، قدّم الله له نفي أمر حسى محروف ، وهو اردواج القلب ، ثم أردفه بنفي أمرين معنويين ، هما : اجتماع الروجية مع الظهار ، والتبني مع النسب ، فالثلاثة باطلة لا حقيقة لها .

ذَ ٰ لِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْقَ ٰ هِكُمْ ...

هذا كلام تدَّعرته ليس له أساس في الواقع ، ظيس لرجل من قلبين في جوفه ، والزوجة لن تكون أمّا . والابن الدعي لن يكون ابنا حقيقيا ، هذه دعاري بالسنتكم وأفواهكم لا واقع لها .

وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ .

والله هو الذي يقرر الصدق والحدل، ويرشد إلى السبيل القويم الصحيح، فدعوا قولكم وخذوا بقوله عز وجل. جاء في صفوة الشفاسير للأستاذ محمد على الصابوني ما يأتي :

والغرض من الآية التنبيه على بطلان مزاعم الجاهلية ، فكما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوف ، فكذلك لا يمكن أن تصبح الزرجة المظاهر منها أمًّا ، ولا الوَّلد المتبنى ابنًا ، لأن الأم الحقيقية هي: التي ولدته ، والابن الحقيقي هو الذي ولد من صلب الرجل ، فكيف يجعلون الزرجات المظاهر منهن أمهات؟ وكيف يجعلون أبناء الآخرين أبناءً لهم ، مم أنهم ليسوا من أصلابهم ٢٠٠٤.

٥ – آدغوهُم إلاماتهم مُو آلسَطُ عِند آلله فإن ثُم تَعْلَمُواْ عَلَمَاعُهُمْ فَاعْوَرْنُكُمْ فِي آلدّين وَمَوْ الحِكُم وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
 جُمّاحٌ فِيمَا أَخْطَأُتِم بِهِ وَلَكِن مَا تَعْمَدَتُ قُلُولُكُمْ وَكَانَ ٱللّهُ غَفُورًا رُحِيمًا .

انسبوا هزلاء الأدعياء إلى آبائهم الحقيقيين فذلك أعدل عند الله وأفضل ، فى نسب من كان معروفًا نسبه إلى أبيه ، وكان زيد بن حارثة يسمى زيد بن محمد فأصبح يسمى زيد بن حارثة ، أما من لم يكن معروف النسب ، فيقال له : يا أخى فى الدين ، أن يا مولاى ، بمعنى يا صديقى ، أن يا نصيرى .

قال ابن كثير :

أمر الله بردّ أنساب الأدعياء إلى آبائهم إن عُرفواء فإن لم يُعرفوا فهم إخوانهم في الدين ومواليهم ، عوضا عما فاتهم من النسب ، ولهذا قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : «أنت أخونا ومولاناه ٣٠٠ ، وقال ابن عمر : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزات: أَدْعُوهُمْ لِآبَاتِهُمْ قُوْ أَقْسُمُّ عِبدَ ٱللَّهِ ... ٢٠٨ أخرجه المخاري،

وقيل لسالم بعد نزول الآية : مولى حذيفة ، وكان قد تبناه من قبل .

جاء في الحديث الذي رواه أحمد ، والشيخان ، عن أبي ذر : ليس من رجل ادعى لغير أبيه ، وهو يعلمه، إلا كفر (١٣)

قال ابن كثير: هذا تشبيه وتهديد ووعيد أكيد، في التبرى من النسب المعلوم.

وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَاۤ أَخْطَأْتُم بِهِ ...

ليس عليكم ذنب فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي ، أو بعده نسيانا أو سبق لسان.

وَلَـٰكِن مَّا تَعَمُّدَتْ قُلُوبُكُمْ ...

ولكن الذنب والإثم لمن تعدد إلحاق الابن بغير أبيه ، فتلك معصية موجبة للعقاب ، ولا إثم ولا تحريم فيما غلب عليه اسم التبنى ، كالمقداد بن عمرو ، فإنه غلب عليه نسب التبنى ، فيقال له : المقداد بن الأسود ، والأسود هو الأسود بن عبد يغوث ، كان قد تبناه فى الجاهلية ، فلما نزات الآية ، قال المقداد : أنا ابن عمرو، ومم ذلك بقى الإطلاق عليه .

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا .

وكان الله – ومازال – ساترا لذنب المغطئ والمتعمد إنا تابا ، رحيما بهما فلا يعاقبهما ، فمن رحمته أنه رفع الإثم عن المفطئ ، وقَبل توية المسىء عمدًا .

قال تعالى: رَبُّنَا لا تُوَاحِلُنَا إِن تُسِيّنا أَوْ أَخْطَأْنا ... (البقرة: ٢٨٦) . وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: وقال الله عزوجل: قد فعلته أن رسول الله

وفي صحيح البخاري ، عن عمرو بن العامن رضى الله عنه قال : قال رسول الله 義 : وإذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأعطأ فله أجري (٩٠٠ .

وروى ابن ماجة ، عن أبى نر ، أن رسول الله ﷺ قال : وإن الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، ٣٠٠ .

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، عن قتادة أنه قال في الآية : لو دعوت رجلا لغير أبيه ، وأنت ترى أنه أبوء لم يكن عليك بأس ، ولكن ما تعبدت وقصدت دعاءه لغير أبيه .

وروى الإمام أحمد ، عن عمر رضى الله عنه أنه قال : إن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ بالحق ، وأنزل ممه الكتاب ، ذكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، ثم قال : قد كنا نقراً : «ولا ترغبوا عن آبائكم ، فإنه كغر بكم أن ترغبوا عن آبانكم "" ،

وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : «ثلاث في الناس كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت ، والاستسقاء بالنجوم» (٣٠٠).

وقال في التفسير المنير:

هذك فرق بعن الترخى المضهى عنه ، والاستلحاق الذي أباحه الإسلام ، فالتبغى هو ادعاء الولد مع القطع بأنه ليما المستلحق المنافقة في يظن ذلك ظفًا القطع بأنه ليمستلحق ابنه أو يظن ذلك ظفًا وقويًا ، بسبب وجود زواج سابق غير مطن (٥٠٠ .

* * *

﴿ النِّيُّ أُولَى بِالْمُوْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِمِمْ وَأَزْوَجُهُ وَأُمْعَنَّهُمُّ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ اَوْلَى بِمَّضِ فِي كِتَبِ اللّهِ مِنَ الْمُوْمِنِينَ وَالْمُهُنجِينَ إِلّاۤ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ اَوْلِيمَا بِكُمْ مَعْمُونًا ﴿ وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ اللّهِ فِي الْكِتِنَ مَسْطُورًا ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النّبِيتِينَ مِشْنَقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن فُرِي وَلِبَرْهِمَ وَهُومَى وَعِيسَى أَبْنِ مَرَّيمٌ وَالْخَذْنَا مِنْ اللّهِ الْم ۞ لِيسْنَلُ الصَّدْدِقِينَ مَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَ الْكَفرِينَ مَذَاكِمُ اللّهُمُ اللّهُ اللّهُمَا ۞ ﴾

المفردات:

أمهاتهم في التحريم واستحقاق التعظيم.

أوليو الأرحسام؛ أصحاب القرابات.

يعضهم أولى بيعض ، يعضهم أحق بيعض في التوارث .

إلى أولي السكم، إلى حلفائكم من المهاجرين والأنصار.

مسمسروفسا ، براً ، كالتوصية .

كسسسان ذلك؛ كان ما ذكر من الأحكام في الآيات السابقة.

مسيعط يسوراء في اللوح المحقوظ.

معيد شماق عهدهم بالدعوة إلى دين ألله .

ميثلقًا عُلَمُ لِمُناء عهدًا عظيم الشأن ، أو قويًا مثيدًا .

المسادقين، الأنبياء الصادقين.

عسن صساقهم و في تبليغ الرسالة وعما قالوه لقومهم.

التفسيره

٣ – آلاَيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَ خَعَرَ أَنَّهُ سُهُمْ وَأُولُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعَشُهُمْ أَوْلَىٰ بَغَصْ فِي كِنْسِ ٱللَّهِ مِن ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهُسَّعِرِينَ ...

سورة الأحزاب نزلت في السنة الخامسة للهجرة ، وكانت أوضاع المسلمين قد استقرت بعض الشيء . ولذلك اشتملت على تشريعات مناسبة ، فقد كان التوارث في بدلية الهجرة على أخوة الدين ، حيث هاجر المسلمون من مكة فرازًا بدينهم ، وتركرا أموالهم وأزواجهم ، وملاعب الصبا وأوطانهم الحبيبة ، إيشارًا لدين الله ودعوته ، وكان الأنصار أهل المدينة نعم الأهل والعشيرة ، أحبُوا المهاجرين أو روغبوا في إكرامهم وأخوتهم ، فما نزل مهاجري على أنصاري إلا يقرعة ، إذ كان عدد المهاجرين أقل من عدد الأنصار ، وبهذه الأحدود في الإسلام ، كان الأج يرث أخاء إنا مات ، ويعقل عنه إذا جنى ، وكانت أخوة حقيقية ، ثبتت دعائم الإسلام ، وباركت فكرته في النفوس ، قال تعالى : وَأَلْفَ بَيْنُ فُلُوبِهِمْ وَلَانُهُ مَنْ مَلْ اللهُ عَلَيْ مُوبِعُهُمْ أَلَّهُ عَرِيزٌ حَكِيمٌ ، (الأنفال: ١٣)

ويعد أن جاءت الفنائم ، وعادت الأمور إلى وضعها الطبيمى ، عاد المبراث إلى طبيعته ، فأصبح التوارث على القرابة .

ومعنى الآية :

النبى محمد ﷺ يبلغ عن الله ، وهو القدوة العملية للمسلمين ، وهو حامل وحى السماء ، فالواجب على المسلمين محبته وطاعته ، فهو أولى بالطاعة من آباتهم وأمهاتهم ، وأولى بالمحبة من حبهم لأنفسهم . كما ينبغى أن يكون حكمه نافذا فيهم ، مقدما على ما يختارونه لأنفسهم .

قال تمالى : فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكَّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيَتَهُمْ ثُمُّ لَا يُجِلُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مَّمَا فَضَيْتَ رَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا . (النساء: ١٥) .

وَأَزْوَاجُهُۥ أُمَّهَا تُهُمْ ...

أي: هنّ بمنزلة الأشّهات في الحرمة والاحترام ، والتوقير والإكرام ، وفيما عدا ذلك هن كالأجنبيات. فلا يحل النظر إليهن ، ولا إرثهن ، ولا نحو ذلك .

وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضِ فِي كِتَلْبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَا حِرِينَ .

وأصحاب القراية أولى بالتوارث فيما بينهم ، فذلك حق موجود ثابت في كتاب الله تعالى ، أو في اللوح المحقوظ ، وهذا الحق – وهو التوارث بين الأقارب – أولى من التوارث بين المؤمنين بحق الدين ، والمهاجرين بحق الهجرة .

لقد كان الترارث بين المهاجرين والأنصار أمرًا عارضًا ، دعت إليه ظروف الهجرة ، فلما استقرت الأحوال عاد التشريع إلى الأصل وهو التوارث بحق القرابة ، وهذا التوارث بحق القرابة هو الأصل في كتاب الأحوال عاد التشريع إلى الأصل ، ثم استثنى من الميراث بحق القرابة أن يتطوع إنسان فيوصى الإخوانه في الدين ، أو لأي فرد من الناس ، فيجب تنفيذ الوصية ، وتقديمها على الميراث ، وكذلك الدين ، قلم الميراث .

حيث قال تعالى في سورة النساء : مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَاۤ أَوْ دَيْنِ . . . (النساء : ١٧) .

إِلَّا أَن تَفْعَلُواْ إِلَىٰٓ أَوْلِهَاكِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَالِكَ فِي ٱلْكِتَابِ مَسْعُلورًا.

أى: إنَّ التوارث على القرابة لا يمنعكم من أن تقدموا لأوليائكم من الأنصار والمهاجرين وغيرهم معروفا وبرا سوى الميراث، كالوصية والهبة والهدية والصدقة، وما تقدم من الأحكام في هذه السورة، كان مسطورًا ومسجلاً في كتاب الله وهو القرآن، أن اللوح المحفوظ، فهو واجب التنفيذ والطاعة والامتثال.

ملاحق بالأية

 ا - آخى رسول الله ﷺ بين أبى بكر وخارجة بن زيد ، وآخى بين عمر وشخص آخر، وآخى بين الزبير وكعب بن مالك ، فكان المتوارث على هذه الأخوة حتى نسخ الله ذلك بقوله تعالى : وَأُولُواْ ٱلْأَرْحَامِ
 بَعْضَهُم أَوْلَى بِبَعْسِ فِي كِنْفِ ٱللَّهِ مِنْ ٱلْمُؤْمِينَ وَٱلْمَهَاحِرِينَ ...

٢ - ردى البخارى ، عن أبى هريرة قال: إن رسول الله ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم: آقيًّ أَزَلَى بِالْمُؤْمِينَ مِنْ أَشْسِهِمْ ... فأيما مؤمن ترك مالاً فلترثه عصبته من كانوا ، ومن ترك نبئنا أن ضياعًا (عيالا) فليأتنى فأنا مولاهه ٣٧.

قال العلماء : كان ﷺ لا يصلى على أحد وعليه دين ، فلما فقح الله عليه الفقوح قال : «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفى وعليه دين فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالا فلورتثة» أ

٣ - استنبط الفقهاء من هذا الحديث السابق أنه يجب على الإمام أن يقضى من بيت المال دين
 الفقراء، اقتداء بالنبي ﷺ.

المراد من كتاب الله اللوح المحفوظ أو القرآن الكريم ، ومن لفظ: آلمُولْمِينَ . الأنصار ، ومن لفظ
 (المعروف): الوصية أو الهدية أو الهبة أو ما أشبه ذلك ، ومن (الأولياء): الأصدقاء من المؤمنين ، ويدخل
 فيه المهاجرون والأنصار ، فإن الوصية تصم كاكل مؤمن ومؤمنة ، وتقدم على الميراث بالقرابة والمصاهرة.

٧ - وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيْنَ مِيفَلَقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُوحٍ وَإِنْزَاهِمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْتِمَ وَأَعَلْنَا مِنْهُم مَّفِئَلًا
 غَلِيظًا

وانكر إذ أغذنا ، مِن آلْتَسِيَّن مِسْتَقَهُمْ ... أى : العهد المؤكد على أن يبلغوا الرسالة ، ويدعوا أممهم إلى المرسلين الحق، والصبر والتعاون والتناصر ، وإقامة الدين وعدم النقرق فيه ، هذا العهد أخذه الله على المرسلين عامة في تبليغهم الرسالة ، والتزامهم بتحمل تبعة القيادة ، وترفية الأمة ، ثم خصمص خمسة من أولى العزم من الرسل لشهرتهم و ونجاح دعوتهم وأهمية رسالتهم فقال : وُبِئكُ وَمِن فُرِح وَلِيْر لَهِمْ وَنُوسَى وَهِبَى أَبْرِ مُرَبَّمَ ... وقدم محمداً ﷺ لأنه من ملحب الرسالة المقاتمة ، ولأنه المخاطب هذا ، ثم ذكر أربعة بعده حسب تسلسلهم التاريخي ، وهم الرسالة المقاتمة ، ولأنه المخاطب هذا ، ثم ذكر أربعة بعده حسب تسلسلهم التوريخي ، وهم نوح ، ولبراهم أبو الأنبياء ، وموسى صاحب التوراة والصبر على بني إسرائيل ، وعيسى آخر نبى قبل محمد ، ونسهه إلى أمّه مريم لينفي عنه ما شاع من أنه ابن الله ، فهو عبد الله ورسوله .

وَأَخَذُنَا مِنْهُم مِّيثَنْقًا غَلِيظًا .

تأكيد للميثاق السابق ، أي : عهدًا مؤكَّدا .

قال القرطى : أي عهدًا وثيقًا عظيما على الوفاء بما التزموا به من تبليغ الرسالة ، وأن يصدَّق بعضهم بعضا ، والميثاق هو اليمين بالله تعالى ، فالميثاق الثانى تأكيد للميثاق الأول باليمين ، وقيل : الأول هو الإقرار بالله تعالى ، والثانى في أمر النبوة ، ونظير هذا قوله تعالى : وَإِذْ أَحَدُ آللَّهُ مِيثَاقٍ آلْشِينَ لَهَا وَالَيْتُكُم مَن يَشِنْهِ وَحِكْمَةٍ ثُمْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَلَّقٌ لَمَا مَعَكُمْ تُكُومِنُ إِهِ وَلَتَسُمِّ نَلُمْ قَالُورُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ عِلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُونَ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ ا

أى : أخذ عليهم أن يعلنوا أن محمدًا رسول الله ﷺ ، ويعلن محمد ﷺ ألا نبى بعده الله

وقد صرح القرآن بأولى العزم منا، وفي قوله تعالى : شَرَعَ لَكُم مُنَ ٱللَّيْنِ مَا وَصَّيْ بِهِ لُوحًا وَٱلَّذِيّ أَوْحَيَّنا إِلَّكُ وَمَا وَصِّنَا بِهِ إِيْرَ (هِيمَ وَمُوسَى أَنْ أَلْقِيمُوا ٱللَّيْنِ وَلَا يَتَقُرُفُواْ لِهِدِ ... (الشورى: ١٣) .

قال ابن كثير: فهذه الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها.

وَأَخَذُنَا مِنْهُم مِّيثُكُما غَلِيظًا .

أى: عهدًا عظيم الشأن ، وكيف لا ؟ وقد يعترضه من الماكرين والمحادّين والمشأقين ما تزول منه الجبال ، لولا الاعتصام بالصبر عليه .

٨ -- أَيْسُهُلُ ٱلصُّدْدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدُ لِلْكَنْفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا .

لقد أخذ الله الميثاق على الرسل بتبليخ الرسالة والدعوة ، والصبر والمجاهدة في سبيل هذه الدعوة ، حتى يسأل الله الأدبياء عن نتيجة تبليفهم للرسالة ، فالمراد بالصادقين الرسل .

والمعنى : ليسأل المسادقين عن نتيجة تبليغ رسالتهم ، فمن استجاب وصدَّق فله الجثَّة ، ومن كفر فله العذاب الأليم .

وأهاد القرطبي أن الآية تحتمل معنى آخر ، وهو : ليسأل الله المؤمنين المسادقين عن صدقهم ومأثرهم وأعمالهم الطلبة ، كما يُسأل التلميذ النجيب عن إجابته المتميزة ، فهو سؤال نشريف وتكريم ، كما يسأل الكفار سؤال تربيخ .

قال تعالى : فَلْنَسْمَلَنْ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنْسُمُلَنَّ ٱلْمُوْسَلِينَ . (الأعراف: ٦) .

وهي معنى الآية يقول الله تعالى : يُوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلْوُسُّلُ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِيتُمُ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّكَ ٱنتَ عَلَيْمُ آلَهُوْهِ . (فساندة : ٩-١) .

وفي هذا تنبيه ، أي : إذا كان الأنبياء يُسألون ، فكيف من سواهم ؟! .

قال ابن كثير :

ونحن نشهد أن الرسل بلغوا رسالات ريهم ، ونصحوا الأمم ، وأَهْصَدُوا لهم عن الحق المبين الواضح الجلى ، الذي لا لبس فيه ولا شك ولا امتراء ، وإن كذبهم من كنبهم من الجهلة والمعاندين ، والمارقين والقاسطين ، فما جاءت به الرسل فهو الحق ، ومن خالفهم فهو على الضلال ، ا هـ . ﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَوُا اَذَكُرُوا يَعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُرْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُوُدٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيعًا وَجُوُونَ لَمْ مَرَقَّ مَا لَمْ مَوْ وَكَانَ اللَّهُ يِمَاتَمَلُونَ بِعِيمًا ۞ إِذْ جَاءً وَكُمْ مِن فَوْكَمُّ وَينَ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاعَتِ الْأَبْصَرُ وَيلَفَتِ الْقُلُوبُ الْحَسَامِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظَّنُونَا فَهُويِهِمْ مَرَقُنُ مَا وَعَمُونَا اللّهُ وَرَسُولُهُ إِلَا عُرُونَا ۞ وَإِذْ قَالَتَ طَلَا فِفَةٌ مِنْهُمْ يكافُونَ إِنَّ مُعْمَونَا عَرْدَةً وَمَا هِي سَوْدَةً اللهُ يَعْمَلُونَ إِلَا فِرَارًا ۞ وَلَقَدُ عَلَيْهِ مَنْ مَنْهُمُ النِّي يَعْمُولُونَ إِنَّ يُوقِعَنَا عَرْدَةً وَمَا هِي سَوْدَةً إِلَا قَلِيدُ اللّهِ وَلَوَا اللّهِ وَلَوَا مُؤْمَدُ اللّهِ مِنْ أَصْلًا اللّهُ مِن مَنْهُمُ اللّهِ مِنْ اللّهُ مِن اللّهِ اللّهُ مَن اللّهِ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللهُ اللّهُ الللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الله

المفردات :

مستنسبود، من قريش ومن تحزب معها في غزوة الأحزاب.

وجشودا لم تبروها ، الملائكة .

مين هيوقيكيم؛ من أعلى الوادي من جهة المشرق ، وهم بنو غطفان وينو قريظة .

ومن أسفل منكم، من أسفل الوادى من جهة المغرب، وهم قريش وياقى حلفاتها.

زاغت الأبسيار، مالت عن مستوى نظرها حيرة ودهشة .

بلقت القاوب الحناجر؛ فزعت فزعًا شديدًا ، والحناجر جمع حنجرة ، وهي الطقوم حيث مخرج الصوت .

المومنون ، وتعرضوا لامتحان شديد .

زلصر الصواء اضطربوا

رًازالا: اضطربوا اضطرابًا شديدًا من الفرع وكثرة الحدو.

____رش، ضعف اعتقاد .

إلا غير المرورا، باطلا من القول لا حقيقة له .

ب و ب من أسماء المدينة .

لامتهام لكم الاينبغي الإقامة ها هنا .

مــــورة، غير حصينة .

من أقط وهاء من حوانيها .

المضية الردّة وقتال المسلمين .

وسيحجب والخواد والحواد

تمهيدموضوعه

غزوة الأحزاب في كتب السيرة

فى السنة الضامسة من الهجرة اجتمع حول المدينة عشرة آلاف من الكفار الوثنيين وأهل الكتاب للقضاء على الذبي على و وكان سبب الوقعة اليهود، وكان بنو النضير قد خانوا النبي على و وكان سبب الوقعة اليهود، وكان بنو النضير قد خانوا النبي على و وكان سبب الوقعة اليهود، وكان بنو النضير قد خانوا النبي على و همنوا بقتله حين كان في زيارتهم ، وبينما هو جالس بجوال حائظ له رسوله على الثنان منهم أن يشغله أحدهما في الكلام ، بينما يلقى عليه الثاني حقيق المين ، ثم أهبر الله رسوله على النمية به وتركهم ، ثم حاصرهم وأجلاهم عن المدينة منهم إلى خبير وعلى رأسهم حيى بن أهطب ، وآل أبى الحقيق، و وهب أم أمر المواز على المواز المواز

ثم وقعت مكيدة محكمة بين الأحزاب ، فقد جاء نعيم بن مسعود الأشجعن إلى رسول ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إنى قد أسلمت ، فمرنى بما شئت ، فقال النبي ﷺ : «خذًل عنا الناس إن استطعت ، فإن الحرب خدعة » ، فذهب إلى بنى قريطة ، ونصحهم بألاً يحاربوا مع قريش وغطفان ، إلا إذا أخذوا رهائن من أشرافهم ، حتى يستمروا معهم فى حرب محمد إلى النهاية ، لأنهم إذا ستموا الحرب عادوا إلى بلادهم ، وتركوهم وحدهم أمام محمد ، ولا طاقة لهم به ، وذهب نعيم إلى قريش ، فأخبرهم أن البهود ندموا على نقض عهدهم مع محمد ، ويريدون أن يأخذوا رهائن من أشرافكم ، لتستمروا معهم إلى النهاية فى قتال محمد ، ولما حاول أبو سفيان ومن معه خوض معركة فاصلة ، أرسل إلى اليهود ليحكموا الهجوم ، فتباطأ اليهود ، وطلبوا رهائن من رجال قريش ، فامتنعوا وصدقوا حديث نعيم بن مسعود ، وتخائل اليهود والعرب، وتفرقت الكلمة .

واشتد الظلام ، ومكت النبي صلى القائما يصلى رافعا يديه يقول : «يا صريخ المكروبين ، ويا مجيب المضطرين ، اكشف همى وغمى وكريس ، فقد ترى حالى وحال أصحابى ، «اللهم منزل الكتاب ، سريم الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم فأرسل الله ريحا عاتية ، في ليلة شاتية باردة ، خلعت خيام الكافرين ، وكفأت قدورهم ، وألقت الملائكة الرعب في قلوبهم ، ففطب فيهم زعيمهم أبو سفيان ، ونصحهم بالرحيل فرحلت قريش وغطفان ، ومن جاء معهم من الأحزاب ، ولما رحلت الأحزاب عن المدينة ، قال رسول الله ﷺ: «أن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم».

ثم ذهب النبى ﷺ إلى بنى قريظة ، وعاتبهم على نقض المهد ، والاتفاق مع المشركين على قتال المسلمين ، وحامدهم النبى ﷺ ، ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فحكم أن يُقتل مقاتليهم ، وتسبى نراريهم ونساؤهم ، فقال النبى ﷺ : «لقد حكمت بحكم الله من فوق سيم سماءات» "".

التفسيره

- يَناتَلَهُا ٱللَّذِينَ عَامَتُوا ٱلْأَكُورُ وَا يُعْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُثُودًا لَمْ تَوْوَهَا وَكَانَ ٱللَّهِ مِنا نَعْمَلُونَ بُعِيرًا .

ويُدكُر القرآن المسلمين بهذه المعركة الكبيرة فيقول : يا أيها الذين آمنوا بالله تعالى ، تذكّروا نعمة الله عليكم وفضله ، حيث كفا عنكم أعداءكم ، حيث جاءتكم جنود كثيرة ، تزيد على عشرة آلاف مقائل، فأرسل الله عليهم ريحًا عائية ، في ليلة شاتية باردة ، فخلُعت خيامهم ، وكفأت قدورهم ، وألقت الملائكة الرعب في قلويهم ، وقد فعل الله ذلك بالأعداء مكافأة لكم على اجتهادكم في حفر الخندق ، وطاعة الرسول ، ويثل النفس والنفيس ، دفاعًا عن الإسلام ورسوله .

وَجُنُودًا لُّمْ تَرَوْهَا ... أي : الملائكة .

وَكَانَ آللَّهُ بِهَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا . أي : مطلع وشاهد على أعمالكم ، وخبير بما في قلويكم فيجازيكم عليه .

١٠ إذ جَناءُوكُم من فوقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَعَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَناجِرَ وَتَطْتُونَ بِاللّهِ
 الطُّنهُ نَا .

واذكروا حين جاءتكم الأحزاب من أعلى الوادى من جهة المشرق ، وجاء اليهود من أسفل الوادى من جهة المغرب ، وقيل غير ذلك .

و اختلاصة : أن الأعداء كانوا كثيرين ، وأن هجومهم كان من جبهتين ، قريش والأحزاب من جبهة ، واليهود من جبهة أخرى ، واشتد الكرب بالمسلمين ، ويناتوا في حالة من الترقب ، خشية هجوم الأعداء عليهم من الأمام والخلف ، وعبَّر القرآن عن هذا القلق بقوله :

وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ ...

حين مالت عن كل شيء ، فلم تلتفت إلا إلى عدوها .

وَيَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ...

أي : خافت القلوب خوفًا شديدًا ، كأنها من خوفها بلغت الحناجر .

وَتَطْتُونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا .

وتظنون بالله مختلف الظنون ، فالمؤمنون توقعوا من الله النصر والتأبيد ، ورأوا في ذلك امتحانًا ، يستحق الصبر والرضا واليقين ، وقالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدّق الله ورسوله .

أما المنافقون فقد ظهر نفاقهم ، ومرض قلويهم ، وظنوا أن الأحزاب ستنتصر على المؤمنين، وستدخل المدينة غازية منتصرة ، وسيُّهن المؤمنون أمام المشركين .

١١ - هُنَالِكَ ٱلنَّلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا .

أى: عند هذه المعركة امتُحن المؤمنون امتحانًا قاسيًا ، واضطربوا اضطرابًا قويًا من شدة الغزع ، وهجرم قوة كبيرة عليهم من قريش وغطفان وحلفانهما ، ثم خيانة اليهود العهد ، واتفاق بنى قريظة مع الأعداء على استنصال المسلمين ، وكانت هذه المعركة من أشد المعارك وأقساها على المسلمين ، حتى همُ النبى الله أن ينتفق مع غطفان على أن يرجعوا عن حرب المسلمين ، ولهم ثلث ثمار المدينة ، واستشار النبي من المدينة ، فكيف نعطيهم وقد أعزنا الله بالإسلام ؟ لا نعطيهم إلا السيف .

٢٢ - وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُتَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مُرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ إِلَّا غُرُورًا .

واذكروا أيها المؤمنون حين نجم النفاق من المنافقين ، حين شاهدوا حرج الموقف ، وشدة الضيق بالمسلمين ، فالأحزاب أمامهم كثيرون ، واليهود نقضوا العهد ، والمؤمنون في كرب شديد ، يتوقعون الهجوم عليهم من جهتين ، وهم في قلة وعسرة ، عند ذلك ظهر النفاق والمرض سافرًا ، حيث قالوا : إن محمدًا بعدنا بالنصر على كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يستطيع الخررج إلى الخلاء وحده .

روى النسائى بإسناده ، عن البراء قال : لما أمرنا رسول الله ﷺ أن نحفر الخندق ، عرضت لنا مسخرة لا تأخذ فيها المعاول ، فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ ، فألقى ثويه وأخذ المعول وضرب المسخرة ، فصارت كثيبًا أهيل ، ثم قال لأمسحابه : وإن الله أضاء لى من هذه المسخرة كنوز كسرى وقيصره . عند ذلك قال المنافقون ومرضى القلوب : ما وعدنا الله ورسوله من النصر والاستيلاء على الممالك ، إلا وعنًا باطلاً لا سبيل إلى تحقيقه .

١٣ – رَإِذْ قَالَت طَّاقِلَةٌ مِّنْهُمْ يُلَامُل يُوْرِبُ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَازَّرِجُواْ وَيَسْتَطِنُ فَوِيقٌ مِنْهُمْ اَلْشِي يَقُولُونَ إِنَّ يُبُونَنَا عَوْزَةٌ وَمَا هِيَ مِعُوزَةٍ إِنَّ يُرِيعُونَ إِلَّا فِرَازًا .

واثكروا حين ظهر النفاق من جماعة من المنافقين ، فنصحوا ألما المدينة بعدم الصبر على الجهاد والكفناح ، وكان رسول الله ﷺ قد اتفذ موقعًا حصينًا للقتال ، فجبل سلع خلف ظهور المسلمين ، والفندق بينهم ويبن المشركين ، فقالت طائفة من المنافقين : يا أهل المدينة ، ليس هذا الموقع مناسبًا لإقامتكم ، فارجعوا إلى المكنية للإقامة في بيوتكم ، أو لا مقام لكم في دين الإسلام ، فارجعوا إلى ما كنتم عليه ، فرارًا من تبعة الجهاد والدفاع عن الإسلام .

وفريق آهر من المتخاذلين بعثوا من يستأذن لهم من النبي ﷺ، بالعودة إلى بيوتهم لحمايتها ، فهى ذليلة غير حصينة ، يخاف عليها من السُّرُاق ، والحال أن بيوتهم سليمة حصينة ، ولكن السبب الحقيقى وراء استئذائهم هو الفرار والهرب من تكاليف الجهاد وأعبائه .

ملاحق بتفسير الأية

١ - رُوى أن بنى حارثة بعثت بأوس بن قيظى إلى رسول الله ﷺ، يقولون: إِنْ يُبُونَا عُرْرَةٌ ... وليس دار من دوراً الأسمار مثل دورنا ، وليس دار عليه الله على المناطقة وين غطفان أحد يرتُهم عنا ، فأذن لفا فلنرجع إلى دورنا ، فلمذح نرارينا ونساءنا ، قائن لهم ﷺ ، فبلغ ذلك سعد بن معاذ ، فقال : يا رسول الله ، لا تأذن لهم ، إنا والله ما أصابنا وإياهم شدة ، إلا صنعوا هكنا ... فردهم .

٢ – قال القاسمي :

(فائدة) : يثرب من أسماء المدينة كما في للصحيح ^(٣) : وأريت في المفام دار هجرتكم ، أرض بين حرّتين، فذهب وَهَلي أنها هُجِر ، فإذا هي يثرب» . وفي لفظ: المدينة .

قال ابن كثير : فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد (١٠٠ عن البراء قال : قال رسول الله ﷺ : «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى ، إنما هي طابة هي طابة » فقد تغرد بروايته الإمام أحمد ، وفي إسناده ضعف ا ه. .

٤ ١ - وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَفْطَارِهَا ثُمُّ مُثِلُواْ ٱلْفِئْلَةَ لَآلُوْهَا وَمَا تَلَبُّعُواْ بِهَا إِلَّا يَسِيرًا .

ولى دخل الأعداء عليهم المدينة من كل جانب من جوانبها ، ثم طُلب منهم الكفر والردة عن الإسلام ،
والعودة صراحة إلى الكفر وقتال المسلمين لفطوا ، وما تأخروا عن ذلك إلا وقتا قليلاً ، وهو مقدار ما يكون
بين السؤال والجواب ، وهذا دليل على ضعف إيمانهم ، وجبنهم وعدم ثباتهم ، وهذا هو سر استثنائهم للعودة
إلى بيرتهم جبئاً وفرقًا ، فلا ثبات عندهم على المحن ، ولا صبر في البأساء ، بل قلوبهم هواء ، وإيمانهم
ضعيف ، ويقينهم مضطرب وام .

والمخالاصة : إنهم لضعف إيمانهم مستعدون لترك الإسلام والدخول فى الكفر والفقنة ، عند أدنى صدمة ، فلا ثبات عندهم ولا عزيمة ولا صبر.

٥١ - وَلَقَدْ كَانُواْ عَنْهَدُواْ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَسْرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْتُولاً .

ولقد كان مؤلاء المستأذنون في العودة إلى المدينة هريا ، قد عاهدوا الله من قبل على الثبات ، وعدم الغرار ، وعدم تراية الأدبار ، وكان عهد الله ولجب الوفاء به .

قال ابن هشام من رواية ابن إسحاق في السيرة : هم بنى حارثة ، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين همتا بالفشل يومها^(١٨) ثم عاهدوا الله ألا يعودوا لمثلها أبدًا ، فذكر لهم الذي أعطوا من أنفسهم . ا هـ .

لقد تداركهم الله برحمته ررعايته يوم أحد ، حيث ثبتهم وعصمهم من مواقف الغشل ، وكان ذلك درسًا من دروس التربية في أوائل المهد بالجهاد ، فأمًّا في غزوة الأحزاب فقد انقضى زمن يزيد على خمس سنوات في الإسلام ، فالقرآن هذا يواجههم هذه المواجهة العنيفة . ١٦ - قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّن ٱلْمَوْتِ أَو ٱلْقَتْل وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلاً .

لقد كتب الله على كل نفس أجلها ورزقها وقدرها، وما يستقبل من أمرها، قال تعالى: فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لا يُسْتَأْجُرُونَ سَاعَةُ وَلا يُسْتَغْبِرُونَ . (الأعراف: ٣٤).

فاستئنان المنافقين في ميدان القتال ، فرارًا بأنفسهم إلى المدينة ، وهريًا من الموت أو القتل ، لن يطيل آجائهم ، وريما عرضهم لأخطار أشد ، لأن أُجل الله إذا جاء لا يؤخّر ، ولذلك تقول لهم الآية : لن ينفحكم فراركم من المعركة ، ولن يؤجل وفاتكم بالموت أو القتل ، وحتى إذا نجوتم فإن الباقى من أعماركم قليل ، بالنسبة إلى الخلود في الأخرة ، قال تعالى : قُلْ مَسْخُ النَّذُيَّا فَلِيلٌ وَٱلْآخِرُةُ خُيْزٌ لُمَنِ أَتَّفَى وُلًا

قال القرطبي :

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مَّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَعْلِ ...

أي: من حضر أجله مات أو قتل ، فلا ينفع الفرار.

وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً .

أى: في الدنيا بعد الفرار ، إلى أن تنقضى أجالكم ، وكل ما هو آتِ قريب . ا هـ .

قال الربيع بن خوثمة : وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه ، أي : إن فررتم من الموت أو القتل لا ينفعكم الفرار ، لأنّ مجيء الأجل لابد منه . ا هـ .

١٧ - قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْمِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوَّءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ...

إن مراد الله نافذ لا محالة ، فقل لهم أيها الرسول الكريم: من ذا الذي يمنعكم من قضاء الله ، ويعصمكم مما يريد أن ينزل بكم ، إن أراد بكم هلاكًا أن شرًا ، فلن يستطيع أحد أن يدفعه عنكم ، وإن أراد بكم رحمة أن نفعًا وخيرًا ، فلن يستطيع أحد أن يمنع وصوله إليكم ، قال تعالى : مَّا يَقُصُح ٱللَّهُ النَّاسِ مِن رُحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكُ لَهَا وَعَلَى اللهُ لِلنَّاسِ مِن رُحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكُ لَهَا وَمَا يَسْعَلَ وَمَا اللهُ مِنْ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رُحْمَةً فَلَا مُمْسِكُ لَهَا لَكُونَ مُنْ سِلَكُ لَهَا لَهُ مَنْ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رُحْمَةً فَلَا مُمْسِكُ لَهَا لَكُونَ مُنْ سِلَكُ لَهَا لَهُ مِنْ اللهِ مَنْ اللهِ عَلَى اللهُ مِنْ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رُحْمَةً فَلَا مُمْسِكُ لَهَا لَهُ مَنْ مِنْ اللهُ لِللَّهُ مِنْ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ ال

وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَإِيَّا وَلَا نَمِيرًا.

ولا يجد هرّلام المنافقون من يعصمهم مما يريده الله تعالى بهم ، ولا يجدون من دونه سبحانه قريبا ينفعهم ولا ناصرًا ينصرهم ، فإن الله سبحانه وحده هو الناصر والمغيث والمجير.

المقردات :

السمى وقبيس ، المثبطين عن القتال مع رسول الله ﷺ .

هطسم السيحساء أقبلوا إلينا .

المستهمساس ، الحرب والقتال ، وأصل معناه الشدة .

أشحة عليكم؛ مفرده شحيح ، أي : بخيل بالنصرة والمعاونة .

تعور أعينهم؛ تدير أعينهم أحداقهم من شدة الخوف.

سلق وكم ، آذوكم بالكلام وبالغوا في شتمكم .

ألسنسة حسياد، قاطعة سلطة ، تفعل فعل الحديد .

أشجة على الخير ؛ بخلاء على الإنفاق في سبيل الله .

أحبيبيسك أيطل الله أعمالهم لإضمارهم الكفر.

بادون في الأعراب؛ كائنون في البادية مع الأعراب.

ما قاتلوا إلا قليلاً ، رياء وسمعة .

التفسيره

١٨ – قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَاتِلِينَ لِإِحْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلبَّأْسَ إِلَّا قَلِيلًا .

ترسم هذه الآية والآيتان بعدها صورة زرية للمنافقين ، الذين اشتد جبنهم وهلعهم وخوفهم ، وفي آيات سابقة ذكر القرآن تعللهم بالحجج الباطلة ، وقولهم : إِنْ يُبُوتُنَا عُوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُويلُونَ إِلاّ فِرَازًا . (الأحزاب: ١٣) . وأنهم لا ثبات لهم ، ولا بطولة ولا صبر في المعارك . وهنا يتوعَّدهم القرآن بأن الله عالم بهم ، مطلع على رذائلهم ، فهم مثبطون مخذلون فى صغوف الجماعة المسلمة ، وهم دعاة إلى التكومن عن الجهاد ، حيث كان بحض المنافقين يرسلون إلى إخوانهم المنضمين إلى كتيبة الجهاد ، فيقولون لهم : هلموا فانضموا إلينا فى القعود والتخلف ، ثم هم لا يشتركون فى الحرب إلا اشتراكا قليلا ، حتى يراهم الناس ، ثم يتسللون فى خفية ويهربون فرادى .

قَالِ قَتَادَةَ : كان المنافقون يقولون لإخوانهم من ساكني المدينة من الأنصار : ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ، (يريدرن أنهم قليل العدد) ، ولى كانوا لحما لالتهمهم أبو سقيان وأصحابه ، فدعوه فإنه مالك .

١٩ - أبدئة عَلَيْكُمْ فإذا جَاءَ أَلْحَرْفَ رَأَيْتِهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَمُورُ أَطْيُقُهُمْ كَاللَّهِى يُعْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا مَا أَمْ مَنْ أَلَوْتُ مَا أَلْمُعْرَاقًا فَأَحْدُوا فَأَحْدُوا فَأَحْدُوا أَفَا لَقُهُمْ وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهَ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَيْهُ عَلَى اللّهِ عَلَيْهُ عَلَى اللّهِ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْهُ عَلْهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلْهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلْهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَمُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ ع

ترسم الآية صورة بارزة المعالم للمنافقين ، عنوانها : الجين في البأساء ، والطمع في الرخاء وعند الغنيمة .

أَشِحُهُ عَلَيْكُمْ ...

عندهم شع ويخل بالمال والنفس ، والإنفاق في سبيل الله ، وإذا جاء الخوف ويدأت المعركة وطار الشجعان إلى القتال ، رأيت مؤلاء المنافقين الجبناء في خوف وهلع ، وقد دارت أعينهم في رموسهم ، فرقا وخوفا ، كدوران عين الذي قرب من الموت ، وغشيته أسبابه ، فإنه إذ ذاك يذهب لهُه ، ويشخص بصره فلا يتحرك طرفه .

لَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ مَلَقُوكُم بِٱلْسِنَةِ حِدَادٍ ...

فإذا جاء الرخاء وانتهت المعركة ، تحول مؤلاء الجيناء إلى متظاهرين بالشجاعة ، يفخرون بعا لهم من المشاركة في البأساء والحرب ، ولهم ألسنة قوية كأنها الحديد ، في بيان الحجة ، والمغازل العالية التي قدموها في الحرب .

قال قتادة : أمّا عند الغنيمة فأضّ قرم وأسورُه مقاسمة ، يقولون : أعطونا أعطونا ، لقد شهدنا معكم ، وأمّا عند البأس فأجبن قرم وأعثله للحق ، ا هـ .

قال الشاعر :

وفي الحرب أمثال النساء العوارك^(m)

أفي السلم أعيارٌ جفاء وغلظة

أَشِحُّةُ عَلَى ٱلْخَيْرِ ...

بخلاء أشحاء بالمال ، لا ينفقونه في سبيل الله ، أو مبالغون في حب المال والغنيمة ، والشع بها أن تنتقل من أيديهم إلى أيدى المؤمنين ، بسبب نفاقهم ، فالإيمان لم يتسرب إلى قلويهم ، وإن تظاهروا بالإسلام .

قال الفخر الرازى :

أُوْلَكِيْكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالُهُمْ ...

يعنى لم يؤمنوا حقيقة وإن أظهروا الإيمان لفظا ، فأحبط الله أعمالهم التى كانوا يأتون بها مع المسلمين .

وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى ٱللَّهِ يُسِيرًا .

أى: كشف أعمالهم ، وتبيين خفاياهم ، ومعاملتهم بالعدل والحق ، والقسطاس المستقيم كان أمرًا سهلاً هينا على الله ، فهر سبحانه قادر عادل مطلع لا معقب لأمره ، ولا يخشى من اعتراض أحد ، لأنه عادل منصف .

قال الزمخشرى : وفى هذا حث على إققان المكلف أساس أمره ، وهو الإيمان المسحيح ، وتنبيه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح الإيمان، كالبناء على غير أساس ، وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورا.

٠ ٧ – يَحْسَنُونَ ٱلْأَحْرَابَ لَمْ يَلْعَنُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْرَابُ يَوْفُواْ لَوْ ٱلْهُمْ بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْتَلُونَ عَنْ أَشْتَائِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُمْ مَا فَتَطْرُواْ إِذْ قَلِيكٌ .

ترسم الآية معالم المنافقين وشدة جبنهم ، فحتى بعد رحيل الأحزاب ، ويعد أن رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، فإن المنافقين يظنون أن الأحزاب لم يذهبوا ، ولم يرحلوا بعيدًا عن المدينة ، وعلى فرض عودة الأحزاب مرة ثانية ، فإن المنافقين يتمنون أن يكونوا من أهل المبادية ، بعيدين عن المدينة والدفاع عنها ، ويتمنون أن يسمعوا أخبار المدينة من بعيد ، مع أنهم لم يشتركوا في القتال اشتراكًا حاسمًا ، ولو كانوا مع المؤمنين أثناء القتال ما قاتلوا إلا قتالا تليلا ، كالرَّمى بالنبل والسهم ، دون الالتحام المباشر الذي يسبب النصر ، فهم لا يقاتلون عن رغبة ، وإنما يقاتلون رياء ومخادعة .

لقد رسمت الآيات صورة زريَّة للمنافقين ، وكشفت عن نقوس ملأما الهلع والجبن ، فهم عوامل شر وتلابيط ، وهم في الكريهة والحرب في خور وهلع ، وفي السلم في جشع وحب للمال ، وألسنة سليملة ، وأقوال كاذبة ، لا مدلول لها من الأعمال ، ولشرة هلعهم يتمنون الإقامة في البادية ، يستطلعون أخبار المدينة عن بعد ، دون المشاركة في القتال وتبعاته .

* * *

﴿ لَفَذَكَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةً حَسَنَةً لِمَنَكَانَ يَرْجُواْ اللَّهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ وَيُكَرَّالُكَّ كِيْرًا ۞ وَلَمَّارَءَ الْمُؤْمِثُونَ ٱلْأَخْرَابَ قَالُواْ هَنذَا مَاوَعَذَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَازَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَنَا وَتَسْلِيمًا ۞ ﴾

المفردات ،

أسهة حسينة ، قدوة طبية ، والمراديه : المقتدى يه .

يبرجبو البلية؛ يأمل رضا الله .

واليوم الأخر ، وثواب اليوم الأخر .

سبعين البلية وظهر صدق خبر الله .

وتسطيما، وانقيادًا لأوامره ، وطاعة لرسوله .

التفسيره

٢١ – لُّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لَّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱليَّوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا .

من شأن القرآن أن يقارن بين موقف المنافقين من الضعف والخور ، وموقف المؤمنين من الثبات في المحنة ، والأمل والعمل للنصر .

ومعنى الآيسة :

لقد كان لكم دليل هاو ونبراس مضيء ، في محمد ﷺ رسول الله، فكان القائد الرائد ، نظم ورتب ، وشَّارك في حفر الخندق ، وشارك في تثنيت المؤمنين ، وضرب كدية شديدة لم تعمل فيها المعاول ، ضريها فعادت كثيباً أهيل ، وأخلص في الدعاء لله يوم الخندق ، حتى أرسل الله الربح والملائكة تعاون في نصر المؤمنين ، والاقتداء برسول الله كائن ومتحقق ، لمن كان له أمل ورجاء في ثواب الله ، وفي عطاء اليوم الآخر في الجنة ، ولمن نكر الله ذكرًا كثيرًا ، حتى يتحقق اتصاله بالله ، وطاعته لأمره ، فهو القائل : يَالَّهُا اللهُمْ عَاشُواْ أَذْكُرُواْ اللَّهَ ذِكُرًا كثيرًا ، وصدح المؤمنين الثابتين في البأساء ، إلا أن الآية من ذلك أصل كبير في التأسى برسول الله ﷺ ، في أقواله وأفعاله وأحواله ، وصبيره ومصابرته ، ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الغرج من ربه (^(۱))

والآية وإن سيقت للاقتداء به ﷺ في أمر الحرب ، من الثبات في القتال ونحوه ، فهي عامة للاقتداء به ﷺ ، به في كل أفعاله ، من لم يعلم أنها من خصوصياته ، فالقرآن قد حث المسلمين على توقير الرسول ﷺ ، وطاعته وتعظيمه وحبه ، وهدد القرآن المخالفين لأمر الرسول ، قال تعالى : من يُطِع ٱلرُّسُولُ فَقَدْ أَمَاعَ اللهُ ... (النساء : ٨٠)

وقال سيحانه : قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَأَتَّبُعُونِي يُعْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ... (ال عمران : ٢١) .

وقال سبحانه : فَلْيَعْلَرِ ٱلَّذِينَ يُتَحَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُعِيسَهُمْ فِئَتَةٌ أَوْ يُعِيسَهُمْ خَذَابٌ أَلِيمٌ . (النود: ٦٣) .

٧٧ – وَلَمَّنَا رَعَهُ ٱلْمُغْفِينُونَ ٱلْأَحْوَابَ قَالُواْ هَسَكَ مَا وَعَنَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا وَاحْمُمْ إِلاَّ بِيمَسُكَ وَتَسْلِيمًا .

قال تعالى : أَحَسِبُ ٱلنَّاسُ أَن يُتَرَكُّواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَثُونَ . (العنكبوت : ٢) .

وقال سبحانه : أمْ حَسِتُمْ أَن تَلَحُلُواْ ٱلْمَعَّةُ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبِلِكُم مُسْتَهُمُ ٱلْبَاسَاءُ وَٱلصَّرَاءُ وَزُلُولُواْ حَتَى يُعُولُ ٱلرَّمُولُ وَٱلْذِينَ عَمَنُواْ مَعَادُ مَثَلِ تَسُرُ ٱللّهِ أَنَّةٍ إِنَّ يَصْرُ آللّهِ أَنَّ إِنَّ يَصْرُ ٱللّهِ أَنَّةٍ إِنَّ يَصْرُ آللّهِ أَنْ إِنَّ يَعْرُواْ اللّهِ أَنَّا إِنَّ يَصُرُ اللّهِ أَنَّةٍ إِنَّ يَصْرُ اللّهِ أَنَّةً إِنَّ عَلَيْهِا وَاللّهِ اللّهِ إِنَّا إِنَّ يَصُرُ اللّهِ أَنَّةً إِنَّ يَصْرُ اللّهِ اللّهِ إِنَّ اللّهِ اللّهَ إِنَّا إِنَّ يَعْرُواْ اللّهِ الْعَالِمُ اللّهُ اللّهُ إِنَّا إِنْ يَعْرُواْ اللّ

من تفسير القرطبي

ومعنى الآية : وما زادتهم الرؤية للأحزاب إلا إيمانًا بالرب وتسليمًا للقضاء ، ولما اشتد الأمر على المسلمين ، وطال المقام في الخندق ، قام عليه السلام على التلّ ، الذي عليه مسجد الفتح في بعض الليالي ، وتوقّم ما وعده الله من النصر ، وقال : «من يذهب ليأتينا بخبرهم وله الجنة» فلم يجبه أحد . وقال ثانيًا وثالثناً فلم يجبه أحد ، فنظر إلى جانبه وقال : همن هذاه؟ فقال : حثيفة . فقال : «ألم تسمع كلامي منذ الليلة» ؟ قال حذيفة : فقات : يا رسول الله ، منعني أن أجيبك الضر والقر . قال : «انطاق حتى تدخل في القوم فتسمع كلامهم وتأتيني بخيرهم ، اللهم لحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى ترده وتسمع كلامهم وتأتيني بخيرهم ، اللهم لحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى ترده إلى ، انطلق ولا تحدث شيئا حتى تأتيني، . فانطلق حنيفة بسلاحه ورفع رسول الله ﷺ يمه يقول : «با ممينه المضطرين ، اكشف همي وغمي وكربي ، فقد تري حالي وحال أصحابي» . فنزل جبريل وقال : إن الله قد سمع دعوتك وكفاك هول عدوك ، فخر رسول الله ﷺ على ركبتيه ويسط يديه وأرخى عينيه وهو يقول : «با الله قد سمع دعوتك وكفاك هول عدوك ، فخر رسول الله ﷺ على ركبتيه ويسط يديه عليهم ريحا ، فيشر أصحابه بذلك ، قال حديفة : فانتهيت إليهم وإذا نيرائهم تتقد ، فأنبلت ربح شديدة فيها إلى راحلته ومماح في قريش : النجاء المنجاء ؛ وفعل كلك عبينة بن حصن والحارث بن عوف والأفرح بن حاب من وتفرقت الأحزاب ، وأصبح رسول الله ﷺ فعاد إلى العدينة ويه من الشعث ما شاه الله ، فجاءته خاصله به بناك من النام ما أن النهم الله السماء ما زات أتبعهم حليس ، وتغرقت الأحراء ، وأمبح رسول الله ﷺ فعاد إلى العدينة ويه من الشعث ما شاه الله ، فجاءته فاصله تكانت تفسل رأسه ، فأتاء جبريل فقال : وضعت السلاح ولم يضعه أهل السماء ما زات أتبعهم حتى جاوزت الروحاء ، ثم قال : انهض إلى بنى قريظة ، وقال أبو سفيان : مازات أسمع تعقعة السلاح حتى جاوزت الروحاء (⁽¹⁰⁾

* * *

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَاعَهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْتُ فَيَنْهُم مَّنَ فَضَىٰ غَبَهُ، وَمِنْهُم مَّن يَنظِرُ وَمَابَذَلُواْ تَبْدِيلًا ۞ لِيَجْزِى اللَّهُ الصَّدِرِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَفِقِينَ إِن شَاةَ أَوْيَتُوبَ عَلَيْهِمُ إِنَّ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا وَيَصِمُا ۞﴾

المطردات ،

صدقوا ما عاهدوا ، من الثبات في القتال مع الرسول ﷺ ، حتى الاستشهاد أو النصر ووفوا بذلك .

ققسى تسعيسه ، مات أو قتل في سبيل الله شهيدًا ووفي نذره ، كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر، و النصد : النذر ، فجعل كتابة عن العرب .

من يستنظر: الشهادة ، كعثمان وطلحة .

وما يبائسوا ؛ العهد ولا نقضوا شيئا منه .

ويعدب المنافقين ، بأن يميتهم على النفاق ، فيعذبوا بكفرهم .

أو يستوب عليهم : أو يوفق المستعد منهم التوية .

سبب النزول

روى البخناري ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قبال : نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر رضى الله عنه : مَنْ ٱلْفُوْسِيْنُ رَجَالٌ مَنْكُواْ مَا عُنْهُدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ...

وروى البخارى، ومسلم، وأحمد، والترمذى، والنسائى، عن أنس قال: غاب عمّى أنس بن النضر عن بدر، فشق عليه، وقال: أوّل مشهد شهده رسول الله ﷺ غيث عنه، لئن أرانى الله تعالى مشهدًا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرينَ الله عز وجل ما أمسنم، قال أنس: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد، فاستقبل سعد بن معاذِ رضى الله عنه، فقال له أنس رضى الله عنه: يا أبها عمرو، أين ؟ وإها لربع الجنة، إنى لأجده دون أحد، فقاتلهم حتى قتل رضى الله عنه، فوجد فى جسده بضع وثمانون، بين ضرية وطعنة ورمية، فنزلت هذه الآية: مُن ٓ المُوْمِينَ وَ عَالَ صَنْكُواْ مَا طَنْهُدُواْ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ... الآية. وكانوا يرونها نزلت فيه وفى أصحابه (٤٠).

وذكر الزمخشري في تفسير الكشاف:

نذر رجال من المنحابة أنهم إذا لقوا حربًا مع رسول الله ﷺ ، ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا ، وهم : عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وحمزة ، ومصعب بن عمير ، وغيرهم رضى الله عنهم .

التفسيره

٢٣ - مَّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَنهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مِّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مِّن يَعَظِرُ وَمَا بَدُلُواْ تُبْدِيلاً .

من العؤمنين الصادقين الأوفياء رجال أي رجال ، قد أخلصوا أنفسهم لله ، وعاهدوه على الصدق في الحرب ، والجدّ في الصدق في الحرب ، والجدّ في طلب الشهادة ، ونصرة الإسلام ، فلما جدّ الجدّ ، وكثّرت الحرب عن أنيابها ، خاضوا غمار الحرب ، واصطلوا بنارها ، غير هيّابين ، فمنهم من قتل شهيدا ، قد أدى واجبه وقدّم روحه لله ، ومنهم من عدد سليمًا معافى ، ينتظر دوره في الشهادة والفداه ، ولم يغيروا عهدهم مع الله ، ولم ينكصوا على أعقابهم ، كما فعل بعض المنافقين .

٢٤ - لَيْجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّدْفِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَدُّبُ ٱلْمُنْفِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَثُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا .

لقد اختبر الله الناس بالتدائد والمحن ، والجهاد والقتال ، وسائر أحداث الدنيا ، ليتبين ويظهر المؤمن المسادق المستقيم ، ويظهر الكافر والفاجر والمنافق ، فيكافئ الله الصادقين بالجزاء الأوفى ، وهو جزاء صدقهم ، ويعذب المنافقين الذين ماتوا على النفاق بدون توبة ، أو يتوب عليهم بأن يوفقهم إلى التوبة، وقد تاب بعض المنافقين وحسن إسلامهم .

انَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا .

فهو سبحانه يستر على العصاة ، ويتوب على من تاب من الناس ، ولا يعاقبهم على ما مضى بعد التربة ، فرحمته واسعة ، وفضله عميم ، وهو سبحانه يفتح أبوابه للتانبين ، وفي هذا حث على التوبة والإيمان قبل فوات الأوان، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: وَلَتَبْأُونَكُمُ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَلهدينَ مِنكُمْ وَٱلصَّاحِرينَ وَ نَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ . (محمد : ٣١) .

وقد له تعالى: مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَدَرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَشُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخييثَ مِنَ ٱلطَّيْبِ ... (ال عمران ١٧٩٠).

﴿ وَرَدَّاللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَرِّينَالُواْخَيْراً وَكَفَى اللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَّ وَكَابَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ١٣ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَلَهُ رُوهُم مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَنْبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قْلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَهِقَاتَقَ تَلُوكِ وَتَأْسِرُونِ فَهِفَا ۞ وَأَوْرَفَكُمْ أَرْضُهُمْ وَدِينَوهُمْ وَأَمْوَ لَمُنْهُ وَأَرْضِهُا لَّمْ تَطَعُوهِما قُوكات اللَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْ وَقِيراً ٣٠٠

المفردات ،

المذيبين كمضرواء الأحزاب.

بمناح المنق الفيظ: أشد الفضب والحنق . لم يشالوا خيراء غير ظافرين بشيء من مرادهم.

وكفي الله المؤمنين ، وقاهم القتال بالريح والملائكة .

من أهل الكتاب؛ من يهود بني قريظة .

ظ اهروهم، عاونوهم،

من صهاصيهم؛ من حصونهم ، جمع مبيصة ، وهي كل ما يمتنع به .

أورثكم أياها وجعلها لكم.

وأرضا لم تطؤوها؛ بعد وهي خيبر، أخذت بعد قريظة ، وعن عكرمة : كل أرض تفتح إلى يوم القيامة .

تمهید :

تشير الآيات إلى ختام غزوة الخندق ، فقد كانت البداية بتذكير المؤمنين بنعمة الله تعالى عليهم . في إرسال الربح والملائكة على الأحزاب ، ثم عرض لجهود المؤمنين الصادقين ، وصور النفاق والغدر والخور والضعف من المنافقين ، ثم ختم للحديث عن الغزوة بغضله تعالى في هزيمة الأحزاب ، وعودتهم يجرون أذيال الخيبة والحرمان ، ثم هزيمة بنى قريظة .

التفسير :

٥٧ - وَرَدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَيْظِهِمْ لَمْ يَتَالُواْ خَيْرًا وَكَلَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِعَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا .

تبين هذه الآية إتمام الله النعمة على المؤمنين ، برحيل الأحزاب عن المدينة ، مذعورين خائفين في شدة من المدينة ، وغورين خائفين في شدة من الغيظ والحنق ، فقد تفرقت الأحزاب عن المدينة ، ورحلوا في جنع الظلام ، بعد أن أرسل الله عليهم الربح ، فخلعت خيامهم ، وكفأت قدورهم ، وألقت الملائكة الرعب في قلويهم ، فرحلت الأحزاب وهم في حالة من الخوف والفزع ، وانصرفت قريش وغطفان بغمهم ، بفوت ما أمكوا من الظفر ، فلم ينتصروا في معركة ، ولم يعديم المرافقة عن بلادهم ، بل كفي الله المؤمنين القتال ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

ررى الشيخان من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول : ولا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، وتصر عبده ، وأعر جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده » .

وَكَانَ ٱللَّهُ لَوِيًّا عَزِيزًا .

فالله تعالى قادر على تنفيذ ما يريد ، عزيرُ لا يغلبه غالب ، فهو سبحانه فعال لما يريد ، وهو على كل شيء قدير .

قال محمد بن إسحاق: لما انصرف أهل المفذق قال ﷺ فيما بلغنا: «بلن تغزيكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم» ، قلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان رسول الله ﷺ يغزوهم بعد ذلك ، حتى فتح الله تعالى مكة .

وهذا الحديث الذي ذكره محمد بن إسحاق صحيح ، كما قال الإمام أحمد ، وروى مثله الإمام البخاري في صحيحه (١٠٠) ٣٦ – وَأَنَوْلَ ٱلَّذِينَ ظَنَهُرُوهُم مِّنْ أَمْلِ ٱلْكِتَدْبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَدْفَ فِي قُلُوبِهِمْ ٱلْوَعْبَ لَوِيقَا تَقَنُّلُونَ وَتَأْمِرُونَ قريقًا .

تتحدث الآيتان ٢٧ ، ٧٧ عن يهود بني تريظة ، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد وميثاق على حسن الجرار ، فللمسلمين دينهم ، ولليهود دينهم ، وإذا هجم عدو على المدينة يتماون المسلمون واليهود في الدفاع المسترك عن المدينة ، فلما قدمت الأحزاب لحرب المسلمين يقض بنو قريظة هذا المهد ، وانقلبوا على النبي ﷺ وأمستايه ، وكُرنوا جبهة متعاونة مع الأحزاب ، وأصاب المسلمين بلاءً شديد بسبب ذلك ، فلما أعز الله المسلمين ، ورحلت الأحزاب بدون نصر أو أسرى ، وإنما رحلت كسيرة ذليلة في خوف وهلم ، عاد المسلمون إلى المدينة ، واستراحوا واغتسلوا ووضعوا أسلحتهم ، فجاء جبريل إلى النبي ﷺ ، وقال له : يا محمد ، إن الملائكة لم تضع السلاح بعد ، اذهب إلى بني قريظة ، فإن الله ناصرك عليهم ، فنهض ﷺ من فورد ، وأمر الناس بالمسير إلى بني قريظة ، وكانت على بُعد أميال من المدينة ، وقال ﷺ : «من كان يؤمن

فسار الناس فأدركتهم المسلاة في الطريق، فصلًى بعضهم في الطريق، وقالوا: لم يرد منا رسول الله
إلا تعجيل المسير، وقال آخرون: لا نصليها إلا في بنى قريظة ، فلم يعنّف واحدًا من الفريقين ، وتبعهم
رسول الله ﷺ ، وقد استخلف على المدينة عبدالله بن أمّ مكترم رضى الله عنه ، وأعطى الراية لعلى بن أبي
طالب رضى الله عنه ، ثم نازلهم رسول الله ﷺ، وحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة ، فلما طال عليهم الحال ،
نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس ، رضى الله عنه ، لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية ، فحكم سعد
ابن معاذ بأن يقتل رجالهم ، وتسبى نسارهم وذريتهم ⁶⁴⁰ ، لأنهم لو ظفروا بالمسلمين لأجهزوا عليهم .

ومعنى الآيسة :

وأنزل الههود الذين ساعدوا الأحزاب ، وعاونوهم على حرب رسول الله ﷺ من حصونهم وقلاعهم التى كانوا يتحصنون بها ، وقذف الله فى قلويهم الرعب والخوف ، حتى فتحوا الحصون واستسلموا ، فقتل المسلمون الرجال المقاتلين ، وقتل منهم يومئذ ما بين الثمانماتة والتسعمائة ، وتم أسر النساء والذرية .

قال ابن كثير:

وَقَلَاكَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ...

وهو الخرف ، الأنهم كانوا مالأوا المشركين على حرب اثنبي ﷺ ، ولُخافوا المسلمين وراموا قتلهم ، فانعكس عليهم الحال . ٧٧ - وَأُورَثُكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَدْرَهُمْ وَأَمُوالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَعُوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرًا .

غنمتم أرض بنى قريظة ، وصارت حقًا واجبًا لكم كما يجب الحق بالميراث ، وملكتم ديارهم وحصونهم ومتاعهم وأموالهم ، ومواشيهم وأثاثهم وكل ما كانوا يمتلكون ، كما أورثكم ملك أرض أخرى ، لم تطوّرها بعد بأقدامكم ، وهى خيبر لأنها أخذت بعد قريظة ، وقيل : مكة ، وقيل : فارس والروم .

قال ابن جرير: يجوز أن يكون الجميع مرادًا.

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا .

فهو سبحانه فعال لما يريد ، وهو على كل شيء قدير ، فقد نصر المؤمنين على الأحزاب ، وعلى بنى قريظة ، ويسر لهم ملك أرض خيير ، ومكة وفارس والروم ، وكل ما فتحه المسلمون فى أنحاء المعمورة ، كل ذلك بتوفيق الله ، وقدره وقدرته ، وهو سبحانه قدير على أن يملككم ما شاء .

+ + +

﴿ يَكَأَيُّهُ النِّيُّ قُلْ لِأَوْنِهِكَ إِن كُنْتُنَ تُدِدْكَ الْحَيَوْةَ الدُّنْيَ اوْزِينَتَهَ افْنَعَا لَيْكَ أُمَيَّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَلِن كُنتُنَّ تُرِدْكَ اللَّهَ وَوَشُولُهُ وَالذَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّاللَهُ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجَرًا عَظِيمًا ۞ يَنِسَلَةَ النِّيِّ مَن يَأْتِمِنكُنَّ بِفَلْحِسُةٍ ثُمَيِّنَ وَ يُضَاحَفَ لَهَا الْعَدَابُ ضِعْفَةً يُنَّوِكَ كَذَاكُ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۞ ۞ ﴾

المقردات،

زيشة النشياء زخرفها ونعيمها والسعة فيها.

المناسيان ، أقبلن بإرادتكن واختياركن .

أســةــعـكــن ، أى : أعطكن متعة الطلاق، وهي قميص وغطاء للرأس وملحفة –ملاءة– بحسب السعة والإقتار. وأســرحـكــن ، أطلقكن .

سراحا جميلا ، طلاقًا من غير ضرار ولا مخاصمة ولا مشاحرة.

بـــفــاحشـــة؛ فعلة قبيحة أو معصبة كبيرة.

مسيستسة ، ظاهرة القبح ، من قولهم : بيَّن كذا ، بمعنى ظهر وتبين

نسمن<mark>ف بين</mark> ، ضعفي عذاب غيرهن ، أي : مثلبه .

يسببيسسرا، هينا لا يمنعه عنه كونهن نساء النبي ، بل هذا سبب له .

المناسية

فى أعقاب رحيل الأحزاب ، ونصر الرسول ﷺ على بنى قريظة ، وغنيمة أموالهم ، رغبت زرجات الرسول الله ، نساء كسرى الرسول ﷺ فى مزيد من المتعة والنفقة ، واجتمعت زرجاته من حوله يقلن : يا رسول الله ، نساء كسرى وقيصر بين المكنى والحلّل ، والإماء والخدم ، ونساؤك على ما ترى من هذه الحال من الفاقة والضيق ، وآلمن قلب بمطالبتهن بتوسعة الحال ، وأن يعاملهن بما يعامل به العلوك والأكابر أزواجهم ، وكان الله تعالى قد خير نبيه بين أن يكرن نبياً ملكاً ، أن نبياً مسكينًا ، فاغتار أن يكرن نبياً مسكينًا ، ومى أعلى درجة ، أي: اختار الرسول الأمين أن يكرن زاهدًا في الدنيا ، لا فقرًا ، فقد جاءت الغنائم ، ولكن ترفعًا عن زينة الدنيا . ومعمة المناه عن زينة الدنيا .

التفسيره

٧٨ - يَـٰٓٓٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لَا زُوْ اجِكَ إِن كُنتُن تُرِدْنَ ٱلْحَيْوَةُ ٱلذُّنِّيا وَزِينَتَهَا فَقَعَالَيْنَ أُمْتَعْكُنَّ وَأُسْرً حْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا.

جاه هذا التضهير من الله تعالى ، حيث أمر رسوله ﷺ ، أن يخير نساهه بين أمرين : زينة الدنيا ومالها ومتاعها ، من الثياب والفراش والمال ، وهذا ممكن بعد المتعة والطلاق ، أو الحياة في بيت الرسول ﷺ ، اراغيات في النزام أمر الله وشرعه ، وطاعة رسوله ﷺ ، وإيثار الآخرة ، وجزاه ذلك الآجر العظيم ، والجزاء الجزاء الجزاء وقد خير الرسول ﷺ نساءه ، وكن تسع نسوة ، فاخترن جميعا الله ورسوله والدار الآخرة ، فعوضهن الله ورسوله والدار الآخرة ، فعوضهن الله أن جعلهن أمهات المؤمنين ، وحرم على النبي ﷺ تطليقهن ، وأمره ألا يتزوج عليهن .

في أعقاب الأية

١ - من اختارت الطلاق فلها المتعة ، وهي كسوة للمطلقة حسب حالة الزوج ، قال تعالى : وَمُتَّعُوهُنْ عَلَى الْمُوسِينَ . (البغرة : ٢٢٦) .
 اللهوسع قَلَرُهُ, وَعَلَى الْهُقْرِ قَلَرُهُ, صَدْعًا بِالْمُعْرُوفِ خَمَّا عَلَى الْمُحْسِينَ . (البغرة : ٢٢٦) .

٢ – السراح الجميل ، هو الطلاق مع الإحسان ، بـ " شكاية ولا إيذاء ، بل بتقديم مؤخر الصداق ، والمكارمة وترضية المطلقة بالمال والمجاملة ، لأنها كانت تأمل أن تعيش فى كنف زوجها ، وأولى بالمسلمين أن يغملوا ذلك مع المطلقات ، قال تعالى : فُإِمْسَاكُ بِمُقُرُو فَإِنَّ لَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ... (البقرة: ٢٧٦) . ونرجو أن يكوم الرجال النساء بإغداق الأموال والتعويض والمكارمة ، وإذا

علمنا أن القضاء الأمريكي يعطى للمطلقة نصف الأموال التي اكتسبها زوجها تعويضًا لها ، فأولى بنا أن نكرم المطلقة امتثالاً لأمر الله في سراح جميل ، وتسريح بلِّحسان .

٣ - خلاصة معنى الآية :

يا أيها النبي خير زوجاتك بين أمرين:

الأول: الطلاق ولهن عندنذ المتعة وهي الكسوة ، والتسريح أي والطلاق ، سَرَاحًا جَمِيلاً . فراهًا حسنًا بلا مشادة ، بل فيه مكارمة وبقم التعويض والترضية المناسبة .

٢٩ – وَإِن كُتَمَنَّ تُردُنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ, وَٱلدَّارَ ٱلْاَحِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدُّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا .

وإذا فضلتم ثراب الله ، ومرضاة رسوله وطاعته والرغية في ثواب الآخرة وهو الجنة ، فنعم الاختيان لأن الله أعند المحسنة منكن ثواباً عظيماً ، تستحقر زينة الدنيا دونه ، ولما اهتارت نساء النبي ﷺ جميمًا رسل الله وطاعة الله وثواب الأخرة ، سُرُ رسول الله ﷺ بذلك ، وعرضهن الله فجعلهن أمهات المؤمنين ، وشكرهن الله على حسن اختيارهن وكرمهن ، فقال : لا يَعْجِلُ لَكَ ٱلنَّسَاءُ مِنْ يَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلُ بَهِنَ مِنْ أَوْلَ عِ... وشكرهن الله على حسن اختيارهن وكرمهن ، فقال : لا يَعْجِلُ لَكَ ٱلنَّسَاءُ مِنْ يَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلُ بَهِنَ مِنْ أَوْلُ عِ...

وقال تعالى : وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُوْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلاَ أَن لَكِحُواْ أَزْوَاجَهُم مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ... (الأحزاب: ٥٠) .

ملاحق بتفسير الآيتين (٢٨ ، ٢٩)

۱ – عدد زوجاته :

عند نزول آيات التخيير بين الدنيا أن الأخرة ، كان عند الرسول ﷺ يومئذ تسع نسوة ، خمس من قريش : عائشة ، وهفصة ، وأم حبيية ، وسودة ، وأم سلمة رضي الله عنهن .

وأربع من غير قريش: زينب بنت جحش الأسدية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وصفية بنت حيى ابن أخطب النضيرية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية .

ولم يعتبر ذلك التخيير طلاقًا ، لا واحدة ولا أكثر ، لقول عائشة فيما أخرجه الشيخان : خيرنا رسول الله ﷺ، فاعترناه ، فلم يعنَّم علينا طلاقًا .

٢ - الخيرة :

هى التى خيرها زوجها بين الطلال أو البقاء مع الزرج ، فإذا اختارت نفسها ، وهى مدخول بها فهو الطلاق كله ، ولا عبرة بإنكار الزرج ، لأن محنى التخيير : التسريح ، والتسريح البتات . قال الله تعالى : ٱلطُّلَنْقُ مَرُّتَانِ فَإِمْسَاكًا بِمَعْرُوفِ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنْنِ ... (البقرة ٢٧٩).

وقال تعالى في آية التخيير : فَتَعَالَيْنَ أَمْتُعُكُنَّ وَأُسَرِّ خُكُنَّ مَرَاحًا جَعِيلًا . والتسريح بإحسان : هو الطلقة الثالثة ، ومعنى التخيير التسريح ، وعلى هذا يكون طلاق المخيرة ثلاثا عند الإمام مالك .

٢ - جعل العصمة في يد المرأة :

قَال ﷺ: ﴿إِنَّمَا الطَّلَاقَ لَمَنْ أَخَذَ بِالسَّاقَ» [٢٠٠].

أي: إن الطلاق حق ثابت للرجل دون العرأة ، لكن الرجل بعلك أن يتنازل عن هذا الحق لزوجته عند العنفية ، ويمكن أن ينص في العقد على ذلك ، لكنها تستخدم هذا الحق نيابة عن الرجل ، فيقول الرجل : قد جعلت عصمة زرجتى في يدها ، ولها أن تقول أصامه : لقد ملكتنى عصمة نفسى ، وأنا أملك نيابة عنك حقّ الطلاق ، وإنى أطلق نفسى منك ، ويذلك تصبح طالقة من زوجها .

وجمهور الفقهاء على أن هذا تبديل لحكم الله ، يتضمن مثلة للرجل ، وقلبًا للأوضاع ، ولذلك رفضه جمهور الفقهاء .

· ٣ - يَنْدِسَاءُ ٱلنَّبِيُّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَنْجِشَةٍ مُنْيَّنَةٍ يُصَنْعَفْ لَهَا ٱلْمَذَابُ ضِغْفَين وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا.

زوجات الرسل الأمين يظلهن بيت الرسول ﷺ، وفيه ينزل وحى السماء وتعاليم الله لعباده ، وهن يشاهدن رسول الله أمامهن وهو القدوة والأسوة والمثل الأعلى ، لذلك ضاعف الله عقويتهن على المعمسية ، ولما كان الله قد عصم زوجات النبي ﷺ من ارتكاب فاحشة الزنا ، فإن المراد بالفاحشة المبينة ، القبيح من الأفعال ، كمصيان الله ورسوله ، وطلب ما يشق على الرسول ، ويضيق به نرعا ، ويغتم لأجله ، إذا فعلت إحدى زوجات الرسول ﷺ ذلك ، فإن الله تعالى يضاعف لها العذاب ضعفين ، أى ضعفى عناب غيرها ، لأن زلة العالم يقرع بها الطبل ، وزلة الجاهل يضفيها الجهل ، فلعل منزلتهن ، ضاعف الله عقويتهن عند المعمسية ، كما ضاعف الله عقويتهن عند المعتقمية ، للمصالح .

روى أن رجلا قال لزين العابدين رضى الله عنه : إنكم أهل بيت مغفور لكم ، فغضب وقال : نحن أحرى أن يجرى فينا ما أجرى الله فى أزواج النبي ﷺ ، من أن نكون كما قلت ، إنا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر ، ولمسيننا ضعفين من العذاب ، وقرأ مذه الآية والتى تليها .

جاء في تفسير القاسمي ما يأتي :

قال القاضى: لأن الذنب منهن أقبع ، فإن زيادة قبحه ، تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ، ولذلك جعل حدّ الحرّ ضعفى حدّ العبد ، وعوتب الأنبياء بما لا يعاتب به غيرهم .

وجاء في تفسير الفخر الرازي ما ملخصه :

وحكمة مضاعفة العذاب لزوجاته ﷺ ، أن امرأة لو كانت تحت النبي ﷺ وأنت بفاحشة تكرن قد المختارت غير النبي ، ويكون ذلك الغير خيرًا عندها من النبي وأولى ، والنبي أولى من النفس التي هي أولى من الغير ، فقد نزلت منصب النبي مرتين ، فتعذب من العذاب ضعفين ، واعلم أن الله قد صان زوجات الرسول ﷺ عن الفاحشة ، فقوله تعالى : مَن يَأْتِ مِنكُنْ مِفْتَحِشْةٍ مُّيَّتَةٍ ، من باب قوله تعالى : فَينَ أَشْرَكْتَ لَهُمِّكُنَّ مُفْلَكُ ... (الزهر : ١٥) .

وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيُّوا.

أى: ليس كونكن تحت النبي ﷺ، وكونكن شريفات جليلات ، مما يدفع العذاب عنكن ، وليس أمر الله كأمر الخاق ، حيث يتعذر عليهم تعذيب الأعزة ، بسبب كثرة أوليائهم وأعوانهم ، أو شفعائهم وإخوانهم (٢٠٠٠)

وجاء في تفسير القرطبي ما خلاصته :

أخبر تعالى أن من جاء من نساء النبى قد بناحشة ، يضاعف لها العذاب ضعفين ، لشرف منزلتهن ، وفضل درجتهن ، وتقدمهن على سائر النساء أجمع ، وكذلك بينت الشريعة في غير ما موضع ، أنه كلما تضاعفت الحرمات فهُتكت ، تضاعفت العقوبات ، وقيل : لما كان أزواج النبي قل في مهبط الوحى ، وفي منزل أوامر الله ونواهيه ، قوى الأمر عليهن وازمهن ، بسبب مكانتهن ، أكثر مما يلزم غيرهن ، فضوعف لهن الأجر والعذاب ، وقيل : إثما ذلك لعظم الضرر في جرائمهن ، بإيذاء رسول الله ، فكانت العقوبة على قدر عظم الجريمة ، في إيذاء رسول الله قلى .

قال تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ, لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱللُّنُيَّا وَٱلْآخِرَةِ ... (الأحزاب: ٥٧).

واختار هذا القول الكيا الطبرى .

وكان عمر رضى الله عنه كثيرًا ما يقرأ سرية يوسف وسورة الأهراب في الصبح ، وكان إذا بلغ: يُنْسَلَّةَ ٱلْثِيِّ ... رفع بها صوته ، فقيل له في ذلك ، فقال : أذكرهن العهد .

وقرأ الجمهور: مَن يَأْتِ ، بالياء ، وقرأ يعقوب : مَن تَأْتِ ، و: تَفْتَ ، بالقاء من فوق .

وقال قوم : الفاحشة إذا وردت معرفة فهى الزنا واللواط ، وإذا وردت منكرة فهى سائر المعاصى ، وإذا وردت منعونة فهى عقوق الزرج وفساد عشرته ، وقالت فرقة : بل قوله : بِفُلْمِشْمٍ مُّسِيَّةٍ . تمم جميع المعاصى ، وكذك الفاحشة كيف وردت . قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما خانت في الإيمان والطاعة.

وقال بعض المفسرين : العذاب الذي توعدُن به ضِغَفَيْنِ . هو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فكذلك الأجر٣٠٠

وصل اللهم على سيدنا مجمد رعلى آله وصحيه أجمعين ، وزوجاته أمهات المؤمنين ، فقد أدين الرسالة ، ونصحن الأمة ، وكن مثلاً أعلى في الاستقامة والعقة ، ونصح المؤمنين والمؤمنات ، والحمد لله الذي ينعمته تتم الصالحات .

* * *

تم بحمد الله تفسير الجزء (الحادي والعشرين)



(١) الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى وهييم واحد :

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٣) ، وأحمد في مسنده (١٩٠٧) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ مأتا أولى الناس بعيسي ابن مريم في الدنيا والأخرة ، والأنبياء إخرة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم ولحد» .

(٢) لا تصدقوا أهل الكتاب:

رواه البخارى فى تفسير القرآن (16.40) وفى الاعتصام (٧٣٦٧) وفى القوحيد (٧٠٤٧) من حديث أبى هويرة رضمى الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرمون القروراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ،'فقــال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكنيوهم وقولها ﴿أَنّا بالله وما أثر أراضاً﴾ الآية .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ٣ / ٢٠ .

(٤) البلاد بلاد الله والعباد عباد الله :

رواه أحمد في مسنده (١٤٢٣) من حديث الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : قال رسول الله 纏 : والبلاد بلاد الله والعباد عباد الله ، فميثما أصبت غيراً فأقم» .

(٥) لا هجرة بعد الفتح :

رواه البضارى في الجهاد (۲۸۲۳ ، ۲۸۲۳) ، والقرمذي في السير (۲۰۱۰) ، والدارمي في السير (۲۰۱۷) (۲۰۱۳ ، ۲۲۳۰) من ابن البخاري من البخاري من البخاري الدولة البخاري من ابن البخاري الجهاري من ابن المخاري المنافق المنافق

(٦) إن في الجنة غرفا ترى ظهورها:

رواه الترمذي في البر (۱۹۸۶) وفي الجنة (۲۰۲۱) ، وأحمد في مسنده (۲۳۶) من حديث على قال : قال النبي ﷺ: وإن في الجنة غرفة ترى ظهورها من بطونها ، وبطرنها من ظهورها ، فقام أعرابي فقال : لمن هي يا رسول الله ؟ قال: دامن أطاب الكلام وأطمع الطعام وأمام الصبيام وصلى لله بالليل والناس نيام» . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

٧) لو أنكم توكلون على الله حق توكله :

رواه الترمذى فى الزهد (۱۳۶۶) ، وابن ماجة فى الزهد (۱۶۱۶) ، وأحمد فى مسنده (۳۷۰ ، ۳۰۷) من هديث عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : «او أنكم كنتم تركلون على الله حق توكله ارزقتم كما يرزق الطهر تغدى خصاصا وتروح بطاناء ، قبال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح لا تعرفه إلا من هذا الوجه ، وأبر تعيم الجيشانى اسعه عبد الله بن مالك .

(٨) من أصبح منكم آمنا في سربه :

رواه الترمذي في الزهد (٣٤٦٦) ، وابن ماجة في الزهد (٤٤١ع) من حديث سلمة بن عبيد الله بن محمن الغطس ، عن أبيه وكانت له منجية قال: قال رسول الله ﷺ: ومن أصبح منكم آمنا في سريه معافي في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنياه . قال أبو عيسي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية ، وحيزت: جمعت .

(٩) انظر تفسير الجلالين ، والطبري ، ومقاتل بن سليمان ، وظلال القرآن ، وفي أسباب النزول الواحدي .

- (١٠) في تفسير الجلالين أن نصر الروم كان يوم بدر ، فإنا لاحظنا أن نزول سورة الروم كان قبل الهجرة بسنة ، رجحنا ما ورد ني تفسير مقاتل بن سليمان من أن نصر الروم على الغرس جاء خبرة المسلمين وهم في الحديبية (٦ هجرياً) ويذلك يكون بين الهزيمة والنصر بضع سنين ، أو سبع سنين .
- (۱۱) التفسير المنير أ . د وهبة الزحيلي ٤٩/٢١ ، وتفسير القاسمي ٤٥٦/١٣ تحقيق أ . محمد فرّاد عبد الباقي ، طبعة دار إحياء التراث العربي ببروت لبنان ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م .

(۱۲) تفسير القاسمي .

(٩٣) أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت :

رواه البخارى في بدء الخاق ح ۳۲۶۵ ، وفى التفسير ح ۴۷۷ ، ۵۷۸ ، وفى التوحيد ح ۴۹۸ ، ومسلم فى الجنة ح ۲۸۲۶ ، والترمذى فى التفسير ح ۳۲۹۷ ، ۲۲۹۲ ، وابن ماجة فى الزهد ح ۴۲۲۸ ، وأحمد ح ۹۳۸ ، ۹۹۸۸ ، ۲۰۰۹ ، ۲۰۰۹ والدارمى فى الرفاق ح ۴۸۲۷ من حديث آبى هويزة .

(۱٤) باسمك رب و ضعت جنبي وبك أرفعه :

رواه البخارى فى الدعوات (١٣٢٠) وفى التوجيد (١٣٧٤) ومسلم فى الذكر (٢٧١٤) من حديث أبى هرورة قال: قال النبى ﷺ: وإذا أوى أهبكم إلى فراشه فلينغض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدرى ما خلفه عليه ، ثم يقول : باسمك رب وضمت جنبى وبك أرفعه إن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الممالحين».

(٥٥) الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا :

رواه البخاري في الدعوات (٢٢١٧، ١٣١٤، ١٣٢٤) والترمذي في الدعوات (٢٤١٧) وأحمد في مسئده (٢٣٧١) من حديث حديثة بن اليمان قال: كان النبي ﷺ إذا أرى إلى فراشة قال: «باسمك أموت رأحيا» وإذا تام قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماننا وإليه النشور» . ورواه البخاري في الدعوات (٦٣٥) من حديث أبي تر رضي للله عنه قال: كان لنبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «اللهم باسمك أمرت وأحياه ، فإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا

(١٦) اللهم غارت النجوم وهدأت العيون :

قال الهيئمي في المجمع : عن زيد بن ثابت قال : أصابتي أرق من الليل فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ ققال : قل : «اللهم غارت النجوم ومدأت العيون وأنت هي قيوم ، يا هي يا قيوم أنم عيني وأمدئ ليلي» فقلتها فذهب عني، وقال : رواه الطبراني وفيه عمور بن الحصين العقيلي وهو متروك، وتكره مالك في الموطأ كتاب النداء للمسلاة فقال : وحدثني عن مالك أنهم يلغهم أن أبا المرداء كان يقوم من جوف الليل فيقول : نامت العيون وغارت النجوم وأنت الحي القيوم . فذكره مكذا من قول أبي الدرداء . وقال الحافظ ابن حجر : لم أقف على من وصله ، ولا أسنده ابن عبد البر مع تتبعه

(١٧) اللهم رب السماوات السبع :

رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٢٣) من حديث بريدة قال : شكا غذالد بن الوايد المخزومي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما أنام الليل من الأرق ، فقال النبي ﷺ : وإذا أويت إلى فراخك فقل : اللهم رب السماوات السبع وما أفظات ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعًا أن يفرط على أحد منهم أن أن يبغى ، عز جارك وجل ثنارك رلا إله غيرك لا إله إلا أنتء . قال أبو عيسى : هذا حديث ليس إسناده بالقرى ، والحكم بن ظهير قد ترك حديثه بعض أهل الحديث ، ويروى هذا الحديث عن النبي ﷺ مرسلا من غير هذا الوجه .

(١٨) التفسير الكبير لفخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، طبعة جديدة ملوَّنة ، المجلد التاسع ص ٩٩.

(19) عجبًا لأمر المؤمن:

أخرجه مسلم فى الزهد (۲۹۹۹) ، وأحمد (۲۸۵۵ ، ۱۸۵۰ ، ۲۳۵۰ ، ۲۳۵۲) ، والدارمي (۲۷۷۷) ، من حديث مسهيب بن سنان قال: قال رسول الله ﷺ: معجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أمسابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته غسراه صدر فكان خيرا له».

(• 7) والله ما يخزيك الله أبدًا إنك أعصل الرحم :

رواه البشارى في بدء الوحى (٤) وفي الحوالة (٢٢٩٨) وفي المناقب (٢٩٠٦) وفي التفسير (٤٩٥٩) ومسلم في الإيمان (١٩٠) من حديث عائشة قالت: أول ما بدئ به رسول للله ﷺ من الرحى الرويا الممالحة .. الحديث . وفيه : فقال لختيجة وأخيرها الخبر : دفقد خشيت على نفسى»، فقالت خديجة : كلا والله ما يغزيك الله أبدا إنك لتصل الرهم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ... الحديث .

(٢١) تفسير القاسمي المجلد الخامس ، ص ٤٦٦ تمقيق محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة بار إحياء الثراث العربي بيروت ، لبنان.

(۲۲) تفسير القاسمى المجلد الشامس مص ٤٦٠ تحقيق محمد فؤاد عبد الباشى ، مطبعة دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان ، ومناك بقية الأدلة .

(٢٣) رجع ذلك الرأى د . محمد سيد طنطارى في تفسير الآية .

. (YE) من تصفق بعقل تمرة من كسب طيب :

رواه البضاري في الزكاة (۱۹۱۰) ولمي الترحيد (۷۶۲۷) وسلم في الزكاة (۱۰۱۵) والترمذي في الزكاة (۱۲۱) والترمذي في الزكاة (۱۲۱) والشعائي في الزكاة (۱۲۷) وأحيد في مستم (۱۸۱۸) والشاري في الزكاة (۱۲۷) وأحيد في مستم (۱۸۱۸) مردية قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بحيل تمرية مال عالى رسول الله ﷺ: «من تصدق بحيل تمرية من حديث كمن مثل كسب طيب ولا يقتل العالم ول الله يعينه ثم يرويها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبار» و ويواه أحدد في مستم و (۱۳۱۶) والله ليربي لأحدكم التمرية التمرية من التمرية من المدين أسلامة كما يربي لأحدكم فلوه أو فسيله حتى يكون مثل أحده.

(40) من رد عن عرض أحيه :

رواه التردذي فى البر (١٩٣١) وأحد فى مسنده (٧٦٩٨٨) من حديث أبى الدرياء عن النبي ﷺ قال : «من رد عن عرض أحيد رد الله عن وجهه الذار يرم القيامة» . قال أبر عيسى : هذا حديث حسن .

(٢٦) تفسير القاسمي المجلد الخامس ص ٤٦٩ مطابع بار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

(٢٧) في ظلال القرآن ٢١ / ٥٤ طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(28) والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أأول منهم :

رواه البخاري في المغازي (٢٩٧٦) من حديث أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمريوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من مساديد قريش فقذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشي واثبعه أصحابه وقالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركن فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : «يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاه؟ قال: فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» ، قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا وحسرة وندمًا . ورواه البخاري في الجنائز (١٣٧٠) وفي المغازي (٤٠٢٦) من حديث ابن عمر قال : اطلم النبي ﷺ على أهل القليب فقال : «وجدتم ما رعد ربكم حقاء ؟ فقيل له : تدعو أمواتا ، فقال : «ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون» . ورواه مسلم في الجنة (٢٨٧٣) من حديث أنس : كنت مم عمر ح وحدثنا شيبان بن فروج واللفظ له ، حدثنا سليمان بن المفيرة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : كنا مم عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال وكنت رجلا حديد اليصر فرأيته وليس أحد يزعم أنه رآه غيري ، قال : فجعلت أقول لعمر: أما تراه ، فجعل لا يراه قال عمر : سأراه وأنا مستلق على فراشي ، ثم أنشأ يحيثنا عن أهل بدر فقال : إن رسول الله 🌋 كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول هذا مصرع فالان غنا إن شاء الله قال : فقال عبر : فوالذي يعثه بالحق ما أخطئوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ قال : فجعلوا في بثر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليه فقال : «ينا فلان بن فلان رينا فلان بن فلان هل رجدتم ما وعيكم الله ورسوله بمنًّا فإني قد وجدت ما وعيني الله مقّاء؟ قال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجسانًا لا أرواح فيها؟ قال: «ما أنتم بأسمم لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئًا» . ورواه مسلم في الجنة (٢٨٧٠) من حديث أنس أن رسول الله ﷺ ترك قتلي بدر ثلاثًا ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال : «يا أبا جهل بن مشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيمة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ريكم حقًا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًاء؟ نسمع عبر قول النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، كيف يسمعون وأني يجيبون وقد جينوا؟ قال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمم لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبواء ، ثم أمر بهم قسمبوا فألقوا في قليب بدر.

(٢٩) السلام عليكم دار قوم مؤمنين:

رواه مسلم في الجنائز (٩٧٤) والنسائي في الجنائز (٢٠٩٩) وأحمد في مسنده (٢٣٩٠) من حديث عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من أخر الليل إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم بار قرم مؤمنين وأتاكم ما توعدون، غنا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل يقيع الفرقده. ولم يقل تتيية قوله : وأتاكم .

(٣٠) انظر تفسير ابن كثير ، وتقسير الآفوسي ، وتفسير الطبرى ، وتقسير القاسمي ، والتفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأرغم ، والتفسير الصنير للأستاذ المكتور وهبة الزحيلي .

(٣١) تفسير القاسمين

(۲۷) انظر تفسير القرآن للشيع عز الدين بن عبد السلام (۷۱۸ – ۱۲۰ م) ، اختصار النكت للماوردي (۳۲۵ – ۱۵۰ م) تحقيق د. عبدالله بن إبراهيم الرهيبي طبع رنشر المحقق ، السعودية ، الإحساء ، ص ب ۱۷۳۰ ماتف ۵۲۰۴۱ ، قال المحقق : راجع فتح الباري (۲/ - ۶۵ – الميدين ، ۹ / ۲۰ / – النكاح ، ۱/۱۰ – الأشرية) . ومحيح مسلم (۲۰/۲ – مسلاة الميدين – ۶) والمحلي لابن حزم (۱۲/۳) . الم وقد ذكر علمازتا أن الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيع ، ويمكن أن يقاس عليه الفناء فالحسن منه والقليل منه في أيام الأعياد والزواج ، والأناشيد عند الأعمال الشاقة حسن ولهو مباح ، وما كان فيه ميوعة أو تخنث أو إغراء بالمحرم قحرام .

(٣٣) دخل أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار :

رواه البخارى فى الجمعة (١٩٦٧) وفى المناقب (٢٩٣١)، ومسلم فى المناقب (٨٩٧) والنسانى فى العيدين (١٥٩٣) وابن ماجة فى النكاع (١٨٩٨) وأحمد قى مستده (٢٢٥٢، ٢٢٥١٦، ٢٤٤٢١) من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: سكل أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث، ، قالت: وليستا بمغنيتين غقال أبو بكر: أمزامير الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ، وذلك فى يوم عيد فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر ، إن لكل قوم عبدا وهذا عبدناه .

(24) أتيناكم أتيناكم فحياتا وحياكم:

ر راه ابن ماجة فى النكاح (٢٠٠) وأحد فى مستد (١٤٧٧) من حديث ابن عباس قال: أنكحت عاشة ذات قرابة لها من الأنسار فجاه رسول الله ﷺ فقال: «أهديتم الفتاة»؟ قالوا: نعم ، فال: «أرسلتم معها من يغنى»؟ قالت: لا ، فقال رسول الله ﷺ : بإن الأنصار قوم فهيم غزل فلو بعثتم معها من يقول أنيناكم أثيناكم فحيانا وحياكم» .

(٣٥) التفسير الوسيط بإشراف مجيع البحوث الإسلامية بالأزهر الحزب الحادى والأربعون عن ٨٣ – ٨٣ ، ويهامشه ما يأتي:

في السنن الكبري للبيهقي ج ٧ من ٢٨٩ أن عمرة بنت عبدالرحمن قالت : كانت النساء إذا تزرجت المرأة أو الرجل خرج جواري الأنميار يفنين ويلعين فمزيا في مجلس فيه رسول الله وهن يغنين ويقلن :

فقال: «سبحان الله ، لا يعلم ما في غد إلا الله ، لا تقولوا هكذا، وقولوا . أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم».

قال البيهقى : هذا مرسل جهد . هامش جمع الجوامع ص ٣٣٣٨ العدد ١٩ من الجزء الثانى تفسير القرآن العظيم إسماعيل ابن كثير تحليق سامى بن محمد السلامة ، دار طبية للنشر والتوزيع السعودية . الرياض ج ١١ ص ٣٣٣ .

(٣٦) تفسير روح البيان للشيم إسماعيل حقى البرسوي ، دار إحياء التراث العربي بيروت -- لبنان مجلد ٧ من ٧٠ .

(٣٧) تفسير ابن كثير تحقيق سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة السعودية الرياض ٦/٣٣٢ .

(٣٨) أينا ثم يظلم :

رواه البخاري في الإيمان (٢٣) وفي أحاديث الأنبياء (٣٤٢٠ ، ٣٤٢٨ ، ٣٤٤٣) وفي التفسير (٣٢٩ ، ٢٤٢٩) وفي استفسير (٣٠٦ ، ٢٤٢٩) وفي استندال المستند في مستند استندال الموتدين (١٩٢٨ ، ٢٩٢٨) ومسلم في الإيمان (١٩٢٨) والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٦) وأحمد في مستند (٢٥٧٨) من حديث عبد الله قال: لما نزلت: ﴿وَالْمَانِينَ آمَوا وَلَمْ يَالِسُوا أَيْمَالُهُمْ بِظَلْمٍ ...﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ: أينا لم يظلم ، فانزل الله عز وجل : ﴿وَالاَ المُركُ لَظلم عظيمٍ﴾.

(٣٩) أي اللَّنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا :

رواه البخارى في تفسير القرآن (٤٤٧٧) ومسلم في الإيمان (٨٦) ، من حديث عبد الله بن مصعود قال: سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : «أن تجمل لله ننا وهم خلفكه ، قلت : إن ذلك لمظيم ، قلت: ثم أي ؟ قال : «أن تقتل ولدك تخاف أن يملام معكه ، قلت : ثم أي ؟ قال : «أن تزاني خليلة جراك» .

(- ٤) جامع البيان في تأويل أي القرآن تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطيري المتوفى سنة ٣٦٠ هـ ٧٠/٢١ ، مطبعة مصطفى البابي العلبي ١٩٦٨ ع .

(٤١) إذا سمحم صياح الديكة :

رواه البخارى فى بدء الخلق (٣٠٠٣) ومسلم فى الذكر (٢٧٢٩) وأبو داود فى الأدب (٥٠٠٧) والترمذى فى الدعوات (٢٥٠٩) وأحمد فى مسنده (٣٠٠٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن الذبى ﷺ قال : وإذا سمعتم صبياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتموذوا بالله من الخيطان فإنه رأي شيطاناًه.

(٤٧) إنما يحت الأثمر مكارم الأخلاق:

رواه أحدد في مسنده (٨٥٩٥) من حديث أبي هريرة .

(٤٣) إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة :

رواه الترمذي في البر (۲۰۱۸) من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال : وإن من أهبكم إلى وأقريكم متى مجلسا يوم القيامة ألماستكم أغلاقًا وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارين والمتشدقين والمتفهقين، قالوا: يا رسول الله قد علمنا اللرزارين والمتشدقين، فما المتفهقين، قال: قال «المتكبرين»، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، يرواه أحدد في مسنده (۱۷۲۷م) من حديث أبي تعلية المشفق قال: قال رسول الله ﷺ: وإن تعيكم إلى وأتريكم منى في الأخرة محاسبتكم أخلاقًا وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى في الأخرة مساويكم أخلاقًا الثرثارين المتقبهقين المتشهقين، ويراه أحدد في مساويكم أخلاقًا الأثرثارين المتقبهقين عنه الإطارة المتشبقة في الأخرة الشرفة ويراه أخيدة بشراركم» فقال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئتكم بشراركم» فقال: علم الطرفةين ألا المتشبقة بيناركم، فقال: هالاربارين المتشبقة في ألا المتشاركة بشراركم» فقال:

(\$ 2) يواني بأنعم أهل الدنيا من أهل النار :

رواه مسلم في صفة القيامة (٢٨٠٧) وأحمد في مسنده (٢٦٩٩) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسال الله ﷺ: «يؤكي بأنعم أمل الدنيا من أمل النار يوم القيامة فيصبخ في النار معبغة، ثم يقال: يا ابن آمم هل رأيت خيرا قط؟ مل مر يك نديم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتي بأشد الناس برّسا في الننيا من أمل الجنة فيصبخ معبفة في الجنة فيقال له: يا ابن آمم هل رأيت بؤسا قط؟ مل مر يك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي برّس قط ولا رأيت شدة قط».

(43) مَفَاتِيحَ الْغَيْبِ حُمْسَ لَا يَعْلُمُهَا إِلَّا اللَّهُ :

رواه البخارى في تقسير القرآن (٢٤٦٧ ، ٤٦٧٧ ، ٤٦٧٧) وفي الترجيد (٢٧٧٩) وأحمد في مستده (٤٧٥٦) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مفاتيع الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ؛ لا يعلم ما تغيض الأرجام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدرى نفس بأي أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله».

(٤٦) أي سورة السجدة المجاورة لسورة لقمان .

(٤٧) في ظلال للقرآن بقلم سيد قطب ٢١/ ٩٢.

(£4) عقد مؤتمر علمى عالمى فى الولايات المتحدة الأمريكية حوالى سنة ١٩٥٩ م ، وذكر أن عمر الكون ١٧ بليون سنة ، أما عمر وجود الإنسان فى هذا الكون فعدته حوالى سبمة بلايين سنة ، أى أن العدة التى قضاها الكون ليتحول من كرة ملتهبة ، إلى دنيا صالحة للحياة ، فيها سماء وأرض وهواء ، هى سنة بلايين سنة ، ونحن لا نحكم هذه المعلومات فى تفسير الآية ، وإنما نستأنس بها بجوار فهمنا اللآية ، وقد تحدثت عن هذا الموضوع فيما سبق من التفسير.

(49) قال الفخر الرازي :

وهذا مثل ما يقول القائل لغيره:

إن يومًا ولدت فيه كان يوما مباركا

وقد يجوز أن يكون قد ولد ليلا ، ولا يخرج عن مراده ، لأن المراد هو الزمان الذي هو ظرف ولادته . ا هـ .

التفسير للكبير فلإسام الفخر الرازى مجلد ٩ ص ١٣٦ - ١٣٩ وانظر تفسير المراغى ، والتفسير المغير للدكتور وهبة الزحيلي .

(٥٠) في ظلال القرآن ٢١/ ١٠١ مطبعة عيسى البابي الطبي وبشركاه.

(٥١) تفسير القرطبي المجلد ٦ ص ٥٣٢٧ دار القد العربي القاهرة .

(٥٧) تفسير القاسمي ، محمد جمال الدين القاسمي المتوفي ١٣٢٧ هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ~ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان المجلد الخامس ص ٤٨٦ .

(۵۳) في غزوة تبوك .

(£ a) لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه :

رواه الترمذي في الإيمان (٣٦١٧) وابن ماجة في الفتن (٣٩٧٧) وأصد في مستده (٢١٥١١) من حديث معاذ بن جبل الدين كل المنافئ المنافئة المنافئ المنافئة والمنافئة المنافئة المنافئة المنافئة المنافئة والمنافئة المنافئة والمنافئة المنافئة والمنافئة والمنافئة والمنافئة والمنافئة والمنافئة والمنافئة والمنافئة المنافئة والمنافئة المنافئة والمنافئة والمنافئة المنافئة والمنافئة والمنافئة والمنافئة والمنافئة المنافئة والمنافئة المنافئة والمنافئة وا

(٥٥) أعددت لعادي الصالحين ما لا عين رأت :

رواه البخارى فى بده النطق (٣٢٤٤) ، وفى التفسير (٤٧٧٠ - ٤٧٨٩) ، وفى القرحيد (٤٩٨٨) ومسلم فى البغة (٢٨٣٤) والقرمذى فى التفسير (٣١٩٧ ، ٢٢٩٧، ولين ماجة فى الزهد (٤٣٢٨) ، وأحمد (٩٣٦٥ ، ٩٦٨٨ ، ٢٠٥١) ، ولدار مى فى الرفاق (٢٨٧٨) من حديث أمر هو بوء .

(٥٩) انظر تفسير القرطبى مجلد ٦ ص ٥٣٣٨ ففيه طائفة من الأحاديث كما تجد ذلك في تفسير ابن كثير، والتفسير المنير،
 وتفسير المراغي وغيرها.

(٥٧) ما أدني أهل الجنة منزلة :

رواء مسلم في الإيمان (۱۸۹) والترمذي في تفسير القرآن (۲۹۹۸) من حديث المغيرة بن شعبة يرنعه قال: سأل موسى
ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ما أدعل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادهل الجنة ، فيقل :
أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأغذوا أغذاتهم ، فيقال له : أترضى أن يكرن لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول:
أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأغذوا أغذاتهم ، فيقال له : أترضى أن يكرن لك مثل ملك من هاوك الدنيا ؟ فيقول:
ولشما ما شخبة بن المناس مناؤلهم والمناس و بناس بن المناسسة : وضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثلة من المناسسة على المناسسة الله عنول ، هذا لك وعشرة أمثلة من المناسسة عليها فلم ترعين رام تسمع أذن وام يخطر على قلب بشر ، قال: وممداله في كتاب الله عز وجل:
ولألا تعلى فض ما أعلى إلهم من أو أغريزك الأين الإية .

(٥٨) أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت :

تقدم تشريجه ، انظر هامش رقم (٥٥) .

(٥٩) تفسير القرطبي المجلد ٦ ص ٥٣٢٨ مطابع دار الغد العربي .

(٦٠) تفسير القرطبي مجلد ٦ / ٩٣٣٩ .

(١٨) للتفسير الكبير للإمام الفخر الرازي المجاد ٩ من ١٩٢ ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان .

(27) لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريطة :

رواه البشارى فى المغازى (١٤٨٩) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال النبى ﷺ يوم الأحزاب : «لا يصلين أحد للعصر إلا فى بنى قريطة ، فأدرك بعضهم العصر فى الطريق فقال بعضهم : لا نصلى حتى تأتيها ، وقال بعضهم: بل نصلى لم يرد منا ذلك ، فذكر ذلك للنبى ﷺ قلم يعنف ولحدا منهم .

(٦٣) في ظلال القرآن ٢١/٢١ مطبعة عيسى البابي الطبي وشركاه.

(٦٤) تفسير القرطبي المجلد ٦ من ٥٣٥٧ ، دار الغد العربي العباسية القاهرة .

(٦٥) إن النور إذا قلف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح :

قال السيوبطي في الدر المنثور : وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ثلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿الفن شرح الله صدوه للإسلام فهو علي نور من ربه﴾ فقلنا : يا رسول الله كيف لنشراح صدره ؟ قال : وإذا دخل الثور القلب انشرح وانفسح» . قلنا : يا رسول الله قما علامة ذلك ٢ قال : «الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والتأمي للموت قبل نزول الموت» . قال العراقي في تخريج الإحياء : رواه الحاكم في المستدرك من حديث ابن مسعود .

(٦٦) صفرة التفاسير للأستاذ محمد على الصَّابوني ، المجلد الثاني ص ٥١٧ دار القرآن الكريم بيروت .

(37) أنت أخونا ومولانا :

روله البخارى فى الصلح (۲۷۰) وفى المغازى (۲۵۱) من حديث البراء بن عازب قال: اعتمر النبى ﷺ فى ذى القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقالوا : لا نقر بها فلو نظم أنك رسول الله ما منمناك ، لكن أنت محمد بن عبد الله ، قال: «أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله» .. الحديث وفيه : وقال لطى : «أنت منى وأنا مكك» وقال لجمفز : «أشبهت علقى وطقى»، وقال لزيد : «أنت أنت منى وأنا مكك» وقال لجمفز : «أشبهت علقى

٩٨) ما كا تلعوه إلا زيد بن محمد :

رواه البخارى فى التفسير (٤٧٨٧) ومسلم فى فضائل المحاية (٧٤٢٧) والقرمذى فى التفسير (٤٧٣٠) وفى المناقب (١٨٨٤) وأحمد فى مسنده (١٥٥٥) من حديث عبد الله بن عمر أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ادعُوهُ لِآبَاتُهِهُ هُو أَنسطُ عنداللهُ .

٩٤) ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر:

رواه البخارى فى المناقب (٢٠٠٨) ومسلم فى الإيمان (٢١) وأحمد فى مسئده (٩٥٤ ٢٠) من حديث أبهى نر أنه سمع النبى ﷺ يقول: «ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهر يحلمه إلا كغر ، ومن ادعى قومًا ليس له فيهم فليتبوأ مقعده من الناري.

(٧٠) قد فعلت :

رواه مسلم فى الايمان (١٧٦) من حديث ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَبَعُوا مَا فَهُ اللّه الإيمان ق به اللّه﴾ قال: دخل قلريهم منها شيء فقال الذي ﷺ: وقولوا سمعنا وأمامنا وسلمناء. قال: وألقى الله الإيمان في قلويهم فأنزل الله تعالى: ﴿لا يكلف الله نشاً إلا وسمها لها ما كسبت وعليها ما اكسبت ربنا لا تواحملنا إن نسينا أو أعطاناته قال: قد فعلت ﴿وَرِنا ولا تعمل علينا إصراً كما حملته على اللهن من قبلنا﴾ قال: قد فعلت ﴿وراغافر لنا وارحمنا أنت مولانا﴾

(٧١) إذا حكم الحاكم فاجتهد لم أصاب:

رراه البشارى فى الاعتصام (۲۳۵۷) ومسلم فى الأقضية (۱۷۷٦) وأبو راور فى الأقضية (۲۵۷۱) وابن ملجة فى الأحكام (۲۳۱۶) وأحدد فى مسنده (۱۷۳۲۰) من حديث عمرو بن العامن أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : وإذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أممان قله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أهطأ قله أجريه .

(٧٢) إن الله تجاوز عن أمتى الخطأ والنسيان :

رواه ابن ماجة في الطلاق (٢٠٤٣) من حديث أبي نر الفغاري قال: قال رسول الله ﷺ: وإن الله تجاوز عن أمتى الفطأ والنميان وما استكرهوا عليه، ورواه ابن ملجة في الطلاق (٢٠٤٥) من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال : وإن الله - هم عن أمتى الخطأ والنميان وما استكرهوا عليه، قال البومبيري في الزوائد: إسنامه صحيح إن سلم من الانقطاع، والظاهر أنه منقطم بعليل زيادة عبيد بن نمير في الطريق الثاني وليس ببعيد أن يكون السقط من جهة الوليد بن مسلم فإنه كان يدلس . قال المناوي في فيض القدير : (عن ابن عباس) قال الزيلعي : سنده ضعيف ورواه الطبراني باللفظ المذكور وقال الهيثمي : وفيه محمد بن مصفى وثقه أبو حاتم وفيه كلام لا يضر وبقية رجاله رجال المحيح وقال ابن حجر : أخرجه الفضل التميمي في فوائده بإسناد ابن ماجة بلفظ رفع بدل وضع ورجاله ثقات إلا أنه أعل بطة غير قادحة فإنه من رواية الوليد عن الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس وقد رواه بشر بن بكر عن الأوزاعي فزاد عبيد بن عمير بن عطاء وابن عباس وأخرجه الحاكم والبارقطني . انتهى . وذكره الهيثمي في المجمع من حديث ثوبان عن رسول الله ﷺ قال : «إن الله تجاوز عن أمتى ثلاثة الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه» . وقال : رواه الطيراني وفيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو ضعيف . قال المناوي في فيض القدير : (ثويان) ومز المصنف لصحته وهو غير صحيح فقد تعقبه الهيثمي بأن فيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو ضعيف ا هـ. وقصاري أمر الحديث أن النوري ذكر في الطلاق من الروضة أنه حسن ولم يسلم له ذلك بل اعترض باختلاف فيه وتباين الروايات ويقول ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه هذه أحاديث منكرة كأنها موضوعة وذكر عبد الله بن أحمد في العلل أن أباه أنكره ونقل الخلال عن أحمد من زعم أن الخطأ والنسيان مرفوع فقد خالف الكتاب والسنة وقال ابن نصر : هذا الحديث ليس له سند يحتج بمثله ا هـ . وقد خفي هذا الحديث على الإمام ابن الهمام فقال: هذا الحديث يذكره الفقهاء بهذا اللفظ ولا يوجد في شيء من كتب الحديث. وذكره الهيثمي في المجمع من حديث عقبة بن عامر عن النبي 義 قال مثله مثل حديث قبله عن النبي 義: «وضم عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» . وقال · رواه الطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وعديثه عسن وفيه ضعف وذكره الهيلمي في المجمع من حديث عمر عن النبي ﷺ قال مثله . قلت مثل حديث قبله عن النبي ﷺ : «وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن مصفى وثقه أبو جاثم وغيره وفيه كلام لا يضر ، ويقية رجاله رجال الصعيح .

(٧٣) إن الله عز وجل بعث محمدًا فِيْدُ بالحق :

رواه أحمد في مسنده (۱۳۷۳) من حديث عمر رضي الله عنه أنه قال - إن الله عز رجل بعث محمدًا ﷺ بالحق رأنزل معه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ثم قال : قد كنا نقراً : ولا ترغيوا عن أبائكم فإنه كلو بكم أو إن كفرا بكم أن ترغيوا عن آبائكم ، ثم إن رسول الله ﷺ قال : «لا تطروني كما أطرى ابن مريم وإنسا أنا عبد نقوارا : عبده ورسوله» وريما قال معمر : كما أطرت النصارى ابن مريم .

(24) القحر في الأحساب والطعن في الأنساب:

رواه البخارى في المفاقب (٣٨٥) من حديث ابن عباس قال : هلال من هلال الجاهلية الطمن في الأنساب والنياحة ونسى الثالثة قال سفيان : ويقولون إنها الاستسقاء بالأنواء . روواه مسلم في الجنائز (٩٣٤) وابن ماجة في الجنائز (١٩٨١) وأحمد في مسنده (٢٣٣٩) من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال : وأربع في أمقى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة» وقال : «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سريال من قطوان ودرع من جرب» .

(٧٥) التفسير المنير للأستاذ الدكتور رهبة الزحيلي ٢٤٢/٢١ .

(٧٦) ما من موَّمن إلا وأنا أولى به في الدنيا :

رياه البخاري في الحوالة (۲۲۹۷) وفي الاستقراض (۲۳۹۹) وفي التفسير (۴۷۸۱) وفي النفقات (۴۷۸۰) وفي الفرائض (۲۷۲۰، ۲۷۶۰) ومسلم في الفرائض (۲۱۱۹) من حديث أبي هريرة أن الذي ﷺ قال : هما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والأخرة اقرموا إن خلتم : فإلتي أولى بالمؤمنين من أقسهم في فأيما مرّمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومرّر وك دينًا أو ضباعًا فليانتي فأنا مولاه».

(٧٧) أخرجه الشيشان ، وانظر تفسير القرطبي مجاد ٦ حس ٥٣٦٠ .

(٧٨) تنسير القرطبي مجاد ٦ ص ٥٣٦٢ مطبعة دار الغد العربي القاهرة .

(٧٩) حكمت بحكم الله من أو ق سيع سماوات :

رواه البشاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٨٠٤) وفي المغازي (٤١٢١) ومسلم في الجهاد (١٧٦٨ ، ١٧٦٩).

(٨٠) أخرجه البخاري باب علامات النبوة في الإسلام حديث رقم ١٧٠٣ .

(٨١) أخرجه أحمد في مسنده بالصفحة رقم ٢٨٥ من الجزء الرابع (طبعة الطبي).

(٨٢) يشير إلى قوله تمالى : ﴿إِذْ همت طَائِلُتُوا نَ مَنْكُم أَنْ تَقْسُلا والله وليهما وعلى الله فليتركل المؤمنون﴾ (ال عمران : ١٢٢).

(٨٣) الأعيار جمع عير وهو العمار ، العوارك : النساء الحيِّض .

(٨٤) انظر تفسير ابن كثير.

(٨٥) تفسير القرطبي مجاد ٦ ص ٥٣٩٣ طبعة دار الغد العربي العباسية القاهرة .

(٨٦) لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع :

رواه البخارى فى الجهاد (٢٨٠٦) وفى التفسير (٤٧٨٣) ومسلم فى الإمارة (١٩٠٣) من حديث أنس تال: غاب عمى أنس بن النفسر عن قدال بدر قفال: يا رسول الله ، غيث عن أول تقال قائلت المشركين لذن الله أشهدنى قدال المشركين لين الله أشهدنى قدال المشركين لين الله أشهدنى قدال المشركين لين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف العسلمون قال: اللهم أن عقدر إليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وأراً إليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ، ثم تقدم فاستقبله صد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النفسر إلى ألم ألم منتى عماد الجنة ورب النفسر ألى ألم ما سنع ، قال أنس : فيوجنا به بهمما ورضائين شميلة بالسيف أن طعنة برمح أو رمية بسهم ورجناء قد قتل وقد مثل به المشركين فما عرفه أحد إلا أشته بهناك ، قال أنس : كنا نرى أن نثان أن هذه الآية نزات فهه وفى أشهاعه وأس المؤسنين رجال صدائرا ما عاهدوا الله عليه إلى آهر الآية المن النفس عليه المشركين فعا عرفى الله عليه إلى آهر الآية بدلال الله والذي المناس المناس الله يقل الله من الله المناس عبداء الله بالدق لا نكس عباد الله من لو أقسم على الله يؤمره ما الله من لو أقسم على

(٨٧) التفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وقارن بالتفسير المنير أ. د وهبة الزحيلي، وتفسير ابن كلير

(٨٨) لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة :

تقدم تخريجه ، انظر هامش (٦٢) .

(٨٩) تفسير ابن كثير ، وزاد المسير ، والتسهيل في علوم التنزيل .

(، ٩) إنما الطلاق لمن أخذ بالساق :

رواه ابن ماجة في الطلاق (٢٠٨٨) من حديث ابن عباس قال: أتى النهى ﷺ رجل فقال: با رسول الله إن سيدى ترجنى أمته وهو يريد أن يغرق بينى ويبنها ، قال: فصعد رسول الله ﷺ المنبر فقال: «يا أيها الناس ما بال أحدكم يزوج عبده أمته ثم يريد أن يغرق بينهما إنما الطلاق لمن أخذ بالساق».

(٩١) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي مجاد ٩ ص ١٦٦.

(٩٢) تفسير القرطبي مجلد ٦ ص ١٤٤٧ ، دار الفد العربي – القاهرة .

* * *

تمت الهوامش وتغويج الأحاديث بحماء الله تعالى وبها تم الجرّة (الحادى والعشرون)

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية		
٧٠١3	﴿ ولا تسجاد لموا أهمل الكشاب إلا بمالشي همي أحسس ﴾	13		
£1-V	﴿وكسنلك أنسز لسنسا إلسيك السكتساب﴾	٤٧		
٤١٠٧	﴿وما كنت تـــلــو مــن قــبــلــه مــن كــــّــاب﴾	٤٨		
٤١٠٧	﴿بل هـ و آيـات بيـنـات في صدور الذين أوتوا العلم﴾	٤٩		
2111	﴿ وقسالسوا لسولا أنسزل عسلسيسه آيسات مسن ريسه﴾	٥٠		
1113	﴿أَوْ لِيمَ يَسْكَشَبُهُم أَنِيا أَنْدَرُلِنَا عَالِيكَ الْسَكَيْتِابِ﴾	٥١		
2111	﴿قَالَ كَفْنَى بِالنَّابِ بِينْنِي وَبِينْكُم شَهِيدًا﴾	70		
2117	﴿ ويستعب الوقك بالعناب والولا أجِل مصمى	۳٥		
2117	﴿يستعجلونك بالعذاب وإن جهتم لمحيطة بالكافرين.﴾	30		
2114	﴿يــوم يستغشاهــم السعــذاب مــن فــوقــهــم﴾	00		
2110	﴿ يَا عَبِادِي الَّذِينَ آمَنِيوا إِنْ أَرْضِي وَاسْتِعَةً﴾	٥٦		
2110	﴿كـــل نــفس ذائـــةـــة الـــمـــوت﴾	٥٧		
2110	﴿ والذين أمنوا وعملوا الصالحات لنبوثنهم من الجنة غرفًا	٥٨		
. £110	﴿اللَّذِينَ صَلَّى رَا وَعَلَّمَ رَبُّهُمْ يَا تَوْكَلُونَ .﴾	٥٩		
2110	﴿ وكانت من داية لا تحمل رزقها	٦٠		
£11Y	﴿ والنَّسَ سَأَلَتُهُم مِنْ خَالَقَ السَّمَاوَاتَ وَالْأَرْضَ ﴾	11		
8117	﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده﴾	77		
£11V	ولئن سألتهم من نيزل من السماء مياء	77		
2114	﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لنهو ولعب،	3.5		
2119	﴿ فَاللَّهُ مِنْ السَّفِيكُ دَعُسُوا السَّلَّبُ ﴾	٦٥		
1113	﴿ليكنفروا ينمنا أ تينناهم ولي تمتع وا﴾	11		
1713	﴿أولــم يــروا أنــا جــعــلــنــا حــرمُــا آمــئــا﴾	٦٧		
1713	﴿ رَمِينَ أَظَالِمَ مَصَيِّنَ الْمُتَسِينَ عَلَى اللَّهَ كَنْيُنَا﴾	٦٨		
1713	﴿رالنين جاهدوا فينا لنهدينهم سهلنا﴾	11		
2175	خلاصة ما تضمئته سورة العنكبوت	_		
6170	تفسير سورة الروم	-		
2177	أهداف سورة الروم	_		
		<u>L</u>		

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
2179	♦ .,	1
8179	﴿ بِي اِسْ اِنْ اِنْ اِنْ اِنْ اِنْ اِنْ اِنْ اِن	۱ ۲ ۱
2179	﴿ فَيَ أَدِنْنِي الأَرْضُ وَهُمْ مِنْ يَعِدَ غَلَيْهُمْ سَيَعَلَيُونَ ﴿ ﴾	۲ ۱
8179	ون بف خــــــن∳	ا ٤
8179	﴿ بِ نَصِ رِ السَّابِ هِ نَصِ رَ مُسِنْ يَشْسَاءُ﴾	•
8179	﴿ <u>رعب البلب</u> ه لا <u>يسخبلسف</u> البلبية رعسده﴾	٦
2179	﴿ رحمله من ظها همرًا من المحميه الماسية المدنسية الم	٧
2147	﴿أول م يستسف كسروا فسى أنسفس هسم﴾	۸
2773	﴿أُوا ــــم يسيروا فيسمى الأرض﴾	1 1
2177	وثم كسان عساقبية البنيسن أسماءوا السوأى	١.
37/3	﴿السِلسَه يَسِيدِأَ السِخْسِلْسِقُ تُسْمِ يُسْخِسِيدِه﴾	"
3713	﴿ ويــوم تــقــوم الســاعــة يسيــلس الــمــجــرمــون . ﴾	14
37/3	﴿ ولـم يحكن لنهم من شركنائنهم شقعناه ﴾	14
3713	﴿ ريس ومناسب عنه يسومنك يستنفر قبون . ﴾	1 1 2
3713	﴿ فَامَا الَّذِينَ آمِنُوا وعَمَا وَالْصَالَحَاتِ﴾	10
37/3	﴿ وَأَمَا السَّدِينَ كَسَفَرُوا وَكَذَيْنُوا بِأَيْنَا تُمَثَّنَا ﴾	17
2773	﴿ فَسَيْدَ مَانَ اللَّهُ هَنِينَ تَنْعَسُونَ رَحَيْنَ تُصَيِّصُونَ ﴾	14
2773	﴿ولِـــه الــــمــــد فـــى الســمـــاوات والأرض﴾	١٨
1713	﴿يــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	19
2179	﴿ ومِسِنَ آيساتِ إِن حُساسِقُ حَسِمٍ مِسِنَ تَسْرَابِ ﴾	٧٠
2179	﴿ ومن آيات أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا	41
2179	﴿ ومــن آيـــاتــه عــلــق الســمــاوات والأرض	77
2179	﴿ومِنْ آياتِه مِنْسَامِكِم بِسَالَ لِيلَ وَالْمُنْهِسَارِ ﴾	77
٤١٣٩	﴿ ومِن آياته يريكم البرق خواسًا وطععًا	45
2179	﴿ ومن أيساته أنْ تسقسوم السمساء والأرض بسأمسره ﴾	40
8188	﴿ واسب مسن قسس المسمساوات والأرض ﴾	77
2313	﴿وهِ سو السذى يسبسا السفساسق ثسم يسعسيسه	44
٤١٤٥	﴿فَدِينِ لِيكِسِم مَسَاسًا أَمِينَ أَنْسَقِسَكُسِمِ﴾	44

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
٤١٤٥	﴿بِلَ اتَّبِعَ الَّذِينَ ظَلِمُ وَالْمُواءِمُ مِ﴾	79
٤١٤٧	﴿ فَاقْدُمُ وَجِهِ لَا لَلْكُ مِنْ حَنْدِي فَا ﴾	٣٠
٤١٤٧	«مسنيب بيسن السيسة واتسقسوه»	71
٤١٤٧	﴿ مَن الدَّيْسِ فَسَرَقِسُوا دِيَسْتُهُمْ وَكَمَانُسُوا شَيْعُمَّا ﴾	77
٤١٥٠	﴿ وإذا مسَ السنساس ضيرُ دعسوا ريسهم ﴾	77
٤١٥٠	﴿ليكفروا بِما أتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون .﴾	37
٤١٥٠	﴿أَمْ أَنْسَرُكُ شَمًّا عَمَلُ عِنْهُ مِنْ مُسْلِكُ مَا أَنَّ اللَّهُ	40
٤١٥٠	﴿ وإذا أَدْقَصْبَا الصَّاسَ رحسمية فَسَرَدُوا يَسَهَا﴾	77
£10+	﴿ أُولَم يَسِرُوا أَنْ اللَّهُ يَبِسِطُ الْرِزَقَ لَمِنْ يَشَاءُ وَيَقْبَرَ ﴾	44
2107	﴿ فَمَا تِنَا السَّمْرِيسَ عَمْقَهُ وَالْمُسْكِينَ وَابِنَ السَّبِيلِ ﴾	٧٨
10/3	﴿ وما أته يتم من ربا ليربو في أموال الناس ﴾	44
1013	﴿ الله الذي خُلِقَكِم ثم رزَقَكِم ثم يميتكم﴾	٤٠.
2107	﴿ عُلْمَ هِمَانَ الْمُعَادِ فَمِنَى السِّيدِ وَالسَّهِ حَمِدُ﴾	٤١
2107	﴿ قسل سسيسروا فسسى الأرض فسانسنا سروا ﴾	23
1013	﴿ فَا اللَّهِ مِنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّه	٤٣
2107	﴿مـــن کــفــر فــعــا يـــه کــفــره﴾	8.8
2013	وليب جزئ الذين أمنوا وعملوا الصالحات	٤٥
2109	﴿ومِــن آيـــاتـــه أن يــرســل السريساح مــيشــرات﴾	٤٦
2109	﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسالًا إلى قرمهم﴾	٤٧
2109	﴿ اللَّه الدَّى يبرسل البريناج فَيَقَيْبِ سِيصِنَابِسَا﴾	٤٨
2109	﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبِلَ أَنْ يَنْزَلُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبِلُهُ لَمِبْلُسِينَ . ﴾	٤٩
2109	﴿ فَصَانَتُ عَلَيْنِ إِلَٰنِي آثِ بَارِ رَحْمَاتُ الْسَلِيهِ ﴾	٥٠
2109	﴿ولِــتَــن أرســلــنـنا ريبهـُـا فــرأوه مصــفــرا﴾	٥١
77713	﴿ فِي إِنْكَ لا تُعَمِينَ عَلَيْهِ مِنْ وَتَسَمَى ﴾	. 70
£177	﴿ومسا أنت يسهسادي السعدمي عسن غسلالـ تسهــم﴾	٥٣
6170	﴿السلام السدَّى كَسَانَ شَاعِدَ فَا اللَّهُ كَامَ مُسْانِ مُسْانِعُ فَا اللَّهُ	٥٤
2177	﴿ ريس بم تسقسوم المساعسة يسقسم السمسجس مسون ﴾	00
2177	﴿ وقدال النين أوتسوا المعالم القد البعاتم	٥٦

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
2177	﴿ في وم نَذُ لا يَنْفِعِ الَّذِينَ ظَلَّمُوا مَعَذُرِتُهُمْ ﴾	٥٧
ENTA	﴿ولِقد ضريتا للنباس في هذا القرآن من كل مثل﴾	٥٨
£17A	﴿كذلك ينطبع الله على اللوب الذين لا يعلمون .	٥٩
٤١٦٨	﴿ فــاصــبـرإن وعــد الــلــه حــق	٦٠
٤١٧١	خلاصة موجزة لما اشتملت عليه سورة الروم	-
٤١٧٣	تفسير سورة ثقمان	-
٤١٧٤	أهداف سورة لقمان	-
٤١٧٧	(١ ،
8177	﴿تــك أيــات الــكــتــاب الــحــكــيــم.﴾	۲
٤١٧٧	﴿ هـ دى ور حـ هـــة الـــــ مـــ حـــــ نـــــــــــــــــــــ	٣
٤١٧٧	﴿ الدنيدن يسقب مون المسلاة ويسؤتسون السزكساة ﴾	٤
٤١٧٧	﴿ أُولِـ تُكُ عِلَى هَـدِي مِنْ رِيهِم وأولـ تُك هِـم الـمـقـلـــــــــون . ﴾	ا ہ
£174	﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عنِ سبيل الله﴾	٦,
8174	﴿ وإذا تـــتــلـــى عــلــيــه آيــاتــنــا ولــى مســتــكـبــرا﴾	٧
YAZ	﴿إِنْ الذينَ آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم .﴾	٨
2147	﴿ عَالدينَ فيها وعد الله حقًّا وهو العزيز الحكيم. ﴾	١ ،
2113	﴿خسلسق السسمساوات بسفسيس عسمسد تسرونسهسا﴾	1.
2113	﴿ مِنَا خَلَقَ اللَّهِ قَـأَرُونَى مَانَا خَلَقَ الذِّينَ مِنْ دُونَهِ﴾	11
£\A0	﴿ ولقد أتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله﴾	14
2140	﴿ وَإِذْ قَسَالَ لِسَقَسَمَانَ لَا بِسَنَّهُ وَهُسُو يَسْمَسُطُهُ	18
8147	﴿ورصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنَّا على وهن	1 8
ELAV	﴿ وإن جِاهِداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم ﴾	١٥
£1A4	﴿يا بسنسي إنـهـا إن تك مـــــــــــال حـــبـــــــــــــــــــــــــــــــــ	17
2149	﴿يا بندى أقسم الصالة وأمسر بالمصعبروف﴾	17
2149	﴿ وَلا تَصْعَرَ مُنْكُ لَلْنَاسَ وَلا تَمَثُّ فَيَ الأَرْضُ مِرْشًا ﴾	1.4
2149	﴿ واقمـــد فـــى مشسيك واغضض مـــن صـــوتك	19
2197	﴿ أَلَم تَدروا أَن اللَّه سَخَر لَكُم مِنا فَي السَّمَاوات	۲٠
2197	﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا منا أنـزل البلـه قنالـوا﴾	71

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
2112	﴿رمـن يسلم وجـهـه إلـى الـلـه وهــو مـحسـن﴾	77
2142	﴿ ومسن كسفسر فسلا يسمسزنك كسفسره ﴾	74
٤١٩٤	﴿نَمَتَعَهُم قَلَيَالاً ثُمْ نَصْطَرَهُم إِلَى عَذَابِ عُلَيْظً ﴾	37
2197	﴿ ولَـــُـن سَــالُــتـهـم مـن خــلـق السـمــاوات والأرض﴾	70
2197	﴿ السلسة مسا فسبى العسمساوات والأرض ﴾	77
£19V	﴿ ولسو أنسما فسي الأرض مسن شجسرة أقسلام﴾	٧٧
£19V	﴿ مِنا عَمْلَتَ كَنِم وَلا بِنَعِينَا كِيمَ إِلا كُنْ فَسَ وَلَمْنَاةَ ﴾	44
3	﴿ أَلْسَمَ تَسَرَ أَنَ السَّلَمَهُ يَسَوَلَسِجَ السَّلِيسَلُ فَسَى السَّمْهِسَارِ ﴾	79
٤٢٠٠	﴿ذلك بِـــــأن الــــــــــه هــــــو الـــــــــق﴾	۳٠
£7	﴿أَلُم تَارَأَنُ الفَئِكَ تَجَارَى فَي الْهِنْدِرِ بِنْعُمَّةَ اللَّهُ﴾	771
٤٣٠٠	﴿ وإذا عَشيهم مروج كبالنظال دعوا الله ﴾	44
£ 4 - £	﴿يا أيها النَّاسِ اتَّةُ وَا ربكَم﴾	77
3.43	﴿إِن السلب عسنده عسلم السناعية ويستسزل السفيد	37
£7+V	خلاصة ما اشتملت عليه سورة لقمان	-
64.4	تفسير سورة السجدة	-
171.	أهداف سورة السجدة	-
2717	€.	١ ،
7/73	وتنزيل الكتاب لا ريب نسبه من رب السالمين.)	۲
2717	﴿ أَم يَسَقَسُوا سِونَ الْعَسْسَراء يَسَلُ هِسُو السَّمْسَقُ مَسْنُ رِيكَ ﴾	٣
3/73	﴿ الله الذي خلق السماوات والأرض وما بيشهما ﴾	٤
3173	﴿يصدِبِ رَائِمُ صَانَ السَّمَاءِ إِلَّى الْأَرْضَ﴾	٥
2717	﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة المريس السرحيم .﴾	٦
£Y\Y	﴿الــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	v
£Y\V	﴿ ثُمْ جِعَلْ نَسِلُهُ مِنْ سِلَالَةً مِنْ مِاءً مِهِينَ .﴾	٨
2717	و المسلولة والمسلق عن المسلق المسلق والمسلم الم	٩
2717	﴿ وقالوا أنذا صَلَلْنَا في الأرض أننا لَفِّي خَلَقَ جِدِيدِ ﴾	١.
٤٣٢٠	وقسل يستسوفساكم مملك السمسوت السذي وكسل يسكسم	11
٤٣٢٠	﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رموسهم عند ريهم﴾	۱۲

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
٠٢٢٤	﴿وواسو شَـنْدَا لأتـيـناكـل نَـفس هـداهـا﴾	14
٤٣٢٠	﴿ فَدُوقِوا بِمَا نَسْيَتُمَ الصَّاء يَبُومُكُمَ هَذَا﴾	١٤
2773	﴿ إِنْمَا يَوْمَنَ بِأَيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذَكُرُوا بِهَا عَرُوا سَجِنًا ﴾	١٥
3773	﴿تَتَجَافَى جَنُوبِهِم عَنَ المَضَاجِعِ يَدَعُونَ رَبِهِم خُوفًا وَطَمِعًا﴾	17
3773	﴿ فِبِلَا تَبْعِلُم نَبْقِينَ مِنا أَخْتِفِينَ لِيهِم مِنْ قِيرَةُ أَعِينَ﴾	17
2777	﴿أَفْ مِنْ كِيانَ مِنْ مِنْ مِنْ الْجَمِنَ كِيانَ فِي اسْتَفَا﴾	1.4
V773	﴿أَمَا الذِّينَ آمِنُوا وعملوا الصالحات قلهم جِنات المأوى﴾	14
EYYV	﴿وَأَمِنَا الَّذِينَ فَسَقَنِوا فَنِمِنَّا وَامْنِمَ الْبِنْبَارِ﴾	٧٠
2777	﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكهر	41
£ 777	﴿ وَمِنْ أَطْلُمُ مِمِنْ ذَكُرِيالِياتِ رِيهَ ثُمِّ أَعَرِضَ عِنْهَا﴾	44
٤٣٠.	والقد أتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من القائه	74
544.	﴿ وجعانا منهم أثمة يسهدون بأمرنا ﴾	48
644.	﴿إِن ربك هـــو يــفمسـل بــيستــهــم يـــوم الــقــيــامــة﴾	40
£ 777	﴿أُولِم يَهِدُ لَهُم كُمُ أُمَلَكُنَا مِنْ قَبِلَهُمْ مِنْ القَرَوِنْ﴾	77
2777	﴿ أُولَىم يسروا أنسا نسبوق السمساء إلى الأرض السجسرز ﴾	YY
2777	﴿ ريقولون متى هذا الفتح إن كنتم منافقين . ﴾	A.Y.
2777	﴿قَلْ يَبُومُ الْفَتْحَ لَا يَنْفَعَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانَهُمْ﴾	44
2777	﴿ فَاعْدِهُ عِنْهُم وَانْتَظُرُ إِنْهُم مِنْتَظْرُونَ . ﴾	4.
2777	تفسير سورة الأحزاب	-
8747	أهداف سورة الأحزاب	-
£Y££	﴿ يِا أَيِهِا النَّبِي اتَّنَّ اللَّهِ وَلا تَعْلِمُ الكَافِرِينَ وَالْمَنَافَقِينَ	\
3373	﴿واتــــهِ مـــا يـــوحـــى إلـــيك مـــن ريك﴾	۲
3373	﴿ وتـوكسل عسلسي السلسه وكسفسي بسائسليه وكسيسالاً . ﴾	٣
£7£V	﴿ما جنعل الله لنرجل من قلبين في جوفه﴾	٤
¥7£V	وادعبوهم لأبيائهم هيو أقسط عند الله	
2707	﴿السَّدِينَ أَوَاسَى بِالْمِرَّمِينِينَ مِنْ أَسْسِهِمٍ﴾	٦
2707	وراذ أخذت من النبيين ميثاتهم)	٧
2707	وليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابًا أليمًا .	٨

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
2YOV	﴿ مِنا أَيْنِهَا الدِّينَ آمِنُوا انْكُرُوا نَعْمَةَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾	٩
£Y0V	﴿إِذْ جِنَاءُوكِم مِنْ شَوَقَكُمْ وَمِنْ أَسَفُلُ مِنْكُمْ﴾	١٠.
£YOV	﴿مِنْ اللهِ ابْسُلِي الْمُؤْمِنُونَ وَزَلَزَلُوا زَلَزَالاً شَدِيدًا . ﴾	11.
£YOY	﴿ وَإِذْ يَهْ وَلَ الْمَنْ افْقُونَ وَالَّذِينَ فَى قَلُوبِهِمْ مَرْضَ ﴾	17
£YoV	﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةً مِنْهُمْ يِنَالُهُ لِيَثْرِبِ﴾	14
£YOV	﴿ولودهات عليهم من أقطارها ثم ستِلوا الفتنة ﴾	18
¥70V	﴿ وَلَقَدَ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهُ مِنْ قَبِلَ لَا يُولُونُ الأَدْبَارِ ﴾	١٥
£70Y	﴿ قَلَ لَنْ يَسْفَعَكُمُ الْغَرَارِ إِنْ غَرِرَتُمْ مِنْ الْمُوتَ أَوَ الْقَتَلَ ﴾	17
£70V	﴿قسل مسن نا السدّى يسعمسمسكنسم مسن السلسه﴾	۱۷
3773	﴿ تَسْدَ يَسْعَلُهُ السَّاسِ السَّاسِ السَّمْسِ وَتَسْيِسَنَ مُسْتَكِيمٍ ﴾	1.4
3773	﴿أَشْحَاءُ عَلَيكُم فَإِنَّا جِنَّاء النَّصُوفَ رأينتَهم﴾	14
2772	﴿يسحسسبون الأحسزاب لسم يسذه بسوا	۲٠
· £Y\V	﴿لقد كنان لنكتم فني رسنول البلية أسنوة جسنية﴾	17
V/73	﴿ وأمــــــا رأى الـــمــــومـــنـــون الأحـــزاب قـــالـــوا	44
2773	﴿من المؤمنين رجال صدائوا ما عاهدوا الله عليه﴾	77
2779	﴿ليحِنى الله الصانقين بمدقهم﴾	37
1773	﴿وردُ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا﴾	70
1773	﴿ وأنسزل السنيسن ظساهسروهسم مسن أهسل السكستساب ﴾	77
1773	﴿ وأورثــكــم أرضــهـم وديــارهــم وأمــوالــهـم	77
3773	﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن المياة الدنيا	YA.
3773	﴿ وإن كنستن تعردن البلبه ورسواسه والعدار الأخسرة	79
3773	﴿ بِيا نساء النبي من يبأت منكن بفاحشة ميينة﴾	۴٠
1473	تخريج أحاديث وهوامش	-
2790	فهرس الكتاب	-

تم يحمد الله الجزء (الحادي والعشرون) ويليه الجزء (الثائي والعشرون) بإذن الله تعالى

تفسير القرآن الكريم

الجزء الثاني والعشرون من القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته



آداب بيت النبوة

﴿ وَمَن يَقَنْتُ مِن كُنَّ يَلْهِ وَرَسُولِهِ وَتَمْ مَلْ مَنْلِمَا نَقْ فَهَا آجْرَهَا مَرَّ يَّيْنِ وَأَعَدَن الْهَا وِرَقَا كَانَ مَا الْجَهَا الْجَرَهَا مَرَّ يَيْنِ وَأَعَدَن الْهَا وَرَسُولُكُ كَانَ فَيْلُمْ عَلَى الْفَيْلِ وَالْمَقْرُوفَا ﴿ وَقَرْنَ فِي يُبُولِكُنَّ وَلَا تَدَرَّفَ فَيَعُلَمُ الْفَيْولِ مَنْ وَلَا تَمْرُوفَا ﴿ وَقَرْنَ فِي يُبُولِكُنَّ وَلَا تَدَرَّ وَالْمَعْرُ وَالْمَعْرُوفَا ﴿ وَقَرْنَ فِي يُبُولِكُنَّ وَلَا تَدَرَى الْمَسَاوَةُ وَمَا يَدِي الزَّكُوفَ وَلَلِمَ اللَّهِ وَرَسُولُكُمْ تَنْ اللَّهِ وَرَسُولُكُمْ تَنْ اللَّهِ وَرَسُولُكُمْ تَنْ اللَّهِ وَرَسُولُكُمْ تَنْ اللَّهِ وَلَا لَكُنْ اللَّهِ وَلَا لَهُ وَيَسُولُكُمْ اللَّهِ وَلَا لَكُونَ وَلَيْلُولُكُمْ تَطْلِهِ بِكَلِي اللَّهِ وَلَا لَكُونَ وَلَا مَعْرَا اللَّهِ وَلَا لَكُونَ وَلُلُولِكُمْ تَطْلِهِ بِكَلِي وَلِي اللَّهِ وَلَا لَكُونَ وَلَا لَكُونَ وَلَا لَكُونَ وَلَا لَكُونَ وَلَا لَكُونَ وَلَا لَكُونَ وَلَوْلُولُكُمْ اللَّهُ وَلَا لَكُونَ وَلَا لَكُونَ وَلَا لَكُونَ وَلَوْلُولُولُولُكُونَ وَلَاللّٰهِ وَلِلْمُ اللّٰهِ وَلِلْمِ لَكُونُ اللّٰهِ وَلَا لَهُ وَلَا لَكُونَ وَلَوْلَ اللّٰهِ وَلَاللّٰهُ وَلَا لَكُونَ اللّٰهُ وَلِلْمُ اللّٰهُ وَلَا لَكُونَ اللّٰهُ وَلَا لَكُونَ اللّٰهُ وَلَا لَكُونَا لَكُونَ وَلَاللّٰهُ وَلَالِمُ اللّٰهُ وَلَا لَهُ اللّٰهُ وَلَا لَكُونَا لَكُونَ وَلَا لَكُونَا اللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلَالْمُ وَلَا لَهُ وَلَا لَاللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلَالِمُ اللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلَا لَلْمُ اللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلِلْمُ اللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلِلْمُ اللّٰهُ وَلِلْمُ اللّٰهُ وَلِلْمُ اللّٰهُ وَلِلْمُ اللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلِلْمُولِ اللّٰهُ وَلِلْمُ اللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلِلْمُ اللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلِلْمُ اللّٰهُ وَلَاللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلَالْمُ اللّٰهُ وَلَا لَاللّٰهُ وَلَاللّٰهُ وَلَاللّٰهُ وَلَاللّٰهُ وَلِلْمُ اللّٰفِي اللّٰهُ وَلِلْمُ اللّذِي اللّٰهُ وَلِلْمُ اللّٰهُ وَلِمُ الللّٰهُ وَلِلْمُ اللّٰفِي اللّٰفِي اللّٰهُ وَلِلْمُ الللّٰهُ وَلِلْمُ اللّٰفِلْمُ اللّٰفِي ا

المقردات ا

يسقيده يطع ويخضع.

نؤتها أجرها مرتين، دنساعك لها أجر عملها المدالح ، حتى يكون ضعف عمل امرأة أخرى من غير نساه النبي. رزقت كسريسمساء في الحنة .

استن كاحدهن النساء؛ لستن كجماعة من النساء في الفضل، فمقامكن أرفع وأقضل، بشرط تقواكن لله.

إن السق يستسن، بل أنتن أشرف وأفضل بشرط تقواكن لله.

فلاتخضمن بالقول ، فلا تجنن بالقول خاضعا لينا .

مــــــرش، مرض النفاق ، أو مرض الشهوة .

قسولا مسعسروفساه قولا معروفا بالجد.

وقرن هي پيوتكن ، اقرين في بيوتكن ولا تخرجن منها إلا لحاجة ، وهو من القرار في المكان بمعنى الثبوت فيه ، وفتح القاف في (قَرْنُ) تراءة حفص ، وقرأ الجمهور بكسرها (وقين) وهو من الوقار. ولا تسبسر جسن ، ولا تتزين وتخرجن متبخترات ، تبدين من محاسنكن ما يجب ستره .

الييبيرجس، الذنب والدنس والرذائل.

أوسات السلسة ، القرآن الجامع لكونه أيات الله .

الحكمة ، السنة .

السطيسيسيسيا: اللطف من الله: الرفق والتوفيق والعصمة.

خيسيسسيسرا، عالمًا بدقائق الأمور.

التفسير :

٣١ - وَمَن يَقْنُتُ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلُ صَلْلِحًا أَنْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَذَنَا لَهَا رِزَّقَا كَرِيمًا .

هذه الآية والتي قبلها ، واللائي بعدها ، آداب من الله تعالى لنساء النبي ﷺ .

والمعني :

ومن يطع منكن الله ورسوله في قنوت وخشوع وإخبات ، وتستمر على العمل الصالح من صلاة وزكاة، وطاعة لرسول الله والتزام ما يرضيه ، وتجنب مطالبته بما ليس عنده ، هذه يضاعف الله لها الثواب مرتين، وأعد الله لها رزقًا كريمًا منه سبحانه في الجنة ، أو في الدنيا والآخرة ، فكما ضاعف الله العناب لمن بحصت منهن ، ضاعف سبحانه وتعالى الثواب لمن أطاعت منهن ، وفعًا لمنزلتهن ، وإكرامًا لهن .

آخرج ابن أبى حاتم ، عن الربيع بن أنس ، فى حاصل معنى هذه الآية والتى قبلها قال : من عصت منكن فإن العذاب يكون عليها ضعف سائر نساء المؤمنين ، ومن عملت صالحًا منكن ، فإن أجرها يكون ضعف سائر نساء المسلمين . وهذا يستدعى أنه إذا أثيب سائر نساء المسلمين على الحسنة بعشر أمثالها ، أثين على الحسنة بعشرين مثلاً ، وإن زيد للنساء على المشر شىء زيد لهن ضعفه . ا هـ .

والله تعالى يضاعف لمن يشاء ، بحسب نية العبد وظروفه ، ولا حرج على فضل الله في العطاء والجزاء ، فهو سبحانه واسع الكرم والعلم ، والله واسع عليم .

٣٧ – يَنسِسَاءَ ٱلنِّيِّ لَسُمَّنُ كَأَحُو مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِنِ ٱلْقَيْشُ فَلاَ تَحْضَعُن بِٱلْقُوْل يَشَطَّيمَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَحَلٌ وَقُلْنَ قُولًا مَعُرُونًا .

لقد فضل الله رَوِجاتِ الرسولِ ﷺ ، فجعلهن أمهات المؤمنين ، ورفع الله منزلتهن ، وضناعف لهن الثوابِ إن أمَّعن ، وضناعف لهن العقابِ إن عصين .

ومعنى الآيــة :

يا زوجات النبى أمهات المؤمنين ، إنكن لستن كجماعات النساء ، إنَّ شرفكنَ أعظم ، ومقامكن أسعى ، ما دمتن في طاعة لله ، والتزام أمره واجتناب نواهيه ، والتمسك بالتقوى ، فالْزِمْن التقوى ، فإنها مصدر الشرف ، العـز .

فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مُعْرُوفًا .

ينبغي أن يكون كلامكن جزلاً ، ونطقكن فصلا ، بدون لين في القول ولا تكسر ، ولا ريبة ولا تختُّ ، حتى لا يطمع في الفاحشة من كان في قلبه نفاق ، أو رغبة في الفسوق ، أو الإكثار من محادثة النساء .

وَقُلْنَ قَوْلاً مُعْرُوفًا .

لهكن كلامكن بجد يحزم ، وقوة واستقامة ، تقطع الطريق على كل فاجر أن فاسق ، وليس هذا الوصف خاصًا بزوجات الرسول ﷺ ، بل نساء الأمة تبع فيه لزوجات الرسول ﷺ ، فالمرأة حين تخاطب زوجها تميل إلى اللين والخضوع ، وترخيم الصبوت وترقيقه ، وحين تخاطب الأجانب تميل إلى الجد والحزم والقوة ، حتى لا يطمع فيها من في قلبه شهوة ، ورغبة في الفجير ، وهذا النهى لا يحنى أن أزواج النبي ﷺ على حال من السوء تقتضى الدنم والكفّ ، وإنما المراد رسم المثل الأعلى والطريق الأسمى لهن وللنساء المسلمات .

كما قال تعالى في مطلع السورة : يَنْأَيُّهَا آلْتِيُّ آلْقِي ٱللهُ ... فإذا نودى الرسول ﷺ بذلك فمن باب أولى عامة المسلمين ، وكذلك إذا أمرت زوجات الرسول ﷺ بالجد في القول ، والبعد عن الربية ، وإطماع الرجال ، فذلك من باب القرجيه الأسمى من الله رب العالمين .

هال تعالى: وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَلْلِكَ لِبَنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطُنْ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَلْسِوِينَ ، (الزمر: ١٥) .

لكن الخطاب هنا للرسول ﷺ ، والمراد أمنّه ، أو كل من يتأتى منه الخطاب ، أو للتهييج على لمزوم التوحيد والبعد عن الشرك .

٣٣ – وَقَرْنَ فِي يُتُوتِكُنُ وَلَا بَرَّ جَنَ بَرُّ جَ ٱلْجَلْهِلِلَّةِ الْأُولَىٰ وَأَفِضَ ٱلصَّلَوَةَ وَعَاتِينَ ٱلزَّكُوةَ وَأَطِفَنَ ٱللَّهَ وَرُسُولُهُۥ إِنَّهَا فِيئَة ٱللَّهُ لِلْمَعِبُّ عَنْكُمُ ٱلرَّجْسَ أَمْلَ ٱلْبَيْتَ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِرًا .

أي: الرُّمْنَ القرار في بيوتكن ، ولا تخرجن منها إلا بسبب مشروع ، مثل: إقامة الصلاة في المسجد ، أو حضور العلم ، أو زيارة الوالدين ، أو المشاركة في الأمر بالمعروف والنهي عن العذكر ، أو المشاركة في كل ما أمر به الله ، وحثت عليه الشريعة ، مثل شهود الجمع والجماعات ، وشهود نعم الله تعالى فى البر والبحر ، والنباتات والزراعة ، ما دام ذلك يتم فى تمسك بالمظهر الحسن ، والاحتشام فى المليس ، وعدم إظهار المفاتن التى تحرك الشهوة فى الرجال ، وقد كانت المرأة فى الجاهلية ترسل خمارها على ظهرها وتبدى أقراطها ورقبتها ، وزينتها ودلالها ، بما يثير الإعجاب فى نفوس للرجال ، فقال القرآن :

وَلَا نَبُرَّجُنَ نَبُرُّجَ ٱلْجَلْهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ...

أي : لا تبدين محاسنكن التي أمر الله يسترها ، مثل كشف الرقية أو الصدر أو الظهر ، أو التبختر والتكسر من المرأة في مشيتها ومموتها لفتنة الرجال .

وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوْةَ ...

حافظن على إقامة الصلاة تامة الأركان ، في خشوع وخضوع ، لأن العملاة وسيلة إلى طهارة النفس، والبعد عن الرذائل ، وهي وسيلة للتحلي بالفضائل .

وَءَاتِينَ ٱلزُّكُوٰةَ ...

أهرجن الزكاة ، ففيها حق للفقير ، حتى لا يحس أنه ضائع ولا جانع ، وفيها حق لله تعالى الذي أعطانا المال ، وفيها حق للمجتمع الذي نعيش فيه ، ويربح منه التاجر ، ويكسب منه العامل ، والزكاة وسيلة من وسائل تماسك المجتمع وقوته .

وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَةً ...

وذلك يشمل كل طاعة لله ورسوله ، في التزام هدى الإسلام وأوامره ، وتجنب نواهيه .

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرَّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهَّرَكُمْ تَطْهِيرًا .

إنما أراد الله سبحانه بتلك الأوامر والترجيهات تطهير أمهات المؤمنين من المعامى والذنوب، و وتعمير تلويهن بنور الإيمان، ويذلك تكون الطاعة وسيلة عملية إلى تزكية النفس وطهارتها، وعلى منزلتها، و وأهل البيت : كل من لازم النبى محمدًا ﷺ، من الأزواج والأقارب، وترجيه الأوامر لهم لأنهم قدرة.

روى الإمام أحمد ، والترمذى ، عن أنس بن مالك قال : إن رسول الله ﷺ كان يمرّ بباب فاطمة رضى الله عنها ، ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : «الصلاة يا أهل البيت : إِنَّهَا يُرِيهُ آللَهُ لِيُنْهِبَ عَنكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ ٱلنَّيْتِ وَيُطْهَرُ مُ مَقْهِيرًا » (٠) وأهل البيت النبوى: هم نساؤه ﷺ ، وقرابته منهم العباس ، وأعمامه ، ويتو أعمامه منهم .

وقال الفخر الرازي في تفسير الآية :

والأولى أن يقال: هم أولاده ، وأزواجه ، والحسن ، والحسين ، وعلى منهم لأنه كان من أهل بيته . بسبب معاشرته بنت النبي ﷺ ، وملازمته للنبي ﷺ .

وقال القرطبي: والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم ٣٠.

٣ - وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي أَيُولِكُنَّ مِنْ ءَايَكْتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا حَبِيرًا .

تذكرن أنكن في بيت النبوة ، حيث يهبط الوجي ، ويعاني رسول الله ﷺ أمامكن من برحاء الوجي ، وهذه قدوة عملية للسُّنة العملية والقولية ، فتذكرن ذلك ، ويلغنه للمسلمين ، حتى يعم ذلك الخير للمسلمين أجمعين ، وهي حكمة إلهية علها ، إذ جعل زوجاته وسيلة لإبلاغ المسلمات والمسلمين أحكام الشريعة وما نزل من الوجى ، فهو سبحانه لطيف بعباده خبير بأعمالهم .

قال ابن العربي: في هذه الآية مسألة بديعة ، وهي أن الله تعالى أمر ذيبه عليه المسلاة والسلام بتبليغ ما أنزل عليه من القرآن ، وتعليم ما علمه من الدين ، فكان إذا قرأه على واحد أو ما اتفق سقط عنه الغرض ، وكان على من سمعه أن يبلغه إلى غيره ، ولا يلزمه أن يذكره لجميع الصحابة ، ولا كان عليه إذا علم ذلك أزواجه ، أن يخرج إلى الناس ، فيقول لهم : نزل كذا ، ولا كان كذا ، ولا يلزم أن يبلغ ذلك الرجال (°.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِعِينَ وَٱلْمُسْلِمَنْ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْقَنِيْينَ وَٱلْقَنِيْنِ وَٱلْقَنِينَ وَٱلْقَنِينَ وَٱلْمَضْدِينَ وَٱلْمَضْدِينَ وَٱلْخَشِعَاتِ وَالْخَشِعَاتِ وَالْخَشِعَاتِ وَالْخَشِعَاتِ وَالْخَشِعَاتِ وَالْخَشْعِمَاتِ وَالْخَشْعِينَ أَلِّهُ لَمُعْ مَغْفِرَةً وَالْمُحْمِينِ وَالْفَرْدِينِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرةً وَالْمُحْمِينِ وَالْفَرْدِينَ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرةً وَالْمُحْمِينَ وَالْفَرْدِينَ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرةً وَالْمُحْمِينَ وَالْفَرْدِينَ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرةً وَالْمُحْمِينَ وَالْفَرْدِينَ أَعْلَى الْمُعْلِيمَا اللَّهُ لَكُمْ مَعْفِرةً وَالْمُعْلِيمَا اللَّهُ لَكُمْ مَعْفِيرًا وَالنَّاسِكِينِ الْمُعْلِيمَا اللَّهُ لَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعْمِينَ وَالْمُعْلِينِ الْمُعْلَى الْمُعْلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلَى الْمُعْلِيمِينَا لَكُونِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعْلِيمِينَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلَى الْمُعْلَى اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ الْمُعْ

المفردات:

السمسط مسيس، الداخلين في الإسلام، والإسلام هو: الانقياد والخضوع لأمر الله.

السمسؤمسة بيسن، المصدقين بأركان الإيمان، والإيمان هو: التصديق بما جاء عن الله من أمر ونهي.

السقيانية بين الخاضعين لله ، المداومين على الطاعة ، والقنوت هو : الطاعة في سكون .

المناسب بين ، المتواضعين لله بقلوبهم وأعضائهم ، والخضوع هو : السكون والطمأنينة .

والحافظين فروجهم؛ عن الحرام.

والنذاكبريسُ الناسه ؛ بقدَّربهم وألسنتهم .

مسقسط مورة ، غفرانًا يمحر ذنويهم .

وأجسرا عبظ يسمسا، ثوابًا جزيلاً على طاعتهم، وهو نعيم الأخرة.

سيب الثرول :

أعرج الإمام أحمد، والنسائى، وابن جرير، عن عبدالرحمن بن شيبة قال: سمعت أم سلمة رضى الله عنها زوج النبي عليه تقول: قلت للنبي أن أن أن أن كما يُذْكر الرجال ؟ قالت: فلم يرعنى منه نادي يوم ، إلا ونداؤه على المنبر: «يا أيها الناس، إن الله تعالى يقول: إنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُعْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَلَمْ اللّهُ مَالِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمِسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَا وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَال

التقسيره

٣٥ - إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَلْتِ وَٱلْمُولِينِينَ وَٱلْمُولِعِنْتِ وَٱلْقَلْمِينَ وَٱلْقَلْمِينَ وَالْقَلْمِينَ وَالْمُولِينِينَ وَلِينَا لِمُنْتِينِ وَلِينَا وَالْمُولِينِينَ وَلِينَالِينِينَ وَلِينَالِينَالِينَالِينِينَ وَلِينَالِينَالِينِينَالِينَالِينِينَالِينَالِينَالِينَالِينَالِينَالِينَالِينَالِينَالِينَ

الآية - كما ترى - وسام على صدر كل مسلم ومسلمة ، ملتزم وملتزمة بأحكام الإسلام وصفاته ، وفيها رفع لشأن المرأة ، وتمجيد لصفاتها الحسنة ، حيث قرن الرجال والنساء في عشر صفات ، كلها تعبر عن الساوك الحسن ، والصفات الكريمة .

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ ...

الذين دخلوا في الإسلام ، والإسلام يشمل الالتزام بالأركان والآداب والتشريعات التي شرعها الله في كتابه للكريم .

وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ...

الذين استقر الإيمان في قلويهم ، بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر ، فالإسلام يعنى الانقياد الظاهري لأحكام الله ، والإيمان يعني التصديق الإنطني واليقين الدلطي .

وَٱلْقَانِينِ وَٱلْقَاصِلَتِ ...

والقنوت هو دوام العمل الصالح ، والطاعة في سكون ، كما قال تعالى : أَمَّنَ هُوَ قَلْنِتٌ وَالْأَمَّ الَّيْلِ سَاجِمًا وَقَائِمًا يَخَذُرُ ٱلْآخِرُةَ وَيُرْجُواْ رَحْمَةً رَبِّهِ ... (الزمر: ٩) .

وقـال عـز وجل: يَــٰمَرْيَمُ آفْتيي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكِيمِي مَعَ ٱلرَّاكِجِينَ . (ال عمران: ٤٣).

ويلاحظ التدرج بين هذه الصفات ، فالإسلام : إسلام المظهر من النطق بالشهادتين ، والمسلاة والمسيام ، والزكاة والحج ، والإيمان : التصديق الباطنى والإذعان القلبى لله ، ثم ينشأ عن مجموعهما القنون والإخبات واستمرار الطاعة في خشوع ويقين .

وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلصَّادِقَاتِ ...

والصدق في القول والعمل منزلة سامية تأتى بعد القنوب ، فإن الصدق رأس الفضائل ، ودليل إلى الهر والجنة .

وفى الحديث الصحيح عند أحمد ، والبخارى فى الأدب ، ومسلم ، والترمذى ، عن ابن مسعود أن رسل الله ﷺ قال : «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البريهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكنب فإن الكنب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى الذار ، وما يزال الرجل يكنب ويتحرى الكنب حتى يكتب عند الله كناباً» (*).

لذا كان بعض المنماية رضى الله عنهم ، لم تجرب عليه كنبة لا في الجاهلية ولا في الإسلام . وَٱلْمُسْرِينَ رُآلُهُمْ رُدَّ ...

وقد ذكر الصبر في القرآن سبعين مرة ، والصبر في كتاب الله تعالى على ثلاث درجات : صبر على الطاعات وله ثلاثماثة درجة ، وصبر عن المعاصى وله ستمائة درجة ، وصبر على المصائب عن الصعمة الأولى وله تسعمائة درجة .

فالصبر أنواع : منه صبر على أداء الطاعات ، مثل غض البصر وأداء الصلاة في أوقاتها وفي خشوعها وخضوعها ، وأداء الصيام والزكاة والحج ، وله ثلاثمائة درجة .

والصبر عن المعصية : أى البعد عن الرنا والريا والقتل ، واليمين الغموس والسحر، والابتعاد عن كل ما يغضب الله ، أي ألا يراك حيث نهاك ، وألا يفقدك حيث أمرك ، وله ستمانة درجة . وقمة الصبر: المبر على المصائب عند الصدمة الأولى ، والرضا بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره ، وتحمل المكاره والنوائب ، والابتلاء في المال والنقس ، وثوابه تسعمائة درجة ، وفي الحديث: «الصبر جزاؤه الجنة» .

وَٱلْحَاشِعِينَ وَٱلْحَاشِعَاتِ ...

والمتواضعين بقلويهم والمتواضعات ، فإذا فعلوا الحسنات تواضعوا وتطامنوا ، رجاء أن يقولها الله ، أي : لا ينائهم العجب ولا التطاول والتكبر ، بل هم في إحسان ومراقبة لله ، وفي الحديث المسحيح : «الإحسان أن تمبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (⁸⁾ . والخشوع صفة تجعل القلب والجوارح في حالة انقياد تام لله تعالى ومراقبته ، واستشعار لجلاله وهيبته .

وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَاتِ ...

المضرجين زكاة أموالهم ، والمتصدقين بأموالهم تطوعًا ورحمة بعباد الله ، والمتصدقات بأموالهن رجاء ثواب الله .

وفى الحديث الذى ثبت فى الصحيحين أن رسول ﷺ قال: «سبحة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل ، وشاب نشأ فى طاعة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجل ذكر الله تعالى خاليًا ففاضت عيناه ، ورجلان تحابًا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يعينه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال: إنى أخاف الله رب العالمين » ".

وموضع الشاهد هنا هو من يخرج الصدقة خفية ، لا يعلم بها أحد إلا الله تعالى .

وَٱلصَّنَّهِمِينَ وَٱلصَّنَّةِمُنْتِ ...

أى: يصومون رمضان ، ويصومون تطوعا ، قال سعيد بن جبير : من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر سطل في قوله تعالى : وَٱلمُّــَّامِينَ وَٱلصَّــُــَةِمُـــُتَ

والصوم ركن من أركان الإسلام ، وفريضة من فرائضه ، وهو وسيلة إلى التزكى والتطهر ، والتقرب إلى الله تعالى وتقواه ومراقبته ، وهو علاج لثورة الشهوة ، روى البخارى ، ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاءه ⁶⁰.

ومعنى وجاء: قاطع لثوران الشهوة.

وَٱلْحَافِظِينَ قُرُوجَهُمْ وَٱلْحَافِظَاتِ ...

أى: الملتزمين بالعفة والملتزمات ، المحافظين على الاستقامة ، والبعد عن الزنا ، وعن كشف العور ، قال تعالى : وَٱلْكِينَ هُمْ لِلْمُوحِهِمْ حَلْفِظُونَ ، وِالْا عَلَىٰٓ أَزَرُ رَجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنْتُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرَ مُلُومِينَ ، فَمَن أَبْتَغَىٰ وَوَآءَ ذَالِكَ فَأَوْلَكِكُ هُمْ ٱلْعَادُونَ . (المؤمنين : ٥ - ٧) .

وَٱللَّهُ كَوِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱللَّهُ كَوَرَاتٍ ...

أى: المداومين على ذكر الله وتذكره والمداومات على ذلك ، وذكر الله يشمل تذكره بالقلب وذكره باللسان ، وعبادته بالجوارح بنية صادقة ، وقد أمرنا بالذكر الكثير لتأكيد الإيمان فى القلب ، والوصول إلى محبة الله تعالى ومرضاته ، وفن الحديث القدسى : «أنا جليس من ذكرتى ، إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه .

وقال تعالى : يُنْأَيُّهَا ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ ٱلْذُكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبَّحُوهُ أبكْرَةً وَأَصِيلاً . (الأحزاب: ٤١،٤١).

وقد ختمت هذه الصفات بالذكر لأنه قمة المعل الصنائح ، فأكثر المسائمين أجرًا ، أكثرهم لله ذكرًا ، وكذلك المصلون والمزكون والمتصدقون والحجاج ، أكثرهم فضلاً أكثرهم لله ذكرا ، حتى ذهب الذاكرون لله بكل خير ، كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد.

ثم قال تعالى :

أَعَدُ ٱللَّهُ لَهُم مَّعْفِرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا .

أى: هيأ الله للمتصفين بهذه الصفات مغفرة لذنويهم ، وثوابًا عظيمًا في الأخرة وهو الجنة ، وأنعم بها من أجر عظيم وثواب جليل .

وتلاحظ أن ذكر الله تعالى يشمل ذكره عقب الصلوات، وعند المضاجع، وعند الانتباء من النوم.

قال مجاهد: لا يكون العبد ذاكرًا لله تعالى ذكرا كثيرا ، حتى يذكره قائمًا وجالسًا ومضطجعًا .

﴿ وَمَاكَانَ لِمُوْمِنَ وَلِا مُوْمَنَةٍ إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُۥ اَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَمُمُ الْخِيرَةُ مِنْ اَمْرِهِمُّ وَوَنَ يَكُونَ لَمُمُ الْخِيرَةُ مِنْ اَمْرِهِمُّ وَوَنَ يَعْمُ اللّهَ وَكُونِي فَنْ اللّهَ عَلَيْهِ وَأَنْ مَنْ مَعْتَ اللّهَ عَلَيْهِ وَأَنْ مَنْ مَا للّهَ عَلَيْهِ وَأَنْ مَنْ مَنْ عَلَيْكِ مَنْ اللّهُ عَلَيْهِ وَأَنْ مَنْ مَنْ عَلَيْهِ وَاللّهُ مَلْمُولُولُ اللّهُ مَلْدِيهِ وَالنّاسَ وَاللّهُ اَحْقُلُ اللّهُ عَلَيْهُ فَلَمَا قَصَىٰ زَيْدٌ مِنْ وَطُولُ وَهُ مَنْ كَهَا لِكَيْكُونَ وَصَاللّهُ مُثْمِولًا مَنْ اللّهُ وَعُنْ وَطُولًا وَكَاكَ أَمُرُاللّهِ مَفْعُولًا ﴿ عَلَى اللّهُ وَمُنْ اللّهُ لَهُ مُسْتَةً اللّهِ فِي اللّهِ مَنْ عَلَوا مِن قَبْلً وَكَانَ أَمْرُاللّهِ مَفْعُولًا ﴿ كَاللّهُ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ لَهُ مُسْتَةً اللّهِ فِي اللّهِ مَنْ عَلَوا مِن قَبْلً وَكَانَ أَمْرُاللّهِ وَمَا اللّهِ وَمَا اللّهُ وَمُناتِمُ اللّهُ وَمُنْ وَسُولُ اللّهِ وَمَاللّهُ وَمُنْ اللّهُ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مَنْ مُنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ اللّهُ وَمُن وَلّمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمُناتَمُ اللّهُ اللّهُ وَمُناتَمُ اللّهُ وَمُعْتَمُ وَلًا اللّهُ وَمُعْتَمُ وَاللّهُ وَمُناتِمُ اللّهُ اللّهُ وَمُناتَمُ اللّهُ اللّهُ وَمُناتِمُ اللّهُ اللّهُ وَمُناتِمُ اللّهُ اللّهُ وَمُناتِمُ اللّهُ اللّهُ وَمُناتِمُ اللّهُ عَلَيْكُمْ وَلَاكُمْ وَلَا اللّهُ وَمُعَلّمُ وَلَا اللّهُ وَمُعْتَمُ وَاللّهُ اللّهُ وَمُناتِمُ اللّهُ عِلْمُ اللّهُ وَمُعَلّمُ وَلَا اللّهُ وَلِكُونَ وَسُولُ اللّهِ وَعَاتُمُ النّبُولُ اللّهُ وَمُعَلّمُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ وَعُلْمُ اللّهُ عَلَيْكُولُولُ اللّهُ وَمُعَلّمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ وَمُعَلّمُ اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ وَمُعَلّمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ وَلِمُنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

المقردات ،

وماكنان لمؤمن ؛ وما هنج ولا استقام .

السخسيسرة؛ حق الاختيار فيما حكم الله فيه ورسوله بالجواز أو المنم.

سَلُّ صَلالًا مبيئًا وأخطأ طريق الفلاح خطأ واضحًا .

أتعم الله عليه : بالإسلام .

وأشعمت عليه ، بالعتق ، وهو زيد بن حارثة .

وانسق السلسة؛ في أمر زينب زوجتك فلا تحاول طلاقها.

وتخفى في نفسك؛ أمر تزوجها الذي شرعه الله ، حذرًا من قالة الناس .

وطــــــوا ، حاجة ، كناية عن أنه طلقها .

حـــرج، ضيق.

هى أزواج أدعياتهم، في أزواج من دعوهم أبناءهم وهم غرياء.

وكان أمر الله مفعولا، وكان حكمه وقضاؤه شافذا.

في الدين خاوا من قبل؛ في الرسل السابقين.

قبدرامية بوراء قضاء مقضياء يحكما مفعولا

دسييب ا كافيا المفاوف أو مداسيا .

خَاتُم التَّبِيِينُ؛ لَحُرِهُم فَلَم يَجِيُّ ثَنِي بَعَدُهُ.

تمهيده

تأتى هذه الآيات لإبطال بعض عادات الجاهلية ، وهى احتقار العبيد والفقراء ، والتباهى بالأحساب والأنساب ، وقد أراد القرآن أن يبين أن الإسلام والإيمان وطاعة الرحمان ، هى مصدر العزة والمجد ، فقد خطب النبي في زينب ينت جحش ، وهى ابنة عمته ، وهى قرشية ثات حسب ونسب ، لزيد بن حارثة مولاه، وكان رتبقًا ، وقد حضر أبوه ليشتريه من النبي في ، فقال له النبي في : «إن اعتارك فخذه بدون ثمن ، وإن اعتارك فخذه بدون ثمن ، وإن اعتارتى فسيعقى معى » فاعتار زيد البقاء مع النبي في ، وعيره عمة قاتلاً : كيف تختار الرق على الحرية ، فقال زيد : لقد رأيت من هذا الرجل كل عطف وخير ويركة ، ولا أوثر أحدًا على بقائي مع رسول الله في ، ولو كان بي ، فعندنذ نهب النبي في بزيد إلى المسجد ، وقال : «اشهدها أيها الناس ، إن زيد بن حارثة ابني ويرثنى » ، فكان بعد ذلك يدعى زيد بن محمد ، فلما أبطل الله التبنى ، يقوله سبحانه : آذَعُوهُمْ لِآبَالِهِمْ هُوَ الشَّمَ عِبدُ اللهِ عَلَى عِبدُ عَلَى عَلَى عَلَى المَانِي ويرث عارثة النبي المُعْد ، وعارث عارث ، هذا الربيان : ٥ . قال زيد : ن محمد ، فلما أبطل الله التبنى ، يقوله سبحانه : آذَعُوهُمْ لِآبَالِهِمْ هُوَ اللّمَانِي عَلَى المَانِي ويرب هال ويرب عارثة .

- ثقدير الناس حسب أعمالهم .
- إطاعة أمر الله وأمر رسوله طاعة مطلقة وعلى كل حال .
- لا خشية من كلام الناس ما دام الإنسان ممتثلا أمر الله .
- لا ينبغي لمؤمن ولا لمؤمنة تقديم الهوى الشخصى على أوامر الله ورسوله .
 - ~ إبطال أحكام التبنى التي كانت في الجاهلية .
 - -- تقرير نبوة الرسول ﷺ ، وأنه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده .

- جواز عثاب الله لرسوله .
- ذكر فضل الله على زيد ، حيث ذكر اسمه في القرآن ، وسيظل يُقرأ إلى يوم الدين .
- ذكر فضل الله على زينب ، حيث زوجها الله من علياء السماء ، وكان السفير في ذلك جبريل .

التفسيره

٣٦ - وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَصَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ ٱلْتَعِيرَةُ مِنَ أَمْوِهِمْ وَمَن يَعْمِ اللَّهَ وَرَسُ لَكُمْ فَقَدْ صَالَ صَلَّكُ شَيِّنًا .

أى: ما صح ولا استقام لرجل ولا لامرأة من المؤمنين ، إذا قضى الله ورسوله أمرًا ، أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا ، بل يجب عليهم طاعة أمر الله ، وهلاعة أمر رسوله ﷺ ، فإنه لا ينطق عن اللهوى ، إن هو إلا وهي يوحى ، ومن يعص الله ورسوله فقد بعد عن طريق الحق بعنًا بينًا واضحًا .

وكان النبى ﷺ قد خطب زينب بنت جحش ، لتتزوج زيد بن حارثة مولاه ، وقالت : أنا أشرف منه نسبًا ، وآزرها أخوها في امتناعها ، فلما أنزل الله على رسوله هذه الآية ، قالت زينب : يا رسول الله ، هل رضيته لى زوجًا ؟ قال : ونعم» ، فقالت زينب : إذن لا أعصى رسول الله ﷺ ، قد أنكحته نفسى .

٣٧ - وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيَّ أَلْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱلْقِي ٱللَّهَ ...

روى من على زين العابدين بن الحسين ، أن الذي ﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيدًا سيطلق زينب ، وأنه سيتزوجها بتزويج الله إياها له ، فلما اشتكى زيد للنبى ﷺ خَلق زينب ، وأنها لا تطبعه ، وأعلمه أنه يريد طلاقها ، قال له النبى ﷺ على جهة الأنب والوصية : اتق الله فى قولك ، وأمسك عليك زوجك ، وهد يعلم أن زيدًا سيفارقها ، وأنه ﷺ سيتزوجها ، وخشى رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس ، فى أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه ، وقد أمره بطلاقها ، فعاتبه الله على هذا القدر ، من أنه خشى الناس فى شىء قد أباحه الله له ، بأن قال : أمسيك . مع علمه أنه يطلق ، وأعلمه أن الله أحق بالخشية فى كل حال ()

قال القرطبي :

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل الآية ، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين ، كالزهري والقاضي أبي بكر بن العلاء القشيري ، والقاضي أبي بكر بن العلاء القشيري ، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم ، والعراد بقوله : وُلَعَشَى آثاسُ . إنما هر إرجاف المنافقين ، بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء ، وتزوج بزوجة ابنه ، فأما ما روى أن النبي ﷺ هوى زينب لمرأة زيد – وربما أطلق بعض المجان لفظ عشق – فهذا ، أن مستخف بحرمته.

قال الترملي الحكيم في نوادر الأصول:

قال على بن الحسين: إنه إنما عتب الله عليه ، في أنه قد أعلمه أن ستكون هذه من أزواجك ، فكيف قال بعد ذلك لزيد : أُمْمِكُ عَلَيْكُ رُوْجُكَ ... وأخذتك خشية الناس ، أن يقولوا : تزوج محمد امرأة ابنه ، والله أحق أن تخشأه .

واضح أن الله تمالى لما أراد نسخ تحريم زوجة المتينى ، أرجى إلى نبيه محمد ﷺ أن يتزوج زينب. إذا طلقها زيد ، فلم يبادر له ﷺ مشافة طعن الأعداء فعوتي عليه . ا هـ .

من صحيح البخاري

صح من حديث البخارى ، والترمذى أن زينب – رضى الله عنها – كانت تفخر على أزراج النبى ﷺ تقول : زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات .

تفسير الأية

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي ٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّتِي ٱللَّهَ ...

واذكر أيها النبى الكريم ، حين تقول لزيد بن حارثة ، الذى أنعم الله عليه بالإنسلام والهداية ، وأنعمت عليه بالمتق والتقريب منك ، حين جاء يشتكي من زينب ، ويذكر أنها تستملي عليه ، فقلت له :

أَمْسِكُ عَلَيْكَ زُوْجَكَ ...، فلا تطلقها ، وَأَثَّقَ ٱللَّهُ ... فيما تقوله عنها .

وُتُخْفِي فِي نُفْسِكَ ... أنك مأمور بتزوجها ، مع أن الله سيبديه ويظهره علنا ، وتخاف من تعبير الناس ونقدهم واعتراضهم ، النابع من منطق الجاهلية .

وَّاللَّهُ أَحْقُ أَنْ تَحْشَـُهُ ... وقد أراد منك الزواج من زينب بعد طلاقها ، وانقضاء عدتها ، هدمًا وقضاء على الأحكام التي جعلت الدَّعي كابن الصلب .

فَلَمَّا فَعَنَىٰ زَيْدَ مُنِّهَا وَطَرًا وَوَجَدَاكُهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجُ فِى أَذُواجٍ أَدْهِالِهِمْ إِذَا قَصَوَاْ مِنْهُنْ وَطَرًا وَكَانَ أَنْ ٱللَّهُ مَفْهُ لاَّ . لما قضى زيد حاجته منها ، وملَّها وطلَّتها ، وانتهت عدتها ، جعلناها لك زوجة بأمرنا ، ليرتفع الحرج والضيق من بين المؤمنين ، إذا أرادوا الزراج بمطلقات أدعيائهم ، وهم الذين تبنوهم في الجاهلية ، ثم أبطل الإسلام حكم التبني ، وألفى جميع آثاره ، وصفًى كل نتائجه ، وكان قضاء الله وقدره نافذًا وكائثًا لا حمالة .

قال محمد بن عبد الله بن جحش : تفاخرت زينب وعائشة رضى الله عنهما ، فقالت زينب : أنا التي نزل تزريجي من السماء ، وقالت عائشة : أنا التي نزل عنري من السماء ، فاعترفت لها زينب .

وذكر القرطبى ، وابن جرير ، عن الشعبى قال : كانت زينب رضى الله عنها تقول للنبى 瓣 : إنى لأدلَّ عليك بثلاث ، ما من نسائك امرأة تدلَّ بهن : أن جدَّى وجدك واحد ، وأن الله أنكمك إياى من السماء ، وأن السفير في ذلك جبريل .

٣٨ - مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيَّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَقُر سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلُواْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ فَنَدًا مَّقَدُورًا .

أى: ما صبح ولا استقام أن يكون على محمد ﷺ نبى الله ورسوله ، من ضبق أو عيب فيما أهل الله له ، وأمره به من زراج زينب ، وهذا حكم الله تعالى فى الأنبياء من قبله ، لم يكن ليأمرهم بشىء ، وعليهم فى ذلك حرج أو ضيق ، وكان أمر الله الذى يقدره كائنًا لا محالة ، وواقعًا لا محيد عنه ، فما شام كان وما لم يشأ لم يكن .

وهذا رد على المنافقين الذين عابوا على رسول الله ﷺ زواجه من امرأة زيد ، ورد على اليهود الذين عابوه من كثرة الزوجات ، فقد كان لداود وسليمان عليهما السلام عدد كثير من النساء .

٣٩ - ٱللهِن يُتَلَّقُونَ رسَلَلتِ ٱللهِ وَيَحْشَوْنَهُ وَلاَ يَعْشَوْنَ أَحَدًا إلاّ ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بٱللَّهِ حَسِيًّا.

هؤلاء الأنبياء والرسل هم الذين يبلغون رسالات السماء، ويخشون الله وحده دون سواه،

وَكُفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيًا ، فهو سبحانه المحاسب والمجازى والمكافئ ، وأنعم وأكرم به على عطاياه ومكافآته ، وقد كان محمد على المساب والمجازى والمكافئ ، وأنع بتبليغ رسالات الله إلى ومكافآته ، وقد كان محمد الله الله الله المشارق والمغارب، وإلى جميع أنواع بني آمم ، وأظهر الله به كلمته دينه وشرعه ، على جميع الأديان والشرائع ، حيث بعثه الله إلى جميع الخلق ، عربهم وعجمهم ، قال تعالى : قُل يُثَلِّهُمُ الثَّاسُ إِنِّى رُسُولُ اللهِ إِلْكُمْ عَلَيْهُمُ . . (الأعراف: ١٥٨) . ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده ، فكان أعلى من قام بذلك بعده أصحابه، وضي الله عنهم تحديث بلغوا عنه كما أمرهم به ، في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، في ليله ونهاره ،

وحضره وسفره ، وسرّه وعلانيته ، فرضى الله عنهم وأرضاهم ، ثم ورثه كل خلف عن سلفهم ، إلى زماننا هذا ، فيغورهم يهتدي المهتدون ، وعلى منهجهم يسلك الموفقون (⁰⁹ .

وهي هذه الآية إشارة إلى أنه ﷺ، ليس عليه بأس من لائمة الناس ، في أمر قضاه الله ، لنسع عادة التبني .

٥ ٤ - مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدِمِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلشِّينَ وَكَانَ ٱللَّهُ بكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمًا .

تأتى هذه الآية ردًّا على المنافقين الذين قالوا: إن محمدًا ينهانا عن زواج امرأة الابن ، وقد تزوج امرأة الابن ، وقد تزوج مرأة البن ، وقد تزوج مرأة البن ، فأما لله التبنى ما ورقم وراه وادَّعاه ، فلما أبطل الله التبنى ما يده عن زيد بن حارثة ، فما كان محمد أبّا لزيد ، ولكن هو رسول الله ، بيلغ رسالات الله ، ويصل بين وحى السماء ، وتعليم الناس شرائح الله تمالى ، وقد ختم الله به النبيين فلا نبى بعده ، ومن أجل ذلك وحى السماء ، وتعليم الناس شرائح الله تمالى ، وقد ختم الله به النبيين فلا نبى بعده ، ومن أجل ذلك الشتيعة ، ووضحت السنة القرآن ، ورسمت للناس معالم الحياة وتطبيقاتها العملية ، وكان عمل المسحابة الشريعة ، ووضحت السنة القرآن ، ورسمت للناس معالم الحياة وتطبيقاتها العملية ، وكان عمل المسحابة ومن تبعمهم بلحسان إلى يوم الدين ، فالاجتهاد أصل من أصول التشريع الإسلامى ، ويبقى لهذه الشريعة جدتها ونضارتها وطوريما إلى يوم الدين ، قال تمالى : إنّا يغرُّ تُرْتَا اللّذُكُورُ اللّهُ لَمُ تَعْلَقُونُ . (المجر : ٨) . وقد وربت الأحاديث الصحيحة في البضارى ومسلم وكتب السنن ، تؤيد أن رسالة النبي في رسالة ماتم علم المناس كنبه ، القوله للرسا ، فلا نبى بعدى ، وقال في : «أنا الماقب فلا نبى بعدى» ، وقال في : «أنا الماقب فلا نبى بعدى» ، وقال في : «أنا مالسل» . مطوات الله وسلامه عليه .

من تفسير القرطبي

 اعلم أن محمدًا 義, لم يكن أبا أحد من الرجال المعاصرين له في الحقيقة ، ولم يقصد بهذه الآية أن النبي 義 لم يكن له ولد ، فقد والد له ذكور : إبراهيم ، والقاسم ، والطيب ، والمطهر ، ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلاً ، وأما الحسن والحسين فكانا طفاين ، ولم يكونا رجلين معاصرين له .

٢ – قال ﷺ: «ليس يبقى بعدى من النبوة إلا الرؤيا الصالحة»(١٠٠). أ هـ.

وقد حفلت كتب التقسير كالقرطبي وابن كثير والتقسير المنين وغيرها بإيراد طائفة من الأحاديث النبرية الشريفة، تدل دلالة قاطعة على أن محمدًا ﷺ خاتم الرسل . وجاء في التفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ما يأتي :

وقد أفادت هذه الآية أنه لا نبى بعده ﷺ بإجماع المسلمين خلفًا عن سلف ، ولمسراحة الآية لم يستطع المارقون أن يدعوا النبوة ، بل ادعى بعضهم الرسالة كالبهاء ، وهذا إفك وكفر مبين ، فإنه إذا كان لا نبى بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى ، لأن مقام الرسالة كليهاء ، وهذا إلفك وكفر مبين ، فإنه إذا كان لا نبى بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى ، لأن مقام الرسالة لخص من مقام النبوة ، فإن كل رسول نبى ولا عكس ، وقد وردت الأحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ بأنه لا نبى بعده . أخرج البخارى ، ومسلم بسنيهما عن النبي ﷺ قال : وإن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذي يمحو الله بى الكفر، وأنا الماحل الذي يمحو الله بى الكفر، المالحة بي ، ولم يبق من النبوة إلا الرؤيا المالحة بوت من ستة وأربعين جزءًا من النبوة إلا الرؤيا المالحة بوت من ستة وأربعين جزءًا من النبوة إلا الرؤيا المالحة بوت . وقد روى الإمام مسلم بسنده ، عن جاير الناس يدها ونها ويتمجبون منها ويقولون : لولا موضع اللبنة ». قال رسول الله ﷺ : وفأن موضع البنة ». قال رسول الله ﷺ : وفأنا موضع اللبنة ». قال رسول الله ﷺ : وفأنا ماتم النبيين » ، ووى الأمام أحمد بسنده ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ولكن المبشرات » ، قال أنس : فشق ذلك على الناس ، قال : قال رسول الله ﷺ : ولكن المبشرات » ، قال أنس : فشق ذلك على الناس ، قال : قال نقال ﷺ : ولكن المبشرات » ، قال أن وريا الرجل اللمبة . وقال المبشرات » قال : وريا الرجل المسلمات المسلم ، وهى جزءً من أجزاء النبوة» (**)

* * *

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَذَكُرُوا اللَّهَ ذِكْرُاكِيرًا ۞ وَسَيِّحُوهُ بُكُرُهُ وَأَصِيلًا ۞ هُوَالَّذِي يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَكَتِهِ كُنَّهُ لِيُخْرِمَكُمْ مِّنَ الظُّلُمُنَ إِلَى النُّودِّ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۞ غَيِّنَهُمْ يَوْمَ يَلْفَوْنَهُ سَلَنَمُ وَأَعَدَّمُهُمْ آَجُرًا كَرِمُنا۞﴾

المقردات،

ذكرًا كشيرًا؛ في أغلب الأوقات ، ويشمل مختلف أنواع التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد .

بكرة وأصيلاء أول النهار وآخره ، ويشمل صلاتي الفجر والعصر .

يصلى عليكم ، بالرحمة والرعاية والتوفيق .

ومسلاشكشه، بالاستففار.

من الظلمات، من الكفر والمعصية .

السى المشور ، إلى الإيمان والطاعة .

يوم يلقونه: عند الموت أو البعث أو دخول الجنة .

أجراكريما؛ أُجرًا عظيمًا ، هو الحدة .

التفسيره

1 \$ - يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا آذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا.

تحريض للمؤمنين والمؤمنات على ذكل الله تعالى ، باأسنتهم وقلويهم ، ويشمل ذلك كل عبادة تصل صاحبها بالله ، فى قنوت وخشرع ، كالمسلاة وتلاوة القرآن والجهاد ، وشرح أحكام الشريعة ، ورعاية الأيتام ، والقيام بأحكام الدين وحدوده .

وعن قتادة : قولوا : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

٤٢ - وَسَبَّحُوهُ أَكُرْةً وَأَصِيلاً.

ونزهوه عما لا يليق به من الشريك والولد ، بحيث يستقر الترجيد فى قلوبكم ، وتمتلئ به مشاعركم ، وتتحقق هشية الله الجليل ، وتنزيهه عن كل نقص ، والاعتراف له بكل كسال ، كالحمد والشكر والترجيد ، . والسمع والبصر ، والرحمة والعطاء ، وتنزيهه تعالى عن الظلم والجور ، وعن كل ما لا يليق به سبحانه وتمالى .

بُكْرَةً وَأَصِيلاً.

في الصياح وقبل الغروب.

وقال الزمخشرى : أي في كافة الأوقات ، وإنما ذُكر هذان الوقتان ، لكونهما مشهودين بملائكة الليل والنهار . ا هـ .

والزمنسرى يشير بذلك إلى حديث صحيح رواه البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في معلاة العصر وفي صلاة الفجر، اقرموا إن شنتم قول الله تعالى: وَقُرْعَانَ ٱلْشَهْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْشَجْرِ كَانَ مُشْهُونًا و ١٨٠ . (الإسراء ٨١) . فهناك حفظة على كل إنسان ، وهم : عشرة من الملائكة بالنهار ، وعشرة بالليل ، وفى صلاة الفجر تتلاقى ملائكة الليل وملائكة النهار ، ثم تصعد الملائكة التى باتت بالليل مع المؤمنين ، فيسألهم ريّهم وهو أعلم : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : يا ربنا تركناهم وهم يصلون مبلاة الفجر ، وأتيناهم وهم يصلون صلاة العصر ، فاغفر لهم يوم الدين ، وفى صلاة العصر تصعد ملائكة النهار ، فيسألهم ربهم : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : يا ربنا تركناهم وهم يصلون صلاة العصر ، وأتيناهم وهم يصلون صلاة الفجر ، فاغفر

وقريب من ذلك قوله تعالى : وَيَسْتَغَفِّرُونَ لِلَّذِينَ عَامَتُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةٌ وَعِلْمًا فَأَغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَآتَشُواْ سَبِلَكَ وَلِهِمْ عَلَمَاتِ ٱلْمَتَحِيمِ . (غافر: ٧) .

قال المفسرين : والتسبيع نرح من الذكر ، وإفراده من بين الأدكار ، لكوينه عمدة في ذكر الله تعالى ، فما لم ينزه الله تعالى عما لا يليق به ، لا يتحقق ذكر الله تعالى .

٣٤ - هُوَ ٱلَّذِي يُصَلَّى عَلَيْكُمْ وَمَلَلِّكِكُنهُ لِيُحْرِجَكُم مِّنَ ٱلطُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّور وَكَانَ بٱلمُؤْمِنِينَ رَحِمُا.

الله تعالى يشملكم برحمته وعنايته وفضله وهدايته ، والملائكة تستغفر لكم وتسأل الله لكم المغفرة ودخول الجنة والنجاة من النار ، ويرحمة الله ، واستغفار الملائكة ، يخرجكم الله من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والهداية ، ورحمة الله واسعة ، فيشعل بها المؤمنين والمؤمنات .

قال أبن عباس: الصلاة من الله تعالى رحمة ويركة ، وصلاة الملائكة استغفار ، وصلاة المؤمنين دعاء.

وقال ابن کثیر : هذا تهییج إلی الذکر، أی أنه تمالی یذکرکم هاذکروه أنتم ، کقوله تمالی : فَآذَکُروفِی أَذَکُرُّکُمْ ... (البقرة : ۱۵۷)

\$ ٤ - تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقُوْنَهُ، صَلَلَمٌ وَأَعَدُ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا.

تحية المؤمنين عند خروج روحهم من الدنيا ، أن الله تعالى يسلم عليهم ، ويبشرهم بالجنة ، جزاء طاعتهم له فى الدنيا ، وقيل : السلام عند البحث ، وقيل : السلام من الله عليهم عند دخولهم الجنة ، والآية تتسع لكل ذلك ، فالله تعالى يلقى المؤمنين بالسلام عند الموت ، وعند البحث ، وعند دخول الجنة ، وقد أعد لهم فى الجنة نعيمًا كبيرا . قال تعالى : دَغُوسُهُمْ فِيهَا سُبَحَنَتُكَ ٱللَّهُمْ وَنَحِيّتُهُمْ فِيهَا سَلَمْمُ وَعَاجِرُ دَغُوسُهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبّ آلْهَـلَمِينَ . (يونس: ١٠).

وقال تعالى : وَٱلْمَلَآيَكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مَن كُلِّ بَاسٍ ه سَلَمْ عَلَيْكُم بِمَا صَبْرِتُمْ فَيقمَ عَقَى الكَادِ . (الدعد: ٣٠ . ٢٥) .

﴿ يَتَأَيُّهَا اَلنَّيُّ إِنَّا أَرْسَلَنكَ شَنهِ اَوَمُبَشِّرًا وَنَدِيرًا ۞ وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجا أَتُبِرًا ۞ وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجا أَتُبِرًا ۞ وَلَا يُطْلِح الْكَنْفِرِينَ وَاللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ وَكُفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۞ وَلا يَعَلَيْهَا اللَّيْنَ وَالْمُنْتَفِقِينَ وَدَعْ أَذَنَهُمْ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهُ وَكُفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۞ يَتَأَيُّهَا اللَّيْنَ عَامَتُوهُنَّ مِن قِبْلِ أَن تَمَسُّوهُ ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِ مَنْ عَلَيْهِ مَنْ مَنْ وَمُونَ وَمَرْحُوهُ فَنَ مَا رَحَامُ اللَّهُ مَا لَكُمْ عَلَيْهِ مَنْ مِن فَقِلُ إِلَّا لَهُ وَمُنْكُومُ وَمَنْ وَمَرْحُوهُ فَي مَا رَحَامُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ مَنْ عَلَيْهِ مَنْ مَنْ وَمَنْ وَمَنْ وَمَنْ وَمَرْحُوهُ فَا مَا رَحَامُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا لَا عَلَيْهِ مَا لَكُمْ عَلَيْهِ مَنْ مِنْ فَيْ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ مِنْ اللّهُ عَلَيْهِ مَنْ مِنْ فَيْ اللّهُ وَاللّهُ مُنْ مُنْ وَمُنْ مِنْ فَيْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ وَمُنْ مِنْ فَيْ اللّهُ مُنْ مُنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا لَكُمْ عَلَيْهِ مَنْ مِنْ اللّهُ فَا مُولِي اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ الل

المفردات :

شينا في على من أرسلت إليهم .

ومسيشسرا؛ من معدقك وأطاعك بالجنة .

وداهيا إلى الله ، إلى الإقرار به وتوحيده وطاعته .

. بــــاننــــه: بتیسیره ومعونته .

نگسمتم، عقدتم.

تسمسوهان، تجامعوهن.

فمتعوهن : فأعطوهن المتعة .

وسرحوهن ؛ غلوا سبيلهن من غير إضرار ولا إيذاء ، إذ ليس لكم عليهن عدة .

التفسير :

ه ٤ - يَكَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَلْهِنَّا وَمُبَشِّرًا وَنَلِيرًا .

نداه للرسول الأمين بهيان صفاته وأعماله ومأتره ، بعد أن سبق الحديث عن زيد بن حارثة ، وزواج الرسول ﷺ بزينب بنت جحش ، لإبطال عادة التبنى ، وإباحة زواج الأب بزوجة الادن الدَّعى ، مما ، أن على أن هذه العادة كانت راسخة فى المجتمع العربى ، واحتاج إبطالها إلى جهد بالخ ، ثم يبت هذه الآية وما بعدها أن الرسول محمدًا ﷺ رسول من عند الله ، أرسله الله تعالى شاهدًا على الناس بما عمله ويما أداه ، ميشرا للمؤمنين بالجنة والنعيم الدائم ، محذرًا للكافرين ومنذرًا لهم بالعذاب إذا لم يتوبوا .

٤٦ - وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْتِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا .

أى: إن الرسول محمدًا 義 الم إلى دين الله وطاعته ، وهو في ذلك مكلف بأمر الله وإذنه أن يبلغ الدعوة ، ويتحمل تبعات هذا التبليغ ، وهو يضيء للناس طريقهم إلى الإسلام والإيمان ، كما يرشد السراج الأبصار إلى الطريق الواضح ، فإن رسالة الإسلام ، ودعوة ذبى الإسلام ، تضيء البصائر وترشدها إلى الهداية والإيمان .

ومقتضى تشبيه النبى ﷺ بالسراج ، يفيد أن دينه يكون ظاهرًا واضح للحجة والبرهان ، لا تعقيد فيه ولا التواء ، ولا خفايا فيه ولا أستار ، وإنما شُهُ بالسراج لا بالشمس التي هي أشد إضاءة من السراج ، لأن ضوء الشمس يبهر العين ، وأمّا ضرء السراج فقرتاح له الأعين ، ورصف السراج بالإنارة ، لأن يعض السُّرج لا يضيء لضعفه وبقة فتيله .

٧٤ - وَيَشْرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَصْلاً كَبِيرًا .

أعلن البشارة للمؤمنين بالله ورسوله ، بأن الله تعالى قد أعدُ لهم منحة عظيمة ، وفضلاً كبيرًا ، وهو الجنة ونعيمها .

أخرج ابن جرير بسنده قال: لما نزل قوله تعالى: لَيْشِرُ لَكَ ٱللَّهُ مَا فَقَلَمٌ مِن ذَنَبِكَ وَمَا تَأْخَرَ ... (الفتح: ٢). قال رجال من المؤمنين: منينا لك يا رسول الله، قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا ؟ فأنزل الله: لَيُدْخِلُ آلْمُؤْمِينَ وَآلْمُؤُمِنَاتِ جَشْبُ .. (الفتح: ٥).

وأنزل في سورة الأحزاب: وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَطْلاً كَبِيرًا.

٤٨ - وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَدَعَ أَذَسْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا.

هذه الآية تأكيد لما ورد في أول السورة ، حيث أمره الله تعالى قائلاً : يَنْآلَيُهَا ٱللَّهِيُّ ٱللَّهِ وَلا تُطع آلكُنفرين وَالْمُنْفِقِينَ إِنَّ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا . (الأحزاب: ١) .

ومعنى الآية :

داوم أيها الرسول على ما أنت عليه ، من عدم طاعة الكافرين والمنافقين ، وعدم الإلانة معهم ، أو اللقاء بهم في منتصف الطريق، والآية تينيس للكافرين والمنافقين منه ﷺ، من ياب: وإيالك أعنى واسمعي يـا جــارة» ، والرسول مستمر فى تــبلــغ رسالتـه ، مهـتـم بـالـمؤمنـين وتـريـيـتـهم ، معـرض عن الـكافرين والمنافقين ، تــارك للرد عليهم ، تــارك لإيداء الكافرين والمنافقين ، متوكل على الله وحده فهو سبحــانه الوكيل والكفيل والنصير .

يا أيها الذين آمنوا ، إذا عقدتم عقد النكاح على امرأة مؤمنة ، ثم تم الطلاق قبل الدخول بها ، فليس عليها عدّة ، لأن العدة لتعرُّف براءة الرحم ، أو للحداد على الزوج ، وهذه لم يدخل عليها زوجها ، ولم يخل بها خلوة شرعية ، لكن ينبغى تطييب خاطرها ، وكسوتها بملابس مناسبة لحال الزوج ، حسب يساره أو إعساره ، وينبغى أن يتم الطلاق بالمعروف ، بدون نزاع أو مخاصمة ، بل يتم مع مكارمة وعطاء وتسامع ، فهذا هو (السراح الجميل) أي : الطلاق الكريم ، وقيل : السراح الجميل ألا يطالبوهن بما أتوهن .

في أعقاب التفسير

جاء في التفسير المنير ٢٠/ ٥٠ - ١٤ ، عدة أسماء للنبي ﷺ ، رغبت أن أنقلها هنا ، حبًا لرسول الله ﷺ ، وتيمنا بأسمائه المباركة ، وعشقًا لذاته الشريقة ﷺ .

فقه الحياة أو الأحكام:

تضمنت الآيات الأحكام التالية:

أولاً : وصف النبى ﷺ يسبع صفات أو أسماه ، فهو الشاهد على أمته بالتبليغ إليهم ، وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم ، وهو المبشر للمؤمنين برحمة الله ويالجنة ، وهو المنذر للعصاة والمكذبين من النار وعذاب الخذاد ، وهو الداعى إلى الله بتبليغ التوحيد والأخذ يه ومكافحة الكفرة ، وهو نور كالسراج الوضاء بشرعه الذى أرسله الله به ، وهو الذى يشر المؤمنين بالفضل الكبير من الله تمالى ، وهو نو شرع مستقل مطالب بألا يطبع الكافرين فيما يشيرون عليه من أنصاف الحلول والمداهنة في الدين والممالأة ، لكنه مأمور أيضًا أن يدع أذاهم مجازأة على إيذائهم إياه ، فلا يعاقبهم ، وإنما يصفح عن زللهم ، معتمدًا على الله وحده بنصر دينه وحفظه وتأييده وعصمته من الناس .

ردى ابن أبى حاتم، والطبرانى، عن ابن عباس قال: لما نزلت: يَنْآَبُهَا آلْشِيُّ إِنَّا أَرْسَلَتُوْكَ خَلْهِمُا وَشِيْرًا وَلَيْرِاً * وَمَاعِيّا إِلَى آللَّهِ بِإِنْهِ وَسِرَاجَا ضَيْرًا . دعا رسول الله ﷺ عليًّا ومعاذًا فقال: اضلقا، فبخُرا ولا تنفوا، ويسَرا ولا تعسُّرا، فإنه قد نزل على الليلة آية : يَثَنَّهُمْ ٱلشِّيُّ إِنَّا أَرْسَلْتُنَكَ شَلْهِمًّا وَمَبْشُرًا . — بالجنة — وَنَايِرًا، — من النار – وَمَاعِ إِلَى آللُهِ . – شهادة أن لا إله إلا الله – بإلْنِهِ . – بأمره – وَسِرَاجَّ فَيْرًا ، بالقرآن، . ثانيًا: قال القرطبي ٩٠٠: هذه الآية فيها تأنيس للنبي ﷺ وللمؤمنين ، وتكريم لجميعهم ، وهذه الآية تضمنت من أسمائه ﷺ ستة أسماء ، ولنبيناﷺ أسماء كثيرة وسمات جليلة ، ورد ذكرها في الكتاب والسنة والكتب المقتمة ، وقد سماه الله في كتابه محمدًا وأحمد .

وقال شخصة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا أحمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب» . وأنا الماحى الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا العاقب ، وفي المناس على قدمى ، وأنا العاقب ، وفي صحيح مسلم من حديث جبير بن مطمع : وقد سماه الله رؤيفًا رحيمًا . وفيه أيضًا عن أبى موسى الأنبى عقال : كان رسول الله ش يسمى لنا نفسه أسماء ، فيقول : وأنا محمد ، وأحمد ، والمقفى (أي أنه أخر الأنبياء) ، والحاش ، ونبى التوية ، ونبى الرحمة .

وذكر القاضى ابن العربى فى أحكامه (٣/ ١٥٣٤) بمناسبة هذه الآية سبعة وستين اسمًا للنبي ﷺ هى:

الرسول ، المرسل ، النبى ، الأمى ، الشهيد ، المصدق ، النور ، المسلم ، البشير ، المنتر ، المنتر ، المنتر ، المنتر ، المعنى ، النور ، المسلم ، البشير ، المباحى ، المجاحر ، العامل ، العبين ، الأمين أن العبد ، المجاحر ، المجاحر ، المجاحر ، المجاحر ، المجاحر ، الخاص ، المجاحد ، الأمر ، النامى ، الطاحب ، الكويم ، المحلل ، المحكر ، الواضع ، الرافح ، المخبر ، خاتم النبيين ، ثانى اثنين ، منصور ، أنن خير ، مصطفى ، أمين ، مأمون ، قاسم ، نقيب ، مزمل ، مدثر ، العلى ، الحكيم ، المؤمن ، المصدق (١٠٠ الرؤوف ، الرحيم ، الصاحب ، الشفيع ، المشفع ، المتركل ، محمد ، أحمد ، المحلم ، الحاشر ، المقفى ، الماقب ، نبى التوية ، نبى الرحمة ، نبى الملحمة ، عبد الله ، نبى الحرمين . ذكر لله أمل ما وراه النهر .

فالرسول: الذي تتابع خبره عن الله ، وهو المرسل من ربه ، والمرسل غيره لتبليغ الشرائع إلى الناس مشافهة ، والنبىء مهمرز من الثباً وهو الخبر ، وغير مهموز من الثبتية : وهو المرتفع من الأرض ، فهو مخبر عن الله ، رفيع القدر عنده ، والأمى : الذي لا يقرأ ولا يكتب ، والشهيد لشهادته على الخاق في الدنيا والأخرة ، عن الله ، رفيع القدر عنده ، والأمى : الذي لا يقرأ ولا يكتب ، والشهيد لشهادته على الخاق في الدنيا والأخرة ، بالإيمان والممنو بالمبيد ، والمنود الذي نور الله به الأقتدة بالإيمان والعلم ، وبالبشير : الذي أخبر الشلق بالإيمان والمبيد ، والممنون أولهم ، والبشير : الذي أجان عن ربه الوحي والدين وأظهر الأيات والمعجزات ، والأمين : الذي حفظ ما أوحي إليه وما وظف به ، والعبد : عن ربه الوحي والدين وأظهر الأيات والمعجزات ، والأمين : الذي حفظ ما أوحي إليه وما وظف به ، والعبد : الذي لنور الذي يبصر به الخلق الذي ذل لله خلقاً وعبادة ، والداعي الخات يها المرجوع إلى قوله وفعله ، والذي : الذي أيان النجدين ، أي طريقي غيره ، والمذكر : الذي يخلق الله على يديه الذكر ، أي تذكر الله ، والمادي : الذي أيان النجدين ، أي طريقي غيره ، والمذكر : الذي يخلق الله على يديه الذكر ، أن تذكر الله ، والمادي : الذي أيان النجدين ، أي طريقي غيره ، والمذكر : الذي يخلق الله على يديه الذكر ، أن تذكر الله ، والمادي : الذي أيان النجدين ، أي طريقي

الخير والشر ، والمهاجر : لأنه هجر ما نهى الله عنه ، وهجر أهله ووطنه ، والعامل : لأنه قام بطاعة ربه ، ووافق فعله قوله واعتقاده ، والمبارك : الذي جعل الله في حاله زيادة الثواب ، وفي حال أصحابه فضائل الأعمال ، وفي أمنه زيادة العدد على جميم الأمم ، والرحمة : الذي رحم الله به العالمين في الدنيا من العذاب الشامل ، وفي الآخرة بتعجيل الحساب ، والآمر والناهي : المبلغ الأمر والنهي ، والطيب : فلا أطيب منه ، لسلامته عن خبث القلب وخبث القول وخبث الفعل ، والكريم : الجواد على التمام والكمال ، والمحلل والمحرم: مبين الحلال والحرام ، والواضع والراقع: الذي وضع الله به قومًا ورقع به أخرين ، والمخبر -النبيء ، وخاتم النبيين : آخرهم ، وثاني اثنين : أحد اثنين والآخر أبو بكر في غار جبل ثور ، والمنصور : المعان من قبل الله بالعزة والظهور على الأعداء ، وأذن غير : لا يعي من الأصوات إلا خيرًا ولا يسمع إلا الأحسن ، والمصطفى : المخبر عنه بأنه صفوة الخلق ، والأمين كما تقدم : المؤتمن على المعاني ، والمأمون : الذي لا يخاف من جهته ش ، وقاسم : يقسم الزكوات والأخماس وسائر الأموال بين الناس ، ونقيب : يتولى الأمور، ويحفظ الأخبار، وقد وصف نفسه للأنصار بذلك فقال: أنا نقيبكم، والمزمَّل: المتلفف بثيابه، والمدثر: المتغشى بثيابه ، والعلى: الرفيم القدر والمكان ، الشريف الشأن ، والحكيم: العامل بما علم ، والمؤمن : المصدق لربه اعتقادًا وفعلاً ، والرؤوف الرحيم : لما أعطاه الله من الشفقة على الناس ، والصاحب: الذي كان مم أتباعه حسن المعاملة ، عظيم الوفاء ، والشفيم المشفع : الراغب إلى الله في أمر الخلق بتعجيل الحساب ، وإسقاط العذاب وتخفيفه ، والمتوكل : الملقى مقاليد الأمور إلى الله علمًا وعملاً ، والمقفى : العابد ، ونبى التوية : لأنه تاب الله على أمته بالقول والاعتقاد ، دون تكليف بقتل أو إصر ، ونبى الرحمة : المشفق على الناس ، ونبي الملحمة : المبعوث بحرب الأعداء والنصر عليهم .

ثالثاً : يرى مجاهد أن الأمر بالعفو والصفح عن الكافرين فى قوله تعالى : وَفَعْ أَضَاهُمْ ... منسوخ بآية السيف .

رابعًا : في آية : إِذَا لَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ... أحكام كثيرة منها :

 ١ - المرأة المطلقة قبل الدخول لا عدة عليها بنص الكتاب وإجماع الأمة على ذلك ، فإن بخل بها فعليها العدة إجماعًا .

والمشهور عند الفقهاء أن العدة ليست خالص حق العبد ، وإنما يتعلق بها حق الله وحق العبد ممًا ، لأن منع الفساد باختلاط الأنساب من حق الشارع أيضًا ، ولا تسقط العدة إنا أسقطها المطلق ، لأن الشرع أثبتها . والعدة شرعًا : المدة التي تنتظر فيها المرأة لمعرفة براءة رحمها من الحمل ، أو للتعبد ، أو للتفجع على زوج مات . ٢ – إطلاق النكاح على العقد وحده، وليس فى القرآن آية أصرح فى ذلك منها، وقد اتفق العلماء على المراد بالنكاح هنا العقد، ولم يرد لفظ النكاح فى كتاب الله إلا فى معنى العقد. والنكاح فى الأصل حقيقة فى الوطء، ولكن من أدب القرآن الكناية عن الوطء أو الجماع بألفاظ: الملامسة والمماسة والقربان والتفشى والإتيان. وسمى العقد نكاحًا من حيث إنه طريق إليه ، كتسمية الخمر إثمًا، لأنها سبب فى اقتراف الإثم.

٣ - إباحة طلاق العرأة قبل الدخول بها ، وهذه الآية مخصصة لقوله تعالى : وَٱلْمُعْلَقَتْ يُتَرْبُهُنَ بَاللّهُ وَإِنْ الرّبَقْمُ فَعِلْمُهُمْ لَلْنَهُ بِاللّهِ عِنْ لِللّهِ وَهِ اللّهِ اللّهِ عَلَيْهُمْ لَلْنَهُ وَاللّهُ عَلَيْهُمْ لَلْنَهُ لَمْ اللّهِ عَلَيْهُمْ لَلْنَهُ لَلّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ لَلْنَهُ لَلّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ لَلْنَهُ لَمْ ... (للطلاق: ٤) .

قوله تعالى: أَلْمُؤْمِنُتْ . خرج مخرج الغالب من حال المؤمنين أنهم لا يتزوجون إلا بمؤمنات ،
 ولكن لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في إباحة الزواج بالاتفاق "" . ا هـ .

﴿ يَكَايُّهُا النِّيُّ إِنَّا آَ طَلْنَا الْكَ أَزْوَجَكَ الَّيْنَ ءَاتَيْتَ أَجُورُهُ ﴿ وَمَا مَلْكُتْ يَمِينُكَ مِنَا النِّيْ إِنَّ أَوْدَ النِّيْ أَنْ يَسْلَنِكَ الَّتِي مِنَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَا تِ خَلْنِكَ النِّي مِنَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَنْ يَسْلَنِكَ النِّي مَعَكَ وَآمَلُأَهُ مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنِّي إِنْ أَرَادَ النِّيُّ أَن يَسْلَنِكَ مَلَا عَلَيْهِمْ فِي الْمُؤْمِنِينُ قَدْ عَلِمْنَ اللَّهُ عَلَيْكَ مَن اللَّهُ عَلَيْكِمَ اللَّهُ عَلَيْكِمَ اللَّهُ عَلَيْكَ مَن مَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي آزُونِ إِلْمُؤْمِنِينُ قَدْ عَلِمْنَ اللَّهُ عَلَيْكَ مَن مَا اللَّهُ عَلَيْكَ مَن مَنْكَ أَوْلَ اللَّهُ عَلَيْكَ مَن مَنْكَ أَلْهُ مَلِيكَ عَن اللَّهُ عَلَيْكَ مَن مَنْكَ أَلْ اللَّهُ عَلَيْكَ مَن مَنْكَ أَلْهُ عَلَيْكُ وَكُونَ اللَّهُ عَلَيْكُ مَن اللَّهُ عَلَيْكَ مُن مَنْكُمْ وَلَا اللَّهُ عَلَيْكُ مَن مَنْكُمْ وَكُونَ اللَّهُ عَلِيمًا عَلِيمَ اللَّهُ عَلَيْكُ مَن مَنْكُمُ وَكُونَ اللَّهُ عَلَيْكُ مَن مَنْكُمْ وَكُونَ اللَّهُ عَلَيْكُ مَن مَنْكُمُ وَلَا أَنْ اللَّهُ عَلَيْكُ مَن مَنْكُمْ وَكُونَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَكُونَ اللَّهُ عَلْكُ وَلَاللَّهُ عَلَيْكُمُ وَكُونَ اللَّهُ عَلَيْكُ مَن مَنْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ مَا اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ وَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ مُونَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَالْوَلَالَةُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عِلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى اللللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى اللللْلِكُ عَلَى اللللْهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى الللْهُ عَلَى اللللِ

المفردات د

ام وره ن مهورهن .

ومسامط كت يحمينك، وما كان من الإماء ، بسبب السبي والغنيمة في الحرب ، كصفية ، وجويرية .

أفساء الطسه عمليك، غنمته من الكفار بتيسير الله الى.

يست كحها، يتزوجها.

ما هرضنا عليهم هي أنواجهم ، أي على المؤمنين في أزواجهم من الأحكام ، مثل : العقد ، والمهر ، والنفقة على الزوج ، وألا يتم الزوج ، وألا يتم الزواج إلا بولي وشهود .

ومــامــلـكت أيــمــالتـهــم؛ من الرقيق بشراء أن غيره ، وأن تكون الأمة ممن تحل لمـالكها ، كالكتابية بخلاف المحوسية والوثنية ، وأن تستيري بحيضة قبل الوبلاء .

تسمسر جمسي، تؤخر ، من الإرجاء وهو التأخير.

ومن ابتفيت ممن عزات ، ومن طابته ممن نحيته وأبعدته .

فللجستساح مسلسيك، فلا إثم عليك، في طلبها وضمُّها إليك.

أن تسقسر أعسيسنهن ، تبرد سرورًا .

مــــن بـــــــــد: من بعد التسم اللائي في عصمتك.

ولا أن تسيدان يسهدن ، ولا أن تستبدل بهن أزواجًا ، ببعضهن أو يكلهنّ .

تمهيد :

تتحدث هذه الآيات ، وآيات ستأتى بعدها ، عن تنظيم بيت رسول الله ﷺ وقد كلف بأعباء الرسالة ، ودعوة القبائل إلى الإسلام ، وينل جهودًا مضنية في الدعوة إلى الله تعالى ، في مكة والمدينة ، وشاء الله أن يجمل من بيت النبوة صفحة معروضة للأجيال ، فضمنها هذا القرآن الباقي ، المتلّق في كل زمان ومكان .

التفسير

ه ٥ - يَنْآتِهَا آهَيُّ إِنَّا أَخَلُنَا لَكَ أَزْوَجَكَ آلَنِي َ مَائِتَ أَجُورُهُنَّ وَمَا مَلَكَتَ بَمِينُك مِنَّا لَمَانَاكُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَتَاتِ عَمُكَ وَيَتَاتِ عَمُّضِكَ وَيَتَاتِ عَالِكَ وَبَتَاتِ حَلَيْكَ ٱلنِّي هَاجُزَنَ مَنْكَ وَآمَرُأَةُ مُّلِينَةً إِنْ وَهَبَتْ اللَّبِي إِنْ أَزَادَ آلَكِيُّ أَن يَمْشَكِحُهَا عَلِيمَةً لَكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَوْمَنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزُوا جِوِمْ وَمَا مَلَكُتْ أَيُمْتُهُمْ لِكِيّادً يُكُونُ عَلَيْكَ حَرَّجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ فَقُولً رُحِيمًا .

أحللنا لك أيها الرسول أربعة أصناف من النساء :

أولاً : الزرجات اللاتي دفعت مهورهن – ولو كنَّ فوق الأربع – مما هو محرم على غيره ﷺ ، وكان . في عصمة النبي ﷺ ، في هذا الوقت تسع نساء تزوج بكل مفهن لمعنى خاص : عائشة بنت أبى بكر وزيره وصاحبه ، وحفصة بنت عمر وزيره وصاحبه ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، وأم سلمة ، وسودة بنت زمعة ، وزينب بنت خزيمة ، من المهاجرات اللواتى فقدن أزواجهن ، وأراد النبى ﷺ تكريمهن ، ولم يكنَّ ذوات جمال ولا شباب ، وزينب بنت جحش لتحليل زوجة الابن الدعى ، ثم جويرية بنت الحارث من بنى المصطلق ، وصفية بنت حيى بن أخطب ، وكانتا من السبى ، فأعتقهما رسول الله ﷺ ، وتزوج بهما الواحدة تلو الأخرى ، تعويضًا لهما ، وقد أسلمتا بعد ما نزل بأهلهما من الشرة .

ثانيًا: ما ماك الذبي ﷺ من سبايا الجهاد كصفية بنت حيى بن أخطب، فقد اصطفاها من سبى خيبر ثم أعتقها رجعل عتقها صداقها ، وكذلك جويرية بنت الحارث المصطلقية ، أدَّى عنها كتابتها إلى ثابت بن تيس بن شماس وتزوجها ، وقد أهديت له مارية القبطية من المقوانس عظيم القبط بمصر ، فتسرَّى بها ، وهى أم ابنه إبراهيم .

وَمَا مَلَكَتْ يُمِينُكُ مِمَّا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ... أي مما رده الله عليك من غنائم الكفار .

الله الله الله الله وينات عمل وينات عماتك ، والزهريات من بنات خالك وينات خالاتك من بنى وينات خالاتك من بنى إذهرة ، وقد كان عند النبي ﷺ ست من القرشيات ، ولم يكن عنده زهرية .

وهذا المفهج وسط كما يقول ابن كلير فإن النصاري لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان بينها وبين الرجل سبعة أجداد ، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته ، فجاه الإسلام وسطا قأباح القرابة غير القريبة ، كبنت للمم وبنت الخال ، وحرَّم القرابة القريبة كبنت الأم والأخت .

واشترط القرآن في زواج بنت العم أو الخال للرسول ﷺ ، أن تكون من المهاجرات من مكة إلى المدينة فأمًا من لم تهاجر فلا تحل له .

رابعًا : المرأة المؤمنة إذا وهبت نفسها للنبي ﷺ ، إذا قبل النبي هبتها ، وأراد أن يتزوجها ، فإنها تحل له ، خاصة به من دون المؤمنين ، أما المؤمنين فلابد من المهر والولي والشهود .

وقد رغبت زوجات كثيرات في هبة أنفسهن للنبي ﷺ.

وقد قال ابن عباس: لم يكن عند رسول الله ﷺ لمرأة وهبت نفسها له ، أي أنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له ، وإن كان ذلك مباحًا له ومخصوصًا به ، لأنه مردود إلى مشيئته .

وقد أخرج البخاري ، ومسلم ، وأحمد أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إنى قد وهبت نفسى لك ، فقامت قيامًا طويلاً ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ، زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة ، فقال رسول الله ﷺ: «هل عندك من شيء تصدقها إياد» ؟ ، فقال : ما عندي إلا إزاري هذا ، فقال ﷺ: «إن أعطيتها إزارك جلست لا إزار لك ، فالتمس شيئًا» ، فقال : لا أجد شيئًا ، فقال : «التمس ولو هاتمًا من حديد» فالتمس فلم يجد شيئًا ، فقال له الذبي ﷺ: «هل معك من القرآن شى» ؟ فقال : نعم ، سورة كذًا وسورة كنًا ، فقال له النبي ﷺ: «زوجتكها بما معك من القرآن» "".

قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَطْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزُوا جِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَلْتُهُمْ ...

أى: قد علمنا ما أوجبنا على المسلمين من نفقة ، ومهر ، وشهود فى العقد ، وعدم تجاوز أربع من النساء ، وما أبحنا لهم من ملك الهمين ، وأمّا أنت فقد خصصناك بخصائص تيسيرًا لك .

لكَيْلاً يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ...

أي: لثلا تكون عليك مشقة أو ضيق فيما اقتضته الحكمة والعناية بك.

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا .

عظهم المغفرة ، واسع الرحمة ، فهو سبحانه يغفر ما يعسر التحرز منه ، ويرحم فهما يوسع في مواقع الحرج .

٥١ - أرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُن وَقُلُونَ إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ آتِنَكِتَ مِمْنُ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَالِكَ أَفَنَى أَن تَقَرُّ أَعْنِهُنْ وَلا يَعِزَنُ وَيَوْمِيْنَ مِنَا عَاسَيْهُنْ كُلُهُنْ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللّهُ عَلِيمًا خَلِيمًا .

تأتى هذه الآية في استمرار التيسير على رسول الله ، وحيث خصُّه الله ببعض الخصائص تعييرًا له ، ورعاية لجنابه ، ولما يقوم به من أمر الدعوة الإسلامية ، وتأليف القبائل ، ورعاية شئون نساته التسع ، فأبات سبحانه له أن يطلق من يشاء منهن ، وأن يبقى معه من يشاء منهن ، والإرجاء : التأخير والإبعاد ، ومع هذا فلم يطلق النبي أنه أبًا من زوجاته .

وقيل: المعنى: وضعنا عنك التسوية بينهن في المبيت، فلك أن تبعد وتؤخر من تشاء منهن في المبيت معها، وزنا أبعدت واحدة منهن عن المبيت معها، وزنا أبعدت واحدة منهن عن المبيت معها، عرضت فيها بعد عزلها وإبمادها، فلا جناح عليك ولا إثم ولا حرج في ذلك، ومع هذا التيسير الإلهي من الله عزوجل، فقد كان ﷺ يقسم بين نسائه ويعدل.

روى الإمام أحمد وأصحاب السنن الأربعة ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه ، فيعدل ، ثم يقول : «اللَّهم هذا فعلى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك» (٣٠) . وقال بعض المفسرين: الإرجاء والإيواء لإطلاقهما في الآية ، يتناولان ما في التفسيرين من التخيير في القسم ، والطلاق.

وأفاد صاحب الكشاف أن الآية متضمنة قسمة جامعة لما هو الفرض ، لأنه ﷺ إمّا أن يطلق ، وإما أن يمسك ، وإذا أمسك ضاجع أو ترك ، وقسم أو لم يقسم ، وإذا طلُّق وعزل ، فإما أن يخلى المعزولة ، لا يبتغيها أو يبتغيها . ا هـ .

ذَالِكَ أَذْنَىٰ أَن تَقَرُّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنْ وَيُرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنّ ...

هذا التخبير لك أيها الرسول من شأنه أن يقرّ عين أزواجك ، ويرضيهن ويذهب الحزن عنهن ، لأنهن إذا علمن أن الله لم يفرض عليك العدل في القسمة بينهن ، وأباح لك تطليق بعضهن ، وإيواء بعضهن ، ثم تفضلت أنت بالعدل في القسمة بينهن ، والإبقاء عليهن وعدم تطليق بعضهن ، فرحن بنصيبهن منك ، لأنه تفضل منك وكرم وعطية .

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ...

من الرغية في المضالطة ، والميل إلى يعض الزيجات دون بعض ، وإنما خير الله رسوله ، تيسيرًا عليه وتخفيفًا ، لما له من مهام متعددة ، لا يقدر عليها عظماء الرجال ، ولى كانوا في القوة والتحمل كالجبال .

وَ كَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا . بذات الصدور ، مطلعا يعلم السر وما هو أخفى من السر . خَلِيمًا . ذا حلم على عباده ، فيعفو ويغفر .

٧ - "لا يَبِعِلُ لَكَ آلسَمَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلاَ أَن تَبْدُلْ بِهِنْ مِنْ أَزْوَجِ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنْ إِلا مَا مَلَكَتْ يُمِينُكَ وَكَانَ
 آللُهُ عَلَيْ كُلُ هَنْ وَقِيلًا.

تأتى هذه الآية تكريمًا لنسائه التسع ، حيث اخترن رسول الله ، ورفضن زينة الدنيا ، فعوضهن الله أن جعلهن أمهات المؤمنين ، وحرم على النبى الزواج بغيرهن ، كما حرم عليه تطليقهن كلهن ، أو تطليق بعضهن ، ليتزوج بدلاً منهن أغريات ، حتى ولو أعجبه جمالهن .

لكن يحل للندي أن يضم إليه من يشاء بملك اليمين ، وقد تسرى بمارية القبطية ، بعد أن أهداها المقوتس إليه ، مع بغلة تسمى التُدتُل ، وهي أول بغلة تدخل أرض الحجاز ، وكان الله مطلعًا ورقيبًا ، لكل ما في الكون ، لا تخفى عليه خافية .

وهذا التفسير للآية رأى جمهور. علماء المسلمين ، وذهب بعض المقسرين إلى أن الله أحلُّ للرسول ﷺ أربعة أصناف من النساء ، ذكرن فيما سبق ، وهن :

- ١ زوجاته اللاتي دفع مهورهن .
- ٢ ما ملكت يمينه بسبب الفيء أو الشراء أو الهبة .
- ٣ بنات عمه وعماته وينات خاله وخالاته اللاتي هاجرن من مكة إلى المدينة .
 - 3 من وهيت نفسها للنبي من المؤمنات.
 - ثم قال الله له : لا يَحِلُّ لَكَ ٱلنَّسَاءُ مِنْ يَعْدُ ...

أى: لا يحل لك الزراج من غير هذه الأصناف الأربعة ، المذكورة في الآية السابقة ، ولو أعجبك حسنون ، لكن يباح لك التسرّي بما ملكت يمينك .

قَالُ ابن كثير: والنساء التسع اللاتي حرَّم الله تعالى على نبيه ﷺ، الزيادة عليهن ، والاستبدال بهن ، هن : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، وسوية بنت زمعة ، وأم سلمة بنت أبى أمية ، وصفية بنت حيى بن أخطب ، وميمونة بنت الحارث ، وزينب بنت جحش ، وجويرية بنت الحارث .

ملحق بتفسير الأيات

١ - يرغب الإسلام في العدل بين الزوجات ، ويوجب القسم لهن ، ولا يسقط حق الزوجة بمرضها ولا
 حيضها ، ويلزم الزرج المقام عندها في يومها وليلتها ، وعليه أن يعدل بينهن في مرضه كما يقعل في
 صحته ، إلا أن يشتد المرض ، فيستأذن منهن في البقاء عند إحداهن .

روى أبر داود ، عن أبى هريرة أن الذبى ﷺ قال : «من كانت له امرأتان ، فمال إلى إحداهما جاء يوم القدامة «شقه ماذا » " .

كان النبي ﷺ يشدد على نفسه في رعاية التسوية بين زرجاته ، تطييبًا القلوبهن ، وكان في
 مرضه الذي توفى فيه ، يطاف به محمولا على بيوت أزواجه ، إلى أن استأذنهن أن يقيم في بيت عائشة .

روى البخارى فى صحيحه ، عن عائشة قالت : أول ما اشتكى رسول الله ﷺ فى بيت ميمونة ، فاستأذن أزواجه أن يمرَّض فى بيت عائشة فأذنَّ له ٣٠٠.

٣ – يفيد قوله تعالى: وَلَوْ أَعْضِبُكَ خُسُنُهُنَ ".. جواز أن ينظر الرجل إلى من يريد زواجها ، روى الإمام أحمد وأصحاب السنن ، عن المغيرة بن شعبة أنه أراد أن يتزوج امرأة ، فقال له النبي ﷺ : «انظر إليها فإنه آجد أن يؤدم بينكماه [17]

ومعنى يؤدم: يؤلف ويوفق وتستديم العشرة .

٤ - كان زراج النبي ﷺ بتسع نساء لحكم سامية ، تتلخص في أن المصاهرة من أقرى عوامل التناصر والتألف ، ونشر دعوة الإسلام ، وكان المؤمنون برون أعظم الشرف في مصاهرة النبي ﷺ وقريهم منه ، كما أن تشريعات الإسلام الخاصة بالنساء تحتاج معرفتها إلى نسوة يبلغن الأحكام إلى المسلمات ، فكانت أزواج الذبي ﷺ يقمن بهذه المهمة .

* * *

آداب دخول البيت النبوى

﴿ يَتَأَيُّ الَّذِينَ ءَامَثُوا لَا نَدْخُلُوا بَيُوتَ النَّيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَت لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ انظِينَ إِلَا أَن يُؤْذَت لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ انظِينَ إِنَا لَكُو وَ لَا الْحَقْ وَإِذَا اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَسْتَغِيهِ مِن الْحَقِّ وَإِذَا اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَسْتَغِيهِ مِن الْحَقِّ وَإِذَا مَا الْتُمُوهُ مِنَ مَتَعَا فَسَنُوهُ مَنَ اللَّهُ وَقُلُومِهِ فَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَسْتَغِيهِ مِن الْحَقِّ وَإِذَا مَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَقُلُومِهِ فَي مَا اللَّهُ وَلاَ اللَّهُ وَلاَ اللَّهُ وَلاَ اللَّهُ وَلاَ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللللْمُ الللَّهُ الللللَّهُ الللللَّهُ اللللَّهُ الللللَّهُ اللللْمُ الللَّهُ الللللَّهُ اللللْمُ اللللْمُ الللل

المفردات ،

مستانسين تعنيث ، مستمعين لحديث أهل البيت ، أو لبعضكم بعضا .

إنْ تشكي أَن اللَّهِ .

فيستعيى منكم؛ من إخراجكم.

من وراء حب اب، وهو الساتر، لأنه يمنع من المشاهدة.

أط هسر ، أزكى وأنفى للريبة وسوء الظن .

إن تبدوا شيشا، إن تظهروا أمرًا من الأمور، أو تستروه في أنفسكم.

لا جــــــاح ، لا إثم .

ولا تسلك همن ؛ النساء المؤمنات .

تمهيده

تأتى هذه الآيات الكريمات لبيان أنب بيت النبوة ، فقد روى عن ابن عباس : أن أناسًا من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبى ﷺ ، فيدخلون قبل أن يدرك الطعام ، فيقعدون إلى أن يدرك ، ثم يأكلون ولا يخرجون .

وقال إسماعيل بن أبي حكيم: وهذا أدب أدَّب الله به الثقلاء.

وعند أكثر المفسرين أن سبب نزول هذه الآيات ، ما رقع يوم أن تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش .

التفسيره

٣٥ - يَنْآيُهَا ٱلَّذِينَ وَامْنُواْ لَا تَدْخُلُواْ يُبُوتَ ٱلنَّبِيَّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامِ غَيْرَ نَلظِرِينَ إِنَّلَهُ ...

إذا دعاكم الرسول ﷺ إلى طعام ، فلا تأتوا قبل الميعاد المتعارف عليه ، أن قبل معرفة أن الطعام قد تمُ نضجه وإعداده ، حيث يكون أصحاب البيت في انشقال بالطعام ، وفي ثياب البذلة والعهنة ، وحضوركم مبكرين يجعل أصحاب البيت ينشقلون بكم ، ويتكلفون الحديث من أجلكم ، ومعنى : غُوَّرُ نَظْرِينَ إِنَّهُ ... غير منتظرين إدراكه ونضجه .

قال ابن كثير:

حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إنن ، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية ، وابتداء الإسلام ، حتى غار الله لهذه الأمة ، فأمرهم بذلك ، وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة ، فإذا دعى المؤمن إلى طعام لئي الدعوة ، وليحذر الحضور قبل الميعاد ، كما يحذر الجلوس بعد الميعاد ، حيث يشغل صاحب المنزل ، إلا لحاجة ماسة .

روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : «إذا دعا أحدكم أخاه فليجبه ، عرسًا كان أو غيره» (١٠٠).

وفي المحيح أن رسول الله ﷺ قال : «لو دعيت إلى ذراع لأجبت ، ولو أهدى إلى كراع لقبلت ، فإذا فرغتم من الذى دعيتم إليه فخففوا عن أهل المذرل ، وانتشروا في الأرضى (٣٠) .

وَلَلْكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَآدْخُلُواْ ...

أي : إذا قدمت لكم الدعوة ، فلبُّوا الدعوة ، وادخلوا البيت .

فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَآلتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَثْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ...

فإذا أكلتم الطعام ، فاخرجوا من البيت ، ولا تمكنوا فيه ، لتتبادلوا ألوان الحديث وفنونه المختلفة . قال أبو حيان : نهوا أن يطيلوا الجلوس ، يستأنس بعضهم ببعض ، لحديث يحدثه به .

إِنَّ ذَا لِكُمْ كَانَ يُوادِي ٱللَّهِ أَيْسَعَحْى مِنكُمْ ...

إن ذلك المكث في المنزل بعد الطعام يؤذي النبي ﷺ ، حيث يمنعه من تصريف مصالحه ، والعناية . بمثن بن عن أسريف مصالحه ، والعناية . بمثن شئون المسلمين ، وكان ﷺ لشدة حيائه يستحيى أن يأموهم . بالانصراف ، لخلقه الرفيع وقلبه الرحيم .

وَ ٱللَّهُ لَا يَسْتَحْي. مِنَ ٱلْحَقِّ ...

والله جل وعلا لا يترك بيان الحق ، ولا يمنعه مانع من إظهار الحق وتبيانه لكم .

قال القرطبي : هذا أدب أدَّب الله به الثقلاء .

وقال الثعلبي: حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم.

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَعَنْمًا فَسُعُلُوهُنَّ مِن وَرَّآءِ حِجَابٍ ...

وإذا أردتم حاجة من أزواجه الطاهرات فاطلبوها من وراء ساتر.

وقد نزلت هذه الآية في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة ، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر كما في المصحيحين عنه قال : يا رسول الله ، لو اتخذت من مقام إبراهيم المصحيحين عنه قال : وافقت ربى عز وجل في ثلاث ، قات : يا رسول الله ، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلًى ، فأنزل الله : وَأَتّخِلُواْ مِن مُقَام إبراهيم مُصَلِّى ... (البنرة : ١٧٥) . وقلت : يا رسول الله ، إن نساءك يدخل عليهن البرّ والفاجر ، فلل متجبن ، فأنزل الله آية الحجاب : وَإِذَا مَا أَتُمُوفُنُ مَّنَا فَمُ مُن وَرَآءِ حِجَابٍ ... وقلت لأرواج النبي ﷺ لما تمالأن عليه : عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طُلْفَكُنْ أَن يُلِدِلُهُ أَزْرَا عًا خَبِّوًا مُنكُنَّ ... (التحريم : ٥) .

ذَالِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ...

أى: هذا الذى شرعته لكم من الدخول بالإذن والخروج عقب للطعام دون الاستئناس بالحديث ، وطلب الأشياء من وراء حجاب ، أطهر وأطيب للنفوس ، وأبعد عن الربية والتهمة ، وأكثر طمأنينة للقلوب ، من الهواجس والوساوس الشيطانية .

وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَا أَن تَنكِخُوٓاْ أَزْوَاجَهُم مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ...

لقد أمر الله المؤمنين بتوقير الرسول وتعظيمه ومناصرته ، ونهى المسلمين عن إيذاء النهي ، في وإرغاجه وإقلاق راحته ، ومثال ذلك ما ورد النهى عنه في سورة الحجرات ، من التقدم عليه أو رفع الصوت عليه أو رفع الصوت عليه أو مناداته من وراء الحجرات ، وهنا أدب الله المسلمين ، بعدم دخول بيت النهي إلا بالإذن ، وعند نضوج عليه أو مناداته المحلم ، وعدم إطالة المكت بعد الأكل ، وإذا طلبوا شيئا من زوجاته طلبوه من وراء حجاب ، وبين أن مثل هذه الأمور مما يؤذي رسول الله ، وما ينبغي لمؤمن أن يؤذي الرسول أي إيذاه ، كما ينبغي للمؤمنين توقير زوجاته فهن أمهات المؤمنين ، فينبغي المترامهن لحترام الأم ، ولا يحل لمؤمن أن يزدج ورجعت المؤمنين ، فينبغي المترامهن لحترام الأم ، ولا يحل لمؤمن أن يزدج ورجعة من زوجات النبي ﷺ ، سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته .

إِنَّ ذَا لِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا .

أي: إيذاء الرسول بأى نرع من أنواع الإيذاء ، أن زواج زرجاته من بعده ، كان في حكم الله تعالى من الكباذر المحرمات الذي لا ذنب أعظم منها .

\$ ٥ - إِن تُبْدُواْ شَيُّنَا أَوْ تُخفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا .

إن تظهروا أمرًا من الأمور ، أو تخفوه في صدوركم عن الناس ، فإن الله تعالى كامل العلم بكل شيء ، وهو سبحانه يعلم السر وأخفى ، فراقبوه وأطيعوه ، وأخلصوا له ضمائركم وقاويكم . قيل في سبب نزول هذه الآية : إن رجلا من المسلمين قال -- لما نزلت آية الحجاب -- : أنَّتُهي أَن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب؟ لئن مات محمد لأتزوجن عائشة ، فأنزل الله هذه الآية ، ليعلم الناس برقابة الله ، ورجوب البعد عن إيذاء الرسول .

قَالَ أَبُو السعود : وفي هذا التعميم مزيد تهويل ، وتشديد ومبالغة في التوبيخ والوعيد .

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى : يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأُغْيُن وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ . (غانر : ١٩) .

ه ٥ - لا جَنَاحَ عَلَيْهِنْ فِي َ عَابَانِهِنْ وَلَا أَبْنَانِهِنْ وَلَا إَخْوَابِهِنْ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَابِهِنْ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَابِهِنْ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَابِهِنْ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَابِهِنْ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوْاهِنْ وَلَا أَبْنَاءِ أَنْ وَلا مَا مَلَكُمْنَ أَيْمَنْتُهُمْنْ وَٱلْقِينَ ٱللّهَ إِنْ اللّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلّ هَىٰءٍ هَهِيشًا .

تأتى هذه الآية للتيسير على زوجات النبي ﷺ، في عدم الحجاب عن أقاريهن ، لأن الفتنة مآمرنة ، فقد أمرت الآية السابقة المرّمنين ، إذا كان لهم طلب من زوجات النبي ﷺ أن يسألوهن قضاء هذا الطلب من روجات النبي ﷺ أن يسألوهن قضاء هذا الطلب من وراء حجاب ، وهذا أمر عام ، لكن في هذه الآية بين أنه لا حرج أن تظهر أمهات المرّمنين في ملابسهن العادية أمام الآباء أو الأبناء أو الأخوة ، أو الصديقات المخلصات المتصفات بالأخلاق الكريمة ، سواء أكن مسلمات أم كتابيات ، أو العبيد الموثوق بهم ، ثم دعاهن إلى تقوى الله ، والحرص على العفاف والتستر والاحتشاء ، لأن الله مطلع على كل ما يصدر عنهن ، وهو سبحانه على كل شيء شهيد ، وهو المجازي على كل عمل بحسبه .

وهذه الآية أباحت لزوجات الرسول ﷺ مقابلة القرابة القريبة من الرجال ، لأنهم مسئولين عن رعاية النساء وجمايتهن ، وهم: الآباء ، والأبناء ، والإخرة ، وأبناء الإخرة ، وأبناء الأخوات ، والصديقات المخلصات ، والعبيد الذين لا أرب لهم في المرأة ، ونلاحظ أن آية سورة النور قد أمرت نساء المؤمنين بغض البصر ، وستر الجسم ، وأباحت إبداء النزين أمام الزوج أو الأقارب الأقربين ، لأنهم حماة المرأة والمدافعون عنها .

قال تمالى : وَقُل لَلْمُؤْمِنَتَ مِنْفُضْنَ مِنْ أَنَصَدْرِهِنْ وَيَخَفَظْنَ أَوْ وَجَهُنْ وَكَ يُدْيِنَ وَيَتَهُنَ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَيْصَوْنَ بِخُومِنَ قَلَ جَدْنِهِنَ أَوْ ابْتَابِهِنَ أَوْ ابْتَابِهِنَ أَوْ ابْتَابِهِنَ أَوْ ابْتَابِهِنَ أَوْ ابْتَابِهِنَ أَوْ الْمَاعَلَى الْمُؤْمِنَ أَوْ الْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْمُؤْمِنَ أَوْ الْمَاعِنَ عَبْرِ أَوْمِنَ أَوْ اللّهِ عَلَى اللّهِ جَلِيلًا أَوْمَا مَلْكُمَ أَيْمَا أَمُ مَا يَنْجُهِنَ عَبْرٍ وَلِيَتِهِنَ وَتُولِقَ إِلَى اللّهِ جَمِيمًا أَلَهُ اللّهُ عَلَى مَا مَلَكُمْ اللّهُ عَلَى اللّهِ جَمِيمًا أَلَهُ اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهِ جَمِيمًا أَلَهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ ا

﴿ إِنَّاللَّهُ وَمُلَّتِكَ تَدُيْصَلُونَ عَلَى النَّيِّ يَّكَأَيُّهَا اللَّيْكَ ءَامَنُواْصَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِمُواْ تَسْلِيمًا ۞ إِنَّالَيْنَ يُؤَذُّونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ مُلَعَنَّمُ اللَّهُ فِ الدُّنْيَا وَالْآخِوَ وَوَاعَدَ لَمُمَّ عَذَا بُا مُّهِينَا ۞ وَالَّذِينَ يُؤَذُونَ اللَّهُ وَمِنْ يَكُولُونَ وَاللَّهُ مِنْ الصَّلَسَبُواْ فَقَدِ احْتَمَلُواْ بَهُ تَنَا وَإِنَّهُ اللَّهِ مِنَاكِنَ ﴾

تمهيده

تأتى هذه الآيات رفاءً لمق رسول الله ﷺ ، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصع الأمة ، وتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، فاعترافا له بالفضل، رأينا أن الله عز وجل يصلّى عليه وتصلّى عليه الملائكة ، وإنه لجلال ما بعده جلال ، وعناية ما بعدها عناية ، أن يتفضل الله جل جلاله بالرحمة والعناية ، والمعونة لرسول الله ، وأن تدعو وتستغفر الملائكة للرسول ، ثم يدعو الله ، طلاح بنوية الشريفة فتبين فضل المسلاة على المنبى منائي المؤمنين أن يصلوا على الذبى وأن يسلموا عليه ، وتأتى الأحاديث النبوية الشريفة فتبين فضل المسلاة على النبى ، فالله يضاعف الأجر والثواب لمن يصلى على من يصلى على وسوله ، وإنه لفضل عظيم وشرف للنبي ﷺ ولأمته ، سبَّله الله في القرآن الكريم .

التفسيره

٥٥ - إِنَّ ٱللَّهُ وَمَلَكِكُتُهُ, يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنِّي يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ عَامَتُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلَّمُواْ تَسْلِيمًا .

المسلاة من الله هي أن رحمته سبقت غضبه ، ومسلاة الله على النبى تعنى الثناء عليه في الملأ الأعلى ، وشموله برحمة الله ويركته وتوفيقه وعنايته ، وصلاة الملائكة عليه معناها : الاستففار ، والدعاء له بطو المنزلة والتوفيق .

وصلاة المؤمنين : الدعاء له بعلى المنزلة ، ونيل الشفاعة والوسيلة والفضيلة ، والدرجة الرفيعة يوم القيامة.

وقد روى البخارى عن أبى العالية قال : صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء (٣٠).

معنى الآية:

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَنْهِكَتُهُ مُصَلُّونَ عَلَى ٱلنِّينَّ يَنَأَيُّهَا ٱللَّذِينَ ءَاهْتُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلَّمُواْ تَسْلِيمًا .

أي : إن الله يصلِّي على نبيه بالرحمة والرضوان ، والملائكة تدعو له بالمغفرة ورفعة الشأن ، لذا

فأنتم أيها المؤمنون بالله ورسوله قولوا: اللهم صل وسلم على محمد ، أى : ادعوا له بالرحمة ، ومزيد الشوف والدرجة العليا .

قال القرطبي :

هذه الآية شرُّف الله يها رسوله عليه السلام ، حياتة وموته ، وزِكُّ منزلته ...، والمبلاة من الله رحمته ورِضُوانه ، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره .

ثم أورد القرطبي خمس مسائل تتداق بهذه الآية ، حول صفة الصلاة على النبي ﷺ ، ومَصَل الصلاة على "ننبي ﷺ ، وحكم الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير من الصلاة .

وقد وردت صيغ بالصلاة على النبي ﷺ منها صحيح ومنها سقيم .

قَالَ ابن الْعربي: ينبغي أن تعتمد على الصحيح دون الضعيف . أ هـ .

روى الشيفان وأحمد وغيرهم عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله ، أمّا السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف المملاة عليك؟ قال: «قل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، إنك حميد "".

مجيده"".

وأما التسليم فهو بأن يقولوا : السلام عليك يا رسول الله ، ومعنى السلام عليك ، الدعاء لك بالسلامة من الأفات والنقائص .

وروى مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: دمن مسلى على ً ولحدة ، مسلَّى الله عليه بها عشل» (١٠٠٠)

ويسن الإكتار من المسلاة على رسول الله 癱 في يوم الجمعة ، وعند زيارة قبره ﷺ ، وبعد النداء للمسلاة ، وفي مسلاة الجنازة .

روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجة ، عن أوس بن أوس للتقفى رضى الله عنه ، قال ،
قال رسول الله ﷺ : ومن أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قُبض ، وفيه النفخة ، وفيه
الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن مسلاتكم متروضة على ، قالوا : يا رسول الله ، وكيف تُعرض
عليك صلاتنا وقد أرمت ؟ – يعنى وقد بليت – قال : وإن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» (١٠٠٠).

وروی مسلم ، وأحمد ، وأبر داود ، والترمذي ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : وإذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىً ، فإنه من صلى علىً صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا لى الوسيلة ، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكرن أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلّت له الشفاعة "" .

أريع مسائل

المسألة الأولى:

ملاة الجنازة أريم تكبيرات.

التكبيرة الأولى: يقرأ بعدها الفاتحة.

التكويرة الثانية: يصلى على النبى صلى المعيقة الإبراهيمية وهى: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعلى آل محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم محمد، كما صليت على إبراهيم على أبراهيم وعلى آل إبراهيم وعلى آل إبراهيم . في العالمين إلك حميد مجهد.

التكبيرة التالثة . بعدها الدعاء للميت .

التكبيرة الرابعة: بعدها التسليم.

المسألة الثانية :

إذا سمع المسلم الأذان ، فليقل مثل ما يقول المؤذن ، ثم يصلى ويسلم على رسول الله 秦 ، ثم يقول : واللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمدًا ﷺ الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته ، إنك لا تخلف الميعاد ، وصل اللهم على محمد رعلى آله وصحبه وسلمه .

المسألة الثالثة :

قال جمهور العلماء: لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة ، لأن هذا قد صار شعارًا للأنبياء إذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم .

قال عمر بن عبد العزيز: اجعلوا مسلاتكم على النبيين ، ودعاءكم للمسلمين عامة ، ودعوا ما سوى ذلك (٣٠) .

المسألة الرابعة:

قال النووى: إذا صلى على النبى ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم، ولا يقتصر على أحدهما، فلا يقل: صلى الله عليه فقط، ولا عليه السلام فقط، بل يقول: (صلى الله عليه وسلم) أو (صلى الله عليه وسلم تسليما)، لقوله تحالى: إِنَّ اللَّهُ وَمَلْنُحِكُمُ يُمِثُونُ عَلَى ٱلنَّيِّ يُثَاثِهَا ٱللَّيْنِ وَاسُورًا صَلْهُواْ أَصْلِهُمُا ومن أدب الدعاء أن تبدأه بالصلاة على النبي ﷺ ، ثم تدعو ، ثم تشتمه بالصلاة على النبي ﷺ ، فإن الله يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدح ما بيتهما .

٧٥ - إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤُدُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَتَهُمْ ٱللَّهُ فِي ٱللَّيْنَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَلَابًا مُهِينًا .

الذين يؤذون الله بنسبة الرلد أو الشريك له ، أو مخالفة أمره ، أو بسبّ الدهر ، والله تعالى هو الدهر يقلب ليله ونباره ، كما جاء في الصحيح ، أو يؤذون رسول الله ، ألله ونباره ، كما جاء في الصحيح ، أو يؤذون رسول الله ألله بسب أو شتم أو انتقاص ، أو تعرض له أو لآل بيته ، أو أمّته أو سنته أو دينه ، أو قولهم عن الرسول الله إنه شاعر أو كاهن أو ساحر أو مجنون ، هزاد اعتام الله في الدنيا والآخرة ، أي : طردهم من رحمته في الدنيا والآخرة ، وهياً لهم عذابًا مؤلمًا ، مُثلًا مجنوًا محدًا الله من الدنيا محدًا أنه رئار جهنم .

روى الإمام أحمد ، عن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت فى الذين طعنوا على النبى ﷺ فى تزويجه صفية بنت حيى بن أخطب .

٥٨ - وَٱلَّذِينَ يُؤْدُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱخْتَمَلُواْ بُهْتَكُ وَإِثْمًا مُّبِينًا .

كان المنافقون يؤذون المرّمنين ، ويشيعون عنهم قالة السوء ، وقد أشاع المنافقون عن عائشة حديث الإنك ، وأشاعوا عن بعض الصحابة مثل عمر وعليّ تُهمّا بدون حق ، والآية عامة في كل من يؤذي المؤمنين والمؤمنات ، في كل زمان ومكان .

والمعنى:

والذين ينسبون المؤمنين والمؤمنات ما يتأذون به من الأقوال والأفعال ، بغير جناية يستحقون بها الأذية شرعًا ، أن يعيرون المؤمن بحسب مذموم ، أن حرفة مذمومة ، أن شيء يثقل عليه سمعه ، أن يغتابون المؤمنين والمؤمنات ، ويشيعون عنهم قالة السوء ، بدون حق ، فَقَارِ آحْتَمَأُوا أَهْهَنَا وَإِلْمًا مُبِنًا . فقد ارتكبوا كذبًا وذنبًا واضحًا وإنهامًا يغير حق .

روى مسلم ، عن أبى هريرة : أنه قبل : يا رسول الله ، ما الغيبة ؟ قال : «ذكرك أخاك بما يكرم» ، قبل : أنرأيت إن كان فى أخى ما أقبل ؟ قال : «إن كان فيه ما تقول فقد اغتيته ، وإن كان فيه غير ما تقول فقد بهتُه، ٣٠٠ .

والبهت والبهتان هو افتراء الكذب على الناس ، لأنه يبهت صاحبه أي يحيره .

روى أن عمر رضى الله عنه قرأ هذه الآية ففرَّ منها ، وقال لأبى بن كعب : والله إنى لأُصريهم وأنهرهم ، فقال له أُبىّ : يا أمير المرَّمنين ، لست ممن يرَّدونِ المرَّمنينِ والمرَّمنات ، إنما أنت معلم ومقوم . أمًا الإيذاء بحق ، مثل إقامة حد الزنا ، وحد السرقة ، وحد القنف ، والقصاص ، وقتال المرتدين ، فغير محرًم ، بل هر واجب ، لإقامة معالم الدين ، قال ﷺ في الحديث المتواتر الذي رواه أصحاب الكتب الستة عن أبي هريرة : «أمرت أن أفاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها» (٣٠).

وقد فهم أبو بكر من هذا الحديث أن الزكاة حق المال ، فقائل مانعى الزكاة ، وقال : والله لو منعونى عناقا كانوا يعطونه لرسول الله ﷺ لقائلتهم عليه ، وحاجه في ذلك عمر ، فقال أبو بكر : إلا بحقها ، والزكاة حق الأموال ، فشرح الله صدر عمر لما انشرح له صدر أبي بكر.

* * *

﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلنَّيِّ قُلُ لِأَزْوَجِكَ وَيَنَانِكَ وَنِسَاءِ ٱلْمُقْمِنِينَ يُثْرِنِي عَلَيْهِنَّ مِن جَلَيِيهِ مِنَّ ذَلِكَ أَدْنَ آَن يُعْرَفُنْ فَلَا يُؤْذَيْنُ وَكَاكَ ٱللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ۞ ۞ ﴾

المفردات،

جلابيبهن، الجلابيب جمع جلباب ، وهو ثرب واسع يقطى جميع الجسم ، كالملاءة والملحفة والعباءة ، يتخذنه إذا خرجن لداعية من الدواعي .

أن يعمر فن: أن يتمين عن الإماء والقيفات ، اللاتي هنُّ موضع التعرض للإيذاء من أهل الربية .

فلا يؤذين؛ أي: فلا يؤذين من أهل الريبة ، بالتعرض لهن بالكلمات الجارحة .

التفسيره

٥٩ – يَنْكَيْهَا ٱلنِّيُّ قُلُ فَأَزُو جِكَ وَيُعَلِكَ وَيِسَاءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُعْنِينَ عَلَيْهِنَّ بِن جَلَيْبِيهِنَّ ذَٰلِكَ أَفَلَيَّ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤَنِّنَ وَكَانَ ٱللَّهُ فَفُودًا وَحِيمًا .

تغيد كتب التفسير وأسباب النزول أن المسلمات في المدينة كن يشرجن لقضاء حاجتهن في الفضاء، أو بين النخطء، أو بين النخطء والمنتقل بميدًا عن البيوت، قبل الثخاف في البيوت، وكان الفسّاق يتبعون النساء، فإذا صرخت المرأة من غزلهن ومتابعتهن، علموا أنها حرة فتركوها، وشكت النساء إلى رسول الله هيءً، فأنزل الله هذه الآية.

المعنى:

أيها الرسول قل لزوجاتك أمهات المؤمنين ، ويناتك الطاهرات ، ونساء المؤمنين ، يسدلن عليهن جلابيبون إلنا خرجن لقضاء حاجة ، حتى يعرفهن الرجال ، فلا يطمع فيهن الفساق ، ولا تؤذى إحداهن بكلمة جارجة ، أو مراودة على الزنا .

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا .

فيغفر ما سلف منهن من التغريط في ليس الجلياب ، الساتر للجسم كله ، حيث كانت النساء في الجاهدة في الجاهدية ومدر الإسلام ، يخرجن لقضاء حاجتهن غير محتشمات ، فأمر الله النساء بالاحتشام ، وإسدال الثوب الخارجي الذي يستر الجسم ، فيعلم الناس أن هذه امرأة حرة ملتزمة ، فيبتعدون عن إيذائها بكلمة تجرح حياءها ، أو مراودتها عن نفسها .

تعليق :

الآن نشتكى كثيرًا من حوادث اختطاف البنات واغتصابهن ، حتى شددت مصر العقوبة على الاغتصاب ، وجعلت عقوبة الإعدام ، وتنادى الغيورون على الدين بوجوب التستر والاحتشام ، وقدم الناس لاعود للأباء والأمهات بمراقبة زى بناتهن ، ليكون مناسبًا ساترًا للجسم ، وأقول لكل مسلمة : عودى إلى دعو للأباء والأمهات بمراقبة زى بناتهن ، ليكون مناسبًا ساترًا للجسم ، وأقول لكل مسلمة : عودى إلى دينك وتراثك وترتشك ، وتمسكى بالزى الإسلامي ، الذى يدعو إلى ستر جميع جسم المرأة ، ما عدا الوجه والكفين ، وهذا التستر يضمن لك التصون والعفاف ، ويحميك من النظرات الجائعة ، والعيون الأئمة ، والكلمات الجارحة ، ويضمن لك ثواب الله ورضوانه ، وسعادة الدنيا والأخرة .

أمًا صيحات الأزياء ، واستعراض الأزياء العارية ، فليس وراءها إلا إرضاء الشيطان ، وإغضاب المرحمان ، وإغضاب الرحمان ، وإذا كسبت العرأة الشارع والمعجبين ، وخسرت الزوج والأسرة والذرّية ، فما أشد ضياعها ، إن سوق الزواج أصبحت راكدة ، ونسبة الطلاق زادت على ٣٢٪ ، وهي أعلى من ذلك بين الشباب ، ومن الفير أن نلتزم بأحكام الإسلام وآدابه في التربية ، وفي الزي ، وفي المنزل ، وفي العمل ، وفي المجتمع ، ويذلك نحافظ على شابانا ، وعلى مجتمعنا ، وعلى أمتنا والله ولى التوفيق .

في أعقاب الآية

١ - في الطبقات الكبرى لابن سعد، أن أحمد بن عيسى من فقهاء الشافعية ، استنبط من هذه الأية أن ما يفعله العلماء والسادات من تغيير لهاسهم وعمائمهم أمر حسن ، وإن لم يفعله السلف ، لأن فيه تمييزا لهم ، حتى يعرفوا فيعمل بأقوالهم . ٢ – فسر عدد من المفسرين إدناء الجلبات ، بأنه دعوة إلى لزوم تفطية وجه المرأة .

وأورد ذلك الطبرى ، وابن الجوزى ، وابن كثير ، وأبن حيان ، وأبن السعود ، والجمعاص الرازى ، ورأوا تفطية الوجوه والأبنان والشعور عن الأجانب ، أو عند الخورج لحاجة .

٣ – الأستاذ عبدالحليم أبو شقة قدم كتابًا من عدة أجزاء عن «معالم شخصية المرأة المسلمة» اعتمد فيه على القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، وقرر مشروعية سفور رجه المرأة ، وظهور يديها ، ومشروعية مشاركتها في الحياة الاجتماعية بحضور الرجال ، مع رعاية الضوابط الشرعية .

الأدلة الشرعية في القرآن والسنة ، وكتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، وأصول الفقه ، توضع أن
 جسم المرأة عورة ، ما عدا وجهها وكغيها ، وعند بعض الفقهاء : وقدميها ، ونحن نبارك ذلك امتدامًا لقوله
 تمالي : وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي اللّذِي مِنْ حُرَج ... (الحج : ٧٧) .

وندعو المسلمين إلى الالتزام بروح الدين وهديه ، بعيدًا عن تيارين :

الأول : التشدد والتزمت .

الثاني: الإباحية والخروج على أوامر الله.

أما الطريق الثالث الذي ندعو إليه فهو التوسط والاعتدال ، والاقتداء بروح القرآن ، وروح السنة المطهرة ، وأقوال الفقهاء ، وروح الإسلام العامة ، وهي الوسطية المعتدلة ، التي تراعي أوامر الشرع من جهة ، ومصالح المعاروعة من جهة أغرى .

قال تعالى : وَكَذَالِكَ جَعَلْنَاكُمُ أُمَّةً وَسَطًّا ... (البقرة : ١٤٣).

وقال ﷺ: «يسروا ولا تعسروا ، ويشروا ولا تنفروا» (٣٠٠ .

وقال الله تعالى : يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ... (البقرة : ١٨٥) .

﴿ لَإِن أَرْيَنَا الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَثُّ وَالْمُرْجِفُونَ فِى الْمَدِينَةِ لَنَّا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَيَنَا اللَّهُ اللَّ

المفردات

الناهبقيون الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

مسيسرش، ضعف إيمان ، أو نسوق وعصيان .

المرجسة ون، مروِّجو الأخبار الكاذبة ، ليبعثوا الرجفة والزلزلة في قلوب المؤمنين بأكانيبهم .

لتغرينك بهم ، لنحرضنك وتسلطنك عليهم .

سلممونين؛ مطرودين من رحمة الله .

شتسفسواه وجدوا.

أخسستواء أسروا .

سسنسة الله ، سنُّ الله ذلك في الأمم الماضية ، وهو أن يُقتل المنافقون الذين نافقوا الأنبياء ، وسعوا في وهنهم بالإرجاف ونحوه .

التفسير،

٦٠ - لِين لَمْ يَسَهُ الْمُسْلِقُونَ وَالسَّهِنَ فِي قُلُوبِهِم مُرَحَى وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ تَنْفُرِيتُكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجاوِزُنكَ فِيهَا إِلَّا فِيلِلاً.

كان المنافقون يشيعون الأراجيف عن للمسلمين ، فيقولون مثلا إن السريَّة الفلانية هُرَمت، أو قتل عدد منها، يبغون من وراء ذلك بثَ الدُّعر والخوف في نفوس المؤمنين ؛ فهددهم الله بالقتل والنفي واللعن والطرد. ومعنى الآية :

أقسم لئن استمر المنافقون في إيذاء المؤمنين ، واستمرَّ رواد الزنا في تتبع المؤمنات ، واستمرُّ أهل الإرجاف في إشاعة الأخبار الكاذبة عن المؤمنين ، وإشاعة الهزيمة عنهم ؛ لنسلطنك عليهم يا محمد ، فتعاقبهم بالعقاب الرادع ، ثم لا يقيمون معك في المدينة إلا وقتا قليلا ريثما يتمّ إخراجهم ، وطردهم أو قتلهم ، وقد أفاد بعض المفسرين أن الآية تشير إلى ثلاث طوائف :

ٱلْمُنَافِقُونَ . الذين أبطنوا الكفر وأطهروا الإسلام .

وَٱلسَّالِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ . أي : شهوة الزنا .

وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَائِيَةِ . الذين يتبعون المرأة حتى يغلبوها على عفتها ، ويغتصبوها عنوة .

وهرّلاء الطوائف يستحقون العقوبة الرادعة ، مثل قتل الزناة الذين يغتصبون المرأة ، فيكون قتلهم من باب السياسة الشرعية ، رعاية لحق المجتمع في الأمن والالتزام ("".

وذهب أغلب المفسرين إلى أن الآية تشير إلى فئة واحدة تتصف بثلاث صفات هى : النفاق ، والغش والخديمة ، والإرجاف فى المدينة ، وهو إشاعة السوء عن المؤمنين .

والآية تهديد للمنافقين وأضرابهم من اليهرد ، بأن الله سيمكن رسوله من طردهم وإخراجهم عقوبة لسرء فمالهم .

٢١ - مُلْمُونِينَ أَيْنَ مَا تُقِفُوٓا أُخِذُواْ وَلَقُلُواْ تَقْتِيلًا .

مُبغضين مطرودين من رحمة الله أينما وجدوا ؛ لأنهم ينشون الفتن ، فأينما وجدتهم أخذتهم وعاقبتهم ، فقتُلتهم تقتيلاً ، جزاء خيانتهم رزجزًا وتشريعًا لمن خلفهم .

٣١٠ - سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا .

شريعة الله العادلة التي شرعها وبينها وجعلها سمة باقية ، وسنّة متبعة في السابقين ، وهي مكافأة العاملين المصلحين ، ومعاقبة المنافقين المفسدين .

فقد أنفذ الله سنته وعدالته في المكذبين المفسدين من الأمم السابقة ، كقوم نرح ، وعاد وثمود ، وأصحاب مذين وفرعون وملئه ، واليهود عندما بخوا وأفسدوا سلط الله عليهم من ينتقم منهم .

وهكذا استمرت عناية الله بعباده ، أن يسلط بطشه على الظالمين ، وأن يعاقب المفسدين ، وآللُهُ لاَ يُحِبُّ أَقْسَادُ . (البقرة : ٢٠٥) .

وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا .

فهو سبحانه عادل في حكمه ، فقال لما يريد ، وكما أنزل بطشه بالمنافقين المكابين فيما سبق ، فسيفعل ذلك باللاحقين ، قال تعالى : أَلَمْ تُهُلِكِ ٱلْأَوْلِينَ ه ثُمْ تُتِجُهُمْ ٱلْآخِرِينَ ه كَذَالِكَ تَفْعَلُ بِٱلْمُحْرِمِينَ ه وَيُلَّ يُؤْمِنُولْ لَلْمُكُلِّينَ ، (المرسلاد: ١٩-١٩). وقال تعالى : إِنْ يَطْشَنُ رَبُكَ لَشَدِيدٌ ، إِنَّهُمْ هُنَ يُشِيئَ وَيُبِيدُ ، وَهُوَ ٱلْفَصُّرُ ٱلْوَدُودُ ه ذُو آهَرُهمِ آلَمَحِيدُ * فَعَالَ لَمَا يُرِيدُ ه هَلْ أَسَّنَكَ حَدِيثُ ٱلْجَنُّودِ ، فِرْعَوْنَ وَلَمُودَ ه بَلِ ٱلَّذِينَ كَشُرُواْ لِي تَكْلِيبٍ ، وَٱللَّهُ مِن وَرَالِهِم شُعِيطٌ * بَلْ هُوَ فُرْوَانَ مُّجِيدً ه فِي لَوْحِ مُحْفُوظٍ (البروج ٢٢-٢٢).

+ + +

﴿ يَسْنَكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةُ قُلْ إِنَّمَاعِلْمُهَاعِندَا لَقَّهُ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ فَرِيبًا ﴿ إِنَّ اللَّهُ لَمَنَ الْكَفِينِ وَاعَدُّ لَمُعْ سَعِيرًا ﴿ خَلِينَ فِيهَا آلِبَلُّ لَا يَجِدُونَ وَلِيتًا وَلاَ نَصِيدًا ۞ يَوْمَ تُقَلِّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِيقُولُونَ ذَكَ لَيْنَا اللَّهِ وَالْمَعْنَا الرَّسُولُا ﴿ وَقَالُوا رَبِنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَ نَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿ أَنَ الْمَعْنَا الرَّسُولُا مِنَ الْعَنَا وَ وَالْعَنْمُ لَمُنَاكَ عِبْرًا ﴿ ﴾

المردات

المستسماس؛ أهل مكة المشركون.

عبن الساهدة ، عن القيامة ، استهزاءً وتعنتا ، أو امتحانا .

قسريسيسا، ريما ترجد في زمن قريب، وفيه تهديد للمستعجلين.

لعن الكافرين، طردهم وأبعدهم عن رحمته.

سيسيعيراء نارا شديدة الاتقاد والاشتمال والاستمار

ولــــــاه معيدًا.

تستسميرا: ناصرًا يخلصهم من النار .

تقلب وجوههم: تدار من جهة إلى أخرى ، كاللحم يشوى بالنار.

سبادت أساء ملوكنا وقادتنا ، الذين لَقَّنوهم الكفر.

وكيراءنسساء علماءنا.

فأضاونا السبيلا ، أضلونا طريق الهدى بما زينوا لنا من الكفر.

ضعفين، مثلين.

المشهم لعشاء عذبهم وأبعدهم بلعن هو أشد اللُّعن وأعظمه.

كـــــيورا، أي : عدده ، أو عظيما .

التفسيره

...

٣٣ - يَسْتَلُكُ آلنَّاسُ عَن آلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ آللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلْ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا .

أي: يسألونك عن وقت قيامها ، وكان المشركون في مكة يسألون عن الساعة على سبيل الهزه والسخرية ، وكان اليهود يسألون عنها امتحانا وتعنتا ، لأنهم يعلمون من التوراة أن الله قد أخفاها ، فلم يطلع عليها ملكًا مقربًا ، ولا نبيًا مرسلاً ، حتى يجتهد الناس في دينهم وتقواهم ، وطاعتهم لله خشية قيام الساعة التي لا وقت لها ، فريًما نزل الموت بالإنسان فجأة ، إثر حادثة أو نازلة ، ومن مات فقد قامت قيامته، وهذا يجمله في حالة ترقب وانتظار وتوقع .

قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ...

فلا يعلم وقت مجينها إلا الله سبحانه وتعالى ، وفي آيات كثيرة يفيد القرآن أن الله أعفاها لحكمة إلهية عليا ، حتى يجتهد العباد ، ويجازى النَّاسُ على اجتهادهم عن عدالة ، كما أخفى الله المصلاة الوسطى في الصلوات الغمس ، وأخفى ساعة الإجابة في ساعات يرم الجمعة ، وأخفى أولياءه في خلقه ، وأخفى ليلة القدر في شهر رمضان ، أو في العشر الأواخر من رمضان ، وأخفى اسمه الأعظم في أسمائه الحسنى ، كل ذلك ليظل المؤمن مراعيا لحرمة العملوات جميعا ، وحرمة شهر رمضان ، أو العشر الأواخر كلها ويواظب على الاجتهاد في يوم الجمعة وليلته ، ويذكر أسماء الله العسنى كلّها .

ويعض الناس يدَّعى أن لعدد تسعة عشر أهمية كبرى ، ويدَّعى أن قيام الساعة سنة ١٩٩٩ م ، وكلها ترهات وأكاذيب لا حقائق لها ، وقد سبق أن ادعى كُهّان ومنجمون وفلكيون موعد قيام الساعة ، وظهر كذبهم وتخبطهم ، ثم هربوا من مُلاحقة الناس لهم ، والساعة غيب لا يعلمه إلا الله .

قال تعالى: يَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلَهَا وَلِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَلَهَا وَإِلَىٰ زَبَّكَ مُتَهَلَّهَا وَإِنْمَا أَنتَ مُلِيرُ مَن يَخْطُلُهَا و كَأَلُهُمْ يُؤُمُ يَرُونُهَا لَمُ يَلَيُّنَا إِلاَّ عَرِيُّهُ أَلْ ضُحِلُهَا . (النازعات: ٢٤-٤).

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا .

أى: إنها مع استثثار الله بعلمها ، فإنها مرجوة المجيء عن قريب ، فليعمل لها كل إنسان ، فمتاع الدنيا قليل مهما طال أمدها ، وَالْإَحْرَةُ خُيْرٌ لِّمَنْ الْقَلِي كُولاً تُطْلُونَ فَجِيلاً . (النساء: ۷۷) . وفى الصحيحين: أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الساعة ؟ فقال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأنبئك عن علاماتها: أن تلد الأمة ريتها ، وأن يتطاول رعاة الإبل البُهم فى البنيان ، وأن يصبح الحفاة العالة سادة الأميه ٢٠٠١ .

والموت أقرب إلى الإنسان من شراك نعله .

قال الشاعي:

والوت أدني من شراك نحلة

کـل امـرئ مصبّح نـی بـیـتـه

وقال تعالى : وَجَاءَتُ سَكُرَةُ ٱلْمُوْتِ بِٱلْحَقَّ ذَالِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ . (ق : ١٩) .

٤ ٣- إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدُ لَهُمْ سَعِيرًا .

إن الله طرد الكافرين من رحمته، فقد كغروا بالله تعالى، وجحدوا نعمه، فعاقبهم الله تعالى بالطرد من رحمته ، وإبعادهم عنها ، وأعد لهم فى الآخرة نارًا تتسعّر وتتلظى حتى يدخلوها ، ويصلوا سعيرها ونارها.

قال تعالى : فَأَنلَرْتُكُمْ نَارًا تَلَقَّىٰ م لَا يَصْلَـٰهَا إِلَّا ٱلْأَشْقَى م ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (الليل: ١٦-١٦) .

وهَال تعالى : إِنَّ ٱللَّهُ لاَ يَشْفِرُ أَن يُشْرَكُ بِهِ وَيَشْفِرُ مَا دُونَ ذَالِكَ لِمَن يَشَاءُ . . (النساء : ١١٦).

٦٥- خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ تَصِيرًا .

ماكثين في جهنم ، خالدين فيها خلورًا أبديا ، لا ينفك عنهم العذاب ، ولا يخفف عنهم ، ولا يجدون من يواليهم ويكون لهم مغيثا ومعينًا ينقذهم مما هم فيه ، ولا من ينصرهم ويخلصهم منه ، والمقصور أنه لا شفيع لهم يدفع عنهم العذاب .

٣٦- يَوْمَ تُقَلُّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَسْلَيْنَنَا أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرُّسُولَا .

اذكر يوم تتقلب وجوههم فى النار ، كما يشوى اللحم فيتعرض للنار من جميع جوانبه ؛ حتى لا تبقى صفحة لم تصل إليها النار .

وقد ذكر الوجه – مع أن جسمهم كلُّه يتعرض للنار – لأن الوجه أغلى ما في الجسم ، فإذا تعرض الوجه للنار كان آشد وأنكي وأظهر للعذاب .

قال تعالى : أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوٓءَ ٱلْعَلَىٰابِ يُوْمَ ٱلْقِيَـٰهَةِ ... (الزمر: ٢٤).

وذلك أن الوجه إذا تعرض للألم في الدنيا دافع عنه الإنسان بيده أو بجسمه ، لكن يوم القيامة يتعرض الوجه للعذاب ، ويتقلب ويتلوّن من لون إلى لون ، أو من حالة إلى حالة ، ثم يندم الكافر في وقت لا ينقم فيه الندم ، على حد قول الشاعر :

ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغى مرتع مبتغيه وخيم

ويتمنى الكافر حين يعنب أنه أماع الله وآمن به ، وأماع رسوله ، ودخل في دينه ، وصدُق برسالته . قال القرطعي :

وهذا التقليب: تغيير ألوانهم بلقح النار ، فتسود مرة ، وتخضر أخرى . ا هـ .

وحين يشتد العذاب عليهم ، وتبدَّل جاودهم ؛ يتمنون أنهم ما كنروا ، وهي أمنية ضائعة ، فقد فات الأوان ، إنما هي الحسرة على ما كان ، ثم تنطلق من ألسنتهم النقمة على سائتهم وكبرائهم الذين أضلههم.

٧٧ - وَقَالُواْ رَبُّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبِّرَاءَنَا فَأَصَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا .

وقال الكفار وهم يعنبون في جهنم: يا رينا لم نكن مجرمين أصناد، ولا أئمة في الكفر والضلال، بل كثًا ضعفاء تابعين، سرنا وراء الملوك والحكام والعلماء وأطعناهم، فمالوا بنا عن طريق الحق والهدى، وساروا بنا في طريق الضلال والكفران، يريدون أن يتملّصوا من المسئولية والتبعة، وأن يلقوا الذنب والإثم على القادة والكبار، ولكن هيهات، فقد أعطى الله كل إنسان العقل والإرادة والاختيار، وجعل عليه مسئولية شخصية.

قال تمالى : كُلُّ نَفْسِ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً . (المددر: ٣٨) .

٩٨ - رَانَنَا عَالِهِمْ ضِغْفَيْن مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا .

أى: أعط لهو لام الروساء والقادة والأثمة في الكفر ضعفي عنابنا؛ فضعف لكفرهم ، وضعف لإضلال الناس وغوايتهم ، وأبعدهم يا رينا من رحمتك بعدا عظيمًا سحيقاً لا أمل في رحمة بعده ، وهم بهذا إنما ينفسون عما في أنفسهم من غيظ وغضب ، والسعيد من شمله الله برجمته ، والشقى من لعنه وطرده من رحمته.

روى البخارى ، ومسلم ، عن عبد الله بن عمرو ، أن أبا بكر قال : يا رسرل الله ، علمنى دعاء أدعو به فى مسلاتى ، قال : «قل : اللهم إننى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب إلاَّ أنت ، فأغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الففور الرحيم: ⁰¹ .

وذكر ابن كثير أن هذه الآية تقرأ: (لعنا كبيرًا)، وتقرأ: (لعنا كثيرًا)، وهما بمعنى واحد.

﴿ يَتَأَيَّمُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَكُونُوا كَالَّذِنَ ءَاذَوْا مُومَىٰ فَرَلَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُولَّ وَكَانَ عِندَالَّهِ وَحِيهَا ۞ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَءَامَنُوا ٱنَّقُوا اللَّهَوَقُولُوا قَوْلَا سَلِينًا ۞ يُمَّا يَحَمُّ أَعَمَلُكُمُّ وَيَغْفِرْ لَكُمِّ ذُنُوبَكُمُّ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَفِرَنَا عَظِيمًا ۞ ﴾

لتفسيره

٩ ٩- يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَتُواۚ لاَ تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ عَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَيَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا .

هذه تربية للمؤمنين نحر نبيهم ، أن يحترموه ويعزروه ويوقروه ، وألا ينسبوا إليه ما لا يليق ، كقول بعض المنافقين : إن محمدا تزوج مطلقة ابنه ، وشغبوا عليه في ذلك ، بحثا عن أيُّ نقطة ينفذون منها إلى إنقامه ﷺ .

وفي الصحيح: أن بعض الأعراب قال للذي ﷺ ، وهو يوزع الغنائم : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، اعدل ، فتمتُر وجه النبي ﷺ ، وقال للأعرابي : هويحك ، فمن يعدل إن لم أعدل» ، ثم قال ﷺ : «يرحم الله أخيى موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصيري "") .

وقد أفاد القرآن الكريم أن بني إسرائيل كثر عنتهم ، فقالوا لموسى :

أَرِنَا ٱللَّهُ جَهْرَةً ... (النساء : ١٥٣) .

وقالوا: ٱجْعَل ثَّنَا إِلَيْهَا كُمَا لَهُمْ عَالِهَةٌ ... (الأعراف: ١٣٨).

وقالوا : فَالْهُمَبُ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاعِلاً إِنَّا هَاهُنَا قَالِعِدُونَ . (المائدة : ٢٤).

وأفادت كتب المحديم ، مما رواه الإمام البخارى ، والترمذى ، أن بنى إسرائيل اتهموا موسى بأن فى جلده برصا ، أو به أدرة ، أى : كبير الخصية ، وأنه لذلك يستتر بعيدا عنهم عند الاستحمام ، وأن موسى اغتسل يوما ووضع ثويه على حجر ، فطار الحجر بثويه ، فسار موسى وراء الحجر ، يقول : ثويى حجر .. ثويى حجر ، فرآه جمع من بنى إسرائيل ، فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله الله ...

وقد أفاد الفخر الرازي وغيره من المفسرين أن بني إسرائيل أشاعوا عن موسى النقائص : فنسبوا إليه السحر والجنون ، واطخره بالزنا ، وأشاعوا عنه أنه قتل أخاه هارون ، وكان هارون قد مات فدفنه في سيناه وعاد وحيدا . وقد أظهر الله براءة موسى من كل هذه النهم والأكاذيب، وقد حياه الله بالفضل حين رعاه وصنعه على عينه، ونجاه من الهمّ، ومن فرعون وملنه، وأعطاه الرسالة، وناداه من جانب الطور الأيمن، وجعل له سلطانًا، ومخطّه من أذى فرعون، وجعله الله من أولى العزم من الرسل، ورفع منزلته وأعطاه التوراة، وجعله جمعه ذا وحلمة و شف و صدة حصنة.

ومقصود الآية نهى المسلمين عن إيذاء الرسول ﷺ، غاشة تعالى مدح رسوله ويوأه المنازل العالية ، والابتعاد عن التشبه بقوم موسى الذين أذوه ، وقد برأه الله من التهم التي نسبت إليه ، وكان موسى وجيها عالى القدر والمنزلة عند الله تعالى .

قال تعالى : وَآذَكُرْ فِي ٱلْكِسَّبِ مُوسَى ٓ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَمُولًا تَبِيًّا ، وَلَلْمَيْسَاءُ مِن جَاتِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرْمُنَاهُ نَجِيًّا ، وَوَهَنَّا لَهُ مِن رَحْمَيَّا أَصَاهُ هَـرُونَ لَيًّا . (مربع : ١٥-٥٠) .

· ٧- يَنْأَيُّهَا ٱللَّذِينَ عَامَنُواْ أَنَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا .

يا أيها الذين أمنوا راقبوا الله بطاعته واجتناب محصيته ، والنزام الصواب من القول ، ويدخل فيه تلاوة القرآن ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهداية الضال ، وقول الحق وإن كان مرًّا ، والبعد عن السب والقذف ومقالة السوء ، وتطهير اللسان من كل فحش وبذاءة .

٧١- يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ دُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا .

أى: إذا اتقيتم وقلتم قولا صوابا صادقا كان الجزاء من الله تعالى أن يصلح أعمالكم ، بأن يمنحكم التوفيق والهداية ، وإخلاص النيّة ويوفقكم للأعمال الصائحة .

وَيُقْفِرُ لَكُمْ ذُنُويَكُمْ . . يسترها ويمنحكم المغفرة والتوية والمسامحة ، وتكفير السيثات وتطهيركم من النفوب .

وَمَن يُعِلِع ٱللَّهَ وَرَسُولَهُمْ فَقَدْ فَازَ قَوْزًا عَظِيمًا .

أى : من ألهاع الله والرسول في أداء الواجبات وترك المنهيات ، وتنفيذ أوامر الشرع ، والاقتداء بالرسول الأمين في قوله وعمله وهديه وسلوكه وآدابه ، فقد نال خيرا كبيرا بحسن السلوك في الدنيا، وسعادة القلب ، وراحة الضمير والتوفيق في حياته وسلوكه ، وفاز فوزاً عظيما في الآخرة بدخول الجنة . والتمتم برضوان للله رب العالمين . ﴿ إِنَّا عَرِضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمُونِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْحِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَعْيِلْنَهَا وَٱشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَلَهَا ٱلْإِنسُنُ إِنَّهُ كَانَ طَلُومًا جَهُولًا ۞ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ ٱلْمُنْفِقِينَ وَٱلْمُنْفِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُولًا رَحِيمًا ۞ ﴾

المقردات ا

عرضنا الأملاة؛ طلبنا القيام بحق الأمانة، وهي الثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية.

الأمسانسة: التكاليف الشرعية كالصلوات.

أبـــــين ، امتنعن .

اشد قات بن اخفن .

وحملها الإنسان؛ والتزم الإنسان القيام بها.

ظلموساء كثير الظلم.

جـــهــولا ، كثير الجهل .

التفسير،

٧٧- إِنَّا عَرَضَنَا ٱلْأَمَلَةَ عَلَى ٱلسَّمَنَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْعِبَالِ فَأَيْنَنَ أَنَ يَمْعِلْنَهَا وَأَشْفَقُنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِسْسُنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُونًا جَهُولًا .

خلق الله الكرن بقدرته ، ورفع السماء وبسط الأرض ، وأرسى الجبال ، وسخر الهواء والفضاء ، وسير الشمس والقمر والليل والذهار ، وجعل الظلمات والنور .

وهذا الكون خاضم لله خضوع القهر والغلبة ، فالسماء مرفوعة ، والأرض مبسوطة ، والجبال راسية والبحار جارية ، والليل مظلم ، والنهار مضيء ، والشمس مسخرة ، والقمر منير ، وكلَّ في فلك يسبحون ، ولا يملك أن يغير مساره ، أو يتمرد على وظيفته .

لَا ٱلشَّمْسُ يَنْبِعِي لَهَا أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلك يَسْبَحُونَ (يس : ٤٠).

وقال تعالى : فُمُّ آَسْتَوَكَا إِلَى آلسُّمَاءِ وَهِي دُحَانُ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ِ آلْتِهَا طُوعًا أَوْ كُرُهُا قَافَتَا أَيْنَا طَالِعِينَ . (نصلت: ١١) أى: أظهرت السماء والأرض من الخضوع والامتثال لأمر الله ما لو نطق لسان حالهما لقال: أَتَّتَا مَا اَيْعِينُ فهذا الكرن مسخر للطاعة الآلية، لا يملك غير الطاعة والالتزام، بدون تفكير أو امتناع عن أداء وظيفته.

أما الإنسان فقد خلقه الله بيده ، ونفع فيه من روحه ، وجعله خليفة في الأرض ، ومنحه الله العقل والإرادة والاختيار ، أي أنه يملك أن يطيع الله ، ويملك المعصية والكفر ، وترك الطاعات واقتراف المحرّمات. قال القفال و غيره :

العرض في هذه الآية ضرب مثل ، أي : أن السمارات والأرض والجبال على كبر أجرامها ، لو كانت بحيث يجوز تكليفها ، لثقل عليها تقلد الشرائع ، لما فيها من الثواب والعقاب ، أي أن التكاليف أمر حقّه أن تمخ السماوات والأرض والحيال عن حمله .

وقد كُلف الإنسان بحمل الأمانة فقبل الالتزام بأدائها ، حيث أعده الله لذلك بما زُوَّده من ملكات وغرائز وطبائم ، وما غرس فيه من قدرات . ا هـ .

إن الكون كله خاضع الله تحالى خضوعًا تاما ، وامتثالاً عمليا بدون عقل أن تفكير أو إرادة ، أما الإنسان فقد أعطاه الله العقل والإرادة والاعتيار وتحمل المسئولية .

وحين عرض الله تحمل الأمانة على الكون أبى أن يتحملها ، فلم يكن مهياً لذلك ، كما تقول : عرضت الحمل على البعير فأباه ، أي أن قدرات البعير كانت دون تحمل هذا الجمل .

أما الإنسان فقد تممل الأمانة ، وهي قبوله أن يثاب إذا أطاع ، وأن يعاقب إذا عمى ، وقد النزم بأداء الأمادة عنة قاملة .

وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشُّكُورُ . (سبأ : ١٣) .

وقد نرَّط معظم أفراد بنى آدم فى أداء حق الأمانة ، حيث كان معظم أفراد الإنسان (طَّلُومًا) تاركا للأمانة (جَهُولًا) بقيمة أداء الأمانة حيث يكون ذلك سببا في سعادته فى الدنيا والأخرة .

أي: أن من أفراء الإنسان من يختار المعصية والإنساء والشر ، ويستحق النار وجهدم عن جدارة ، وفي الحديث القدسي أن الله تعالى قال للجنة والنار : هولكل واحدة منكما على ملوها» .

٧٣– لِيُصَدِّبَ اللَّهُ ٱلْمُسْتِقِينَ وَٱلْمُسْتِقِعْتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيُعُوبَ اللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِينِنَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا .

فالله منخ الإنسان العقل والإرادة ، وأرسل له الرسل وأنزل الكتب ، لنتم إقامة الحجة . وتتنضع أساسه طرق الهداية والغواية . قال تعالى : إِنَّا هَلَيْنَكُ ٱلسَّبِيلَ إِنَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا . (الإنسان : ٣) .

وقال عن شأنه: وُسُلاً مُسْتَرِينَ وَمُعَلِرِينَ لِشَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَقَدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. (النساء: ١٩٥)

ولما كان الله قد زوَّد الإنسان بالعقل ، والقدرة على تحمل الأمانة ، وكرَّم الله الإنسان بالعقل ، وسخر له الكون ، فمن الطبيعي أن يطيع الله ، ويلتزم بأوامره بعض أفراده .

قال تعالى : وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشُّكُورُ . (سها : ١٣) .

و إِن يعصى كثير من أفراد الإنسان لوجود الظلم والجهل والفرور في تركيبهم ، وقصورهم عن التمالى والتسامى ، كما قال سبحانه : وَلَفْسِ وَمَا سُوسُهَا هَ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَقُوْسُهَا هَ قَدْ أَقَلْحَ مَن زَكْسَهَا هَ وَقَدْ خَابَ مَن دَسُنَهَا ، وَلَدْ مَا اللهَ مَن دَسُنَهَا ، والمُسى : ٧ - ٢).

كان كل ذلك مؤدياً إلى استحقاق العصاة للعذاب ، واستحقاق المؤمنين الطائعين للتوية والمغفرة والرحجة. جاء في ظلال القرآن :

لَيُسَلَّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُسْتِفِقِينَ وَٱلْمُسْفِقِدَتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَسْتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنْتِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَقُورًا رُجِمَنًا .

فالمتصاص الإنسان بحمل الأمانة ، وأهذه على عاتقه أن يعرف بنفسه ، ويهتدى بنفسه ، ويعمل بنفسه ، ويصل المنافقين والمشركين والمشركات ، وليمد الله يد العون للمؤمنين والمؤمنات فيتوب عليهم مما المنافقين والمؤمنات فيتوب عليهم مما يقعون فيه تحت ضغط ما ركب فيهم من نقص وضعف ، وما يقف في طريقهم من حواجز وموانع ، وما يشعم من جواذب وأثقال ، فذلك فضل الله وعونه ، وهو أقرب إلى المففرة والرحمة بعباده (**) و كَانَ ٱللهُ عُمُورًا رُحِيمًا

خاشة

اشتملت سررة الأحزاب على كثير من الشئون الزرجية ، ومن المناسب أن نذكر نبذة عن أمرين كثر الشوض فيهما من بعض المغرضين ، ومن نابئة الإسلام الذين تطموا في مدارسهم ، وسمعوا كلام الميشرين، وليتهم فكّروا وتأملوا قبل أن يتكلموا .

فعاند من تطيق له عنادًا

أرى الحنقاء تكبر أن تصادا

الأول: تعدد زوجاته ﷺ.

الثاني : إباحة تعدد الزوجات لعامة المسلمين.

أسباب تعدد زوجاته ﷺ

مقدمة:

تزوج النبى ﷺ خديجة بنت خويلد وعمره خمس وعشرون سنة ، ومكث معها خمسًا وعشرين سنة ، ومات معها خمسًا وعشرين سنة ، ومات وماتت وعمره الشريف ألله وماتت وعمره الشريف خمسون سنة ، ولم يتزوج عليها في حياتها ، وخلل وفيا لذكراها ، وكانت تدافع عنه وتسانده في تبليغ الرسالة ، وسمّى العام الذي ماتت فيه عام الحزن ، وكان عمر خديجة عندما تزوج بها النبي ﷺ أربعين سنة ، وعندما ماتت كان عمرها خمسًا وستين سنة ، وقد أنجب منها القاسم ، وعبد الله الذي كان يلقب بالطبي والطاهر ، ورزق منها فاطمة ورقية وزينب وأم كثفره .

أسباب عسامة

الرسول ﷺ مكلف بتبليغ رسالته للرجال والنساء ، وزوجاته كنَّ ببلغن الشريمة وأمور النساء إلى النساء ، أم النساء ، ثم إن الرسول ﷺ مكلف بالبلاغ للرسالة ، فكان إذا بلُغ زوجاته قد أدى هذا البلاغ ، وهن يبلغن المسلمين والمسلمات .

وكانت القبائل تتشرف بإصهار الرسول ﷺ إليها ، وتسارع في نصرة الإسلام لذلك ، وكان معظم زيجاته من قريش ، قبيلة الخلافة والرئاسة للعرب .

أسبباب خاصة

 ١ - تزوج عائشة بنت أبى بكر وزيره ، وكانت ففيهة أديبة شاعرة عائمة ، وقد استدركت على الصحابة كثيرا من أحكام الفقة والحديث وعلوم الدين .

 ٢ - تزرج حقصة بنت عمر مكافأة لزوجها الذي توفي مجروحًا في غزوة بدر ، وكان في زواج: إكرام الأبيها عمر بن الخطاب .

- ٣ سودة بنت زمعة بنت عيد شمس القرشية، توفي عنها زوجها السكران بن عمر بن عيد شمس (ابن عمها)
 بعد الرجوع من العبشة ، ولم يُرو أن سودة كانت جميلة أو غنية ، إنما كانت من المهاجرات المؤمنات .
 وقد مات زوجها ، فتزوجها الذي ﷺ ليعولها ويكرمها .
- ٤ زينب بنت جحش الأسدية ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الش ﷺ ، ربيت بعينه ورعايته وخطبته المبطل وخطبها المبطل وخطبها المبطل على المبل ، في أنه لا يجوز أن يتزرج الأب زيجة البنه الدعي .
- قال تعالى: فَلَمَّا فَعَىٰ زَيْدٌ مُنْهَا وَطُرًا زَوْسَّلَكُهَا لِكُيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزُوَاجٍ أَدْصِيَاتِهِمْ إِذَا فَعَمُواْ مِنْهُنْ وَطُوا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْسُولاً . (الأحزاب: ٣٧) .
- أم سلمة ، وهى هند بنت أبى أمية المخزومية ، مات زوجها في غزوة أحد ، وترك لها أولادًا صغارًا ،
 فتزوجها النبي ﷺ لكنالتها ورعاية أطفالها ، وهى صاحبة المشررة الحسنة في صلح الحديبية .
- ٢ جريرية بنت الحارث الهلالية ، وأبوها سيد بنى المصطلق ، وقد وقعت فى الأسر ، ففك الذبى أسرها
 رتزوجها ، فكانت أيمن امرأة على قومها ؛ فقد أعتق المسلمون أسرى بنى المصطلق ، وقالوا : لا نسترق
 أصهار النبى ﷺ.
- حسفية بنت حيى بن أخطب الإسرائيلية ، وقد وقعت في الأسر فاصطفاها النبي ﷺ وأعتقها وتزوجها،
 على عادة الملوك إذا غلبوا على قوم أن يتزرجوا بنت ملكهم تقريا إليهم وتألفا لهم .
- ٨ أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان ، أسلمت بمكة وهاجرت إلي المبشة مع زوجها عبد الله بن جحش :
 فتتمّر زوجها هناك وفارقها ، فأرسل النبي 義則 إلى النجاشى فخطبها له ، وأصدقها النجاشى أربعمائة دينار مهرا نيابة عن النبي 義.
- واخلاصة: أنه هي راعى المصلحة العامة فى زواجه ، وراعى كفالة الأيتام ، وتعويض الأرملة عن موت زوجها شهيدًا ، وردُ الجميل لوزيريه أبى بكر وعمر ، وتعويض بنى المصطلق عن هزيمتهم بزواج بنت سيدهم ، ومكافأة اليهود من بنى النضير بزواج صفية بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير ، إلى غير ذلك من الأهداف السامية .
- كما تسرّى النبي ﷺ بمارية القبطية التي أهداها له المقوقس عظيم القيط بممىر في جملة هدايا ، فأسلمت ونخل بها ﷺ ، ووادت له إبراهيم : فأعتقت (**)

تعدد الزوجات عند السلمين

في صدر الإسلام كثرت الغزوات والفتوح ، وأباح الله تعدد الزوجات كطريق مشروع إلى إحممان الرجل والمرأة على السواء ، فالرجل أكثر تعرضا لمخاطر الحروب ، ويترتب على ذلك توافر أعداد من النساء ليس لهن من يكتلهن أو يحممنهن ، فالتعدد وسيلة لإشباع حاجة المرأة .

وقد تمرض الزوجة مرضا يمنعها من أداء وظائفها ، ويريد زوجها أن يعف نفسه عن الحرام ، وأن يرعى زوجته الأولى في نفس الوقت .

وقد تكون الزوجة عقيما لا تلد، وتشتد حاجة الزوج إلى الولد، مع الوفاء لزوجته العقيم.

وقد تقوى طبيعة الرجل الجنسية ، وتشتد حاجته إلى زرجة أشرى ، وقد تفلب العاطفة والحب قلب الرجل المتزرج ، ويجد فى نفسه القدرة على الزواج مرة ثانية حفاظا على دينه وعرضه .

وقد اشترط الإسلام شروطا ولجية منها : القدرة على النفقة ، والقدرة على العطاء بكلُّ أنواعه لكل زوجة ، والقدرة على العدل ، فإذا خاف الإنسان من عدم العدل وجب أن يقتصر على زوجة واحدة .

وفى الحديث الشريف: «من كانت له زوجتان نمال إلى إحداهما دون الأخرى ؛ جاء يرم القيامة وأحد شقيًّه ماثل» ("").

وقد تحدثت في توسع عن هذا الموضوع في كتاب «المرأة في الإسلام» الياب الضامس: تعدد الزوجات، وذكرت أن علماء الدين الإسلامي في موضوع تعدد الزوجات ، فريقان :

الفريق الأول: يرى أن التعدد غير مرتبط بالضرورة ، بل هو جائز أصلا من غير ضرورة .

القريق الثانى : يرى أن التعدد وجد فى القرآن عندما يكون الإنسان وصينًا على يتيمات ، وفهون من تصلح الزواج ، وهو مضطر للدهول عليهن ، ولا يقبل أن يكون فاتننا أن مفتونا ؛ فأبيح له التعدد كخروج من مأزق عدم للعدل فى الهتامى ، وإذا شاف من عدم العدل بين الزيجات وجب الاقتصار على زوجة واحدة .

وهكذا يصبح القعدد في الإسلام للضرورات التي تبيح المحظورات ، ولكنها تقدر بقدرها .

ويرى الإمام محمد عبده أن التعدد في صدر الإسلام كانت له محاسنه ، حيث النفوس سليمة، والتربية الإسلامية لها أقارها الطيبة في النفوس ، لكن التعدد الآن له أضرار متعددة ، ولا نستطيع تربية الأمة تربية إسلامية حسنة مع انتشار تعدد الزوجات . ويرى الإمام محمد عبده، والسيد رشيد رضا، والشيخ محمد المدنى عميد كلية الشريعة بالأزهر سابقًا، أنه ليس فى دين الله ما يمنع من أن يعهد بإباحة التعدد إلى جهة حكومية ، أو شرعية ، أو أهلية تكون مهمتها التأكد من أن هناك دواعى حقيقية للتعدد ، وأن هناك ضمانات للعدل وعدم الجور ، ومهمة هذه الهيئة الاطمئنان على تنفيذ ما شرطه القرآن الكريم من شروط لإباحة التعدد ، وأنَّ طالب التعدد أهل للالتزام بالضوابط التى وضعها الإسلام لذلك ⁴⁴.

قال تعالى : وَإِنْ خِفْتُمُ أَلَا تُفْسِطُوا فِي ٱلْتَسْنَىٰ فَاتَنكِخُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنَّسَاءِ مَشَىٰ وَقُلَـثُ وَرَبْخَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَا تُعْلِوا لَمُوْحِدُةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنْتُكُمْ ذَالِكَ أَذَىنَ أَلاْ تَعُولُوا . (النساء : ٣).

* * *

خلاصة ما تضمئته سورة الأحزاب

- ١ الأمر بتقوى الله وعدم طاعة الكافرين.
- ٢ -- إبطال العادة الجاهلية ، وهي إعطاء المتبنى حكم الابن ، وبيان أن الدين منه براء .
 - ٣ إرجاع التوريث إلى الرحم والقرابة.
- ذكر النعمة التي أنعم الله بها عليهم في وقعة الخندق ، من تيسير النصر بعد أن اشتد الخطب .
- تغيير نساء النبي ﷺ بين شيئين: الفراق إذا أردن زينة الحياة الدنيا، والبقاء معه إذا أردن الله ورسوله والدار الآخرة.
- التشريد عليهن بمضاعفة العذاب إن ارتكبن الغواحش، ونهيهن عن الخضوع، وأمرهن بالقرار في البيوت، ومدارسة القرآن والسنّة، ونهيهن عن التبرج.
 - ٧ قمنة زينب بنت جحش ، وزيد مولى رسول الله ﷺ.
 - ٨ ما أحل الله لنبيه من النساء ، وتحريم الزواج عليه بعد ذلك .
 - ٩ -- النهى عن إيذاء المؤمنين للنبي ﷺ ، إذا دخلوا بيته لطعام ونحوه .
 - 10- الأمر بكلام أمهات المؤمنين من وراء حجاب.
 - ١١ أمرهن بإرشاء الجلباب إذا خرجن لقضاء حاجة .
 - ١٧- تهديد المنافقين وضعاف الإيمان ، والمرجفين في المدينة .
 - ١٣ سؤال المشركين عن الساعة متى هي .
 - ١٤ النهى عن إيذاء النبي ، حتى لا يكونوا كبني إسرائيل الذين آذوا موسى .
 - ١٥- ما هي الأمانة ؟ وما معنى عرضها وتحملها ؟



أهكاف سجورة سيأ

سورة سبأ سورة مكية ، نزلت بعد سورة لقمان . وقد نزلت سورة سبأ في الفقرة ما بين السنتين الحادية عشرة والثانية عشرة من حياة الرسول بمكة بعد البعثة ، فقد جاء الوحى إلى النبي وعمره أربعون سنة ، ثم مكث في مكة ثلاثة عشر عاما ، وفي المدينة عشرة أعوام ، ومات وعمره ثلاث وستون سنةً .

وكانت سورة سبأ ضمن مجموعة السور التي نزلت في السنوات الأخيرة من حياة المسلمين بمكة .

وعدد آيات سورة سبأ 94 آية ، وسميت بهذا الاسم لاشتمالها على قصة سباً ، وهى مدينة من المدن القديمة في اليمن ، وكانت عاصمة دولة قديمة بها ، وقد خريت عند انههار سد مأرب بسبب سيل العرم .

قال تعالى : نَقَدْ كَانَ يُسْتَوِ لِمَى مَسْتَكَنِهِمْ ءَائِهَ جَنْتَانِ عَن يَمِيرَ وَشِمَالِ كُلُواْ مَن رَّذِقِوْ زَلِكُمْ وَالْمَكُرُواْ لَمُهُ بَلَدُهُ طَيْتُهُ وَرِبٌّ غَفُورٌ هَ فَأَغَرَ شُواْ فَأَرْسُكَنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ آلْقُومِ وَبَلْكَنْ لَهُمْ بِحَنْتَيْهِمْ جَنْتَيْنِ ذُولَتَنَى أَكُولٍ صَمْطِ وَآلُولِ وَهَـَيْءٍ مِّن سِلْدٍ قَلِيلِ هَ لَالِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفُورُواْ وَهَلْ لَجَدْرِي إِلَّا ٱلْكُلُورُ . (سبا : ١-١-١٧)

موضوعات السورة

موضوعات سورة سبأ مى موضوعات العقيدة الرئيسية : توحيد الله ، والإيمان بالوحى ، والاعتقاد بالبحث ، وإلى جوارها تصحيح بعض القيم الأساسية المتعلقة بموضوعات العقيدة الرئيسية ، ويبان أن الإيمان والعمل الصالح – لا الأموال ولا الأولاد – هما قوام الحكم والجزاء عند الله ، وأنه ما من قوة تعصم من بعلش الله ، وما من شفاعة عنده إلا بإذنه .

والتركيز الأكبر في السورة على قضية البعث والجزاء ، وعلى إحاملة علم الله وشعوله ، وبدقته ولطفه، وتتركز الإشارة في السورة إلى هاتين القضيتين بطرق متنوعة ، وأساليب شتى ، وتظلل جو السورة كله من البدء إلى النهاية .

فعن قضية البعث تقول السورة : وَقَالَ ٱللَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَ ٱلسَّاحَةَ لُقَلْ بَلَىٰ وَرَنِّى فَأَيْتِكُمْ ... (سبا : ٣) . ويرد قرب ختام السورة : قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقَلِفُ بِالْحَقِّ عَلَيْمُ ٱلْفَيْوِ بِ . (سِيا : ٤٨) .

وقد عرض الفيروزبادي مقصود السورة فقال:

بيان حكمة التوحيد ، ويرهان نبوة الرسول ﷺ ، ومعجزات داود وسليمان ووفاتهما ، وهلاك سباً ، وبثرَّم الكفران ، وعدم الشكر ، والزام الحجة على عباد الأصنام ، ومناظرة أهل الضلالة ، وذكر معاملة الأمم الماضية مع النبيين ، ورعد المُنققين والمتصدقين بالإخلاف ، والعودة إلى الزام الحجة على منكرى النبوة ، وتمنى الكفار في وقت الوفاة الرجوع إلى الدنيا . ا هـ .

ونلاحظ أن هذه القضايا التي تعالجها السورة ، قد عالجتها السور المكية في مواضع شتى ، ولكنها
تعرض في كل سورة مصحوبة بمركزات متنوعة جديدة على القلب في كل مرة ، ومجال عرضها في سورة
سبأ يأتي مصحوبا بمركزات عدة ، ممثلة في رقعة السماوات والأرض الفسيحة ، وفي عالم الغيب المجهول
المرهوب ، وفي ساحة الحشر الهائلة العظيمة ، وفي أعماق النفس المطوية اللطيفة ، وفي محافف التاريخ
المعلومة والمجهولة ، وفي مشاهد من ذلك التاريخ عجيبة وغريبة ، وفي كل منها مؤثر موح للقلب البشرى،
مرقظ له من الغفلة والضيق والهمود .

فمنذ افتتاح السورة وهى تفتح العيون على هذا الكون الهائل ، وعلى صحائفه وما فيها من آيات الله. وعلى مجال علمه اللطيف الشامل ، الدقيق الهائل .

وتستمر السورة في مناقشة المكنبين والزامهم بالحجة وليقافهم أمام فطرتهم ، وأمام منطق قلوبهم بعيدًا عن الغواشي والمؤثرات المصطنعة ⁸⁴.

قال تعالى : قُلْ إِلْمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةِ أَن تَقُومُواْ لِلْهِ مَثَىٰ وَقُوْ احْنَا لُمْ تَفَكَّرُواْ مَا بِمَاحِيكُم مِّن حِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَدِيرٌ كُكُم يَشِرَ يَدَى خَلَابِ شَلِيدٍ . (سِبا ٤٠٠) .

و هكذا تطوف السورة بالقلب البشرى في مجالات متنوعة ، وتواجهه بالحقائق والأدلة والحجج ، حتى تنتهى بمشهد عنيف أخاذ من مشاهد القيامة .

قصول السورة

يجرى سياق السورة في عرض موضوعاتها في جولات قصيرة متلاحقة متماسكة ، يمكن تقسيمها إلى ستة فصول :

١ - الألوهية وإثبات البعث :

تحدثت الآيات التمم الأولى من السورة عن عظمة الخالق المالله لما في السماوات والأرض ، المحمود في الآخرة وهو الحكيم الخبير ، وقررت شمول علمه الدقيق لما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما يغزل من السماء وما يعرج فيها ، ثم تطرقت للحديث عن إنكار الكافرين لمجّىء الساعة ، وردت عليهم بتأكيد إتيانها ، لتتم إثابة المؤمنين ، وعقوبة الكافرين ، وليستيقن الطماء والمؤمنون أن القرآن حق وصدق ، ومداية إلى صراط العزيز الحميد ، ثم تحدثت عن عجب الكفار من قضية البحث واستيعادهم لوقوعه ، بعد أن يموترا ويمزقوا كل معزق ، وأجابت عن ذلك بأنه لا وجه لاستيعادهم ، وهم يرون من كمال قدرة الله ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ، وهددت المكذبين بخسف الأرض من تحتهم ، أو إسقاط السماء كسفا عليهم .

۲ – داود وسليمان :

تتناول الآيات من (۷۰ ~ ۱۶) طرفا من قصة داود وسليمان وتذكر نعمة الله عليهما وفضله ، فلاد أعطى داود النبوة والزبور والصوت الحسن ، وإذا سبح الله سبحت معه الجبال والطير ، وألان الله له الحديّد ، وأوحى إليه أن يعمل دروعا سابغات للحرب ، كما حثه الله على العمل الصنالح ، فإنه سبحانه يصبر خبير،

وقد سخر الله تسليمان الربح ، نهابها شهر ورجوعها شهر ، تحمل بساطه هو وخاصته إلى حيث يشاء، وقد ذلل الله له الجن تعمل له أنواع المصنوعات ، فلما انقضى أجله مات واقفًا متكنًا على عصاه ، وما دل الجن على موته إلا أرضة قرضت عصاه فسقط ، فانطلقوا بعد أن كانوا مسجونين .

٣ - قصة سيأ :

ضرب الله مثلا للشاكرين بداود وسليمان ، وقليل من الناس من يدرك فضل الله عليه ، وعظيم تعمائه التي لا تعد ولا تحصى ، ثم ضرب الله مثلا للبطر وجحود النعمة بمملكة سبأ ، وقد سبق أن وُصفت في سورة النمل بالعظمة والقوة ، فلما آمنت بلقيس وكفر من جاء بعدها وأعرضوا عن شكر الله أصابهم الدمار.

وسباً أسم لقوم كانوا يسكنون جنوبى اليمن ، وكانوا في أرض مخصبة لا تزال منها بقية إلى اليوم ، وقد ارتقوا في سلم الحضارة ، حتى تحكموا في مياه الأمطار الغزيرة التي تأتيهم من البحر في الجنوب والشرق ، فأقاموا خزانا طبيعيا يتألف جانباه من جبلين ، وجعلوا على فم الوادى بينهما سدًا به عيون تفتح وتغلق ، وخزنوا المياه بكميات عظيمة وراء السد وتحكموا فيها وفق حاجتهم ، فكان لهم من هذا مورد ماثى عظيم ، وقد عرف باسم : سد مأرب .

وهذه الجنان عن اليمين والشمال ، رمز لذلك الخصب والوفرة والرخام والمتاع الجميل ، ولكنهم لم يشكروا نعمة الله ولم يذكروا ألاءه ، فسلبهم هذا الرخاء ، وأرسل السيل الجارف الذي يحمل العرم في طريقه – وهي الحجارة – لشدة تدفقه ، فحطم السد وإنساحت المياه فطفت وأغرقت ، ثم لم يعد الماء يخزن بعد ذلك فجفت الجنان واحترقت ، وتبدلت تلك الجنان الفيحاء صحراء تتناثر فيها الأشجار البرية الغشنة ، ذَالِكُ فَجُنْتُهُم بِنَا كُمُّورً . (سيا: ١٧) .

وقد استغرقت قصة سبأ الآيات من (١٥ - ٢١).

٤ - الشرك والتوحيد :

المتآمَل في الآيات من (٢٧ – ٢٧) في سورة سباً يجد ظاهرة متميزة. حيث تكرر قول : قُلُ ، في أول هذه الآيات ، كما تضمنت عددًا من الأسئلة والحقائق ، في أسلوب رائع قوى .

لقد بدأت الآيات بتحدى المشركين أن يدعوا الذين يزعمون أنهم آلهة من دون الله ، وهم لا يملكون نفمًا ولا ضرا ، ولا يملكون شفاعة عند الله – ولو كانوا من الملائكة – فالملائكة يتلقون أمر الله بالخشوع الراجف ولا يتحدثون حتى يزول عنهم الفزع والارتجاف العميق ، ويسألهم الله عمن يرزقهم من السماوات والأرض، والله مالك السماوات والأرض وهو الذي يرزقهم بلا شريك ، ثم يفوض أمر النبي وأمرهم إلى الله ، وهو الذي يفصل فيما هم فيه مختلفون ، ويختم هذا الفصل بالتحدى كما بدأه ، أن يروه الذين يلحقونهم بالله شركاء ، كُلاً بَلُ هُوَ آللُهُ آلْوَرِيْزُ أَلْحَكِيمُ (سها: ٧٧) .

وهكذا تطوف الآيات بالقلب البشرى في مجال الوجود كله: حاضره وغيبه ، سمائه وأرضه، رنياه وآخرته ، وتقف به أمام رزته وكسبه وحسابه وجزائه ، كل ذلك في فواصل قوية ، وضريات متلاحقة وآيات تبدأ كل آية منها بغنل الأمر: قُلُ ، وكل قولة منها تدمغ بالحجة ، وتصدع بالبرهان في قوة وسلطان .

وفي أعقاب هذه الآيات بيان لرسالة الرسول، وأنها عامة للناس أجمعين : وَمَا أَرْسَلَمُنَاكَ إِلاَّ كَالَّهُ لَلنَّاسِ بُشِيرًا وَلَائِيرًا وَلَكِنَ أَكُورَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . (سيا: ۲۸) .

مشاهد القيامة والجزاء :

يستغرق الفصل الضامس فى السورة الآيات من (٢٩ – ٤٦) ، ويبدأ بسؤال يوجهه الكفار للنبي عن يوم القيامة ، استبعادًا لوقوعه ، والجواب أن ميعاده لا يتقدم ولا يتأخر ، وقد اعتز الكفار بالأموال والأولاد ، وقالوا : لن نزمن بهذا القرآن ولا بالكتب السابقة عليه .

وهنا يعرض القرآن موقف الظالمين أمام ربهم، حيث يتحاورون فيراجع بعضهم بعضًا ، كل منهم يحاول أن يلقى التبعة على أخيه ، فيقول الضعفاء للسادة والكبراء : لقد تصديتم لنا بالإغراء ، والمكر بنا ليلا ونهارا، حتى أفسدتم علينة رأينا ، وجعلتمونا نكفر بالله ، ونجعل له نظراء من الآلهة الخيالية ، ويحتج الكبراء ويقواون : أنحن منعناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين إذ أخذتم الكفر عنا بالتقليد .

وعض الجميع بنان الندم حين رأوا المداب ، والأغلال في أعناقهم ، ثم نرى المترفين يقاومون كل إصلاح ، ويكذبون كل رسالة : وَمَا أَرْسُلُنَا فِي فَرَيْهَ سِّ تَلْهِرِ إِلاَّ قَالَ مُتَوْفُوهَا إِنَّا بِمَا أَرْسِلُتُم بِهِ كُنْفُورُونَ . (سِها: ٣٤). وفى مشاهد القيامة يتضع أنه لا الملائكة ولا الجن الذين كانوا يعبدونهم فى الدنيا ، يملكرن لهم فى الأخرة شيئا .

كما توضع الآيات أن بسط الرزق وقبضه أمران يجريان وفق إرادة الله، وليسا دليلا على رضا أو غضيه ولا على قرب أو بعد ، إنما ذلك ابتلاء واختبار .

٣ - الدعوة إلى التأمل والتفكر:

فى الآيات الأخيرة من السورة من (٤٣ ~ ٤٥) ، حديث عن عناد الكافرين وجحودهم من غير برهان ولا دليل ، وتنبيه من القرآن بما وقع لأمثالهم ، وعرض لمصارع الغابرين الذين أخذهم النكير فى الدنيا ، وهم كانوا أقوى منهم وأعلم وأغنى .

ويعقب هذا عدة إيقاعات عنيفة ، كأنما هى مطارق متوالية ، يدعوهم فى أول إيقاع منها إلى أن يقوموا لله متجردين ، ثم يتفكروا غير متأثرين بالحواجز التى تمنعهم من الهدى ومن النظر المسحيح . وفى الإيقاع الثانى يدعوهم إلى التفكير فى حقيقة البواعث التى تجعل الرسول ﷺ يلاحقهم بالدعوة ، وليس له من وزاء ذلك نفم ، ولا هو يطلب على ذلك أجرا ، فما لهم يتشككون فى دعوته ويعرضون ؟

وتوالت الآيات تبدأ بلفظ: قُلْ ... وكل منها يهز القلب هزا ، فمحمد لم يسألهم أجرا بل أجره على الله ، ومحمد ﷺ مؤيد بالحق ، والحق غالب والباطل مغلوب .

ثم تلطف في وعظهم فذكر أن محمدًا ﷺ إن ضل فضلاله إنما يعود عليه وحده ، وإن اهتدى فبهدى الله له له ثم بين سره حالهم إذا فزعوا يوم القيامة إلى ربهم ، فلا يكون لهم فوت منه ولا مهرب ، وذكر أنهم يؤمنون به في ذلك الرفت فلا ينفعهم إيمانهم ، وتختم السورة بمشهد هؤلاء الكفار ، وقد حيل بينهم ويين ما يشتهون من الإيمان في غير موعده ، والإقلات من العذاب والنجاة من أهوال القيامة ، كما فُعل بأشياعهم من كفرة الأمم التي قبلهم ، إنهم كانوا في شك موقع في الارتباب .

وهكنا تختم السورة بمشهد يثبت قضية البعث والجزاء، وهي القضية التي ظهرت خلال السورة من بدايتها، قال تعالى: وَحِيلاً يَنْتُهُمْ وَيُسْرَعَ مَا يُشْتَهُونَ كَمَا قُولاً بِأَشْيَاعِهِمْ مَّنْ قِبْلُ إِنْهُمْ كَانُواْ فِي شَكَّ مُّرِب . (سياً: ٤٥).

سورة سيأ

سورة مكية ، وعدد آياتها ٥٤ آية ، وسميت بهذا الاسم لورود قصة سبأ بها .

أهم مقاصد سورة سباً :

١ -- تمجيد الله والثناء عليه ، وتخصيصه بالحمد في الأخرة .

٢ – إثبات أمر قيام الساعة .

٣ - قصة داود أو جانب منها .

3 - قصة سليمان أو جانب منها.

ه - قصة سبأ وعاقبة كفرهم.

٦ – مشاهد القيامة .

٧ – عاقبة المترفين والكافرين.

عِلْقَهِ الْخُوْالِيْ

﴿ اَلْمَنْدُلِلَهُ الَّذِى لَهُ مَا فِي السَّمَوُتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْمُنْدُ فِي الْآخِرَةَ وَهُوا لَحَكِيدُ الْخِيرُ ۞ يَعْلَمُ مَا لِيجُ فِ الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَعْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ وَهُوَ الرَّحِيدُ وُالْفَقُورُ ۞ ﴾

المفردات،

الممدد السلسة؛ الحمد هو الثناء على الله بما هو أهله ، أو الثناء على الله بجميل صفاته وأفعاله .

العك يسم الذي أحكم أمر الدارين ودبَّره بمقتضى الحكمة .

الخ بياد الذي يعلم بواطن الأمور.

يست في الأرض: يدخل فيها ، كالماء ينفذ في موضع وينبع في آخر ، وكالكنوز والدفائن والأموات . وما يعضرج مشها، كالزروع والنباتات والحيوان والفلزات وماء العيون .

وما ينزل من السماء ، من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق ، والأرزاق والملائكة والكتب والمقادير.

وما يصرح فيها: يصعد فيها من أعمال العباد، والأبخرة والأدخنة والملائكة، وغير ذلك.

تمهيده

تبدأ السورة بالحمد لله ، ضمن خمس سور في القرآن الكريم بدأت بالحمد لله ، وهي :

- ١ -- الفاتحة : ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبُّ ٱلْعَلْمِينَ .
- ٢ الأنعام : ٱلْحَمُّدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاقَ ات وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ ...
 - ٣ الكهف : ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيَّ أَلزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ, عِوجًا .
- ٤ سبا : آلحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُ, مَا فِي ٱلسَّمَاوَ " تِوَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْآخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ .
- ه خاطر : آلحَمَٰدُ لِلْمِ فَاطِرِ السَّمَسُو ابِ وَآلَاْرُ صِ جَاعِلِ ٱلْمَلَثِيَكَةِ رُسُلاَ أُولِيَ أَخِيحَةٍ مُضَىٰ وَلَلَـٰثَ وَرَبُـخَ يَوِيدُ فِي ٱلْحَلْقِ مَا يَشَاهُ إِنَّ اللَّهُ عَلَىٰ كُلُّ مَلَىٰهِ لَا يَرِ

التفسيره

١ - ٱلْحَمَّدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُ, مَا فِي ٱلسَّمَنُواتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمَّدُ فِي ٱلْآخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْحَيِيرُ.

الشكر والثناء على الله تعالى خالق الكون ، بديع السماوات والأرض ، وله ما فيهما خلقًا وإيجادًا وعالية ورعاية ، له ما في السماوات من الملائكة والأبراج والشموس والأقمار والنجوم وغير ذلك ، وله ما في الانجوم وغير ذلك ، وله الحمد في الدنيا حيث خلق ورزق ويسر في الأرض من الإنسان والحيوان والنباتات والبحار وغير ذلك ، وله الحمد في الدنيا حيث خلق ورزق ويسر ونظم وأبدع، وأنزل الكتب وأرسل الرسل ، وله الحمد في الأخرة حيث يتم الحساب والميزان والمسراط ، وتوزيع الكتب ، ومكافأة العاملين نعمة ، ومعاقبة الكافرين المفسدين ، فمكافأة العاملين نعمة ، ومعاقبة الظالمين نعمة ، لتحقيق العدل وحسن الجزاء : مُنْ عَمِلُ صَلِحًا فَلْتُفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ ثَمَالَيْهَا وَمَا رَبُّكُ بِظُلْمَا لَلْمُسِدِينَ ، فصلاء : ٢٤)

وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ . الذي أتقن كل شيء صنعا ، وأحسن كل كائن خلقًا وإبداعًا .

ٱلْخَبِيرُ ، المطلع على بواطن الأمور ، المحيط بكل شيء علمًا .

٢ - يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي ٱلْأَرْضَ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْفَقُورُ .

إن علم الله تعالى يمتد ليشمل كُل شيء في هذا الكون ، لا يشغله شأن عن شأن ، فيشمل علمه ما يدخل في الأرض من حية أو دودة ، أو جشرة أو هامة ، أو زاحقة تلج في أقطارها المترامية ، أو قطرة ماء أو ذرة غاز ، أو إشعاع كهرياء يندس في أرجاء الأرض الفسيحة ، أو غير ذلك مما لا حصر له ولا عدد ، تراه عين الله التي لا تنام .

قال تعالى : وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرُ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَاحَتِّهِ فِي ظُلْمَسْتِ ٱلْأَوْصَ وَلَا وَطْبِ وَلاَ يَابِسِ إِلَّا فِي كَيْسُبِ شِينَ . (الأنعام: ٩٠) .

ويعلم ما يخرج من الأرض من نبات ، ونبع ماء وثمان وأشجار ، ويراكين تتفجر ، وزلازل ، ومعادن ويترول ، وغير ذلك مما يكون حياة ورزقًا، أو عنابًا وعقوية ، ويعلم سبحانه ما ينزل من السماء، من الأرزاق والأمطار والشهب والرحمات ، والكتب والوحى والضوء والحرارة والأشعة ، والملائكة والإلهام والخيرات للمتقين ، والمذاب والنكال للمكذبين .

ويعلم سبحانه ما يعرج في السمارات من بعوات مسالحات ، وملائكة وأبخرة ومعواريخ ، وموجات لاسلكية ، وأضواء منعكسة من الأرض ، إلى غير ذلك مما يعلمه علام النهوب ، وهو الكامل الرحمة بعباده ، واسع المغفرة ، رعلم الله تعالى ممتد يحيط بالمخلوقات كلها ، وبالأكوان كلها في كل مكان ، وفي كل زمان، وكل قلب وما فيه من نوايا وخواطر ، وما له من حركات وسكنات ، تحت عين الله التي لا تفقل ولا تنام .

* * *

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفُرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَقِي اَتَأْتِينَكُمْ عَلِمِ الْفَيْتُ لَا يَعْرُبُ عَنَهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْعَكُر مِن ذَلِكَ وَلاَ أَحْبُرُ إِلَّا فِ كِتَبْ مُبِينِ ۞ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ امْنُوا وَعَمِلُوا الصَّنْلِحَتِ أُولَتِهِكَ لَهُم مَغْفِرَةً وَرِزَقَ كَرِيدٌ ۞ وَالَّذِينَ سَعَوْفِ اللَّيْنَامُعَجِنِنَ أُولَتِهِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَجْزِ أَلِيدٌ ۞ وَيَرَى الَّذِينَ أُونُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ أُونِلَ إِلَيْكَ مِن زَيِكَ هُوا الْحَقَ وَيُهْدِينَ إِلَى صِرَطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ ﴾

المفردات :

لا تأثيثا الساعة ، أي : القيامة .

بـــــا مرف جواب يأتي بعد النفي للإثبات.

مسفيقسال درة، وزن درة : أصغر نملة أو هباءة .

ولا أصغر من ذلك؛ أصغر من الذرة ولا أكبر منها.

كستساب مسبين ، اللوح المحفوظ .

مسعساج سريسن، مغالبين لنا ، طانين عجزنا عنهم.

عداب من رجز أليم ، من أقيم العذاب وأسويه .

النذين أوتوا العلم، علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه.

هـــو العبيق، القرآن هو الحق الموجى به من الله تمالى .

السمستريسين، ذو العزة .

الحمسيسيسيد، المحمود.

التفسد ا

٣- وقال ٱللَّبِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِنَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ رَزَّى قَالِيَتَكُمْ عَلِمِ ٱلْفَيْبِ لَا يَعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى آلسَّمَـٰذَات وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثِرُ إِلَّا فِي كِتَسْبِ شُينِر.

أنكر كفار مكة قيام الساعة ، وقالوا : ما هي إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وما يهلكنا إلا النهر ، فليس هناك بعث ولا حشر ولا حساب ولا جزاء .

قُلْ بَلَيْ وَرَبِّي تَتَأْتِينَكُمْ عَلِيمِ ٱلْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَنَوَاتِ وَلا فِي ٱلْأَرْضِ ...

أى: قل لهم يا محمد: سيقع ما تتكرونه ، وأقسم على ذلك بالله الذي يعلم كل شيء ، ولا يغيب عنه علم أصغر نملة أو هياءة كائنة في السماوات ولا في الأرض ، فقد أحاط علمه بكل شيء كبيرا كان أو صغيرا، ومن باب أولى أن يحيط علمه بكل إنسان ، ويجميع أجزاء جسمه بعد موته ، فقد أحاط سبحانه بكل شيء علما ، ولا أصغر من الذرة ولا أكبر منها إلا سجل في اللوح المحفوظ عند علام الغيوب .

لطيفة أولى :

كان العالم يعتقد أن الذرة هي أصغر شيء ، فأشار القرآن إلى أن هناك ما هو أصغر منها ، وما هو أكبر وذلك منذ أكثر من ألف وأربعمائة عـ م .

لطيفة ثانية :

هذه الآية إحدى آيات ثلاث أمر الله فيها رسوله أن يقسم بريه العظيم على وقوع الميعاد والبعث.

الأولى في سورة يونس:

وَيَسْتَنْجُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَتِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ . (يونس: ٥٣) .

و الثانية في هذه الآية :

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِنْكُمْ ... (سبا: ٣).

والثالثة في سورة التغابن :

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَن لَّن يُتَعُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي تَبْتَعُن ثُمَّ لَتَنبُّونَ بِمَا عَمِلتُمْ وَذَالِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ . (التعابن ٧٠).

* لَيْجْزِى ٱللَّذِينَ وَامْتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ أُولَــَيْكَ لَهُم مُغْفِرةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ .

أي : سيكون البعث ليكون بعده الجزاء المسن للموَّمنين .

والمتى : ليكافئ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالجنة ، ولهم مغفرة لذنويهم ، ورزق كريم طيب واسم في دار الذعيم .

ه - وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِي ءَايَائِنَا مُعَلَجِزِينَ أُوْلَـَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزَ أَلِيمٌ.

والذين كفروا وقاوموا دعوة الإسلام ، وقالوا عنها إنها سحر أو شعر أو كهانة ، ظانين أنهم يستطيعون إبطالها وصرف الناس عنها ، أو : مُتَلجِزِينَ ، ظانين أنهم يفوتوننا فلا نقدر عليهم ، أو نعجز عن إيصال العقاب لهم (⁶¹⁾ ، يقال : عاجز فلان فلانًا وأعجزه ، إذا غالبه وسهقه .

وفى القرآن الكريم : لا تَعَسَّبَنُ ٱلَّذِينَ كَفُووْ مُعْجَوِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَسُهُمُ ٱلنَّارُ وَلَيْسَ ٱلْمَمِعُ . (الدو. ٧٠). وقال تعالى : أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمُلُونَ ٱلسُّيَّاتِ أَنْ يَسْبُقُونَا النَّاءَ مَا يَحْكُمُونَ . (المنتبود: ٤).

أُوْلَلَئِكَ لَهُمْ عَلَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ .

هؤلاء لهم عذاب شديد في تارجهنم هو أسوأ العذاب وأشده، وهو مؤام شديد الألم.

٣- وَيَوَى ٱللَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي أَنزِلَ إِلَيْكَ مِن وَبِّكَ هُوَ ٱلْحَقِّ وَيُهْدِيۤ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيادِ .

ليشاهد الذين أوتوا علم التوراة أو الإنجيل من أمل الكتاب ، أن القرآن الذي أنزله الله حليك هر الحق حيث صدّق الرسل والكتب السابقة ، وأرشد إلى ما فيها من حق ، وإلى ما طرأ عليها من تحريف ، وهذا الذي أنزل إليك من ربك هو الوحى ، وهو القرآن الذي يهدى إلى الطريق القويم ، وإلى مىراط الله العزيز الغالب ، المحمود في الأرض وفي السماء .

ويمكن أن يطلق الذين أوتوا العلم على الصحابة والتابعين ، الذين آمنوا بالله وصدقوا برسوله ، وتلقوا علوم الإسلام ، كما يمكن أن تشمل أهل الكتاب ، وعلماء المسلمين ؛ أي : الذين أوتوا العلم في أي زمان وفي أي مكان ، ومن أي جيل ومن أي قبيل ، يرون أن القرآن الكريم كتاب حق وصدق ، في تشريعاته وأخباره ، وأدابه وهدايته .

وَيَهْدِيَّ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ .

ويرشد إلى الناموس الذى يهيمن على أقدار هذا الكون ، ويصحح منهج التفكير ، ويرشد إلي إقامته على أسس سليمة ، ويعد الفرد للتجاوب والتناسق مع الجماعة البشرية ، ويعد الجماعة لرعاية الأفراد وللتناسق مع الآخرين ، فصراط الله هداية للحق ، وسلوك سليم نظيف ، وتعاون مع الآخرين ، واسترشاد يهدى السماء لتقويم المسيرة ونفع العباد والبلاد .

* * *

﴿ وَقَالَ اللَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَمُلُكُوْ عَلَى رَجُلٍ يُفَيِّتُكُمْ إِذَا مُزِقْتُوكُلُّ مُمَزَّقِ إِنَّكُمْ لِفِي خَلْقِ حَسُدِيدٍ ۞ أَفَرَّىٰ عَلَى اللّهِ كَذِبّا أَم بِمِر جِنَّةً لَلْ اللَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِ الْعَذَابِ وَالصَّلْإِ الْبَعِيدِ ۞ أَفَلَرْ مَوْ اللّهِ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِنَ السّمَاةِ وَالأَرْضَ إِن نَشَأْ فَغْسِفْ بِهِمُ ٱلأَرْضَ أَوَنُسْقِطْ عَلَيْمٍ مَكَسَفًا مِن السّمَاءَ أِنَ فِذَلِك آلَايَةً لِكُلِّ عَبْدِمُنِينِ ۞ ﴿ ﴾

المفردات،

هل نداكم على رجل: محمد ﷺ.

إذا مرَفَتُم كل ممزق ، قطعتم قطعا صغيرة ، أي : تمزيقا شديدا .

إنكم لفي خلق جديد، تبعثون خلقا جديدا لم ينقص منكم شيء.

أ

أم بسمه جسنسة ، جنون يوهمه ذلك ، ويجعله يتخيل البعث .

فيني المستداب؛ في الأخرة.

والشلال البعيد؛ الضلال البعيد عن الصواب في الدنيا ، أي : ليس بمحمد افتراه أو جنون ، ولكنّ بالكفار بُعدٌ عن الحق في الدنيا ، وعذات في الآخرة .

تخسف بهم الأرش ، تغييهم في بطنها .

كسيد القطعا ، جمع كسفة .

مسسلسبيد، راجع وتائب إلى الله تعالى.

التفسيره

٧- وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ تَدُنُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلِ يُنتِّكُمْ إِذَا مُزَّقْمُ كُلُّ مُمَزّقو إِلَّكُمْ قَلِي خَلْق جَدِيدٍ.

وقال الذين كفروا من قريش : هل نخبركم بأمر عجيب لا يصدق ، وأمر غريب غير مألوف يقوله محمد، حيث يدَّعي أن الناس إذا ماتوا وتقطعت أجسامهم وعظامهم ، وتفتتت وصارت أجزاء كثيرة يصعب جمعها، ويستحيل عودة الحياة إليها – يدَّعي محمد أنها تعود مرة أخرى للبعث والحساب .

٨- أَقْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةُ ...

إن حال محمد لا يخلر من أمرين : إما أن يكون قد اختلق هذا القول على الله كذبا وزورا دون أن ينزل عليه وحى ، أو أن يكون محمد به مرض الجنون الذي جعله لا يحقل ما يقول ، ويتوهم البعث ويتخبله .

مَلِ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِي ٱلْعَلَابِ وَٱلطَّلَالِ ٱلْبَعِيدِ .

أي: ليس محمد بكاذب ، ولا بمجنون ، لكن كفار مكة قد ضلوا عن الحق ضلالاً بعيدا ، واستحقوا العذاب الشديد في الأخرة .

ويجوز أن يكرن المعنى : إن الكفار في بعدهم عن الله في قلق نفسى ، وإغساراب وعدم استقرار ، فهم في عذاب دنيوي ، وعذاب أخروى ، وهم في ضائل شديد ، لعدم اهتدائهم بهدى الله ، ولعدم اتباعهم لرسول الله .

٩- ٱلْلَمْ يَرِدُوْ إِلَىٰ مَا يَيْنَ ٱلِمِهِمْ وَمَا خَلَقُهُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِن لَشَأَ نَحْسِفَ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ لَسُقِطَ عَلَيْهِمْ كسَفًا مَنْ ٱلسَّمَاء ...

يلفت القرآن الكريم نظرهم إلى آثار القدرة الإلهية التى رفعت السماء بدون أعمدة ، وزينتها بالنجوم، وخلقت الفضاء والهواء ، والأنهار والبحار ، والأرض والجبال ، والليل والنهار ، والشمس والقعر ، والإنسان والحيوان والنيات ، وأمسكت برأمام هذا الكون تحفظه وترعاء ، وتمده بمقومات الحياة والتكامل . فهلا نظروا نظر اعتبار إلى ما بين أيديهم من أخبار الأمم السابقة ، كقوم نوح وعاد وثمود ، الذين كذبوا فأهلكوا أو إلى ما بين أيديهم من السماء التى فوقهم ، والأرض التى تحتهم ، وهم محاطون من كل جانب بنعم الله التى تحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم ، وعن أيمانهم وشمائلهم ، فضلا عن أنهم جميعا لا يستطيعون أن يخرجوا من أقطار السماوات والأرض ، فالله قاهر لهم ، وهم جميعا فى قبضته ، إن شاء خسف بهم الأرض ، بالزلازل والبراكين كما فعل بقارون .

قال تعالى : فَحَسَنْنَا بِهِ وَبِنَارِهِ ٱلْأَرْضَ ... (النصص : ٨١) .

أَوْ لُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ ...

أو نسقط عليهم عذابا من السماء، أو جزءا من الشهب أو الصواعق أو النوازل التي أهلكت أصحاب الأيكة.

قال تعالى : فَكَلَّبُوهُ فَأَخَلَهُمْ عَذَابُ يُومَ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْم عَظِيمٍ . (الشعراء : ١٨٩) .

إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَــةً ...

إن هذه القدرة الحالية التى تسيطر على هذا الكون ، ويبدها حفظ هذا النظام ، وتقليب الليل والنهار ، وإرسال العذاب من السماء أو الأرض ، فيها أبلغ الأدلة وأصدق الآيات الهادية إلى الإيمان .

لُّكُلُّ عَبْدٍ مُّنِيمٍ . رجاع إلى الله ، وإلى الإيمان به ، والاهتداء إلى شرائعه ، والإيمان برسله وباليوم الآخر.

﴿ وَلَقَدْءَ انْيَنَا دَاوُرُدَ مِنَا فَضَلَا أَيْجِ الْ أَوَّ مِ مَعَهُ وَالْظَيْرِ وَالْنَا الْهُ الْحَدِيدَ ﴿ وَلَهَ مَا مَنْ الْمَارِدُ وَالْمَارِدُ وَالْمَارِدُ وَالْمَارِدُ وَالْمَارِدُ وَالْمَارِدُ وَالْمَارِدُ وَالْمَارِدُ وَالْمَالِمُ الْإِنْ مِا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلِسُلَيَهُ وَاللّهُ مَنْ الْمَرْقِ وَاللّهُ عَيْنَ الْقِطْرُ وَمِنَ الْحِنِ مَن عَمَلُونَ الْمُرَانِينَ الْمَرْقِينَ الْمَرْقِيةِ وَمَن يَزِعْ مِنْهُمْ عَنَّ أَمْرَ اللّهُ عَيْنَ الْمَلْمُ عَنْ اللّهُ عَيْنَ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الل

المفردات ،

فضـــــالا ، نبوة وملكا .

أويسى مسعسه : رجعى معه بالتسبيح .

والسيسطير؛ والطير تسبح أيضا.

ألنسا لمه العديد؛ جعلناه له في اللين كالعجينة يعجنها من غير نار ولا مطرقة.

أن اعمل سابقات؛ دروعًا طويلة تستر المقاتل ، وتقيه ضرب السيف.

وقسستر ؛ أحكم أو اقتصد .

المسمسم المروع ، أي : اجعل المسامير مقدرة على قدر الحلق ، فلا يكوَّن غليظا ولا دقيقا .

ونسله مان الربح ، وسكرنا لسليمان الربح .

غبدوها شهراء جريها بالغداة مسيرة شهرا

ورواحمها شمهر ، وجريها بالعشي كذلك .

وأسلنا له عين القطر، أجرينا معدن النّحاس سائلًا كما ينبع الماء من العين.

مسسست معاريب، جمع محراب، قيل: المساجد، وقيل: المقصورة تكون إلى جوار المسجد للتعبد فيها

تُ دور ؛ جمع قدر ، وهي ما يطبخ فيه من فخار ونحوه ، على شكل مخصوص .

راسب يسمات، ثابتات على الأثاني، لا تنزل عنها لعظمها.

فلما قضينًا عليه الموت، حكمنًا عليه بأن مات.

دابسسة الأرض؛ الأرضة.

مستعسساته: عصاه ، لأنه ينسأ بها ، أي : يطرد ويزجر

المستسير ، سقط ،

يعطمون الغيب كما زعموا لعلموا بموته.

السحسة اب للهان ؛ الأعمال الشاقة التي كلفوا بها ، لظنهم حياته .

تمهيده

تعدد الآيات أندم الله تحالى على داود وسليمان ، حيث أنّم الله على داود بالنبوة والعلك والبعنود ، والزبور والصوت الحسن ، وعلَّمه صناعة الدروع الحربية ، وألان له الحديد ، وسخر الله اسليمان الربح تعمله مسرعة مسافة شهر ، تختصرها إلى نصف يوم ، ويعود إلى بيته على بساط الربح في نصف يوم ، ولولا الربح لقطع المسافة في شهر ذهابًا ، وفي شهر إيابًا ، وإذابة النّحاس له كإذابة العديد لأبيه داود ، وتسخير الجن لبناء القصور الكبيرة أو المساجد ، والجفان الكبيرة كالأحواش ، والقدور الكبيرة التي لا تتحرك لِسعتها وكبرها .

التفسير:

• ١ - وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ذَاوُرَدَ مِنَّا فَصْالاً يُلجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ, وَٱلطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ ٱلْحَدِيدَ .

ذكر الله تعالى هذا ما أنحم به على عبده داود ، حيث حياه بالنبوة والملك والفضل ، وأعطاه المعجزات والجنود الكثيرة ، والمعرت الجميل الحسن الشجيع ، حيث كان إذا سبّع الله وذكره بصوته الجميل رددت الجبال معه التسبيح والنشيد ، وكذلك الطير تصدّح بذكره ونشيده ، وألان الله الحديد في يده ، فكان مثل العجين ليذا سهل التشكيل ، فكان يصنم منه دروع العرب وآلاتها ، ويأكل من عمل يده . وفى الصحيح عن النبي ﷺ قال : «إن خير ما أكل المره من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده» (٣٠.

١١ - أَنِ آعْمَلْ سَلِغَتٍ وَقَلَرْ فِي ٱلسَّرْدِ وَآغْمَلُواْ صَلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .

أى: أوحينا إليه أن اعمل دروعا سابغات، أى: كاملات تامة واسعات، يقال: نعمة سابغة ، أى: كاملة وافرة. قال تعالى : وَأَشْبِعَ غَلْكُمْ وُبُعُمَهُ ظُـهُرَةً وَعَاضِةً ... (لقمان: ٢٠) .

وَقَلْرُ فِي ٱلسُّرْدِ ...

أى: أحكم صنع الدروع ، بحيث تكون فى أكمل صورة وأحسن هيئة ، متناسبة الطقات والعسامير ، فلا تكون الطقات واسعة ولا ضيفة ، بل متناسقة على قدر الجاجة ، محكمة على قدر حاجة الجسم ، وكان داود عليه السلام أول من صنم الدروع المحكمة .

قَالَ قَتَادَةً : كَانْتَ الدروع قبله صفائح ثقالًا .

وقال المُفسرون : وَقَلَدُ فِي آلسُّرْدِ ... أي : لا تظظ المسامير فيتسع الثقب ، ولا توسع الثقب فتقلقل المسامير فيها ١٠٠٠.

قال الفخر الرازي :

قيل : إنه طلب من الله أن يغنيه عن أكل مال بيت المال ، فألان له العديد ، وعلَّمه صنعة اللبوس ، وهي الدريع .

وَآعْمَلُواْ صَلْلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ يَصِيرٌ .

أي : اعملوا يا آل داود عملاً معالماً ، فإنس مطّلع ومشاهد ومراقب لكم ، بصير بأعمالكم وأقوالكم ، لا يخفي علىّ شيء منها .

وفي معنى ذلك قوله تعالى: إِنَّا سَخْرُنَّا ٱلْجِبَالَ مَعَهُ, يُسَبَّحْنَ بِٱلْعَشِيُّ وَٱلْإِشْرَاقِ . (ص: ١٨).

وقوله عز شانه : وَسَخْرُنَا مَعَ دَاوُردَ ٱلْعِبَالُ يُسَمَّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَا فَـلَجِلِينَ ﴿ وَعَلَّمْنَـكُ صَنْعَةَ كَوِسٍ لَكُمْ لِشَخْصِنَكُم مِّرَا بَالْسِكُمْ فَلَهَلَ أَنْشُو هُسْكِرُونَ . (الامبياء : ٨٠ . ٧٠) . ٩٧ - وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِيحَ غُلُوُهَا شَهُرٌ وَرَوَاحُهَا شَهُرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ, غَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنَّ مَن يَعْمَلُ يَنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَمَّهِ وَمَن يَوَ غُرِجُهُمْ عَنْ أَمْرِنَا لِمُلْقَهُ مِنْ عَلَىكِ ٱلسَّجِيرِ .

وسخرنا لسليمان الربح تسير بأمره ، وتنقله حيث يشاء ، مسرعة بحيث تقطع في نصف النهار الأول مسيرة شهر ، وتقطع في نصف النهار الأخر مسيرة شهر ثان .

قال تعالى : وَلِسُلَيْمَسُنَ ٱلرَّبِحَ عَاصِفَةَ تَعَرِّى بَأَمْرِهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّْى بَسُرُكُنَا فِيهَا وَكُنّا بِكُلَّ هَيْءِ عَلَيْمِينَ هَ وَمِنَ آلطَّيَسُطِينَ مَن يَفُوصُونَ لَمُهُ وَيَعَمَلُونَ عَمَلًا قُونَ ذَالِكَ وَكُنّا لَهُمْ حَسُفِطِينَ . (الانبياء : ٧٠.٨١).

وَأَسَلْنَا لَهُ, عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ...

وأجرينا له معدن النحاس بعد إذابته ، فسال ونبع كما ينبع الماء من العين ، فلذلك سمى عين القطر، باسم ما آل إليه ، وكانت الأعمال تتأتى به وهو بارد ، ولم يلن ولا ذاب لأحد قبله .

لقد ألان الله الحديد لدارد ، فصنح منه الدروح السابغات ، وآلان لسليمان النحاس ينبع ويسيل كما يسيل الماء ، ويتشكل إلى الأدوات التى يحتاج إليها سليمان ، كالقصاع الكبيرة ، والقدور الكبيرة .

وَمِنَ ٱلْجِنَّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ...

وسخرنا له الجن يخدمونه ، ويعملون له الأعمال الشاقة ، والأبنية العظيمة ، ويغوصون في البحر يستخرجون منه الأحجار الكريمة ، كالدر والياقوت .

وَمَن يَزِعْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَلَابِ ٱلسَّعِيرِ.

ومن يخرج من الجن عن ملاعة سليمان ، أو عن الفضوع لأمرننا ، يتعرض لأشد ألوان العذاب في الدنيا . والأخرة .

١٣ - يَعْمَلُونَ لَهُ, مَا يَشَاءُ مِن مَّحَثْرِيبَ وَتَمَثْيِلَ وَجِفَانٍ كَالْحَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَنْتِ آغَمَلُواْ عَالَ دَاوُرَدَ لَهُكُواً وَقَلِيلٌ مِّنْ عَبِادِيمَ ٱلشَّكُورُ .

أى : يعمل ألجن لسليمان ما يريد عمله ، من بناء المحاريب وهي المساجِد ، أن القصور الشاهقة ، والأبنية العالبة التي يحارب من خلالها .

وقيل: المحراب من المقصورة بجوار القبلة ، أن التجويف تجاه القبلة.

وَتَمَّيْلُ : وهى الصور المجسمة المصنوعة من النحاس أن الزجاج أن الرخام للأنبياء والصالحين تشجيعا للهمم فى العبادة ، والاقتداء بهم ، وكان ذلك جائزا فى عهد سليمان ، ثم نسخ فى شريعة محمد ﷺ خشية التشبه بعبادة الأصنام .

وأباح الفقهاء عمل تعثال لكل ما ليس فيه روح ، كالأنهار والأشجار ، وكذلك لُعب الأطفال من التماثيل : لحديث رواه مسلم ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ ، وكانت لي صواحب يلعين معى ، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن منه ، فيسريهن إلى فيلعين معى "" .

وأجاز جمهور العلماء من الصحابة والتابعين وأثمة المذاهب اتخاذ الصور إذا كانت سا يوملاً ويداس أو يمتهن بالاستعمال كالوسائد والمغارش، أما التصوير الشمسى والغوتوغرافي فهر جائز لأنه ليس تصويرا بالمعنى الذي جاءت به الأحاديث، بل حيس للصورة أو الظل ، فيكرين مثل الصورة في المرآة أو الماء.

وأما الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ، ومسلم ، عن ابن مسعود ، وابن عباس : «أشد الناس عذابا يوم القيامة المصرّرون» (⁽¹⁴⁾ . فقد قال بعض العلماء : العراد به من يصنعون تمثالا يضاهنون به خلق الله ، بدليل حديث : «أشدّ الناس عنابا يوم القيامة الذين يشبهون خلق الله» ، ومن طريق آخر : «بقال لهم : أحبوا ما خلقتم» .

وفي فتح البارى: أن فريقًا من العلماء قال بتحريم عمل التماثيل ، وفريقا قال: إن ذلك مكريه فقط، غقد حرّم فى صدر الإسلام ، حيث فيه تشبّه بعبادة الأصنام ، وكان القوم حديثى عهد بعبادة الأصنام ، فنهوا عن عمل التماثيل ، أما الآن فعملها مكريه فقط .

وقال فريق ثالث : ليس ذلك مكروها بل هو جائز ، خصوصا ما لا تتم به الحياه ، كالتمثال النصفي، وكل ما هو غير كامل .

وُجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ ...

الصحاف والقصاع الكبيرة التي تكفي لعد كبير من الناس ، وتشبه حياض الإبل.

وُقُلُورِ رُاسِيَاتٍ ...

القدور جمع قدر، وهو ما يطبخ فيه من فخَّار وغيره، على شكل مخصوص،

وراسيات: ثابتات على الأثاني لا تنزل عنها لعظمها ، أى : إن السماط كان عظيما بديما ، فيه كثير من حسن الانساق والجمال والضمغامة . آغمَلُوا أَ عَالَ دَاوُردَ شَكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِي ٱلشُّكُورُ .

وَ ٱللِّيلُ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشُّكُورُ .

والشكور هو الذي يشكر الله في جميع أحواله ، من الخير والضَّرّ ، فهو شاكر على النعماء ، وصابر على البأساء ، وهن راض بالقضاء والقدر ، خيره وشره حلوه ومره .

ورد في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود ، كان ينام نصف اللهل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود ، كان يصوم يومًا ويقطر يوما ، ولا ينز إذا لاقي» (**).

قال ابن عباس: الشكور هو الذي يشكر على أحواله كلها.

وقال الزخشرى في الكشاف: الشكور هو المتوفر على أداء الشكر ، الباذل وسعه فيه ، وقد شغل به قلبه ولسانه وجوارهه ، اعترافا واعتقادا وكدمًا .

وقيل: الشكور هو من يرى عجزه عن الشكر ، لأن توفيقة للشكر نعمة تستدعى شكرًا آخر لها إلى ما لا نهاية .

على حدقول الشاعر:

إِذَا كَانَ شَكَرِي نَعِيَةً اللهِ نَعِيَةً على لَهُ فِي مثلَهَا يَجِبِ الشَكَرِ فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام وانسع العبر إذا من بالنعباء عمّ مدورها وإن من بالضراء أعتبها الأجر

وقد كان النبى محمد 養 مبابرًا شاكرًا قدوة ومثلاً أعلى ، روى مسلم فى صحيحه ، عن عائشة : أن رسل ش 養 كان يقوم من الليل حتى تفطر قدماه ، فقلت له : أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : «أفلا أكون عبدا شكوراه ٢٠٠) .

ومن شكر النعمة التواضع ، والعفو والاستقامة ، قال ﷺ : «أوصاني ربي بتسع : الإخلاص شه في السر والعلائية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغني والفقر ، وأن أصل من قطعني ، وأعملي من حرمني ، وأعفو عمن ظلمني ، وأن يكون صمتي فكرا ، ونطقي ذكرا ، ونظري عبرة» . ١٤ - فَلَمُّا فَضَيَّنَا عَلَيْهِ الْمُوْتُ مَا دَقُهُمْ عَلَىٰ مَوْيهِ إِلَّا ذَائِـةُ الْأَرْضِ ثَأْكُلُ مِسَاتُهُ فَلَمَّا خَرْ تَبَيْتَ الْمِنْ أَن الْو
 كَانُوا يَعْلَمُونَ اللَّذِينَ مَا لِيُوا فَي الْفَلَفِ الْمُهِينِ .

أى: جمع الله لسليمان النبوة والملك، وتسخير الرياح، وتسخير الجن، وتبع النحاس من عين كالماء، وسخر الله الجن لسليمان تعمل له التماثيل والمحاريب والقصاح الكبيرة، والقدور الجميلة الكبيرة الراسية على الأدافى، وقيل لهم: الزموا شكر الله على هذه النعم، ومع كل هذه النعم فقد مات سليمان متكدًا على عصاه، والجن مستمرة في العمل الشاق، ونزل الموت يسليمان واستمرت الجن حتى أتمت عملها، ثم أكلت الأرضة من عصا سليمان فحرٌ ساقطا على الأرض، فظهر جليا للإنس وللجميح أن الجن لا تعلم الفيب، وأن الغيب لا يعلمه إلا الله، ولو كانت الجن تعلم الفيب ما مكلت في العذاب المهين، عاملة ناصبة في البناء والتشييد.

وذكر القرطبي ، عن ابن عباس مرفوعا : أن سليمان نحت عصا الخرنوية ، فتوكأ عليها حولا لا يطمون، فسقطت ، فعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، فنظروا مقدار ذلك ، فوجدوء سنة .

وليس لدينا خبر صحيح نطمتن إليه في تحديد المدة التي قضاها سليمان ميتا والجن تعمل بين يديه منكتفي بما أشار إليه القرآن من أنه مكث فترة ما ميتا ، والجن عاملة ناصبة لا تعلم بموته ، حتى أكلت الأرضة عصاء ، فوقع على الأرض ، فعلمت الجن بموته . ﴿ لَقَدَ كَانَ لِسَبَا فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّانِ عَن يَمِينِ وَشِمَالًّ كُلُواْمِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَقَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرِعِ وَمِنَّ الْمُهُم وَاشْكُرُوا لَقَّرَ سَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرِعِ وَمِنَّ اللَّهُمُ وَمَنْ اللَّهُ عَبَيْنَ الْقُرَى الْمَوْمِ وَمِنَّ اللَّهُمُ وَمِنْ اللَّهُ وَالْمَوْمِ وَمَلَّانَهُمُ وَمِنْ اللَّهُ وَالْمَوْمِ وَمَلَّا اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ مَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَ فَعَالَوا وَمَنْ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ مُنَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

المفرداتء

مسكسته مناه موضع سكنهم في مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال.

أيسسبسينة ، علامة على قدرة الله .

جسانسستسسان، جماعتان من البساتين ، جماعة عن يمين إقليمهم ، وجماعة عن شماله .

المناخ ، بعيدة عن الأوباء وأسبابها .

فأصب وضب وا عن شكر الله ونعمه .

مستهضان المستعضرة ومد السيل العرم ، وهو مد يعترض الوادى ، ويطلق على المطر النشيد ، والعرم : الصعب . ويستناقصات المستعضمة التنظم بدل حقتهم .

فواتسى أكسل حسمسط؛ أي : صاحبتي أكل مر بشع .

جسزيستساهسم، عاقبناهم.

السنكسفسور ؛ المبالغ في الكفر المتشبث به .

القرى التي باركنا فيها؛ هي قرى الشام ، مبارك فيها بكثرة أشجارها ووفرة ثمارها ، والتوسعة على أهلها .

قسرى ظاماهسرة : متواصلة من اليمن إلى الشام .

وقنترننا فيها السير ؛ جعلنا المسافات بينها مقدرة على أبعاد قريبة ، بحيث يسهل التنقل بينها .

باعد بين أسفارنا: اجعل المسافات والأبعاد بيننا وبين القرى المباركة طويلة ممتدة ، لتطول أسفارنا إليها.

أحسب الديث؛ لمن جاء بعدهم ، ولم يبق منهم إلا أخبارهم الغريبة .

ومزقتناهم كل ممزق ، فرقناهم في البلاد كل التفرق .

صدق عليهم إبليس ظنه ، صدق ذلن إبليس فيهم ، أنه يستطيم إغواءهم .

فساتسب مسوه: في الكفر والضلال والإضلال.

إلا هريقا من المؤمنين ، لكن فريقا من المؤمنين لم يتبعوه ، فخاب طنه فيهم ، زاده الله خيبة إلى يوم القيامة .

- استيلاء.

ا من الشاك فيها . المؤمن بالآخرة من الشاك فيها .

مسفيسظ، محافظ رقيب.

تمهيد،

تحدث القرآن فيما سبق عن داود وسليمان كنموذج للشاكرين ، ثم تحدث عن سبأ كنموذج لقوم أبطرتهم النممة ، فلم يشكروا ربهم : فاستحقوا سلب النعمة ، والعقوبة جزاء كفوهم ، وتلك سنة من سنن الله العادلة ، مكافأة المؤمنين ، ومعاقبة الكافوين .

التفسيره

٥١ - لَقَدْ كَانَ لِسَبَا فِي مَسْكَنِهِمْ عَايَةٌ جَتَتَانِ عَن يَعِين وَهِمَالِ كُلُواْ مِن رُزْقِ رَبُّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُ بَلْدَةٌ طَيْبَةٌ وَرَبِّ عَفُورٌ.

لقد کان لشعب سبأ فی مساکنهم التی یسکنونها ، وقصورهم وردیانهم التی یعمرونها آیة وعلامة علی قدرة الله وأفضاله علی عباده ، وهی جنتان إحداهما عن یعین الوادی ، وأخری عن شماله ، کلها فواکه وخضرة تُسقى بماء سدَّ مأرب ، وتنبت الغواكه والثمار والنخيل والأعناب ، وصنوف النعم ، روى أن المرأة كانت تخرج وعلى رأسها المكتل ، وتسير بين الأشجار فيمتلئ المكتل مما يتساقط من الثمار ، فهذا قوله تعالى: كُلُّواْ مِن زُرْق رَبُكُمْ وَآلْكُرُواْ لَكُر ...

كأنها تناديهم بلسان الحال ، وتقول لهم : كلوا من هذا الرزق العظيم الذي يسطه الله لكم ، واشكروا الله عليه شكرًا عمليًا باستخدام النعمة في طاعة الله ، واشكروه بذكره وطاعة رسله ، واحترام نواميسه وطاعة أوامره .

بَلْدَةً طَيْبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ .

هذه بادة طيبة الهواء ، وهي صنعاء اليمن ، مناهها طيب ، وتريتها طيبة ، لا يوجد بها وياء ولا هوام ولا حشرات كالعقارب وتحرها .

وَرَبُّ غَفُورٌ . واسع المغفرة عظيم الرحمة لمن تاب إليه ورجع .

١٦ - فَأَخْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَيَدَّلْنَهُم بِجَنْتَيْهِمْ جَنْتَيْنِ ذَوَاتَى أَكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ فَلِيلٍ.

فأعرضوا عن شكر الله ، وعن المحافظة على السدّ ، وأترفوا وفسقوا ، فعاقبهم الله بتحطيم سد مأرب، حيث أرسل أمطارًا غزيرة كالحجارة القوية ، فأزاحت سد مأرب ، وأغرقت العياه الأشجار والبساتين الجميلة، وبعد تحطيم السدّ ذبلت الأشجار وجفت الزراعة ، ولم تبق لهم إلا أشجار متناثرة في الصحراء ، كثيرة الشوك، سميت بالجنان على سبيل المشاكلة والتهكم .

قَالَ قَتَادَةً : كَانَ شَجِرِهِم شِيرِ الشَجِرِ ، فَمَنيِّرِهِ اللَّهِ شُرُّ الشَجِرِ بِأَعْمَالُهِم .

وَبَدُّ لَنَّاهُم بِحَلَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىٰ أَكُلِ خَمْطٍ ...

وأبدائناهم بجنتيهم النضرتين جنتين تواتى ثمر ، حَمَّطٍ . مرّ بشع ، يجمع بين المرارة والحموضة لا يستسيفه أجد .

وَأَثْلِ ٍ... شجر لا ثمر له يشبه شجر الطرقاء.

وُشَيَّوُمٌ مِّن سِلْرٍ فَلِيلِ . وشيء قليل من شجر السدر وهو المعروف بالنبق ، وهذا النوع ينتفع به وله شأن عند العرب ، الكند كان قليلاً عقاماً لهم ، وله أطلق لكان نصة لا نقمة . ١٧ – ذَالِكَ جَزَيْنَاتُهُم بِمَا كَفُرُواْ وَهَلْ نُجَازِيَّ إِلَّا ٱلْكَفُورَ .

أى: ذلك العقاب الذى نزل بهم ، حيث نُمُرت البساتين الخضراء المثمرة ، ولم تبق لهم إلا أشجار متفرقة في الصحراء ، كثيرة الشوك ، قليلة النفع والفائدة ، هذا الجزاء العادل والعقاب الرادع بسبب كفرهم بنعمة الله ، حيث أهملوا سدّ مأرب ، وأعرضوا عن الإيمان بالله ، فاستحقوا هذه العقوية ، وهل نجازي الجزاء المؤلم ، والعقوية الرادعة إلا لكثير الكفر المصرُ على الجحود والعبالغ فيه ؟

١٨ - وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَدْرَكُنَا فِيهَا قُرَّى طَنْهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيْالِي وَأَيَّاهُا عَامِينَ .

تأتى هذه الآية كالتعقيب على قصة سبأ ، فقد ذكر فيما سبق أن الله أنمم عليهم بالجنان والبساتين والنم المتعددة ، اكذبه كفروا وجحدوا فاستعقوا العقوبة .

وأردف ذلك بذكر نوع آخر من النعم التي أنمم الله بها عليهم ، وهي نعمة القري المتتابعة المرتفعة المثالمرة على الطريق الموصل بين اليمن والشام ، قيل : من سافر من قرية صباحاً وصل إلى الأخرى وقت الظهر والقيلولة ، ومن سار من قرية بعد الظهر وصل إلى الأخرى بعد الغروب إلى أن يبلغ الشام ، لا يخاف جوعًا ولا عطشًا ولا عدرًا ، ولا يحتاج لحمل زاد ، ولا مبيت في أرض خالية .

وقوله تعالى: سِبرُواْ فِهَا لَيَالِيَ وَأَلِمًا وَاسِينَ. على إرادة القول ، بمعنى أبحناها وقلنا لهم: سيروا فيها حيث شنتم ، وكيف شنتم ، ليالى وأيامًا آمنين ، لا تحسُون مشقة ، ولا تستشعرون جوعًا ولا عطشًا ، ولا ترهبون عدوًا.

وهذ القول إما بلسان الحال ، بمعنى أن وضع القرى وتأمين السير فيها واقترابها من بعضها ، كأنه يقول للسائر : سر آمنا مطمئنا ، وإما بلسان المقال ، أى قال أنبياؤهم ومرشدوهم : سيروا فيها آمنين مطمئنين ، وإن تطاولت مدة سفركم ، وامتدت أيامًا وليالى كثيرة .

١٩ – فَقَالُوا رَبُنَا بَنِهِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمُؤْلِنَاهُمْ كُلُّ مُمُوَّقَ إِنَّ فِي فَالِكَ لَايَنتِ لَكُلُ مَبُارِ شَكُورِ .

أسبغنا عليهم نعمنا فبطروا النعمة ، وسئموا من طيب العيش ، ومنَّوا العافية ، وطلبوا الكَّ والتعب وطول الأسفار ، والتباعد بين الديار ، وقالوا : رينا لجعل بيننا وبين البلاد التي نسافر إليها مفاوز وقفارًا ، ليركبوا فيها الرواحل ، وليتزودوا بالماء والزاد ، إظهارًا للتمايز الطبقى ، والتكبر والتفاخر على الفقراء والعاجزين . وَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ... إذْ عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة ولم يشكروا الله عليها .

لْمَعَلَّنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقِ ...

شُردوا ومُزَّقوا ، وتفرقوا فى أنحاء الجزيرة ، مبددى الشمل ، وأصبحوا أحاديث يرويها السمّار فى مجالسهم ، وفرقنا شملهم فى البلاد كل تفريق ، فصارت العرب تضرب بهم المثل فتقول : (تفرقوا أيدى سبأ) أى : مذاهب سبأ وطرقها .

فنزلت الأوس والخزرج بيثرب ، وغَشَان بالشام ، والأزد بعُسان ، وخزاعة بتهامة ، فمزقهم الله كل ممزق ، وهدم السيل بلادهم .

إِنَّ فِي ذَا لِكَ لَآيَمُ اللَّهِ لَكُلٌّ صَبَّارٍ شَكُّورٍ .

أى: فى قصة سبأ وما حل بهم جزاء كفرهم ويطرهم لعبرة يعتبر بها كل صبور على الشدائد ، قلا يجزع رلا يهلم ، بل يقابلها بالإيمان والرضا بالقضاء والقدر ، خيره وشره حلوه ومره .

شَكُورٍ . لله على نعمائه ، اللهم اجعلنا من الشاكرين .

وفي المنحيحين ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «عجبًا للمؤمن لا يقضي الله تعالى له قضاءً إلا كان خيرًا له ، إن أمنابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أمنابته ضرًاء صبر فكان خيرًا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمنين» (٠٠٠)

ومن كلام العارفين : نعم العبد الصبار الشكور ، الذي إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر .

٠ ٢ - وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنْهُ، فَأَتْبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

تأتى هذه الآية وما بعدها كالتعقيب العام ، لبيان السنة الإلهية في الإغواء والهداية ، فالشيطان حين رأى منهم الانهماك في الشهوات والملذات ، والعدول عن الاعتدال والهدى، توقع منهم السير وراءه ، واتباع إغوائه .

ومعنى الآية :

ظن الشيطان بهؤلاء السبئيين أنه إذا أغواهم اتبعوه ، فكان كما ظن بوسوسته ، فانقادوا لإغوائه ، وعبدوا الشمس من دون الله ، إلا فريقًا قليلاً من المؤمنين صمدوا أمام وسوسة الشيطان ، وثبتوا على الإيمان . ٢١ - وَمَا كَانَ لَهُ, عَلَيْهِم مَن سُلْطَن إِلَّا لِتَطْلَمَ مَن يُؤْمِنُ إِلَّا عَرِقَهِ مِنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكَّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ خَفِيظٌ.

لم يكن للشيطان عليهم سلطان قاهر لا يملكون مقاومته ، بل كل ما كان منه هو الإغواء والوسوسة والتزيين ، وذلك للاختبار والابتلاء ، ليظهر أمام الواقع من يرّمن بالآخرة فيعصمه إيمانه من الانحراف ، ومن هو من الآخرة في شك ، فهو يتأرجع أو يستجيب للغواية بلا عاصم من رقابة الله ، ولا نطلع لليوم الآخر .

وهذا التعقيب الذي ذكر في ختام قصة سبأ ، أمر عام ينطبق على قصة كل قوم ، بل كل فرد في كل مكان وفي كل زمان .

الله علقنا في مذه الدنيا للأختبار والابتلاء ، وحثرنا من الشيطان ، وبين لذا أنه عدو مبين ، ومع هذا فمنا من يطيعه ، رغبة في اتباع الهوى ، وضعفا أمام الشهوات والنزوات ، ومنا من يصبر ويستمسك بهداية الله ، فيعينه الله .

قال الحسن البصرى : والله ما ضريهم الشيطان بعصا ، ولا أكرههم على شيء ، وما كان إلا غوريًا وأماني دعاهم اليها فأجابوه .

وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ حَفِيظً .

أى: هو مطلع وشاهد ورقيب ، فلا يندُ عنه شىء ولا يغيب ، ولا يهمل شيئًا ولا يضيع ، وبهذا يتسع مجال التعقيب ، فلا يعود قاصرًا على قصة سباً ، وإنما يصلح تقريرًا لحال البشر أجمعين ، فهى قصة الغواية والهداية وملابساتهما وأسبابهما ونتائجهما فى كل حال .

وهى معنى الآية قوله تعالى : وَقَالَ ٱلسَّيْطَانُ لَمَّا فَهِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهُ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّلُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانِ إِلَّا أَن دَعَوْلُكُمْ فَاسَتَجَيْمُ لِي فَلَا تَلُومُونُ ٱلفَسْكُم مَّا ٱنَّا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَلْصُ بِمُصْرِحِنْ إِنِّى كَفَرْتَ بِمَا أَشْرَكُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلطَّلَالِينَ لَهُمْ عَلَابٌ أَلِيمٌ . (ايرام × ۲۰) . ﴿ قُلِ آدْعُوا الَّذِيكَ زَعَمْتُمُ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَكَ مِنْقَالَ ذَرَّةِ فِ السَّمَوَتِ

وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكِ وَمَالَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرِ ۞ وَلَا نَفَعُ الشَّفَعَةُ

عِندُهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِكَ أَمُّ حَقَّ إِنَا فُرْعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَا ذَا قَالَ رَبُّكُمٌ قَالُوا الْحَقُّ وَهُو

الْعَلَيْ الْكَبِيرُ ۞ ﴿ ﴾

المغردات

رُم ما الله عند الله الله الله الله الله .

مسطيسة سال درة، وزن درة وادرها.

وما ثهم اليهما من شرك ، وليس لهم من شركة في السماوات ولا في الأرض.

ظـــهــــــــد ، معين .

. فزّع صن قسلسويسهم، أزيل الخوف عن قلويهم ، يقال : فُزّع عنه ، مثل قولهم : قرَّدت البعير، إذا أزات قراده، والغزع : انقباض ونقار يعتري الإنسان من الشيء المخيف .

التفسيره

٢٧ - قَلِ آدَعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَتُهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِقَالَ ذَوَّةٍ فِي ٱلسَّمَنُوَّتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن هُوْكُ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّنَ هُهِيرٍ

تكلمت الآيات السابقة عن باو، وسليمان كنموذج للشاكرين ، ثم تكلمت عن قصة سبأ كنموذج للكافرين ، وهذه الآيات تعود إلى خطاب المشركين بمكة ، ومناقشتهم بشأن الأصنام التي يعيدونها ، أو الملائكة التي عيدوها ، فقول :

قُل يا محمد لهوّلاء المشركين: ما دمتم مصرين على الشرك ، وأن الأصنام أو الملائكة لها شفاعة لكم ، يوم البعث فاعلموا أن الحقيقة غير ذلك ، وهي أن الذين تدعونهم من دون الله ، وجعلتموهم لله شركاء لا يملكون وزن ذرة ولا هباءة ، ولا شيئًا مطلقًا في هذا الكون ، لا في السماء ولا في الأرض ولا في غيرهما .

وإذا كانوا من العجز بحيث لا يملكون أي شيء ولم يخلقوا أي شيء في الكون ، ولم يشاركوا مع الله في خلق أي شيء ، لأنه غني وقادر ولا يحتاج إلى مشارك ، وليس لله تعالى منهم ظهير ولا معاون ، أي : وإذا كانوا لا يملكون شيئًا ، ولا يستطيعون جلب نفع ولا ضر ، فكيف يكونون آلهة تُمبد ؟ وذكر السماوات والأرض للتعميم عرفًا ، فيراد جميع الموجودات كما يقال : صباحًا ومساءً لجميع الأوقات ، وشرقًا وغريًا لجميع الجهات ، والمرك : نفى قدرة الشركاء على شيء من النفع أن الضر ، أو الإيجاد أو الإعدام .

قال الزمخشري :

يريد أنهم على هذه المنفة من العجز والبعد عن أحوال الريوبية ، فكيف يمنعُ أنْ يُدعُوا كما يُدعُى ، ويرجوا كما يرجى ؟

٣٧ – وَلَا تَفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ عِندُهُۥ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ, حَنَّى إِذَا فَرَّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا ٱلْمَحَّقُ وَهُوَ آلفيلُ ٱلكَبِيرُ .

كان الكفار يعتقدون أن الأصنام أن الملائكة أو غير ذلك من الآلهة المدّعاة تشفع لهم عند الله يوم القيامة ، ويتولون : مَا نَشْلِمُهُمْ إِلَّا لِمُتَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْقَى ... (لزمر: ٣) .

فبين القرآن أن الشفاعة لا تكون إلا لمن أذن له الله ، من نبى مرسل ، أو ملك مقرب ، وأن هول الشفاعة ، وأن هول الشفاعة ، فإذا ذهب القيامة ، والخوف من عدم قبول الشفاعة ، فإذا ذهب الخوف وتأمل الجميع في رضوان الله وسابغ رحمته سأل الأنبياء والمرسلون الملائكة المقربين : ماذا قال ربكم ؟ فَأَلُواْ أَلْحُقُ . فهو سبحانه الحق ، وقوله الحق ، أي الحق الكنّى ، الحق الأزلى ، الحق اللهذي .

وَهُوَ ٱلْعَلِمُ ٱلْكَبِيرُ ، صاحب الكبرياء والعظمة والملك والتصرف له وحده سبحانه .

من تفسير القرطبي :

فى صحيح الترمذى ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : وإذا قضى الله فى السماء أمرًا ، ضربت الملائكة بأجنحتها ، خضعانا لقوله ، كأنها سلسلة على صفوان ، فإذا فُزّع عن قلوبهم ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحقّ وهو العلى الكبير ، قال : والشياطين بعضهم فوق بعض، قال : حديث حسن صحيح .

أى : لا تنفع الشفاعة إلا من الملائكة الذين هم اليوم فزعون مطيعون لله تعالى ، دون الجمادات والشياطين ، وقد أورد القرطبي كلامًا كثيرًا في تفسير الآية خلاصته ما يأتي :

إنه إذا أنن للشفعاء في الشفاعة ، وررد عليهم كلام الله فزعوا ، لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل، والخوف أن يقع في تنفيذ ما أنن لهم فيه تقصير ، فإذا سُري عنهم ، قالوا للملائكة فوقهم ، وهم الذين يوردون عليهم الوحى بالإذن: مَلاَا قَالَ رَبُّكُمْ . أي : ساذا أمر الله به ، قَالُواْ ٱلْحَقْ . وهو أنه أذن لكم في أ الشفاعة للمؤمنين ، وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيُّ . فله أن يحكم في عباده بما يريد .

* * *

﴿ قُلْ مَن بِرَزُقُكُمْ مِّنِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضُ قُلِاللَّهُ وَلِنَا أَوْ لِيَا كُمْ لَعُلَى هُدًى الْمَدَ فَي ضَلَا مُدَى السَّمَوَتِ وَالْأَرْضُ قُلِاللَّهُ وَلِنَا أَوْ لِيَا كُمْ الْعَمْلُونَ فَقُلَ الْمَوْمَةُ وَلَا مُتَعْمَلُونَ فَقُلَ الْمَوْمَةُ وَالْفَتَاحُ الْعَلِيمُ فَ قُلْ أَدُونِي اللَّينِ الْمَحَمَّةُ مِيهِ مُثْرَكَأً مُّكَا لِلْمُواللَّهُ الْمَوْدِيرُ الْمَحْكِيمُ فَي وَمَا أَرْمِلْنَكَ إِلَاكَافَةُ الْمَوْدِيرُ الْمَحْكِيمُ فَي وَمَا أَرْمِلْنَكَ إِلَاكَافَةُ الْمَوْدِيرُ اللَّهُ الْمَوْدِيرُ اللَّهُ الْمَوْدِيرُ اللَّهُ الْمَوْدِيمُ فَي مَا اللَّهُ الْمُورِيمُ مَنَ هَلَا اللَّهُ الْمَوْدِيمُ اللَّهُ الْمَوْدِيمُ اللَّهُ اللَّهُ مِيعَادُ يَوْمِ لِلْاَسْتَعْرِمُونَ عَنْهُ سَاعَةُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِيعَادُ يَوْمِ لِلَاسَّتَعْرِمُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلِاسَتَقْدِمُونَ فَي ﴾

المفردات :

مسن يسرز قصكه ، من السماوات بإنزال المطر ، ومن الأرض بإنبات النبات .

عسمساأجسرمسنساء أذنبنا

ولانسأل عما تعملون: فالمستولية فردية ، وكل امرئ بما كسب رهين ، وهو تلطف آخر.

قــــــال أرواـــــان أعلموني بالدليل عن هذه الأصنام ، ماذا خلقت في هذا الكون حتى تستحق العبادة مع الله .

بحل هسوالسلسة: الخالق الرازق العزيز الحكيم ، هو أهل العبادة وحده .

كسافسة لسلستساس، لجميع الناس عربهم وعجمهم.

بش الجنة .

_____ عـــاد بـــوم: هن يوم القيامة .

تمهيد :

مازال السياق مستمرًا في تبكيت المشركين وإلزامهم الحجة ، وحملهم على التفكير في جدري عبادة أصنام لا تنفر و لا تضر ، فكيف يحملونهم شركاء لله الخالق الرازق .

التفسب

٢٤ - قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مَّنَ ٱلسَّمَلُوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدَى أَوْ فِي صَلَالٍ مَّبِينٍ.

تلفت الآية النظر إلى الحجج والأدلة على وحدة الألوهية ، فتقول للكافرين من أهل مكة : من يرزقكم من السماء بالمحل والهواء ، وتسفير الشمس والقمر ، وسافر الأرزاق المادية والمعنوية ؟ ومن يرزقكم من الأرض والأرزاق ؟ فإن ترددوا في الإجابة خوف الهزيمة المقلية ، فأجب أنت قائلاً : الله هو الرازق ، إذ ليس لهم من جواب سواه ، وقد صرحوا بهذا الجواب في قوله تعالى : قُلُ مَن يَرْزُوكُمُ مَن السّماءِ وَآلاً رَضِياً المَّهَوَ وَالْأَرْافَةُ مُن يَشْرُعُ النَّمَةُ وَالْأَرْضِ أَسْ يَكْفَرُ وَمُن يُنْفِرُ مِنْ الْمُنْتِ وَيُعْرِعُ النَّحَى وَنَ الْمُنْتَ وَيُعْرِعُ النَّمَةُ وَالْأَرْضِ أَنْ مَنْ يَلْفَرُونَ الْمُنْتَ وَيُعْرِعُ النَّمَةُ وَالْأَرْضِ أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَى وَلَا لَهُ مَن يَلْمُرُاللَّا فُعْلًا أَفَاذَ عَلَوْن . (يونس : ٣٠)

وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .

نحن نوحد الله ، وأنتم تعبدون الأصنام ، فنحن فريقان مختلفان ، فلابد أن يكون واحد منا على الهدى والحق منا على الهدى والحق ، والآخر في الضلال والباطل ، وهو طريق براد به حمل الخصم على التفكير والتدبّر ، دون أن نجهه بالحقيقة أن نقول له : أنت على الباطل ، لأنك تكفر بالله وتعبد الأصنام ، وهذا الأسلوب يقال له : أسلوب المنصف ، وهو ألا يذكر المجادل لمن يجادله ما يغيظه أو يثير حفيظته ، رجاه هدايته إلى الحق .

ه ٧ - قُل لا تُسْتَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْتَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ .

كان المشركون يتهمون المسلمين بالخروج على المألوف ، والتحول عن دين الآباء والأجداد إلى الدين المسلول الدين المسلول الدين الجديد ، ويقراون : مولاء هم الصابئة ، أى الخارجين على الدين المألوف ، وهذا يوجه القرآن الرسول أن يقول لهم : كل مئا مسلول عن نفسه يوم القيامة ، فحتى لو كثّا قد ارتكبنا جريمة باعتذاق الإسلام فأنتم لن تتحمل تبعة أعمالكم ، فروّى زأيكم ، وفكروا في مستقبلكم ، فالتبعة فذا الجرم ، ونحن أن تتحمل تبعة أعمالكم ، فروّى زأيكم ، وفكروا في مستقبلكم ، فالتبعة فردية ، وكل امرح بما كسب رهين .

ونلاحظ أنه أضاف الإجرام إلى المؤمنين ، وأضاف العمل إلى الكافرين استمرارًا في طريقة القرآن الحكيمة في استلال الضغينة ، وعدم إغضاب الخصم أو إزعاجه ، حتى لا يحمله ذلك على الكبرياء الكانب ، وعدم التدبرُ والتأمل .

٢٦ - قُلْ يُجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيَّنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ.

تستمر كلمة : قُلُّ ، لفتًا لهم ، واستنهاضًا لهممهم .

والمعنى: قل لهم: إن يوم القيامة هو يوم الجمع حيث يجمع الله الجميع من المؤمنين والكافرين ؛ ليقضى بينهم بحكمه ، فهو الحاكم العادل ، وهو العليم بأهل الهدى والضلال ،ويطلق الفاتح على القاضى والحاكم لأنه يفتح طريق الحق ويظهره .

قال القرطبي في تفسير الآية:

قُلْ يَجْمَعُ يُنْنَا رَأْنَا ... يريد يرم القيامة .

ثُمُّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْمَعَلِّ ... أي : يقضى فيثيب المهتدى ، ويعاقب الضالُّ .

وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ . أي : القاضي بالحق . ٱلْعَلِيمُ ، بأحوال النفلق .

٧٧ - قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ ٱلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ.

يراد بهذه الآية بيان فائدة مؤلاء الشركاء ، أى الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر. ومعنى الآية :

أرونى هذه الآلهة التي صيرتموها لله شركاء ونظراء معادلين ، حتى أراهم وأشاهد ما يقدرون عليه ، إن الحق واضح ، وإن هذه الأمنام لا تقدر على شيء ، فارتدعوا عن هذا الشرك ، فلا نظير ولا عديل لله ، بل هو الله الواحد الأحد ، المتفرد بالخلق والألوهية ، ذو العزة التي قهر بها كل شيء ، الحكيم في أقواله وأفعاله حكمة باهرة لا يعلوها شيء .

٢٨ - وَمَا أَرْسَلْنَىٰكَ إِلَّا كَآفَّةٌ لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَلِيرًا وَلَئْكِنَّ أَكْثَرَ آلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

أرسل الله كل رسول إلى قومه ، وختم الله الرسالات بمحمد ﷺ ، فجعل رسالته رسالة عامة للعرب والعجم ، والإنس والجن ، وتضمنت رسالته عوامل خلويها ، بما اشتملت عليه من الأصول الصحيحة في المقيدة والعبادات والمعاملات ، واليسر والحث على الاجتهاد والاستنباط فيما لم يرد فيه نص . و المعنى: لقد جعلنا رسالتك عامة للناس أجمعين تبشر من أطاعك بالجنة ، وتنذر من عصاك بالنار ، ولكن أكثر الناس لا يطمون حقيقة رسالتك ، فيكنبونك ولا يهتدرن بهدايتك .

قال تعالى : وَمَآ أَكْثُرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ . (يوسف: ١٠٣) .

وقد دل القرآن على عموم رسالة النبي ﷺ إلى الناس أجمعين ، كما دلت على ذلك السنة المطهرة .

قال تعالى: قُلْ يَنَآيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُّولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... (الأعراف: ١٥٨) .

وقال تمالى: تَبَارَكُ ٱلَّذِي نَزُّلُ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلْمِينَ نَلِيرًا . (الفرقان: ١).

وقال ابن عباس ، فيما رواه ابن أبى حاتم : إن الله فضل محمدًا على أهل السماء وعلى الأنبياء ، قالوا: يا ابن عباس ، فيم فضله الله على الأنبياء ؟ قال رضى الله عنه : إن الله تعالى قال : وَمَا أَرْسُلْنَا مِن رُسُولر إِلاَّ بِلِسَانَ فَوْمِهِ لِيَّشِيَّ لَهُمْ ... (ابراهيم : ٤) . وقال للنبي محمد ﷺ : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَالَّهُ لَلنَّاسِ ... فأرسله إلى الجن والإنس .

قال ابن كثير:

وهذا الذى قاله ابن عباس قد ثبت فى الصحيحين ، عن جابر قال : قال رسل الله ﷺ : «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا ، فأيما رجل من أمتى أدركته المسلاة ظليصل ، وأحلت لى الفنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وأرسل كل نبى إلى قومه خاصة ، ويعثث إلى الناس عامة» (**).

وأخرج مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت إلى الأسود والأحمر». (١٠٠ قال مجاهد: يعنى الجن والإنس، وقال غيره: يعنى العرب والعجم . ا ه..

وقال القاسمي في تفسيره:

والتحقيق في معنى عموم إرساله وشعول بعثته هو مجيئه بشرع ينطبق على مصالح الناس وحاجاتهم لينما كانوا ، وأيّ زمان وجدوا ، مما لم يقفق في شرع قبله قط ، ولهذا ختمت النبوات بنبوته ﷺ. 1 هـ .

٢٩ - وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَلَاا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَلْفِقِينَ .

يقول كفار مكة : متى تأتى هذه القيامة ، أو متى يجيء العناب الذي تخوفوننا به إن كنتم صادقين في أن محمدًا رسول من عند الله ، وهذا لون من ألوان الاتهام والتهكم والخلط بين وظيفة الرسول التي هي البلاغ والتبشير والإندار ، وما يختص به الله ، وهو علم الساعة أو معرفة وقت مجيء العذاب ، وهذه الآية كقوله تعالى : يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِئُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ وَاشُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنْهَا ٱلْحَقُّ أَلَا إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ في آلسَّاعَةِ لَفِي صَّلَالِي يَعِيدٍ . (الشورى: 18) .

• ٣ - قُل لَكُم مِّعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَقْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةُ وَلَا تَسْتَقْلِمُونَ .

إن الساعة أو الموت ، أو القتل يوم غزوة بدر ، أو العقوية التي تصبيكم جزاء كفركم لها ميعاد لا يعلمه إلا الله ، وإذا جاء هذا الميماد فلا يتقدم ساعة ولا يتأخر .

قال تعالى : فَإِذَا جَآءَ أَجُلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْلِعُونَ . (الأعراف: ٣٤) .

قال في التفسير المنير:

قل لهم يا محمد: لكم ميقات معيّن ، هر يوم البعث أن القيامة ، لا يزيد ولا ينقص ، ولا تتقدمون عنه ولا تتأخرين ، وهو آتر لا محالة ، وعلمه عند الله لم يطلع عليه أحدًا من خلقه ، 1 هـ .

قال تعالى : وَمَا تُؤَخِّرُهُ وَإِلَّهُ لِلْمَعْلُومِ وَ يَوْمُ فَأَتِ لاَ تَكَلَّمُ فَلْسٌ إِلَّا بِالْمِلِهُ فَيَنْهُمْ لَقَعِينَّ هُو سَعِيدٌ . (مود : ٢٠٥) . * * * * *

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُوَّمِنَ بِهَذَا الْقُرْءَانِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيَّهُ وَلَوْ تَرَكَ إِذِ الطَّلِلِمُونَ مَوْفُونُونَ عِندَ رَبِيمَ بَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُصْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبُرُواْ لَوْلاَ أَنْتُمْ لَكُنَّا مُوْمِينِ فَي قَالَ اللَّذِينَ اسْتَكْبُرُواْ لِلَّذِينَ اَسْتُصْعِفُواْ لَقَوْلاَ أَنَنُ مَكَدَّدُنكُوْ عَنِ الْمُكْنَى بَهْدَ إِذْ جَاءَكُم تُجْرِمِينَ ﴿ وَقَالَ اللَّذِينَ اَسْتُصْعِفُوا لِلَّذِينَ اَسْتَكْبُرُواْ بَلْ مَكُرُ النَّيلِ وَالنَّهَا وَلِذَ تَأْمُرُونَنَا أَنْ تَكُفُرُ إِلَّهِ وَجَعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَنَا رَأُواْ الْعَذَابَ وَحَعَلْنَا الْخَفَلانَ فِي الْمَعْدِونَ اللَّذِينَ الْمُعْدَلِقَ اللَّذِينَ الْمَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ

الستنسين كعرواء المشركون من أهل مكة .

ولا بالذي بين ينيه ، من الكتب السابقة الدُّالة على البعث ، كالتوراة والإنجيل .

السخاسالسمسون: المنكرون للبعث.

محصوقت وقصون محبوسون في موقف الحساب

يرجع بعضهم إلى بعض القول: يتحاورون ويتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب.

المذيس استضعفوا، في الدنيا من الكافرين، وهم الأتباع.

الكيس استكبرواء الجواساء والقادة .

السولا أنسبتهم، لولا إضلالكم وصدُّكم لنا عن الإيمان وإغرارُكم لنا بالكفر.

لكنا مؤمنين، باتباع الرسول.

مياط اكه، متعناكم.

بالكنتم مجرمين، ظلمة فاسدين مفسدين.

مكر الطيل والشهار؛ صدُّنا المكر والخديعة والاحتيال علينا بالليل والنهار.

وأسسروا السنداسة، أضمر الفريقان الندم على ما فعلا من الضلال والإضلال ، وأسرّ: من الأضداد يمعنى أخفى ، ويمعنى أظهر .

الأغمان عنق المجرم.

هـــل يــجـــزون، ما يجزون إلا ما كانوا يعملون.

تمهید،

تستعرض الآيات موقف المشركين من أهل مكة ، فقد علموا أن التوراة والإنجيل والكتب السماوية ذكرت البعث والحشر والحساب والجزاء ، فقالوا : لن نوّمن بالقرآن ولا بالذي بين يديه من الكتب التي سبقته، ثم تستعرض الآيات موقف المحاورة بين الأنباع الفقراء وبين المتبوعين الأغنياء والسادة ، كل فريق يلقي التبعة على الآخر ، ثم يعمّ الندم جميعهم ويلقى كل فريق منهم جزاء عمله .

التفسير،

٣٩ – وَقَالَ ٱلدِّينَ كَفَرُواْ لَن تُؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْ ءَان وَلَا بِٱلدِّي يَبْنَ يَمْنِهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلطَّلِيمُونَ مَوْقُولُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ يَفضِ ٱلقَوْلَ بِقُولَ ٱلْذِينَ ٱستَعْجُونُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكَبُرُواْ لُوْلَةً أَشْهُ لَكُنا مُؤْمِينَ .

روى أن أهل مكة سألوا أهل الكتاب عن محمد ، فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله ﷺ في

كتبهم ، فأغضبهم ذلك ، وكفروا بالقرآن ريالكتب السابقة عليه ، وقيل : إن الذي كفروا به هو يوم القيامة , أي أنهم كفروا بالقرآن ، ويما جاه به من البعث والجزاء .

ومعنى الآية :

تعنت الكافرون ، وأعلنوا صدودهم وكفرهم بالقرآن ، ويما سبقه من الكتب السماوية ، هذا في الدنيا أما في الآخرة ، فلو ترى يا كل من هو أهل للرؤية مشهد القيامة ، وترى للظالمين الكافرين محجوزين عند الله الذي بيده الخلق والأمر ، وتبدأ الخصومة الشديدة بين الأنباع البسطاء وبين القادة الأقوياء ، كل فريق يريد أن يلقى التبعة على الآخر .

يقول الفقراء الذين تنازلوا عن استخدام عقولهم وأفكارهم اتباعًا للقادة الكبراء في الدنيا ، يقولون للذين استكبروا عن الإيمان : لولا أنكم كنتم قدوة لنا لكنًا مؤمنين بالرسل وياليوم الأخر ، وكانت لنا نجاة من هذا العذاب المهين في هذا اليوم .

٣٧ - قَالَ ٱلَّذِينَ آسْتَكُبُرُواْ لِلَّذِينَ آسْتُطْعِفُواْ أَنَحْنُ صَدَدْنَكُمْ عَن ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُعْرِمِينَ .

دافع الكبراء عن أنفسهم ، فقالوا للضعفاه : هل سلينا عقولكم؟ هل منعناكم من التفكير؟ نحن عرضنا عليكم الأمر ، ولكنكم كنتم مجرمين ، مشركين مصرين على الكفر بالمتهاركم ، وما زبدنا على أن دعوناكم فاستجبتم لنا ، راغبين في إشباع شهواتكم في الدنيا ، معرضين عن دعوة الرسل وهدليات الأنبياء .

٣٣ - وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَعْضِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكَثَّرُواْ بَلَ مُكُرُّ ٱلْلِّلِ وَٱلْفَهَارِ إِذْ تَلْمُرُونَا أَن تُكُثَّرُ بِٱللَّهِ وَمَجْعَلَ لَهُۥ أَلْمَاكًا وَأَسُرُواْ ٱللَّذَامَةَ لَكَا رَأَوْا ٱلْتَذَابَ وَجَعَلُنا ٱلْأَغْلَالُ فِي أَغْنَاقِ ٱللّذِينَ كَفُرُواْ هَلْ يُعْتَزُونَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

تقدّم الضعفاء بحجة حقيقية للذين استخبروا ، فقالوا: أنتم لم تحملونا على الكفر حملاً ، ولكنكم زينتم لنا الغواية ، وحسَّنتم لنا الكفر ، ولا نقكّر في لنا الغواية ، وحسَّنتم لنا الكفر ، ولا نقكّر في الانتقال إلى الإيمان ، وكررتم أقوالكم تدعوننا أن نكفر بالله ، ونجعل له أندادًا من الشركاء والأصنام والأوثان ، ومنا يظهر العناب الأليم الذي ينزل بالفريقين ، فيخفون الندم على ما فعلوا في الدنيا ، لكن آثار الحريز نظاهرة على الوجوه ، حين تُجمَّل القيود وأغلال الحديد والسلاسل ، تجمع بين أيدى الكافرين وأعناقهم ، ويتعرضون للذل والمهانة والعذاب ، وهذا عقاب عادل جزاء كفرهم وطغيان الكبراء في الدنيا ، وإمال المنعقاء لكرامتهم ، ولحدم استخدام عقولهم ، ووضى دعوة الظالمين لهم ، فاستحق الجميع العقاب .

هَلْ يُجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

أى: ما يجزون إلا ما كانوا يعملون ، فالجزاء بحسب العمل ، إن كان خيرًا فخير ، وإن كان شرًا فشر ، وكانت أعمالهم كلها شرًا وظلمًا ويناهلاً .

هذا وجواب : لُوْ ، في أول السياق محذوف ، يُقدر يمعنَى مستخلص من المشهد ، مثل : لرأيت أمرًا فظيمًا ، واكتفى بعرض المشهد عن ذكره ، فإنه أثمُ وأشمل .

المقردات ،

مستسرف وهدا؛ رؤساؤها المنعمون فيها من أهل المال والجاه.

كــاهـرون ، لا نؤمن برسول ولا نتبعه .

اكسائسر امسوالا؛ من المؤمنين ، فنحن أكثر كرامة عند الله منهم ، فلن نعزُّب في الآخرة .

يسيسط السرزق ، يوسعه امتحانًا .

لا يسعط مهون ؛ الحكمة في التقتير على البعض ، والتوسيم على اليعض .

زاست فسي، قريي.

جِيرًاء الضيفية الثواب المضاعف ، والدُب أن الدة .

السفسرفسات؛ غرفات الجنة ، ومنازلها العالية .

أمست وكل مكروه.

يسعون في آياتنا؛ يمشون مسرعين في إيطال القرآن ، والردّ عليه .

مسعسا جسزيسن ، مقدّرين عجزنا ، وأنهم يفوتوننا ، فلم نعاقبهم .

يحضاحضه : يعطى بدله .

خير الرازقين ، خير المعطين للرزق .

التفسيره

٣٤ – وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن تَلْبِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِ كَلْفِرُونَ .

المترفون هم أصحاب المال والغنى ، مع الترف وركوب الشهوات والملذات ، هولاء يضيقون برسالات السماء ، حيث إن الرسالات تفرض فرائض وأواسر ، وتبين الحلال والحرام ، وهؤلاء يحبون الانطلاق في شهواتهم ، لذلك رأينا الفقراء هم أتباع الرسل ، لأن الرسالات تشتمل على بيان حقوق الإنسان ، من حرية ومساواة وعدالة اجتماعية ، ولأن فلوب الفقراء خالية من الانهماك في الملذات والشهوات ، وهم عادة أتباع الرسل ، وفي حديث الصحيحين الطويل: أن هرقل ملك الروم سأل أبا سفيان عن محمد ﷺ ، فقال مرقل : هل يتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم ؟ قال أبو سفيان : بل ضعفاؤهم ، قال هرقل : هم أتباع الرسل ، وسهمك محمد موضم قدميً هانين (٩٠).

وفى حديث رواه ابن أبى حاتم: أن رجلاً كان يقرأ فى كتب السابقين ، سأل شريكا له عن محمد ، فكتب إليه شريكه أنه لم يتبعه أحد من قريش ، إنما اتبعه أرائل الناس ومساكينهم ، فترك الرجل تجارته بالساحل ، وأتى النبي ﷺ ، فقال : إلام تدعو ؟ قال : «أدعو إلى كنا وكنا» ، قال : أشهد أنك رسول الله ، قال النبي ﷺ : «وما علمك بذلك» ؟ قال : إنه لم يبحث نبي إلا اتبعه أرائل الناس ومساكينهم ، قال : فنزلت هذه الآية : وَمَا أَرْسَلْتُ فِي فُرْيَةٍ مُن لَّفِي إِلَّ قَالَ مُعْرَفُوهًا إِنَّا بِمَا أَرْسِلُم بِهِ كَنْهُرُونَ . قال : فأرسل إليه النبي ﷺ : «إن للله عز وجل قد أنزل تصديق ما قلت» .

وفد تكلم القرآن عن المترف والمعترفين في أكثر من أية ، فقال عن قوم صالح : قَالَ ٱللَّهِينَ ٱسْتَكَبُّرُواْ إِنّا بِٱللَّذِينَ وَاسْتُمْ بِهِ كَلْهُرُونَ . (الأعراف: ٧٦) .

وقال جل وعلا : وَكُذَ لِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكُلْبِرَ مُجْرِمِهَا لِيمْكُرُواْ فِيهَا ... (الأنعام: ١٢٣).

وقال تعالى : وَإِذَا أَوْدُنَا أَن تُهْلِكَ قَرِيَّةً أَمَرْنَا مُتْوَلِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَمَق عَلَيْهَا ٱلْقُولُ فَلَمُوْنَا هَا يَشْهِوا . (الإسواء: ١٦).

وقد حكى القرآن الكريم عن قوم نوح قولهم له : قَالُواْ أَنْوَمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ ٱلْأَزْفُلُونَ . (الشعراء: ١١١).

٣٥ - وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثُرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَلنَّا وَمَا نَحْنُ بِمُعَلِّينَ .

هكذا ينظر المترفون إلى نعم الله عليهم ، على أنها مكافأة من الله لهم ، وقد فضّلهم الله في الدنيا لكر أموالاً وأولادًا لكرامتهم عليه ، ولن يعذبهم في الآخرة لأنهم أهل الامتهاز والتقدير ، فهم في الدنيا أكثر أموالاً وأولادًا وأتباعاً من المؤمنين ، وذلك في تقديرهم لعلو منزلتهم عند الله ، وما كان الله ليعطيهم ذلك في الدنيا ثم يعنبهم في الأخرة ، وهيهات لهم ذلك ، فإن مقاييس الدنيا مقتلفة عن حسابات الآخرة ، فالله تعالى قد يعنبهم في الخالمين استدفوا العذاب عن جدارة واستحقاق ، وقد يمتحن المؤمنين بالفقر أو المصائب ليظهر إيمانهم وصبرهم ، ويتبين استحقاقهم للفضل والأجر وحسن المثوية .

وفي القرآن الكريم:

أَيَحْسَبُونَ أَنْمَا نُعِلُّهُم بِهِ مِن مَّالر وَبَيِينَ ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرُ اتِ بَل لا يَشْعُرونَ . (المؤمنون : ٥٥ . ٥٥) .

٣٦ - قُلْ إِنَّ رَبِّي يَشْطُ ٱلرَّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَلْكِنْ ٱكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

إن الغنى والثروة والمال والرياش ليست دليلاً على محبة الله للعبد ، وكذلك الفقر ليس دليلاً على بغض الله له ، فالله تعالى له حكم إلهية عليا ، فهو يبسط الرزق لمن يشاء ، ويضيعَ ويقدر على من يشاء بحكمته العليا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ، ألا ترى أنه سبحانه وتعالى ريما وسع على العامى ، وضيقً على المطبع ، وريما عكس الأمر ، وقد يوسع على المطبع والعاصى تارة ، ويضيق عليهما أخرى ، يفعل كل ذلك بحسب ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ، التى قد نعلمها وريما خفى علينا أمرها .

وفي الحديث المسحيح: وأشدكم بلاء الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل» [١٠١].

نظر إلى رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ، وإلى أولى العزم من الرسل ، كانوا أشد الناس بلاء ، وإنظر إلى قارون وفرعون وهامان كانوا في غنى وملك وعظمة ، لكن العاقبة كانت للمرسلين ، وقد أهلك الله الكافرين .

يقول الشاعر:

يؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

ومن الدليل على القضاء وحكمه

ويقول آخر:

وجاهل جاهل تلقاة مرزوقًا وصير العالم النّحرير زنديقًا

كم عاقل عاقل أعيث مذاهبه هذا الذي ترك الأفهام حائرة

٣٧ -- وَمَا أَمْوَلُكُمْ وَلَا أَوْلَـٰذَكُم بِآلَتِي تَقَرَّبُكُمْ عِندُنَا زُلْقَىٰٓ إِلَّا مَنْ عَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأَوْلَـٰئِيكَ لَهُمْ جَزَاءُ آلمَنْهُ فِي بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي الْفُولُنَاتِ عَامِئُونَ .

ليست الأموال ولا الأولاد ولا الجاه ولا السلطان ، تعنى أن العبد مقرب من الله وذو جاه ومنزلة ، لكن المؤمن المسالح الذي صدق في إيمانه ، وأعماله المسالحة ، هو الذي يضاعف له الثواب في الآخرة ، ويدخل الجنة في أعلى الدرجات ، حال كونه آمنا من كل بأس أو هوف ، أن أذى وحرمان .

روى مسلم ، وأحمد ، وابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن إنما ينظر إلى قلويكم وأعمالكم» ٢٠٠١ .

قالمُحلاصة : أن لله حكمة لا يعلمها إلا هو ، بالنسبة للغنى والفقر ، قال تعالى : آنظُر كَيْفَ لَعَبْكَ ابْعَمَهُم عَلَىٰ يَعْض وَلَلاَّعِرُهُ أَكْبُرُ وَرَجُنْتٍ وَأَكْبُرُ لَفَضِيلاً . (الإسراء : ٢١) .

أي: كما هم متفاوتون في الدنيا: هذا فقير مدقع ، وهذا غنى موسع عليه ، فكذلك في الأخرة : هذا في الغرفات في أعلى البرجات ، وهذا في النار في أسفل الدركات .

وقد أهرج مسلم ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «قد أفلح من أسلم ، ورُزق كفافًا ، وقتَّمه الله معا آماده" أ

وررى الترمذي ، عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال : دلو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شرية ماءه ⁰⁰ .

وروى ابن أبى حاتم ، عن على رضى الله عنه أن رسول الله 囊 قال : «إن فى الجنة لغرفًا تُرى ظهورها من بطونها ، ويطونها من ظهورها» ، فقال أعرابى : لمن هى ؟ قال 義: «لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام المديام ، وصلى بالليل والناس نيام» (٨٠٠).

٣٨ - وَٱلَّذِينَ يَسْعُونَ فِي ءَايَلتِنَا مُعَلجِزِينَ أُولَذِيكَ فِي ٱلْعَلَابِ مُحْضَرُونَ .

الذين يعملون بجدً في إبطال آياتنا ، والصدّ عن كتاب الله ، وإلهاء الناس بالباطل ، وقف الوهن والرعب في قلوب المؤمنين ، ليشغلوهم عن الإيمان والقرآن ، ويتأنون أنهم معلجزون لنا ، أي : فانتون لنا ، لاندركهم ولا نعاقبهم ، هؤلاء المغرورون فى العذاب محضرون ، أى : كأنك بهم وهم محضرون فى جهنم يعتبون فيها أبدًا .

٣٩ - قُلْ إِنْ رَبِّي يَنْسُطُ ٱلرُّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْلِرُ لَهُر وَمَا أَنْفَقُتُم مّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخلِفُهُ, وَهُو خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ .

أكد القرآن هنا ما سبق أن قرره.

ومعنى الآية : إن الله تعالى يوسع على من يشاء ، ويضيق على من يشاء ، لحكمة إلهية عليا ، فقد يمتحن الإنسان بالفنى ، كما يمتحن آخر بالفقر أن الهلاء .

قال تعالى : وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرُّ وَٱلْخَيْرِ فِيَّةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ . (الأنبياء : ٣٥) .

وَمَا أَنفَقُتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ, وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّ زِقِينَ .

تكثل الله أن يعوض من أخرج نفقة في سبيل الله ، فعطاه الله متجدد ، وفي الحديث القدسي عند مسلم : «يقول الله تمالى : يا ابن آدم أنفق أنفق عليك» ™.

وروى الشيخان عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: دما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا، ٢٠٠٨.

وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّا زِقِينَ .

أى: هو سبحانه أفضل من رزق ، وأكرم من أعطى ، فإذا رزّع السلطان أرزاق الجنود ومرتباتهم ، أو ورَع الرجل أموالاً على أولاده ، أو ورَع الحاكم الأعطيات والمنع ، فذلك من رزق الله أجراء على أيدى هزلام ، وهو خالق الرزق ، وخالق الأسباب التي ينتقع بها المرزوق بالرزق .

وقال القرطبي :

ما أنفق في معصية فلا خلاف أنه غير مثاب عليه ، ولا مخلوف له ، وأما البنيان فما كان منه ضروريًا يكررُ الإنسان ويحفظه ، فذلك مخلوف عليه ، ومأجور ببنيانه .

وقال الفخر الرازى:

وخيرية الرزق في أمور:

أحدها : ألا يؤخر عن وقت الحاجة .

والثاني: ألا ينقص عن قدر الحاجة.

والثالث: ألا ينكده بالحساب.

والرابع: ألا يكدُّره بطلب الثواب ، والله تعالى كذلك .

فهو سبحانه عالم وقادر ، وهو غنى واسع ، وهو كريم يرزق من يشاء بغير حساب ، وهو سبحانه يعطى عباده ، ولا ينتظر منهم مكافأة .

قال تحالى: يَثَلَّهُا ٱلنَّاسُ أَنْتُمُ ٱلْفَقْرَاءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَيُّ ٱلْعَمِيدُ . (فاطر: ١٥) .

﴿ وَيَوْمَ يَعَشُرُهُمْ مَيَعَاتُمَ يَعُولُ اللَّمَائِيَكَةِ اَهَدُولَا ٓ إِيَّاكُرْكَ انُواْيَعْبُدُونَ ۖ قَالُواْسُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيَّنَا مِن دُونِهِمْ مَلْكَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنِّ آَكَ تُرُهُم بِهِم مُّقْوِمُونَ ۞ قَالَيْوْمَ لَايَمْلِكُ بَعْشُكُمْ لِيعَمِّنَ نَفْعًا وَلَاضَرَّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ النّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تَكْذِبُونَ ۞ ﴾ تَكَذِبُونَ ۞ ﴾

المفردات :

جسمه يسعساه عابدين ومعبودين.

أهسولاء إيساكسم : أمولاء خصوكم بالعبادة دونس

سب ب الله عن الشراق .

أنت والسيستساء أنت ربنا الذي نواليه ونطيعه ، ونخلص له في العبادة .

يــ هـ بــ نون الــ جــن، أي : الشياطين ، حيث أطاعوهم في عبادة غير الله .

فاليوم لا يملك بعضكم لبعض، فاليوم لا يملك المعبودون للعابدين.

المستقصعان شفاعة ونجاة.

ولاضــــادا عذابًا وهلاكًا .

المسائية والأنبياء ، أو الأولياء والله في عبادته ، من الملائكة والأنبياء ، أو الأولياء والصالحين .

التفسيره

· \$ - وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَنِيكَةِ أَهَنَوْلَا إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ.

واذكر – أيها النبي – يوم يحشر الله المستكبرين والمستضعفين، وما كانوا يعبدون من دون الله ، ثم يقول الله للملائكة : أُهْمَا إِلَّاكُمْ كَالُواْ يُعْلُمُونَ . أي، أن ضبتم بعدادتهم لكم ؟

وهر سؤال تقويري ، يراد به توبيخ المشركين وإذلالهم ، حيث تشهد الملائكة أنهم ما رضوا عن عبادتهم ، على حد قول عيسى يوم القيامة ، وتبرئه من عابديه .

قال تعالى : وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَنْجِسَى اَبْنَ مُرْيَمَ ءَأَنتَ قَلْتَ لِلنَّاسِ اتْخِلُوبِي وَأَنْيَ إِلْنَهْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ: مُبْحَنْنَكَ مَا يَكُونُ لِيّ أَنْ أَقُولُ مَا لَيْسُ لِي بِحَقِّ ... (المائدة : ۱۹۱) . والمقصود من السؤال والجواب ، إعلام المشركين بخيبة أملهم ، وضياع عبادتهم ، حيث إن الملائكة تنزه الله تعالى عن الشريك والمثيل ، وتعترف لله وحده بالوحدانية والملك ، وأن عبادتهم وولاههم لله وحده ، وتقريهم من الله ، لا من هؤلاء العابدين .

٤١ - قَالُواْ سُبْحَنْنَكَ أَنتَ وَلِيَّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْحِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُؤْمِنُونَ .

أى: قالت الملاككة لله تعالى: تنزمت يا رينا عن الشريك والمثيل، أنت الذي نواليه بالطاعة والعبادة ، إذ لا موالاة بيننا وبينهم ، وما رضينا عن عبادتهم لنا ، إن طاعتهم وعبادتهم كانت للجن والشياطين ، الذين زينوا لهم عبادة الأصنام والأوقان .

وقال ابن عطية : في الأمم السابقة من عَبَدَ الجن ، وفي القرآن ما يشير إلى ذلك ، قال تعالى : وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْعِنْ ... (الأنمام . ١٠٠).

أَكْثَرُهُم بهم مُؤْمِنُونَ .

أي: مصدقون ، فأطاعوهم في عبادة الأصنام ، وعصوك وعصوا رسلك ، فلم يعبدوك ولم يطيعوا رسلك .

وذكر ابن الوردي في تاريخه: أن سبب حدوث عبادة الأصنام في العرب ، أن عمرو بن لحي مرّ بقوم في الشام ، فرآهم يعبدون الأصنام ، فسألهم ، فقالوا له : هذه أرياب نتخفما على شكل الهياكل العلوية ، فنستنصر بها ونستقى ، فتبعهم ، وأتى بصنم معه إلى الحجاز ، وسوَّل للعرب عبادته فعبدوه ، واستمرت عبادة الأصنام فيهم إلى أن جاه الإسلام . ٤٧ - فَالْيُوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْسِ ثَفْعًا وَلاَ ضَرًا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ آلثَارِ آلَتِي كُتُم بِهَا تُكذَّكُ نَ

فاليوم يوم القيامة ، لا يملك المعبودون للعابدين نفعًا ولا ضرًا ، ولا مشاعة ولا نصرًا ، إذ الملك لله وحده ، وقد تحقق العابدون للأصنام والجن والملائكة ، وكل ما سوى الله ، باليأس والإبلاس ، وانقطاع الأمل ، ويقال للمشركين الذين كذبوا بالبعث والحساب والجزاء : انخلوا جهنم وصلوا عنابها ، وذوقوا لهيبها ، تلك التي كنتم تكذبون بها في الدنيا .

- - -

﴿ وَإِذَا تُنْكَ عَلَيْهِمْ التَّنَايَتِنَتِ قَالُواْ مَاهَنَدَا إِلَّا رَجُلِّ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُو عَاكَانَ يَسْبُدُ اَبَا أَوْكُمْ وَقَالُواْ مَاهَنَدَا إِلَّا إِفْكُمُ فَتَكَ عَوَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِ لَنَّاجَاءَ هُمْ إِنْ هَنْلَا إِلَّاسِمَّ مُثَلِّ يَكُورُ عَنْ وَمَا الْمَنْفُم مِن كُنْكِي يَدْرُصُونَهُ أَوْمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكُ مِنْ نَذِيرٍ ٣ وَكَذَب الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلِنُولُ إِمْشَارَ مَا مَا نَيْنَهُمْ فَكَذَّبُواْرُمُ لِنَّ فَكِيرٍ ٢٠ عَنَ

المطردات ،

أياتك إسالت المعنى ، بينة الدلالة .

قالوا ما هذا إلا رجل ، ما محمد إلا رجل من الرجال .

يصب دك يصبه عصرفكم ويمنعكم .

عما كان يعيد آباؤكم : من الأصنام .

بالك مستستسرى، كذب مختلق.

المسلم عبدين، للقرآن أو دين الإسلام .

سمعسر مسهسيس: محمد ساحر ، والقرآن سحر ظاهر.

كتبيسوسونسها: يقرءونها فأباحت لهم الشرك ، وأذنت لهم فيه .

وما بلغوا معشار ما آتيناهم، لم يبلغ أهل مكة عشر ما آتينا الأمم السابقة من القوة ، وطول العمر وكثرة المال ، كعاد وثمود ونحوهما.

فكيث كان نكير، فكيف كان إنكاري عليهم، والاستفهام للتهويل، أي: كان إنكاري شديدًا بالعذاب والعقوبة .

التفسيره

الجزء الثاني والعشرون

٣٤ - وَإِذَا تُتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا يُنَدَّتِ قَالُواْ مَا هَلَآ إِلَّا رَجُلُ يُرِيدُ أَن يَصُدُكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآ رُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَلْذَا إِلَّا إِفْكُ مُفْتِرُى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَلْذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينً .

يتجه الكفار إلى النيل من ثلاثة أشياء في هذه الآية :

- ۱ الرسول محمد ﷺ.
 - ٢ القرآن الكريم
 - ٢ الأسلام .

ومعنى الآية :

إذا قرئت عليهم آيات القرآن وإضحات ، مشتملة على التشريم والآداب والقصص وألوان البيان ، قال كفار مكة : محمد ليس رسولاً ، بل هو رجل مثلنا ، يريد أن يزهدنا في عبادة الأصنام ، ويصرفنا عن عبادة الآلهة التي كان آباؤنا يعبدونها .

وقالوا: إن القرآن كذب مختلق ، وليس وحيًّا من الله ، وقالوا عن الإسلام ودعوته - وهو حق مبين : ما هذا إلا سحر واضح ، فمحمد ساحر ، والقرآن سحر يستولى على الناس ، ويأخذ بالألباب ، وفيه قوة خارقة هي السحر وليست الوحي.

لقد كان للقرآن الكريم أثره البالغ في نفوس العرب من جهة بالأغته وفصاحته وبيانه ، واشتماله على أخبار السابقين ، وعلى ما في الكون من جمال وجلال ، واشتماله على أخبار القيامة والحساب والجنة والنار، مع صدق القرآن، وأثره في زلزلة العقائد الفاسدة، ومناقشة العقول والألباب، وقد أحس كبراء مكة بهذا الصدق وذلك التأثير، فادعوا أنَّ القرآن سحر يؤثر، مم أنهم كانوا يتسللون لواذا للاستماع إلى القرآن من النبي ﷺ ليلاً ، فإذا تقابلوا رواجه بعضهم بعضًا ، تلاوموا واتفقوا ألا يعودوا للاستماع إلى القرآن الكريم ، خشية أن يراهم الضعفاء والأتباع من المشركين ، فيميلوا إلى سماع القرآن الكريم ، واتباع النبي الأمين ، ولذلك كثر تخبط القادة من المشركين في توجيه التُّهم للقرآن الكريم ، والرسول الأمين ، ومن هذه التهم أن القرآن سحر ، ينزع من آمن به من بين أهله وعشيرته ، ويفرّق بين الأخ وأخيه ، والابن وأبيه ، ولو صدقوا مم أنفسهم وما بدلخلهم ، لقالوا : إنه وحي من الله تعالى ، لا يستطيع بشر أن يأتي بمثله .

\$ \$ - وَمَا ءَاتَيْنَاهِم مِّن كُتُبِ يَنْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ فَبْلُكَ مِن نَلِيدٍ .

أى: كيف يتمسكون بتقليد الآباء والأجداد في عبادة الأمنام، وهي عبادة باطلة، لم ينزل بها كتاب سماوى، ولم يرسل بها رسول من عند الله، لقد كان أولى بهم أن يتبعوا محمدًا ﷺ، الذي أرسله الله، وأنزل عليه القرار الله الله، وأنزل الكريم.

وتشير الآية إلى زمن الفترة السابقة على الرسالة المحمدية ، حيث خفيت معالم رسالة إبراهيم وإسماعيل، لبعد العهد وطول المدة، وعبادة تماثيل ترمز لملكوت السماء، ثم انقطاع الصلة مع طول العهد، ويقاء الكذار على عبادة الأصنام قصدًا، بدون اعتماد على كتب يتدارسون شرائعها، ولا انتباع لنبي ينذرهم عقاب الله إن خالفوا أوامره.

وفي معنى الآية قوله تعالى : أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَكْنَا فَهُوَ يَتَكُلُّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِ يُشْرِكُونَ . (الروم : ٣٠) .

وقوله تعالى: أَمْ ءَاتُيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ . (الزعرف: ٢١) .

وقول، تعالى : أَمْ لَكُمْ كِتُلْبٌ فِيهِ تَلْرُسُونَ هِ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَحْيَّرُونَ . (القلم : ٣٧ ، ٣٧) .

وقوله تعالى: لِتُعلِرَ قَوْمًا مَّا أُعلِرَ عَابَآوُهُمْ فَهُمْ خَلْهِلُونَ . (يس:٦).

٥٥ - وَكَدُّبُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلْقُواْ مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ فَكَدُّبُواْ رُسُلِي فَكَيف كَانَ نَكِيرٍ.

أى: لا تحزن يا محمد على تكذيب قومك لك ، فإن هذه جيلةً وطبيعةً في البشر ، قال تعالى : وَمَا أَكْثُرُ آثناس وَلَوْ حَرَّصْتَ بِمُوْمِينَ . (يوسف : ١٠٣) .

لقد كذب تبلهم كثير من الأمم ، مثل أقوام نوح وهود وصالح ، وكُنْب موسى وعيسى ، وقد كان هؤلاء السابقون أهل صناعة ومال وعمران ، ويلغوا في الحضارة والغنى مبلغاً كبيرًا ، لم يبلغ أهل مكة عشر ما بلغوا من الغنى والثروة والمسناعة ، بل ريما لم يبلغوا عشر معشار من سيقهم من المكذبين ، أي ١٪ من غنى وتفوق من سبقهم ، ومع هذا الغنى والجاه للسابقين ، لما كتُبوا الرسل أنزل الله بهم أشد العذاب ، فمنهم من أخذته الصبحة ، ومنهم من خسف الله به الأرض ، ومنهم من هلك بالغرق أو الطوفان ، أو غير

الجزء الثاني والعشرون

ذلك من ألوان العذاب فليعتبر أهل مكة بما أصاب من قبلهم ، وليرتدعوا عن الشرك ، عشية أن يصيبهم ما أصاب المكذبين .

﴿ قُلْ إِنَّمَاۤ أَعِظُكُم بِوَحِدَةً أَن تَقُومُواْ بِلَهِ مَثْنَى وَفُرَدَىٰ ثُمَّ لَنَفَكُرُواً مَاسَأَلَتُكُم مَا اللّهِ مَثْنَى وَفُرَدَىٰ ثُمَّ لَنَفَكُرُواْ مَاسَأَلَتُكُم مَا اللّهِ مَثْنَى وَفُرَدَىٰ ثُمَّ لَنَفَكُم مَا اللّهِ وَهُوكَانُ كُلُ مِنْ عَمَابِ شَدِيدِ اللّهِ قُلْ مَاسَأَلَتُكُم مِنْ أَجْرِفَهُولَكُمْ إِنْ مَلْتُ وَهُوكَانُ كُلُ مَنْ وَشِيدٌ اللّهُ قُلْ إِنْ مَلَلْتُ وَلَا يَوْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَوْ اللّهُ وَلَوْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَوْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَوْ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَى اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ اللّهُ وَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلِي اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلِي اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللللللللللللللّهُ الللّهُ ال

المطردات :

أصط كم بواحدة ؛ أذكركم وأحذركم بكلمة واحدة ، هي :

أنّ تسقسومسوا لساسه ، أن تقوموا في طلب الحق بالفكرة الصيادقة ، أي : تتجهوا وتهتموا ببالبحث عن الحقيقة ، وليس المراد به القيام الذي يقابل القعود .

مسئست وهسرادى ؛ اثنين اثنين ، وواحدًا واحدًا .

ما يصاحبكم من جنة : ليس بمحمد من جنون ، ولا سحر ، بل هو الصدق والوحي .

ماسالتكم من أجر: ما طلبت منكم من أجر ومال في مقابل تبليغي للرسالة.

هسهسولسكسم؛ فهذا المال مردور عليكم ، كما تقول لشخص : ما أخذت منك من مال فخذه ، وأنت تعلم أنك لم تأخذ منه شيئًا ، ويحتمل أن يكون المعنى : فالأجر لكم إن آمنتم بالله ورسوله .

إنّ أجرى إلا على الله : ما ثوابي إلا على الله .

يسقدنا بسالسعيق ، يلقيه وينزله ليرمى به الباطل .

ومايبدي الباطل ، لم تعد للباطل كلمة ببدأ بها أو يعيد.

فإنما أضل على نفسى : فإنما يعود ضرر الضلال عليها .

الا فصطرة عصواء خافرا عند الموت أو البعث

السمالا المسوت: فلا نجاة ولا مهرب من العذاب.

مسكسان قسريب، موقف الحساب.

السنة منساوش ، تناول الإيمان والتوبة .

مسكان بسعيد، هو الآخرة ، إذ مكان الإيمان هو الدنيا .

وقب كسفسروا يسه ، وقد كفروا بمحمد ورسالته قبل حضور الموت .

ويقذفون بالقيب، يرجمون بالظنون.

مىن مىكنان بىھىيىد، من جهة بميدة ، ليس فيها مستند لظنهم ، حيث قالوا : شاعر ، كاهن ، ساجر ، وقالوا فى القرآن : سحر، شعر ، كهانة .

وحسل بسيسهم، منعوا من الانتفاع بالإيمان بعد فوات الأوان ، أو الرجوع إلى الدنيا .

باشياعهم وبأمثالهم من الكفار.

مسمسينيه، موقع في الريب والقلق، والشك بمعنى الريب والتهمة، والشك المريب أقوى من مطلق الشك، كما تقول: عجب عجيب، وشعر شاعر.

التفسيره

4 ٤ - قُلْ إِلْمَا أَعْظَمُ وَرَاحِدَةِ أَن تَقُومُوا لِلْمَنْتَىٰ وَقُرْ دَىٰ ثُمُ تَضَكُّرُ واْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنْةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَدِيرٌ لَكُم سَن عَدَى عَلْمِ فَعَيْدٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَدِيرٌ لَكُم سَن عَدَامِ فَعَيْدٍ.

حث الإسلام على استخدام العقل والفكر والرأى ، والتدبر والتأمل في هذا الخلق وذلك الوجود ، وفي دين الإسلام والرسول محمد ﷺ ، وهذه الآية سعرة إلى استخدام العقل والفكر .

والمعنى:

قل لهم يا محمد: إنما أقدم لكم نصيحة واحدة ، هي أن تتجهوا إلى الله مخلصين له ، حال كونكم اثنين اثنين ، أن واحدًا واحدًا ، ثم تتفكروا وتتأملوا في رسالة محمد ﷺ ، فليس به جنون أن شعر أن سحر ، أن سفه أو اختلاط ، أو غير ذلك من الدعاوى التي يرددها مشركو مكة بألسنتهم ، دون اقتناع بها من قلويهم ، فمحمد صادق أمين ، ورسول كريم ، يدعو الناس إلى دين الله ، وينذر الكافرين الجاحدين للإيمان بالعذاب الشديد يوم القيامة .

وقوله تعالى : بَيْنَ يَدَى عَذَابٍ شَلِيدٍ .

أي: إن الرسالة المحمدية جاءت خاتمة الرسالات، وقد أرسل الله محمدًا ﷺ بين يدى الساعة.

روى الإمام أحمد بسنده أن رسول الله صلى قال: «بعثت أنا والساعة جميعًا ، إن كادت لتسبقني» الم

والحديث يشير إلى قصر مدة الدنيا ، فضلاً عن مدة الرسالة الخاتمة التي تختم بها هذه الدنيا .

٧٤ - قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .

إنى لم أسألكم على تبليغ الرسالة أجرًا ولا مالاً ، إنما عملت عملي في دعوتكم للهداية ، خالصًا لوجه الله ، وهو سبحانه مطلع على كل شيء ، وهو شهيد ومراقب ومحاسب ومجازِ على كل شيء .

قال الزمخشري :

وفي الآية معنيان :

أحدهما : نفى سؤاله الأجر رأسًا ، كما يقول الرجل لصاحبه : إن أعطيتنى شيئًا ، فخذه ، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئًا ، ولكن يريد به عدم الأخذ ، لتعليقه الأخذ على ما لم يحدث وهو الإعطاء .

و المعنى الثانى: أنه يريد بالأجر الهداية إلى الإيمان ، أى: ما أطلب على تبليخ الرسالة أجرًا ، إلا هدايتكم إلى الله ، على حد قوله تعالى: قُلُ مَا أَسْفَلُكُمْ هَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَن يَتْعِدِلْ إِلْي رَبْهِ مَبِيلاً . (الفرقان : ٥٧) .

٨٤ - قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ.

إن الله تعالى يرسل رسالته ، ويختار لها من يشاء من عباده ، وهو عالم بمن يصلح لهذه الوسالة . قال تعالى : يُلْقَى ٱلرُّو حَ مِنْ أَمْره عَلَىٰ مُن يُشَاءً منْ عَبَاده ... (غانو : ٥٠) .

وقال ابن عباس:

يقذف الباطل بالحق ، كقوله تعالى : بَلْ نَقْلُفُ بِالْحَقّ عَلَى ٱلْبُنطِلِ فَيَدْمَغُهُ, فَإِذَا هُو زَاهِقٍ ... (الأنبياء : ١٨) .

وقيل في معنى الآية :

إن الله يرسل الإسلام إلى أقطار الأفاق ، فيكون وعدًا بإظهار الإسلام ونشره ، وهوسبحانه علام الغيوب .

وفي الحديث الشريف: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، بعز عزيز أو بذل ذليل» (١١٠).

وقد أنجر الله وعده ، فامتد نور الإسلام إلى آفاق المعمورة ، ولم تمض عشر سنوات على وهاة الرسول إلى حتى كان خلفاؤه يفتحون فارس والروم ومصر ، وينشرون دين الله في المشارق والمغارب .

٩ ٤ - قُلْ جَاءَ ٱلْعَقُ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَلْطِلُ وَمَا يُعِيدُ .

سطع نور الإسلام ، وظهرت حجته ، وانتشرت فكرته ، وهبا ضوء الشرك ، واضمحلت قوته ، ووهنت دولته .

قال ابن مسعود: أي لم يبق للباطل مقالة ، ولا رياسة ، ولا كلمة .

وقال الزمخشري :

إذا هلك الإنسان لم يبق له إبداء ولا إعادة ، فجعلوا قولهم : وَمَا يُبَادِئُ ٱلْبُسُولُ وَمَا يُجِدُ . مثلاً في الهلاك ، والمعنى : جاء الحق ، وهلك الباطل .

وأخرج البخارى ، ومسلم أن رسول الله ﷺ عندما فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة ، بدل المسجد الحرام فوجد أصنام المشركين حول الكعبة ، فجعل يطعنها بطرف قوسه وهو يقرآ : وُلُلُ جَاءَ ٱلْحَقُّ أَلَّ المُطلِّلُ إِنَّا الْمُعَلِّدُهُ ، وَوَرَا : لاَلُ اللَّمِيَّةُ الْمُعَلِّلُ وَالْمُ يُعِيدُنُهُ . وَالْرِسْدِ، ٨٤) ويقرآ : قُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِينُ ٱلْمُنْظِلُ وَمَا يُعِيدُنُهُ .

· o - قُلْ إِن صَلَلْتُ فَإِلَمْنَا أَصِلُ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ ٱلْمَعَلَيْتُ فَيِمَا يُوحِيّ إِلَى رَبِّي إِللهُ، سَمِيعٌ قَرِيبٌ .

ذكر القرطبى أن الكفار قالوا للنبى ﷺ: تركت دين آبائك فضلكت ، فقال له : قل يا محمد : إن ضللت كما تزعمون فإنما أضل على نفسى . ! هـ .

أي: إذا ضللت فلا أضرً إلا نفسي.

وَإِنِ ٱلْمُتَذَيْثُ فَهِمَا يُوحِيّ إِلَىَّ رَبِّيّ ...

وإذا اهتديت إلى الدين الحق ، والإيمان والإسلام ، فذلك بسبب وحى السماء الذي أذرك الله علىً .

إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ .

يسمع الدعاء ويجيب النداء ، وهو قريب غير بعيد ، مطلع وشاهد ، خلق الخلق ورزقهم ويرعاهم ويسمع دعاءهم .

قال تعالى : وَإِذَا سَأَلُكَ عِبَادِي عَتَى قَإِنَّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعُوَةً ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتَجِيواْ لِي وَلَيُؤْمِوْ فِي لَعَلَّهُمْ يُرْخُلُونَ دُ (البقرة : ١٨٦) .

١ ٥ - وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مُكَانٍ قَرِيبٍ .

ولى ترى يا محمد ، أو ولى ترى يا كل من يتأتى منه الرريّة ، حين يشتد بهم الفزع ، عند القيام من القبور ، والحشر والحساب ، ولا يملكون الهرب أو القوت من الحساب ، ويساقون إلى أرض المحشر ، في مكان قريب منهم ، لا يملكون معه الهرب ولا القوت ولا الفكاك .

قال الفخر الرازي:

وَلُوْ تُرَيُّ . جوابه محذوف ، أي : تري عجبًا .

وَأُخِلُواْ مِن مَّكَانٍ قُريبٍ . لا يهربون ، وإنما الأخذ قبل تمكنهم من الهرب .

٧ ٥ - وَقَالُواْ ءَامَنَا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلنَّاوُشُ مِن مَّكَانِ بَعِيدٍ .

فى يوم القيامة وعند البعث ومشاهدة الحساب يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . - وأنى وكيف يتأتى لهم تناول الإيمان تناولاً سهلاً ، من مكان بعيد عن محل القبول ؟ لأن الدار الآخرة هى دار الجزاء ، والدنيا هى دار العمل ، وفى الأثر : «الدنيا عمل ولا حساب ، والآخرة حساب ولا عمل» .

قال الفخر الرازي :

الماضي كالأمس الدابر، لا يمكن الوصول إليه، والمستقبل وإن كان بينه وبين الحاضر سنون فإنه أت، وفي يوم القيامة الدنيا بعيدة لمضيها، وفي الدنيا يوم القيامة قريب لإتيانه.

قَالَ تَعَالَى ؛ لَعَلُّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ . (الشورى : ١٧) .

وقوله تعالى : مِن مَّكَانَم بَعِيامٍ . والمراد : ما مضى من الدنيا . ا هـ .

ويعبارة أغزى: كما أن رجوع الزمان الماشى من الدنيا بعيد أو مستحيل ، فكذلك قبول الإيمان فى الآخرة بعيد أو مستحيل . وفي الأدب العربي : أن كليبًا لما قُثل رغَبت قبيلة القاتل في الصلح ، فأرسلت إلى أخيه جساس تعرض عليه الصُلّح ، نظير أن ينفُّدوا له ما يطلب ، فقال جساس : (انشروا لي كليبا) أي : طلب أمرًا مستحيلاً وهو إعادة كليب حيا ، حتى يصطلح ، ومن شعر جساس :

يا لبكر أنشروا كليبا يا لبكر أين أين الفرار

أو يكون معنى الآية : الإيمان لا يقبل إلا في الدنيا ، والعودة إلى الدنيا مستحيلة ، فأنى لهم الإيمان من مكان بعيد عن الدنيا ، وأنى لهم العودة إلى الدنيا .

وفى سورة المؤمنون : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِثْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَلِمُونَ ﴿ قَالَ آخْسَتُواْ فِيهَا وَلَا تُكَلَّمُونَ ، (المؤمنون : ١٠٨٠،١٠٧) .

٣٥ – وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مُكَانِمٍ بَعِيدٍ .

لقد كغروا بالإسلام من قبل في الدنيا ، واتهموا نبى الإسلام محمدًا 義 بأمور بعيدة عنه ، حيث قالوا : ساحر أو شاعر أو مجنون أو كذاب ، وهم يطمون بُخده عن هذه الأمور ، ويطمون صدقه وأمانته ، وتارة يقولون عن القرآن : سحر أو شعر أو كهانة أو إنك مفترى ، وتارة يقولون : لا بعث ولا نار ولا حساب ولا جزاء ، وما نحن بمعنبين .

قال القرطبي :

قوله تمالى: وَقَلْدُ كَفُرُواْ بِهِ مِن قَبْلُ ... أي: بالله عز وجل، وقيل: بمحمد، مِن قَبْلُ. يعنى: في الدنيا. وَيُقْلُونَ بَالْغُبُوبِ ... العرب تقول لكل من يتكلم بما لا يحقه، هو يقذف ويرجم بالغيب.

مِن مُكَانِ يَعِيدٍ . على جهة التمثيل ، لمن يرجم ولا يصيب ، أي : يرمون بالظن ، فيقولون : لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ، رجما منهم بالظن . ا هـ .

والمقصود من الآية تقريعهم على ما كانوا يتقوُّهون به من كلام ساقط، بينه وبين الحقيقة مسافات بعيدة.

\$ ٥ - وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَيَيْنَ مَا يَطْعَهُونَ كَمَا فَعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكَّ مُريبٍ .

وهكذا تختم السورة بمشهد هؤلاء الكفار ، يحاولون الإيمان بالله والرسول ، بعد البعث والحشر ، أو يحاولون الرجوع إلى الدنيا ، ليعملوا عملاً صالحًا ، بيد أنّ الله لا يقبل منهم ذلك ، شأنهم شأن الكفار السابقين ، كقوم نوح وعاد وثمود ، وفرعون وملته ، وأشياعهم وأشباههم من الكافوين ، الذين لم يقبل منهم الإيمان بعد معاينة الموت .

قال تعالى : فَلَمْ يَكُ يَفْعُهُمْ إِيمَائُهُمْ لَمَّا زَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنْتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدَ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ لِمُثَالِكَ ٱلْكُنْفُودُونُ (غلف: ١٨٥).

إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكَّ مُّرِيبٍ .

لقد استحق كفار مكة العذاب ، كما استحقه أشياعهم من المكنبين السابقين للرُسل ، لأنهم جميعًا كانوا في شك مُمين في الربية ، في أمر الرسل والبعث ، والجنة والنار ، بل وفي الدين كله والتوحيد .

قَالُ قَتَادَة : إياكم والشك والريبة ، فإن من مات على شك بعث عليه ، ومن مات على يقين بعث عليه ، أحيانا الله ويعثنا على اليقين ، إنه أرحم الراحمين ، وولى المؤمنين .

* * *

تم بحمد الله تفسير سورة سبأ ، مساء السبت ١٩ ربيع الأول ١٤٢٠ هـ ، الموافق ٣ يوليه ١٩٩٩ م ، بمدينة المقطم بالقاهرة ، والحمد لله رب العالمين .



أهبداف سبورة فاطبر

سورة غاطر سورة مكية ، نزلت بعد سورة الغرقان ، وقد نزلت سورة فاطر فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء .

وإذا قسمنا حياة المسلمين بمكة إلى ثلاث قترات: الفترة المبكرة للدعوة ، والفترة المتوسطة فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، والفترة الأخيرة فيما بين الإسراء والهجرة إلى المدينة ، رأينا أن سورة فاطر نزلت في الفترة المتوسطة من حياة المسلمين بمكة .

ولسورة فاطراسمان: الاسم الأول سورة فاطر، والاسم الثانى سورة الملائكة، لقوله تعالى في أول السورة: الْمَحْمُدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰكِكَةِ رُسُلاً أُولِيّ أَجْبِحَةٍ مُتَّىٰ وَقُلَـٰثَ وَرُبُحَ يَزِيدُ فِي ٱلْمَلْقِ مَا يَشَاهُ إِنَّ اللَّهُ عَلَيْرٍ كُلُ فَيْءٍ قَلِيقٍ " (فاطر: ١).

مؤضوعات السورة

قال الفيروزبادي :

سياق السورة

سورة فاطر لها نسق خاص في موضوعها وفي سياقها ، أقرب ما تكون إلى نسق سورة الرعد . دفهي
تمضى في إيقاعات تتوالى على القلب البشرى من بدئها إلى نهايتها ، وهي إيقاعات موحية مؤثرة تهز
القلب هزّا ، وتوقظه من غفلته ليتأمل عظمة هذا الوجود ، وروعة هذا الكون ، وليتدبر آيات الله المبثوثة في
تضاعيفه ، المتناثرة في صفحاته ، وليتذكر آلاء الله ويشعر برحمته ورعايته ، وليتصور مصارع الخابرين
في الأرض ومشاهدهم يوم القيامة ، وليخشع ويعنو وهو يواجه بدائع صنع الله ، وآثار بده في أطراء الكون ،
وفي أغوار النفس ، وفي حياة البشر ، وفي أحداث التاريخ ، وهو يرى ويلمس في تلك البدائع وهذه الآثار

وحدة الحق ووحدة الناموس ، ووحدة اليد الصانعة المبدعة القوية القادرة .. ذلك كله في أسلوب وفي إيقاع لا يتماسك له قلب يحص ويدرك ، ويتأثر تأثر الأحياء .

والسورة وحدة متماسكة متوالية الحلقات ، منتالية الإيقاعات يصعب تقسيمها إلى فصول متميزة الموضوعات فهى كلها موضوع ، كلها إيقاعات على أوتار القلب البشرى ، تستمد من ينابيع الكون والنفس والحياة والتاريخ والبعث ، فتأخذ على النفس أقطارها وتهتف بالقلب من كل مطلع إلى الإيمان والخشوع والإذعان .

والسمة البارزة الملحوظة هي تجميع الخيوط كلها في يد القدرة المبدعة ، وإظهار هذه اليد تحرك الخيوط كلها وتجمعها ، وتقبضها وتبسطها ، وتشدها وترخيها فلا معقب ولا شريك ولا ظهيره "".

فقرات السورة

رغم أن السورة كلها وحدة متماسكة إلا أنها يمكن تقسيمها إلى خمسة موضوعات أو مجموعات:

١- رحمة الله وقضله

إذا تأملنا الآيات من (١ – ٨) في سورة فاطر، نجد فيضا من أنعم الله التي لا تعد ولا تحصى على عباده ، فهر خالق السماء والأرض، وجاعل الملائكة رسلاً يوصلون آفار قدرته وجليل وحيه إلى عباده ، وإذا لاحظت عناية الله عبداً زالت من أمامه القيود والسدود: مَّا يَضُعِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ... (فاطر: ٢). لقد فتح الله رحمته لأنبيائه وأصفياته : جمل المنار برداً وسلامًا على إبراهيم ، وأنقذ يوسف من الجب ومن السجن ، واستجاب دعاء يونس في بطن الحوت ، وأزر موسى في طريقه إلى فرعون ، وأنزل رحمته بأصحاب المكهف وحفظهم ثلاثماثة سنين وازدادوا تسعًا ، وشملت رحمة الله محمداً الله في الهجرة ، وهو طريد : فأني آثيرًه ... (التربة : ٤٠).

وإذا أمسك الله رحمته عن عبد ، فلن ينفعه مال ولا رجال ، وإذا استقر اليقين في القلب تنبه إلى كيد الشيطان وفنه ، فالمؤمن يعلم أن الشيطان عدو لنا يزين لنا الشر ليوقعنا في المحصية ، فمن أطاع الشيطان زين له سوء عمله فرآه حسنًا ، ووقع في الضلال ، ومن يضلل الله فما له من هاد .

٢ - آيات الله في الكون

فى الآيات من (٩ – ١٥) نلحظ أثار القدرة الإلهية فى نفس الإنسان ، وفى صفحة الكون ، وفى الرياح يسوقها الله ، ثم تثير السحب فتسوقها يد القدرة مطرا يحيى الأرض بعد موتها ، وكذلك البعث والحياة بعر. الموت . والله خالق الإنسان وبيده رعايته في مراحل تكرينه ، وتخليقه في بطن أمه ، ثم رعايته وليدًا وناشتًا وزوجًا ، وهو عليم بحن يموت مبكرا ، إن ذلك على الله يسير .

وتمتد قدرة الله إلى كل مظهر من مظاهر الوجود ، فتراها في مشهد البحرين المتميزين أحدهما عنب فرات ، والأخر ملح أجاج ، وفيهما من نعم الله على الناس ما يقتضى الشكر والعرفان .

وفي مشهد الليل والنهار بتداخلان ، ويطولان ويقصران ، دليل على التقدير والتدبير ، وكذلك مشهد الشمس والقمر مسخرين بهذا النظام الدقيق .

هذه آثار قدرة الله ، والذين يدعون من دونه لا يسمعون ولا يستجيبون ، ويوم القيامة يتبرءون من عبادهم الضلال . ولا يخبر بهذه الحقائق مثل الإله الخبير .

٣ - الله غنى عن عبادتنا

فى الآيات من (١٥ - ٢٦) بيان لحقيقة أساسية ، هى أن الله غنى عن عبادتنا ، فلا تنفعه طاعتنا ، ولا تضره معصيتنا ، ولكننا نحن الفقراء المحتاجون إلى رضاه وعنايته ، فمن وجد الله وجد كل شيء : وجد الهداية والسعادة والثقة بالنفس ، والأمل في الغد ، ومن فقد الله فقد كل شيء ، ولو شاء الله أن يذهب الناس لأملكهم ، وأتى بخلق جديد يعرفون فضله عليهم .

ويشير القرآن إلى أن طبيعة الهدى غير طبيعة الضلال ، وأن الاختلاف بين طبيعتهما أصل عميق ، كأصالة الاختلاف بين العمى والبصر ، والظلمات والنور ، والظل والحرور ، والموت والحياة ، وأن بين الهدى والبصر والنور والظل والحياة صلة وشبها ، كما أن بين العمى والظلمة والحرور والموت صلة وشبها ، ثم تنتهى الجولة بإشارة إلى مصارع المكذبين للتنبيه والتحذير .

٤ - كتابان إلهيان

عند قراءة الآيات من (٢٧ - ٣٨) يتضع أمامنا أن لله عز وجل كتابين يدلان عليه: أحدهما كتاب الكرن، والثانى الكتاب المنزل، والمؤمن يقرأ دلائل القدرة في كتاب الكرن: في صحائفه العجيبة الرائعة، المكرنة الأنوان والأنواع والأجناس، والثمار المتنوعة الألوان، والجبال الملونة الشعاب، والناس والدواب والأنعام وألوانها المتعددة الكثيرة .. هذه اللفتة الحجيبة إلى تلك المسحائف الرائعة في كتاب الكرن المفتوح.

والمؤمن يقرأ في الكتاب المنزل ويستيقن بما فيه من الحق المصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة ، وتوريث هذا الكتاب للأمة المسلمة ، ودرجات الوارثين وما ينتظرهم جميعًا من نعيم بعد عفو الله وغفرانه للمسيئين ، ومشهدهم في دار النعيم ، ومقابلهم مشهد الكافرين الآليم ، وتختم الجولة العجيبة المديدة المنوعة الألوان بتقرير أن ذلك كله يتم وفقًا لعلم الله العليم بذات الصدور .

٥ - دلائل الإيمان

تشتمل الآيات من (٣٩ – ٤٥) على الفقرة الأخيرة من السورة ، وفيها دلائل يقدمها القرآن ليحرك القلرب نحو الإيمان ، وتجول الآيات جولات واسعة المدى تشتمل على إيحاءات شتى : جولة مع البشرية في المتعاقبة يخلف بعضها بعضا ، «وجولة في الأرض والسماوات اللبحث عن أي أثر للشركاء ، الذين يدعونهم من دون الله ، وجولة في السماوات والأرض كذلك لروية يد الله القوية تمسك بالسماوات والأرض أن تزولا ، وجولة مع هؤلاء المكنيين بتلك الدلائل كلها ، وهم قد عاهدوا الله من قبل لئن جاءهم نذير ليكونن أمدى من إحدى الأمم ، ثم نقضوا هذا المهد وخالفوه ، فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا ، وجولة في مصارع المكنيين من قبلهم وهم يشهدون أثارهم الدائرة ، ولا يخشؤن أن تدور عليهم الدائرة ، وأن تمضى فيهم سنة الله الجارية» *** . ثم الختام الموحى الموقط للقلب ، المبين فضل الله العظيم في إمهال العصاة ، فإن تابرا قبل تريتهم ، وإن أصروا على المعصية عاقبهم وحاسبهم ، قال تعالى : ولا يُؤلز يُؤلز ولا يكزاء أنا أنس من ما كذير ، داخر : ها .) .

* * *

المفردات،

السحسمسد السلسة ، قولوا: الحمد لله ، فإنه واجب الحمد ، ومقتضى الحمد ما ذكر بعد .

فاطر السماوات والأرض ، خالقهما ومبدعهما على غير مثال سأبق .

جناهل الملائكة رسلا ، أي : جعل منهم رسلا إلى الأنبياء كجبريل .

أوائسي أجستسحسة ، ذوى أجنحة ، جمع جناح كجناح الطائر.

مشنسى وشالات ورساع، أي: اثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة ، حسب مراتبهم .

يزيد في الخلق ما يشاء ، يزيد بحكمته في بعض مخلوقاته ما يشاء من الزيادات على بعض آخر ، وإن اتفقوا في الجنس والنوع .

فسلا مسمسك لسهساء فلا أحد يستطيع إمساكها ومنعها.

السنيفيسيرُ على الغالب ، يتصرف في ملكه كما يشاء .

السحم عكم يسم، في فعله ، يضع الأمر في موضعه المناسب .

فسأنسى تسؤف كسون: فكيف تصرفون عن عبادة الله تعالى وحده.

تمهید :

تيداً سورة فاطر بحمد الله تعالى ، وقد بدأت بحمد الله خمس سور ، هى : الفاتحة ، والأنمام ، والكهف ، وسبأ ، وفاطر ، وتشتمل البداية على دلائل القدرة والعظمة والملك ، وتدبير شئون الكون ، وإرسال الرزق والوحى ، ومنافع العباد المادية والمعنوية .

التفسيره

الشكر لله منشئ السماوات والأرض من العدم ، وخالقهما على غير مثال سابق ، وهو سبحانه جعل الملائكة وسائط بينه وبين عباده لتبليغ رسالات السماء ، وتصريف الرياح والأمطار ، والسحاب والأرزاق ، والمعذاب والهداية ، وغير ذلك ، ومن هؤلاء الملائكة : جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، وهم ذوو أجنحة متعددة ، بعضهم له جناحان ، ويعضهم له ثلاثة أجنحة ، ويعضهم له أكثر من متعددة ، بنزلون بها من السماء إلى الأرض ، ويعرجون بها من الأرض إلى السماء .

جاه في الحديث الصحيح عند مسلم ، عن ابن مسعود : أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ، وله ستمانة جناح ، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب الشم

يَزِيدُ فِي ٱلْحَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

يزيد في خلق الملائكة ما يشاه ، من ناحية عددهم أو في عدد أجنحتهم ، أو يزيد في جميع الخلق ما يشاء نوعًا وعددًا وقوة ، وعقلاً وعلمًا وحسنًا ، وغير ذلك من الكمالات أو ما يقابلها ، لا يمنعه مانع من تنفيذ مشبئته ، إن الله على كل شيء قدير ، وقد تعددت الآراء في الزيادة في الخلق ، فقيل : حسن الصوت وملاحة الدين ، وحسن الأنف ، وحلاوة الفمّ ، وحكمة المقل ، وجودة الرأى ، وغير ذلك .

قال الزمخشري في تفسير: يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ...

الآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق ، من طول قامة ، واعتدال صورة ، وتمام في الأعضاء ، وقوة في البطش ، وحصافة في العقل ، وجزالة في الرأي ، وجرأة في القلب ، وسماحة في النفس ، وذلاقة في اللسان ، ولباقة في الككلم ، وحسن تأثر في مزاولة الأمور ، وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف . ا هـ . ٧ - مَّا يَفْتَح ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ, مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ.

إذا أراد الله إكرام عبد من عباده ، يسُر له أسباب الرزق والأمن والهداية ، والصحة والعلم والكرامة والحكمة ، وغير ذلك من أسباب الرحمة وألوان النعم ، وهذا العطاء لا يستطيع أحد أن يمسكه ، أو يمنعه عمن يريد الله إكرامه به ، وإذا أراد إهانة عبد أو منع الخير عنه ، فلا يستطيع أحد أن يرسل الخير إليه ، بعد أن أمسكه الله عنه ، فأسباب الرزق السمارى والأرضى بيده ، وهو سبحانه بيده الخلق والأمر لا معقب لأمره ، ولاراد لقضائه ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منم .

وهو سبحانه ٱلْغَزِيزُ . الغالب على أمره ومراده ، ٱلْحَكِيمُ . في صنعه وتدبير خلقه .

روى الإمام أحمد ، والشيخان ، عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من الصلاة قال : «لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجده ٢٠٠٠ .

وروى مسلم بسنده ، عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركرع يقول : وسمع الله لمن حمده ، اللهم ربنا لك الحمد ، مل و السماء والأرض ، ومل و ما شئت من شيء بعد ، اللهم أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجدّ منك الحدّ الله "".

ونظير الآية قوله تعالى : وَإِنْ يَمْسَسُكَ ٱللَّهُ بِصُرٌ قَلَا كَاشِفَ لَلَّهِ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسُكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلُّ خَيْرُهُ لَابِيرٌ . (الانعام : ١٧) .

وهذه الآية مكملة لما سبقها في أن الفضل والرحمة والنعمة بيد الله تعالى .

٣ - يَنَالَيُهَا النَّاسُ اَذْكُرُواْ بِعَمْتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلِقِ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُفُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لاَ إِلَنَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَى لُوْلِكُونَ .

ندام من العلى الكبير لأهل مكة ، وللناس أجمعين ، يلفتهم إلى إحياء قلوبهم بتذكر رحمة الله تعالى ، في إرسال النعم والخيرات والأرزاق والأمطار من السماء ، والنبات والأرزاق من الأرض بالزراعة والمستاعة والتجارة ، وأنواع الحرف وألوان الكسب .

والاستفهام هنا للتقرير ، جوابه لا أحد غير الله يمك هذا الرزق ، سبحانه لا إله سوَّاه ، فكيف تصرفون عن هذه الحقيقة ، وكيف تمتنعون عن توحيده والإيمان بما جاء به رسوله . والآيات الثلاث السابقة كلُّها تأكيد لفيض الرحمة والنعمة والعظمة من الله ، وإذا استقر ذلك في القلب ، وإذا استقر ذلك في القلب ، دفع صاحبه إلى السعادة والرضا واليقين ، وقريب من هذا المعنى قوله سبحانه في أوائل سورة آل عمران : قُلِ ٱللَّهُمُ مُثلِكَ آلْمُلكَ مُن تَشَاءُ وَتُورُ مُن تَشَاءُ وَتُلِلُّ مَن تَشَاءُ يَيْلِكُ عَلَى اللَّهُمُ مُثلكَ أَمْلُكَ مُمْن تَشَاءُ وَتُعِرُّ مَن تَشَاءُ وَتُلِلُّ مَن تَشَاءُ يَيْلِكُ عَلَى اللَّهُمُ مُلكَ الْمُلكَ مُمْنَ تَشَاءُ وَتُعِرُّ مُن تَشَاءُ وَتُلِلُّ مَن تَشَاءُ يَيْلِكُ عَلَى اللهِ معران : ٢٧ ـ (ال عمران : ٢٧ ـ)

٤ - وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُدَّبَتْ رُسُلُ مَن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ .

تأتى هذه الآية تسلية للرسول ﷺ ، حين كتَّبه أهل مكة ولم يؤمنوا به ، وهى تسلية للدعاة والهداة ، فقد كُذّب الكفارُ الرسلَ من عهد نوح ، ومن بعده من الأنبياء والرسل ، يَيْد أن الحساب والجزاء بيد الله ، حيث يعاقب المكنّبين ، ويكافئ المؤمنين ، وإليه وحده ترجع الأمور يوم القيامة ، وهو الملك لذلك اليوم ، حين ينادى سبحانه : لُمَن المُلَكُ الْلَوْمُ لِلَّهِ الْأَوْرِ الْلَهَالِي . (غلار: ١٦) .

المفردات،

وعسد السلسة حسق ، بالبعث والحشر والجزاء لا خلف فيه .

التمتع بها . الا تلهينكم ويذهلكم التمتع بها .

ولا يسقسرنسكسم بسائسة؛ في حلمه وإمهاله.

ف المحدثوه عدواء فلا تطيعوه ولا تقبلوا ما يغركم به.

ليكونوا من أصحاب السعير؛ ليؤول أمرهم إلى أن يكونوا من أصحاب النار المستعرة.

زُيِّسُ لـه سوم عـمـلـه ، حسَّنت له نفسه وشيطانه عمله السهيء .

فسيرأه مسيئياء رآه حسنًا لا قيم فيه .

فسلا تستهب نسفسك ، فلا تهلك نفسك .

عليهم حسرات، تحسّرًا عليهم لكفرهم.

تمهيد ،

التفسيره

هذه الأيات ترجيهات إلهية من الله لعباده بعدم الغرور بالدنيا ، وعدم طاعة الشيطان ، وبيان جزاه الكافرين والمؤمنين ، وبيان أن الهدى والضلال بيد الله ، بحسب ما يعلمه من استعداد العبد للأول أو للثاني .

ه - يَنَاتُهُمَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَفُرْ نُكُمُ ٱلْحَيْوَةُ ٱلذُّنِّ وَلَا يَفُرُّ نُكُم بٱللَّه ٱلْفُرُورُ .

يا كلُّ الناس إن وعد الله حق ، بالحشر والحساب والجزاء ، والجنة أو النار ، وهذه حقيقة لا شك فيها ، هناك قيامة وثوات أو عقاب .

فَلا تَغُرُّنُكُمُ ٱلْحَيَوْةُ ٱلدُّنْيَا ...

بطول أعماركم وصحة أبدائكم ، وسعة أرزاقكم ، فإن ذلك زائل عنكم لا محالة ، ولا يفرنكم الشيطان ، ولا يخدعنكم عن أنفسكم بتزيين المعاصى ، والإصرار على الكبائر ، أملاً في المففرة مع التسويف في الثوبة .

قال تعالى : وَأَنْفِقُواْ مِن مُا رُوَّقَتَكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدُكُمُ آلْمُوْتُ فَيَكُولُ وَبُ قُولًا أَخْرَلَيَىٓ إِلَىٰٓ أَجَلِ قَرِيبِ فَأَصْدُقَ وَأَكُن مِّنَ آلصَّبْلِحِنْ ء وَلَن يُؤَخِّرَ آللُّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهُا وَٱللَّهُ عَبِيرٌ بِمَا تَعْمُلُونَ . (المنافقين : ١١٠ ، ١١) .

ثم حذر الله الإنسان من الشيطان ، الذي أخرج آدم من الجنة ، واستمر في عداوته للإنسان وتزيين الشرّ له ، فكيف يسير الإنسان خلف عدوه وهو يعلم أنه يستدرجه إلى الضلال المبين ؟

٣ - إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوًّ فَآتَنِجِذُوهُ عَدُوا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُ لِيكُونُواْ مِنْ أَصْحَلْبِ ٱلسِّعِيرِ .

الشيطان يغريكم بالمعصية والفحشاء والمنكر ، والبخل والصدود عن طاعة الله ، وهو عدو لكم وقد جنّد نفسه وأتباعه لغوايتكم ، فاحذروه ولا تتبعوه ، ولا تركنوا إليه ، ولا تتخنوه خاصحًا لكم ، ولا تتبعوا خطاه ، وهو لا يدعوكم إلى خير ، ولا ينتهى به إلى نجاة ، إنما يدعو أنباعه ويغريهم بالمعصية فى الدنيا ، ليكونوا من أصحاب النار المستعرة يوم القيامة ، فهل من عاقل يجيب بعوة الداعي إلى عناب السعير ؟

٧ - ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَنْتِ لَهُم مُغْفِرَةٌ وَأَجْرُ كَبِيرٌ .

الذين ساروا وراء الشيطان ، وكغروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، لهم عذاب شديد في الآخرة ، والذين آمنوا بالله ربًّا ، وصدقوا برسله ، وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنويهم ، وجزاء عظيم في الجنة ، حيث أطاعوا الرحمان ، وامتنعوا عن طاعة الشيطان .

قال رسول الله ﷺ : «إن للشيطان لمة بابن آمم ، والملك لمة™ ، فأمًا لمّة الشيطان فإيعاد بالشر ، وتكنيب بالحق ، وأما لمّة الملك فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق» ™.

٨ - أَلَمْن زُينَ لَهُ, سُوءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنْ ٱللَّهُ يُعِيلُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ فَلَا تُلْمَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ
 ٨ - أَلَمْن زُينَ لَهُ, سُوءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنْ ٱللَّهُ يُعِيلُ مَن يَشَاءُ فَلَا تُلْمَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ
 حَسَرَت إِنَّ ٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَن يَمْنَعُونَ .

هذا هو مفتاح الشر في الحياة ، أن يزين الشهطان للإنسان عمله القبهع ، فلا يستمع إلى نصيحة ، ولا يراجع نفسه ، ولا يحاسبها على أمر ، بل يسير معجبًا بنفسه قد تملكه الغرور ، أهذا المغرور المعجب بنفسه ، المرتكب للأثنام ، مع اعتقاد أنه الأفضل والأحسن ، كمن استقبع الكفر ، واختار الإيمان والعمل الصالح ؟ كلا لا يستويان ، والمراد بمن زين له سوء عمله : كقار مكة .

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : أن النبي ﷺ قال : «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب ، أو بأبي جهل بن هشام ، فهدى الله عمر بن الخطاب ، وأَمْسُ أَبَا جهل ، ففيهما أنزات : فَإِنَّ اللَّهُ يُعِينُ مَن يُشَاءً وَيُهْرِي مَن يُشَاءً . . .

إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابح الرحمان ، يقلبها كيف يشاء ، فمنهم من يمنحه الهدى والتوفيق ، ونغاذ البصيرة واختيار الإيمان ، ومنهم من يؤثر الضلالة والجحود والكنود ، فيتركه الله مخلولاً شارئا فى الضلال ممعنًا فى الكفر ، فلا تغتم بكفرهم ، ولا تهلك نفسك حزئًا على ضلالهم ، فالله مطلع وشاهد على أعمالهم ، وسوف يجازيهم بما يستحقون .

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: لَعَلَّكَ بُلْحَعَ نَفَسُكَ أَلْ يَكُونُواْ مُؤْمِينَ . (الشعراه: ٣) . وقوله تعالى: فَلَعَلْكَ بُلِحَعَ لَفُسَكَ عَلَى ٓ اللَّهِ هِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِوْا بَهِلْذَا الْحَدِيثِ أَسْفًا . (الكهف: ١٦) .

من دلائل القدرة

﴿ وَاللّهُ الّذِي آَرَسُلَ الرِّيْحَ فَشِيْرُ مَعَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلدِ مَّيْتِ فَأَحْيَنَا بِهِ الْآَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النَّسُورُ (إِنَّ مَنَكَان يُرِيدُ الْعِنَّ فَلِيَّهِ الْعِرَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَسْعَدُ الْكُورُ الطَّيِّبُ وَالْمَمَلُ الصَّلِحُ بِرَفَعُهُ وَالْلِينِ يَمْكُونِ السَّيْعَاتِ لَهُمْ عَذَاتُ شَدِيدٌ وَمَكُرُ أُولَئِكَ هُوَ بَوُرُ إلا يعلَيه وَ وَاللّهُ خَلَقَكُمْ مِن ثُمَا مَن نُعلَق قِنْهُ مَعَكُمُ الْوَحَا وَمَا تَصْبِهُ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَاللهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَى عَمْرُود إلّا فِي كِنْبُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَاللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللهُ اللهُولِي اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُو

لمفردات،

فتشير سحابا، تظهره وتنشره وتحركه بشدة ، فيجتمع ويسير .

يسطيده سيت الازرع فيه ولا نبات .

فأحبينًا به الأرض ، بالماء والزرع والنبات والعشب والكلا .

كــثك السنشور، مثل إحياء الأرض بالنبات ، البعث والحياة الثانية .

السيمسيرة؛ الشرف والرفعة .

فلله المزة جميما، فلتُطلب العزة بطاعة الله فإنها لا تنال إلا بذلك .

الكلم المطلبيات الله والحمد لله والله أكبر ، وكل ذكر وتلاوة قرآن ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر ، والمراد من صعوده : قبوله .

والمعمل المسالح ، الإخلاص يعلى قدر الكلم الطيب عند الله تعالى .

يمكرون السيئات، يعملونها ويكسبونها .

ي المساور الماك ويفسد ويبطل .

مُلقكم من تراب، خلق أباكم أدم من تراب.

المرأة . على عند المرأة . عند المرأة . عند المراء المرأة .

شم جعلكم أزواجا: ذكرانا وإناثًا.

وماتحمل من أنثى؛ ما تحمل من جنين ولا تضعه.

إلا بـعـــــه، إلا بإذنه وتدبيره ، وعلمه ومشيئته .

وما يعمر من معمر ، وما يطول من عمر ذي عمر طويل إلا في كتاب .

ولا ينقص من عمره؛ بأن يجعله أقل وأقصر من العمر الطويل، وذلك بحسب العرف والعادة الشائمة بين الناس.

إلا فسى كستساب؛ في منحيفة المرء في اللوح المحفوظ.

التفسب

يستسيسين شهل مبسور .

٩ - وَٱللَّهُ ٱلَّذِينَ أَرْسَلَ ٱلرَّيْحَ فَعُيرُ سَحَابًا فَسُفَنتُهُ إِلَىٰ بَلَدِ مَيْتِ فَأَحْيَيْنَا به ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَا لِكَ ٱلنَّشُورُ .

آيات القدرة ظاهرة في هذه السورة ، ومنها بعث الحياة في الأرض الميتة الهامدة الجافة ، حيث يبعث الله الرياح من مكامنها ، فتثير السحاب وتبعثه ليجتمع ، ويسير شمالاً أو جنوياً ، وبشرقاً أو غرباً ، حسب توجيه الله وإرادته ، فإذا نزل مطراً بأرض ميتة لا زرع فيها ولا نبات ، فإن الماء مع البذور يقرقب عليه النبات والزرع ، والتحرك والاحضرار ، وإذا الأرض الجافة الهامدة قد تحركت بالماء والزرع والنبات ، فصارت بهجة للناظرين ، وإن الله القادر الذي جمع السحاب ، وأنزل المطر ، وبعث الحياة في الأرض الميتة ، قادر على إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم ، بعد جمع ما تفرق من أجزائهم الأصلية ، وكما أحيا الله الأرض بالماء والزرع ، فهو يحيى الموتى ، ويديد إليهم أرواحهم ، ويبعثهم للحساب والجزاء .

قال تعالى : وَمِنْ وَلِينِهِ أَلْكُ تَرَى ٱلْأَرْضَ حَلشِمَةً فَإِذَا أَنَوْكَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَوْتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَحْبَاهَا لَمُسْمَى ٱلْمُوْلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلُّ هَلَىٰ كُلُّ هَىٰءٍ قَلِيرٍ . (نصلت : ٢٩) .

وقد أررد. ابن كثير والقرطبى حديث أبى رزين قال : قلت : يا رسول الله ، كيف يحيى الله الموتى ؟ وما آية ذلك فى خلقه ؟ قال ﷺ : «يا أبا رزين ، أما مررت بوادى قومك ممحلا ، ثم مررت به يهتز خضراه؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، قال ﷺ : وفكتلك يحيى الله الموتى≋ .

١٠ - مَن كَانَ يُرِيدُ آلْمِزَةَ فَلِلْهِ آلْمِزْةَ جَمِيهَا إِلَهِ يَمْعَدُ ٱلْكَيْمُ ٱلطَّيْبُ وَٱلْفَمَلُ ٱلصَّلْحُ يَرْفُعُمْ وَٱلَّذِينَ يَمْكُوونَ السَّمَاتِ لَهُمْ عَنَابٌ شَدِيدٌ وَمَكُو أَوْلَئِينَ مَعْدُورُ .
 السُّمَاتِ لَهُمْ عَنَابٌ شَدِيدٌ وَمَكُو أُولَئِينَ هُو يَبُورُ .

من أراد عز الدنيا وشرف الآخرة ، فإن ذلك لا ينال إلا بطاعة الله تعالى ، فإن العزة لله وحده ، فهو سبحانه يعرّ من يشاء ويذل من يشاء ، يضم رفيحًا ويرفع وضبيحًا ، ويغنى فقيرًا ويفقر غنيا ، ويعافى مبتلى ويبتلى معافى ، بيده الخلق والأمر ، كل يوم هو في شأن ، أي شئون يبديها ولا يبتديها : قُلِ ٱللَّهُمُّ مُسْلِكَ ٱلْمُلُكِ تُولَى ٱلْمُلْكُ مَن تَشَاءُ وَتَعزُ عَلْمُلْكَ مِمْن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُو

وقد كان كفار مكة يتقربون إلى الأصنام ويعندونها ، يلتمسون عندها العزة ، فبين القرآن أن العزة لله ، وأن أسياب العزة مجتمعة في يده وقدرته ، وأنه سميع قريب مجيب ، وآية ذلك أن الكلم الطيب ، مثل ذكر الله وتسبيحه وتلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ ، وأنواع الأعمال الطيبة المسالحة ، تصعد إلى الله فيقبلها ، ويثيب عليها ، وهو جليس من ذكره ، فمن ذكره في نفسه ، ذكره الله في نفسه ، ومن ذكر الله في ملأ ، ذكره الله في ملأ خير منه .

والعمل الممالح المقترن بالإخلاص ، وأداء الفرائض يرفعه الله ويقبله ، فالرفعة منا إشارة إلى القبول وحسن الجزاء ، أما كفار مكة ومن يدبّر السوء ، مثل اجتماعهم فى دار الندوة للتشاور فى أمر النبى ﷺ ، فمنهم من يقترح قتله ، ومنهم من يقترح حبسه ، ومنهم من يقترح نفيه ، ولكن الله أبطل كيدهم ، ونجى رسوله .

وَٱلْدِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيَّاتِ لَهُمْ عَذَابٌ هَدِيدٌ وَمَكُرُ أُوْلَئِيكَ هُوَ يُثُورُ.

والذين يمكرون المكرات السيئات من قريش ضد محمد ﷺ، لهم عذاب شديد في الدنيا والآخرة ، ومكر مؤلاء يفسد ولا يتحقق ، ويصبح باثرًا تالفًا

قال تعالى : وَإِذْ يَشَكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُشِّعُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ الْمُسْكِرِينَ. (الانفال: ١٣٠).

لقد أكرم الله رسوله وجعل هجرته نصرًا ، وآزر جهاده في غزوات متتابعة ، مثل : بدر ، وأحد ، والخندق ، والحديبية ، ثم فتحت مكة ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، ويَازُ مكر الكافرين ، ويعال شأنهم ، ونصر الله المؤمنين ، وأعز الله دينه ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

هُوَ ٱلَّذِينَ أَرْسَلَ رَسُولُهُ, بِٱلْهُدَىٰ وَمِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ, عَلَى ٱللَّيْنِ كُلَّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ . (الصف : ١) . وقال تحالى : وَلاَ يَحِيقُ ٱلْمُكُرُّ ٱلسِّيِّ إِلَّا يَأْقُلُه ... (الماط : ٢٣) . ١١ - وَٱللَّهُ حَلَقَكُم مِّن تُرَابِ ثُمْ مِن نُطْقَة ثُمُّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِن أَلْفَىٰ وَلَا تَضِعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يَعْمَرُ مِن مُتَدَّر وَلاَ يَشَعُ إِلَّا اللَّهِ عَلَى ٱللَّهَ يَسِيرٌ .

بدأ الله خلق آدم من تراب ، ثم خلق ذريته من النطقة ، وهي ماه الرجل الذي فيه الحيوانات المنوية ، وماء المرأة الذي فيه البويضة ، ثم جعلكم أزواجًا حيث خلقكم أصنافًا ذكرانًا وإناثًا ، بقدر معلوم ، قال تعالى : وَمَا خَلْقَ ٱللَّذُكَرُ وَٱلْأَسْمُ كُمُ أَشْشُى ، (الليل: ٣ ، ٤) .

وقال سبحانه : وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زُوْجَيْن لَعَلَّكُمْ تَذَكُّرُونَ . (الذاريات : ٤٩) .

فتجد الإنسان والحيوان والنبات أزواجًا ، ليتم التناسل وتعمر الأرض ، وتستمر الحياة إلى يوم "تيامة.

قال تعالى : وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا . (النبأ : ٨) .

وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنشَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ...

أى: لا تحمل أننى بعد الزواج ، ثم تضع مولودًا كامل الخلقة إلا بعلم الله ، أو تضع سقطًا قبل استكمال ولادته إلا بعلم الله ، أو تضع سقطًا قبل استكمال ولادته إلا بعلم الله ، ونظير ذلك قوله تعالى : آللهُ يُقلّمُ مَا تَرْقَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ وَلادته إلا بعلم الله ، ونظير ذلك قوله آوَكُشُرُ الْفُكَتَالِ . (الرعد : ٨ ، ٨) .

فسيحان من أحاط بكل شيء علمًا .

وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَ لَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَسْبِ إِنَّ ذَالِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ .

أى: لا يُعطى إنسان عمرًا طويلاً ، حتى يصبح معمرا طويل العمر ، إلا قد سجل ذلك في علم الله ، أو اللوح المحفوظ ، أو صحف الملائكة ، ولا ينقص من عمر غيره ، بأن يُعطى عمرًا ناقصًا عن هذا المعمر، إلا كان ذلك ثابتًا في كتاب ، أي سجل في اللوح المحفوظ ، إن ذلك سهل هين يسير ، وكذلك البعث والنشور .

وفى معنى الآية قوله تعالى : مَا أَصَابَ مِن مُعْمِيهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيَ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَسْمِ مِّن قَبْلِ أَن نُبْرَأَهَا إِنَّ ذَالِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِسِ * . (الحديد: ٢٢) .

أى: قبل أن نخلق النفس ، وهي لا تزال جنينا في بطن الأم ، كتبنا العمر والرزق ، والشقاء أو السعادة .

كما ورد في الحديث النبوى الشريف ، أن رسول ﷺ قال : «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ، ثم أربعين يومًا علقة ، ثم أربعين يومًا مضفة ، ثم ينفخ فيه الروح ، ثم يقول الله للملك : اكتب، قال : أي رب ، وما أكتب ؟ قال : اكتب أجله ورزقه وشقى أو سعيده (٣٠].

قال ابن كثير:

وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرِ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَلْبِ ...

أى : في بطن أمه يكتب له ذلك ، لم يخلق الخلق على عمر واحد ، بل لهذا عمر ، ولهذا عمر ، فكل ذلك مكتوب لصاحبه ، بالغ ما بلغ ، ويؤيده ما رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، أن رسول الله ﷺ قال : «من سره أن يبسط له في رزته ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه» (١٠٠٠) .

من آيات القدرة الإلهية

﴿ وَمَايَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبُّ فُرَاتُ سَاَيَعٌ شَرَايُهُ، وَهَذَا مِلْحُ أُبَاجٌ فِينَ كُلِ تَأْكُونَ لَحْمًا طَرِيتًا وَلَسَّتَخْرِجُونَ حِلْيَةٌ تَلْسُونَهَا وَرَي ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ لِبَنْعَوْلِينَ فَضَلِهِ، وَلِمَلَكُمْ تَشَكُرُوب ۞ يُولِجُ ٱلنَّلَ فِي ٱلنَّهَارِ فِيهِ النَّهَارَ فِي الْمُلْكُ وَسَخَرَا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَكُ لَّ يَجْرِي لِأَجَلِ مُسَمَّى ذَلِكُمُ ٱللَّهُ رَيُّكُمْ اللَّهُ الْمُلْكُ وَالْمَلْكُ وَالْمَالِمَ مَعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُو وَيَوْمَ ٱلْقِيمَةِ يَكُفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنْبَثُكُ مِثْلُ خَيْدٍ ۞ ﴾

المقددات:

فسيسسرات، كاسر للعطش مزيل له.

سيط مما تعافه النصاره لخلوَّه مما تعافه النفس.

مسلح أجاج، مالح شديد الملوحة يحرق بملوحته.

حير في المرجان .

مصبوالحصير؛ شاقات للماء حين جريانها .

يــــولــــع ، يدخل .

سغرالشمس والقمراء ذللهما وأجراهما خاضعين لمشيئته .

يكفرون بشرككم، يجحدون بإشراككم إياهم ، وعبادتكم لهم .

ولاينېنك مثل خبير، ولا يخبرك بالأمر مخبر مثل الخبير به .

التفسيره

١٧ - وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْوَانِ هَسْلَا عَلْبُ فُوَاتَ سَالِغَ شَرَائِهُ، وَهَسْلًا مِلْحَ أَجَاجٌ وَمِن كُلُّ تَأْكُلُونَ لَحْمَا طَوِيًّا. وَمُسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةَ تَلْبُسُونِهَا وَتَرَى ٱلْفُلِكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِيَتَكُوا مِن فَضَلِهِ وَلَعْلَكُمْ تَسْكُوُونَ .

هذا لون جديد من ألوان النعم التى أنعم الله بها على عباده ، فالماء العذب الفرات يشربه الإنسان ، فيروى ظمأه ، ويقطع عطشه ، ويسعد نفسه ، ويمدّه بالطاقة والعافية ، وماء البحار مِلْحَّ . أى : مالح شديد الملوحة ، لاذح لا يستساخ تناوله ، فالأول نافع في الزي وإطفاء العطش ، والآخر غير نافع في ذلك ، فإن ماء البحار المالح يزيد العطشان عطشًا .

قال بعض المفسرين : لعل في ذلك إشارة إلى أن المؤمن لا يسترى مع الكافر ، كما لا يستوى الماء العذب بالماء المالح ، ومع التباين في بعض الأمور ومنها الشرب ، فإن البحر والنهر يشتركان في استخراج السمك من كل منهما ، واستخراج الحلية أيضًا مثل اللؤلؤ والمرجان .

وقد أثبت العلم وجود الحلية في الماء العذب ، كما أثبته الواقع ، ففي المياه العذبة بانجلترا واسكتلندا وويلز ، وتشهكرسلوغاكيا واليابان ، وغيرها ، توجد أنواع من أمساف اللوائر ، من الماس والياقوت ، كما جاء في التفسير المنتخب للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر .

وفي هذا دليل على أن الحلية تستخرج من البحر ومن النهر ، كما قال تعالى : يُعْرُجُ مِنْهُمَا ٱللَّوْلُوُ وَٱلْمُرْجَانُ ، (الرحمن: ٢٢) . ثم يلفت القرآن النظر إلى السفن التى تمخر عباب البحر ، وتنقل التجارة والثمار والملبوسات والمصنوعات وغيرها من بك إلى آخر فقال:

وَتَرَى ٱلْقُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ إِنْيَتَغُواْ مِن فَطْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

وترى الفلك على اختلاف أحجامها تشق الماء وهي تجرى بكم فيه ، لتطلبوا من فضل الله ورزقه ، منتقلين فيها من بلد إلى بلد ، ومن قطر إلى قطر ، ولعلكم بهذا تعرفون فضل الله عليكم ، وعظيم نعمائه فتحدوه وتشكروه وتطيعوه .

وأذكر بهذه المناسبة منظر قناة السويس ، والسفن فيها متعددة الأحجام والأشكال والألوان ، تنتقل وراء بعضها ، تابعة للعديد من الجنسيات ، تنقل البضائع والسلاح والتقنية وسائر الأشياء ، وتتزود في الطريق بالوقود ، وتشترى رتبيع ، ويستفيد الجميع من هذه الحركة ، ولعلهم يشكرون الله العلى الكبير.

١٣ – يُولِعُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلْهَارِ وَيُولِعُ ٱللّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَعْرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْفَمَرَ كُلُّ يَعْرِى لِأَجَلِ مُسَمَّى ذَالِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلمُلْكُ وَٱللّذِينَ تَدَعُونَ مِن دُولِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْعِيرٍ .

إيلاج الليل في النهار، أي إدخاله فيه عند الغروب ، حيث يتلاشى الضياء شيئًا فشيئًا ، ويعم دبيب الظلام ، ويستولى على الكون كأنما الليل يدخل في النهار فيطمس الضوء ، ومثل ذلك إيلاج النهار في الليل ، عندما يسطع الفجر الصادق ، ويظهر الضوء في الأفق ، ويستمر الضياء في الظهور شيئًا فشيئًا ، حتى تطلع الشمس ، فكأنما النهار قد دخل في الليل وأخذ مكانه .

قال تعالى : وَٱلْيَلِ إِذْ أَنْبَرَ هِ وَٱلصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرَ هِ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبُرِ . (المداد: ٣٣ - ٣٥) .

فهما حالتان تستوليان على القلب بحركة الظلام عند المساء ، وحركة الضياء عند الصباح ، فالفترة من المغرب إلى العشاء قرابة ساعة ونصف ساعة ، تقابلها الفترة من الفجر إلى طلوع الشمس ، كل مفهما نهار يختلط بظلام الليل ، أو ظلام يختلط بضوء النهار ، وكل منهما فترة تمهيدية لما يأتى بعدها ، فلا هي ضرء خالص ، ولا هي ظلام خالص .

قال تعالى : فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبحُونَ . (الروم : ١٧) .

وقال عز شأنه : وَمَبِّعْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلنَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَايِ ٱلْيَل فَسَبَعْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَمُلُكَ تَوْضِلْ. (هد: ١٣٠). والقرآن يلغت النظر إلى هذه المشاهد الكرنية قبل الغروب ، وعند هجوم المساء ، وقبل الشروق ، وعند إقبال الصباح ، باعتبار أن ذلك آية تدل على عظمة الخالق ، فيقول المؤمن فى الصباح والمساء ، سبحان الله رب العالمين .

ويشمل إيلاج الليل في النهار ، طول الليل في الشتاء حتى يصل إلى أربع عشرة ساعة ، كأنما الليل دخل في جزء من النهار واحتله ، كما يشمل إيلاج النهار في الليل ، طول النهار في الصيف حتى يصل إلى أربع عشرة ساعة ، وقصر الليل في الصيف حتى يصل إلى عشر ساعات ، كأنما النهار دخل في جزء من الليل زائدا عن اختصاصه ، والتعبير القرآني يشملهما معًا ، ويطوف بالقلب البشري ليتحرك ، ويرى يد القدرة تحرك الليل وتعدّه في الشتاء ، وتحرك النهار وتعدّه في الصيف ، أو يشاهد تعاقب الليل والنهار ، في نظام دقيق مطرد ، لا يتخلف مرة ولا يضطرب ، ولا يختل يومًا أو عامًا على توالى القرون .

وَسَخْرَ ٱلسَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلِّ يَجْرِي لِأَجَلِ مُسَمًّى ...

ذلل الله الشمس تجرى أمام أعيننا نهارًا ، في حركة دائية لا تقتر من الشروق إلى الغروب ، في كل يوم وفي فصول السنة الأربعة ، لا تتخلف يوماً عن الظهور ، ولا تتقدم ولا تتأخر ، وكذلك القمر يظهر في يوم وفي فصول السنة الأربعة ، لا تتخلف يوماً عن الظهور ، ولا تتقدم ولا تتأخر ، وكذلك القمر يظهر في بدأ كاملاً في منتصف الشهر ، خلال الليائي البيش : 17 ، 18 ، 10 من الشهر العربي ، وتسمى الليائي البيش لشدة ضوء القمر فيها ، ويسنَ صيام نهارها شكرًا لله القادر ، ثم يميل البدر إلى التناقص شيئًا فشيئًا ، حتى يصبح رفيمًا كقوس صغير نراه على حرف الجريدة من النخل ، بعد أن تقطع من النخلة أو (القحف) الذي يدق ويستقوس ، ويصبح طرفه في هيئة

قال تعالى : وَٱلشَّمْسُ تَحْرِى لَمُسْتَقُرُّ لَهَا وَالِكَ تَفْسِرُ ٱلْفَزِيرِ ٱلْفَلِيمِهِ وَٱلْفَمَرَ فَلْرَكُ مَنَاوِلَ حَتَّى عَادَ كَٱلْفُرْجُودِ الْفَدِيمِ هِ لَا ٱلشَّمْسُ يُنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدُولُ ٱلْفَمْرَ وَلَا ٱلْيُلْ سَابِقُ ٱلْفَهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكِ يَسْبَحُونَ . (يس ١٨٠ - ١٤).

فكل من الشمس والقمر يجرى في فلكه ، ويرسل نوره لأجل سمّاه الله ، وهو يوم القيامة ، أو هو مدة الدورة في كليهما ، فدورة القمر تستغرق شهرًا قمريًا ، ودورة الشمس تستغرق سنة شمسية ، ثم يعود كل منهما لابتداء دورة جديدة .

ذَ ٰ لِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ...

ذلكم هو الله الخالق البارئ المهيمن المقتدر ، الذي بيده ملك هذا الكون ، وحفظ توازنه ونظامه .

وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ .

والأمنتام والأوثان ، أوالجن والملائكة ، أو عيسى والعزير ، أو غيرهم من الآلهة المدّعاة ، لا يملكون قشرة نواة ، أي لا يملكون أيّ شيء في هذا الكون ، فمالكه هو الله وحده سبحانه وتحالي .

١٤ - إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دُعَاءَكُمْ وَأَنْ سَيعُواْ مَا آمْتَجَانُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِينَـمْةِ يَكُفُّوُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنْبَلَكَ
 مِثْلُ خَبير .

إن هذه الأرثان والأصنام وغيرها إنا طلبتم منها شيئًا لا تسمع نداءكم ، وعلى فرض أنهم سمعوا ، كالجن والملائكة وغيسى والعزير ، فلن يستجيبوا لكم بشيء ، لأن الجميع سيتبرأ ممن عبده يوم القيامة .

رَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكُفُرُونَ بِشِرْ كِكُمْ ...

وفي يوم القيامة يتبرأ عيسى ممن عيده ، وكذلك كل إله مدَّعي ، فكل من الأصنام والأوثان ، والكواكب والشجر ، والإنسان والحيوان ، حتى الشيطان يتبرأ ممن عيده واتبعه ، يحدث بذلك الخبير بكل شيء ، ويكل أمر ، وبالدنيا والآخرة .

وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ .

ولا يخبرك عن عاقبة الأمور في الدنيا والآخرة مثل الله الطيم بكل شيء ، وهذه الفقرة صارت مثلاً ، فإذا نجح أستاذ متخصص في عرض موضوع ، فلك أن تعقب عليه قاتلاً ؛ وَلاَ يُنْبُّكُ مِثْلُ حُبِيرٍ .

﴿ يَتَأَيُّمُ النَّاسُ اَنتُمُ الْفُ عَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَييدُ ﴿ إِن يَشَأَيْذُ هِبْكُمْ وَيَأْتِ يَعَلَٰ اللَّهِ مِن يِرِيْ ۖ وَلَا تَزِرُ وَازِيَةٌ وَزَدَ أُخْرَكُ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِنَ خَلْهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْكَانَ ذَاقُرْقِيُّ إِنَّمَا لُنَذِرُ ٱلَّذِينَ يَغْشُونَ مَنْهُ وَلَوْكَانَ ذَاقُرْقِيُّ إِنَّمَا لُنَذِرُ ٱلَّذِينَ يَغْشُونَ مَنْهُ مَنْ مَنْ مَنْ اللَّهُ مَنْ مَنْ مَنْهُ اللَّهُ مَنْ مَنْ مَنْ مَنْ اللَّهُ مَنْ مَنْ اللَّهُ مِنْهُ اللَّهُ مَنْ مَنْ مَنْ مَنْ مَنْ مَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ الْمُعِيدُ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ مَنْ مَنْ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ وَلَمْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ مَنْ مَنْ مَنْ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ مَنْ مَنْ مَنْ مَاللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَاللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُولِيلُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

المفردات ،

الفقراء إلى الله ، المحتاجون إليه .

المستعنى ؛ المستغنى عنكم أيها الناس ، وعنَ سائر خلقه .

المحمميد، المحمود بأفعاله وأقواله وحسن تدبيره ، أو كل الخلائق تحمده بكل لسان .

ويأت بطلق جنيد، بأن يفنيكم ، ويستبدل بكم غيركم .

يسمسريستر ، بعسب أو ممتنع ، بل هو سهل .

ولاتسسزر، ولا تحمل.

الـــــــوزد؛ الإثم والثقل ، أى : لا تحمل نفس مذنبة ذنب نفس أخرى ، بل كل وازرة تحمل وزرها وحدها .

مبشمقسلسة؛ نفس أثقلها الإثم حتى لم تقدر على الحركة .

لا يعمل مفه شوء ، لا تجد من يستجيب لها ، ويحمل عنها بعض ذنبها ، حتى لو دعت ابنها أو أباها أو أمها . فضلاً عن غيرهم .

بسالسقسيب؛ لأنهم لم يروه بأعينهم.

ومن تسرّكين، طهر نفسه من الشرك والمعاصين

فإنما يتزكى تنضه، فإن ثمرة صالاحه تعود إليه .

السمعسيسر ، المرجع والمآب.

التفسيره

٥ ١ - يَنَالُّهُمَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَاءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْفَنِيُّ ٱلْحَمِيلُ

نداء إلهى علوى ، يبصر الإنسان بحقيقة افتقاره إلى الله الذي خلقه وصوره ، وشق سمعه ويصره ، وأنزل له الكتب ، وأرسل إليه الرسل ، وهذاه النجدين ، وبين له الطريقين ، ثم هو سبحانه لم يتاق بابه في وجه هذا الإنسان ، بل فتح له باب التوبة على مصراعيه ، يسمع النداء ، ويجيب الدعاء ، ويرشد المسترشدين ، ويجه هذا الإنسان ، ويأخذ بيد التائبين ، فما أعز جنابه ، وما أغناه عن عباده ، وهو سبحانه المحمود على عطاياه ، الرؤوف الرحيم بالخلق أجمعين ، يتفضل بالنعم ، ويعطى الجميع قبل أن يسألوه ، فما أكثر نعماءه ، وما أبيل ثناءه ، وصدق الله العظيم حيث يقول .

آللُهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَنُو 'حَدِ وَالْأَوْضَ وَأَنْوَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءَ فَأَخْرَ عِبِهِ مِنَ الْفَرَ 'حِ رِزَقًا لَكُمُّ وَالْفَلْتُ السَّمَاءِ مَاءَ فَأَخْرَ عَبِهِ مِنَ الْفَرَ 'حِ رِزَقًا لَكُمُّ وَالْفَلْمُ ' وَعَجْرِى فِي الْبَيْحِ وَالْمُحَرِّ لَكُمُ الْأَلْهَارُ ، وَسَجْرَ لَكُمُّ ٱلشَّمْسُ وَالْفَارَ فَالِيْسِ وَسَجْرَ لَكُمُّ النَّامِ مُن عُلَمْ الشَّمْسُ وَالْفَرَةِ كَفُارً البِراهِيمِ : ٣٣ - ٣٤ . كم من شدة فرجها ، وكم من ظلمة بددها ، وكم من عسر يسره ، وكم من ذليل أعزه ، وكم من عزيز أذلًه ، وكم من غني أفقره ، وكم من فقير أغناه ، وكم من ضال هداه ، وكم من مستجير أجاره ، وكم من مضطر أجابه ، وكم من بائس يائس أجابه وأكرمه ، فله الحمد في الأولى والآخرة ، وله الثناء العسن الجميل ، وقد كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يقول : «اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ،

اللهم ربنا لك الحمد ، أنت الغنى ونحن الفقراء إليك ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا رادُ لما قضيت ، ولا ينفم ذا الجدّ منك الجدّ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله الخلى للعظيم .

١٩ - إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقِ جَدِيدٍ .

تهديد ووعيد للعصاة ، بأنَّه لو أراد الله لأملكهم ، كما أملك الأمم السابقة ، من عاد وثمود وأصحاب مدين وفرعون وملثه ، وأتى بخلق جديد ، يكون أطرع لله من العصاة المهلكين

١٧ - وَمَا ذَ ٰ لِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ .

وما ذلك بصعب عليه ولا بعسير ، بل هو سهل يسير ، فهو سبحانه على كل شيء قدير : إِنْمَا أَمْرُهُ ۗ إِذَا أَرَادَ شَيُّا أَن يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ . (يس: ٨٢) .

١٨ - وَلَا تَوِرُ وَاوِرَةُ وِزْرُ أَخْرَىٰ وَإِن تَدَعُ مُفَقَلَةً إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيَّةً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُعَلِّرُ ٱللَّهِينَ يَخْشَرُنَ رَقِهُم بِالْغَيْبِ وَ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَمَن تَرَكَّى لَهُلُمَا يَتَوْكُى لِقُسِمِ وَإِلَى اللّهِ ٱللَّمُوسِيرُ .

روى أن الوليد بن المغيرة قال لقوم من المؤمنين : اكفروا بمحمد وعلىّ وزركم ، فنزلت هذه الآية ، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وهذه الآية من مفاخر الإسلام ، لتحقيق مبدأ المسئولية الشخصية في الدنيا والآخرة ، فلا يسأل إنسان عن جريمة غيره ، ولا يتحمل أمروٌ عقوبة جانٍ آخر .

ومعنى الآية :

ولا تحمل نفس مثقلة بالذنوب ذنب نفس أخرى ، كُلُّ آمْرِي بِمَا كُسَبَ رَهِينٌ . (الطور: ٢١) .

فعدالة الله تأبى أن يعدُّب إنسان بذنوب آخر، وفي القرآن الكريم على لسان يوسف الصديق: قَالَ مَعَاذُ اللهُ أَن نَأْخُذُ إِلَّا مَن وَجَدَنا مَنْكَمَا عِنفَةٍ إِنَّا إِذَا لُظْلِمُونَ . (يوسف: ٧٩) . وفي يوم القيامة يعظم الهول ، ويتشوف كل إنسان إلى النجاة بنفسه من هذا اليوم العصيب ، حتى يذهل الإنسان عن أقاريه ، وعن فلذة كيده ، ويغرّ من أقرب الناس إليه ، لشدة لنشغاله بالنجاة من النار .

وَإِن تَدْعُ مُثَقَلَّةً إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَيْ ...

وإن طلبت نفس مثقلة بالأوزار والذنوب مساعدة من نفس أخرى ، لتحمل عنها أى ذنب من نذوبها ، لم تلق أى استجابة ، ولم تجد من يحمل عنها بعض ننوبها ، ولو كانت قريبة لها فى النسب ، كالأب والابن والزرجة ، لأن كل إنسان مشغول بنفسه وحاله ، وله من الهموم ما يثنيه .

قال تعالى : يَوْمَ يَهُوُ ٱلْمَوْءُ مِنْ أَخِيهِ ه وَأُمَّهِ وَأَبِيهِ ه وَصَلْحِيَتِهِ وَبَنِيهِ ه لِكُلّ آمْرِي مَنْهُمْ يَوْمَتِلْ شَأَنْ يُغْيِهِ . (عبس : ٣٤ – ٣٧) .

وقال تعالى : يَنَلَيُّهِا آتَنَاسُ أَهُواْ رَيُّكُمْ وَآخَشُواْ يَوْمَا لَا يَحْرِي وَآلِدُ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودَ هُوَ جَارٍ عَن وَالِدِهِ هُنَّهُ ... (لقمان: ٣٣) .

روى عن عكرمة:

إن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة ، فيقول : يا بُنيّ ، أى والد كنت لك ؟ فيثنى خيرًا ، فيقول : يا بُنيّ ، أن والد كنت لك ؟ فيثنى خيرًا ، فيقول : يا بُنيّ ، الله عنه المبت ، ولا تحتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى ، فيقول له ولده : يا أبت ، ما أيسر ما طلبت ، ولكن أتضوف مثل ما تتخوف ، فلا أستطيع أن أعطيك شيئًا ، ثم يتطق بزوجته فيقول : يا قلانة ، أن يا هذه ، أي زرج كنت لك ؟ فتثنى خيرًا ، فيقول لها : إنى أطلب إليك حسنة واحدة ، تهبينها لى ، لعلى أنجو بها مما ترين ، فتقول له : ما أيسر ما طلبت ، ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئًا ، إنى أتخوف مثل الذي تتخوف ، فذلك قوله تعالى : وإن تُدَعُ مُقَلَّةً إِنِّي حَبِّلُهَا لا يُحْمَلُ مِنْ مُكْءً رُنِّو كَانَ ذَا قُرْبَىْ ...

وقال الفضيل بن عياض:

هی المرأة تلقی ولدها فتقول : یاولدی ، ألم یکن بطنی لك وعاء ؟ ألم یکن ثدیی لك سقاء ؟ ألم یکن حجری لك وطاء ؟ فیقول : بلی یا أماه ، فتقول : یا بنی ، قد أثقلتنی ذنویی فاحمل عنّی منها ذنبًا واحدًا ، فیقول : إلیك عنی یا أماه ، فإنی بذنبی عنك مشغول .

إِنَّمَا تُعَلِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشُوْنَ رَبُّهُم بِٱلْفَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوْةَ ...

أى: إنما يتعظ بما جئت به أيها الرسول أولو البصيرة والعقل ، الذين يخشون الله فى خلواتهم ، أو يخافون من عذاب ريهم قبل معاينته ، وقد حافظوا على إقامة الصلاة فى أوقاتها كاملة الأركان ، فى خشوع وخضوع ومناجاة لله رب العالمين .

وَمَن تَزُكِّيٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ...

ومن تطهر من الذنوب والمعاصى ، وأخاع الله بصنوف الطاعات ، واستجاب لدعوة الرسول الأمين وأوجَى الله رب العالمين ، فإنما يتطهر لنفسه ، وفائدة الطهارة والسمو الروحى ، والسلوك الأمثل ، يعود نفعها على فاعلها .

قال ابن كثير : ومن عمل صالحًا فإنما يعود على نفسه .

وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ .

أى : وإليه المرجع والمآب ، وهو سريع الحساب ، وسيجزى كل عامل بعمله ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر . . * * *

﴿ وَمَايِسَتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَأَلْمَسِرُ ۞ وَلَا الظَّلَمَنْ وَلَا النُّورُ ۞ وَلَا الظِّلُ وَلَا الْخَرُورُ ۞ وَمَايِسَتَوِى ٱلْأَخْيَاهُ وَلَا ٱلأَمْوَتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَلَّهُ وَمَا آنَتَ بِمُسْمِعِ مَن فِي ٱلْمَبُورِ ۞ إِنْ أَنَ إِلَا لَكَذَيْرُ ۞ إِنَّا أَنْ صَلَانَكَ يِا لَحَقِ بَشِيرًا وَلَذِيزًا وَإِن مِنْ أَمَّةٍ إِلَا خَلَافِهَا لَيْرُ ۞ وَإِن يُكُذِبُوكَ فَقَدْكَذَبَ ٱلَّذِينَ مِن مِّلِهِمْ جَاءَتُهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَتِ وَيَا لَزَّيُرُ وَيَا لَكِتَنْ المُنْدِرِ ۞ ثُمَّ آخَذَتُ الَّذِينَ كَمْرُوا أَفْكَيْفَكَاتَ نَكِيرٍ ۞ ﴾

المفردات:

الأعسمس والمصير ، مثل للكافر والمؤمن .

ولا الظلمات ولا النور ؛ مثل للباطل والحق .

ولا الفقل ولا العرور ، مثل للثواب والعقاب ، والحرور : الربح الحارة كالسموم ، إلا أن السموم تكون بالنهار ، والحرور بالليل والنهار .

الأحياء ولا الأموات ، شبه المؤمنين بالأحياء ، وشبه الكافرين بالأموات .

يسمع من يشاء ، هدايته .

من في القيور: الكفار ، شبههم بالموتى الذين لا يجيبون .

تسسستيسسر : منذر مخوّف وهو النبي ، أي : ما أنت إلا منذر من العذاب ، أما الإسماع فبيد الله وحده .

المعجزات الدالة على صدقهم فيما يدّعون.

ويـــالــــريسـر ، الكتب المكتوية ، كصحف إيراهيم ، جمع زيور ، أي : كتاب .

فكيث كان نكير ، فكيف كان إنكارى عليهم بالعقوية والإهلاك .

نمهیك :

نوع القرآن الكريم في أساليب الهداية والدعوة ، ومن ذلك بيان أنواع الناس أمام هداية القرآن الكريم ، فمنهم الأعمى عن الهدى والبصير به ، ومن يعيش في ظلمات الكفر ، ومن يعيش في نور الإيمان ، ولا يستوى الله إلى المربح كالقال ، والعقوية المؤلمة كالحرور ، لكن الرسول ولا يستويان في الدنيا ، كذلك لا يستوى اللهاب المربح كالقال ، والعقوية المؤلمة كالحرور ، لكن الرسول مبلغ ومنذر وليس بهاو ، إنما الهدى والضلال بيد الله وحده ، وهذه المهمة يشترك فيها الرسل الذين أرسلهم الله إلى الأمم السابقة ، وأنزل معهم المعجزات والصحف ، والكتاب المشتمل على الشرائع والأحكام كالقوراة .

التفسيره

١٩ - وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ .

لا يسترى الأعمى الفاقد للبصر مع المبصر الذي يرى الطريق، ويهتدى إلى الصراط السليم، وكذلك لا يستوى الكافر الذي عمى عن الحق مع المؤمن الذي هداه الله للإيمان ، واستمرت الأمثلة للتأكيد والتوضيح فيما يأتى .

٠ ٢ ، ٢ ٢ - وَلَا ٱلظُّلُمَاتُ وَلَا ٱلثُّورُ ، وَلَا ٱلطَّلُّ وَلَا ٱلْحُرُورُ .

ولا تستوى ظلمات الباطل وفنونه مع نور الحق وهدايته ، وجمع الظلمات مع إفراد النور ، لتعدد فنون الباطل مع لتحاد سبل الحق .

٢٧ - وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَاءُ وَلَا ٱلْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مِّن فِي ٱلْقُبُورِ .

لا يتساوى المؤمنون أحياء القلوب والمشاعر، والكافرون أموات القلوب والحواس.

قال تعالى : مَثَلُ ٱلْقَرِيقَيْنِ كَٱلْأُعْمَىٰ وَٱلْأَصَمَّ وَٱلْبَصِيدِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يُسْتَوِيَانِ مَثَلاً ... (مود : ٢٤).

وقال سبحانه : أوَ مَن كَانَ مَيَّا فَأَحْيَيْتُهُ وَجَعَلْنَا لَهُر لُوزًا يَمْشِى بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مُثَلَّهُ فِي ٱلظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنَّهَا ... (الأنمام: ١٩٢٧) . قال قتادة : هذه كلها أمثال ، أي : كما لا تستوى هذه الأشياء ، كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن .

إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعِ مِّن فِي ٱلْقَبُورِ .

إن الله يهدى من يشاء إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها ، وكما أنك لا تسمع الأموات الذين توسدوا القبور ، كذلك لا تسمم من مات قلبه من هؤلاء المشركين .

٢٣ - إِنْ أَلِتَ إِلَّا نَلِيرٌ .

ما أنت إلا رسول منذر عناب الله لمن كفر ، ليس عليك إلا الإنذار والتبليخ ، أما الهدى والضلال فهما بيد الله وحده ، وهو الحكيم في أقعاله ، العليم بعباده .

٢٤ - إِنَّا أَرْسَلْتَلْكَ بِٱلْحَقَّ بَشِيرًا وَنَلِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَلِيرٌ .

إن الله هو الذي أرسكك بالحق والصدق ، فالعرسل محق ، والعرسل محق ، والرسالة بالحق والصدق ، والإيمان بالله ورسله واليوم الآخر ، مشتملة على الشرائع والأحكام والآداب ، والعيادات والمعاملات ، لإرشاد الناس في الدنيا ، وإسعادهم في الأخرة .

وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَلْبِيرٌ .

ما من جماعة كبيرة من الأمم ، إلا أرسل الله لها من بينهم من يرشدهم ، وينذرهم عذاب الله .

قال تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولِ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُسِّنَ لَهُمْ ... (إبراهيم : ٤) .

وقال عز مشأنه : رُسُلاً مُبَشَرِينَ وَمُعَلِوبِنَ لِمُلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ خُجُّةٌ بَقَدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . (انساء ١٦٠).

وقال تعالى : وَمَا كُنَّا مُعَلِّينَ حَتَّىٰ لَيْعَثَ رَسُولاً . (الإسراء : ١٥) .

وقال سبحانه : وَلَقَدْ بَعْتُ فِي كُلِّ أُمُو رُسُولاً أَنِ آعَبْدُواْ آلَلَهُ وَآجَتِيُواْ ٱلطَّنْعُوتَ قَوِيْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِيْهُم مِّنْ حَمَّتُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَلَةُ ... (النحل: ٣٠) .

٥٧ - وَإِن يُكَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَلِهِمْ جَاءَتُهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيَّنْتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَلْبِ ٱلمُنيرِ .

إذا كنبك كفار مكة والطائف وأشباههم ، فلا تأس ولا تحزن ، فقد أرسلنا قبلك رسلا إلى قومهم ، فقا أرسلنا قبلك رسلا إلى قومهم ، فقابلوهم بالتكذيب والعناد ، مع أن هؤلاء الرس حملوا إلى قومهم النصائح والشرائع والمعجزات البيئة ، والزّبر وهى الصحف ، كصحف إبراههم وموسى ، وزيور داود ، وصحف شيث ، ومن الرسل من حمل إلى قومه كتابًا مشتملاً على الشرائح ، والحدود والقصاص والأداب ، والعبادات والمعاملات مثل التوراة – على إرادة التفصيل – يعنى أن بعض الرسل جاء بالبيئات لقوم ، ويعضهم جاء بالكتاب المنزية كرين ، ويعضهم جاء بالكتاب المنزية لغيرهم ، لا على معنى إرادة الجمع ، وأن كل رسول جاء بجميع ما ذكر.

٢٦ - ثُمَّ أَخَذْتُ ٱللَّهِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ لَكِيرٍ .

لقد أرسلنا رسُلنا بالبيِّنات ، وآلوان الهدايات ، لكن الكافرين عاندوا وكذَّبوا رسلهم ، وكفروا بالله ورسله ، رغم وضوح الأدلة وصدق المعجزات والكتب السماوية ، ثم أخذت الكافرين أخذ عزيز مقتدر ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصديحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، فكيف رأيت إنكاري عليهم شديدًا بليغًا ؟ لقد استأصلهم فلم يبق منهم باقية ، وفي الآية تعديد ووعيد لمشركي مكة ، أي : كما أهلكت السابقين ، فإنى قادر على إهلاك اللاحقين : سُنةً ٱللَّهِ أَلْي قَدْ خَلْتُ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَةٍ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً . (الفتح : ٣٧).

﴿ أَلَمْ تَرَأَنَّ اللّهَ أَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءَ فَأَخْرِجَنَاهِهِ مُمْرَتِ ثَغْنِلِفاً أَلْوَنَهُ أَوْمَنَ الْجِبَالِ جُدَدُّ بِيضٌ وَحُمْرٌ تُغْنَافِ أَلْوَنُهُ الْوَنُهُ اوَغَلِيبِ مُودٌ ۞ وَمِرَ النَّاسِ وَالدَّوَآتِ وَالْأَنْفَرِ خُتَافِ أَلْهُ اللَّهُ الْمُنَافِّ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَثُولُ إِنَّ اللَّهُ عَزِيزً عَفُورٌ ۞ إِنَّ الْذِينَ يَتَلُوبَ كِنْبُ اللّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوة وَأَنفَقُوا مِمَّا رَدَقْنَهُمْ سِرًّا وَعَلانِيهَ قَبْرُجُونَ تِهِنَ وَلَن تَبُورَ ۞ لِيُوفِيهُمْ أَجُورُهُمْ وَيَزِيدَهُم مِن فَضَالِهِ النَّهُ عَنْورُهُمْ وَيُزِيدَهُم

المفردات :

التواشها ؛ من أحمر إلى أصغر إلى أخضر إلى تعو ذلك .

جــــد، الجدد :الطرائق المختلفة في ألوان الجبال ، جمع جُدَّة ، بضم الجيم : وهي الطريقة .

القرابيب؛ واحدها: غربيب، وهو شديد السواد، يقال: أسود غربيب، وأبيض يقق، وأصفر فاقع، وأحمر قان ، وفي الحديث: «إن الله يبغض الشيخ الغربيب» ، يعني: الذي يخضب بالسواد ، وقال امرو القيس في وصف فرسه:

والرجل لافحة والوجه غربيب العين طامحة والبد سابحة

السعواب؛ جمع دابة ، وهي ما دبُّ من الحيوان ، وغلب على ما يركب ، ويقع على المذكر أيضًا .

يت اون ، يقرءون ، ويتبعون القراءة العمل ، من قولهم : تلاه ، إذا تبعه ، لأن التلاوة بلا عمل لا نقم فيها . تحجارة : معاملة مع الله لنيل الثواب .

تسبسود ؛ تكسد ، أو تهلك ، يقال بار الشيء بورا بالفتح : كُسَد ، لأنه إذا تُرك صار غير منتفع به ، فأشبه الهالك من هذا الوجه ، فالمعنيان متقاربان .

تمهيد،

يعرض القرآن هنا بعض المشاهدات الكونية المختلفة الأشكال والألوان ، كألوان النبات والأزهار والثمرات، وكذلك ألوان الجبال، كالأسود والأبيض والأحمر وغير ذلك، ومثله في الناس والدواب والأنعام، تحريكًا للقلوب للعظة والاعتبار.

التفسيره

٧٧ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَتِزُلُ مِنَ ٱلسَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ لَمَرَاتِ مُخْطَفًا أَلْوَانُهَا ...

قَالَ أَبُو حَيَانَ : آيات لتقرير وحدانية الله تعالى ، بأدلة سماوية وأرضية . ا ه. .

والمعني:

ألم تتأمل أيها المشاهد كيف أنزل الله المطر ، فأنبت به من الأرض ألوانًا متعددة ، وثمرات مختلفة الألوان ، متعددة الأصناف من أصغر وأحمر وأخضر وأبيض وأسود ونحو ذلك .

قال تعالى في سورة الرعد: وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَلُوزَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْتَابٍ وَزَرْعٌ وَفَحِيلٌ صِنْهَ انٌ وَغُينُ صِنْوَانِ يُسْفَىٰ بَمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفصَّلُ بُعْضَهَا عَلَىٰ يَعْضِ فِي ٱلْأَكُلِ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَاتٍ لّقُوم يَعْقِلُونَ . (الرعد: ٤).

وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُلَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتِلْفٌ ٱلْوَانُهَا وَغَرَ ابِيبُ سُودٌ.

وخلقنا الجبال كذلك مختلفة الألوان من بيض إلى حُمر إلى سُود غرابيب، وفي بعضها طرائق مختلفة الألوان أيضًا. ٢٨ - وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدُّوآبُ وَٱلْأَنْعَلَمِ مُخْتَلَفُ ٱلْوَانُمُ كَذَالِكَ ...

وخلق الله خلقاً آخر من الناس والدواب والأنعام ، التي هي الإبل والبقر والغنم ، مختلفة الألوان في الجنس الواحد ، بل وفي النوع الواحد ، وفي الحيوان الواحد ، كاختلاف الثمار والجبال .

قال تعالى: وَمِنْ عَايَلتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَا وَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَآخِيلَ فُ ٱلْسِيَتِكُمْ وَٱلْوَائِكُمْ ... (الروم: ٢٧).

والدواب هي كل ما دب على القوائم ، والأنعام من جاب عطف الشامس على العام ، وكلمة : كُذَّ لِكُ . هذا تمام الكلام ، أي: كذلك الناس والدولي والأنعام مختلفة الألوان .

إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلْمَلُوُّا ...

قالعلماء والباحثون ، والعارفون بأسرار الكون وجمال الخلق ، والمتأملون في ألوان الجبال والناس والحيوان ، هم الذين يخشون الله ، ويدركون جلال قدره ، وعظيم تعمائه وكثير عطائه ، وجليل قدرته ، والمراد بالعلماء منا : علماء الطبيعة والحياة وأسرار الكون .

إِنَّ ٱللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ .

أي: هو سبحانه كامل العزة والقدرة ، وكامل المغفرة لأهل طاعته ومعرفته .

وفي بعض الأفار: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ، وقد ظهرت عليه هذه الخشية حتى عرفت فيه . محلاصة من ظلال القرآن :

الجمال عنصر مقصود في هذا الكون ، فالألوان والأصباغ والأشكال عنصر جمالي ، وألوان الزهرة وجمالها يجتنب الفراشة والنحلة ، لتؤدى وظيفة نقل اللقاح إلى الزهور الأخرى . وألوان البشر وأصباغها ، وتفاوت درجات الألوان والأصباغ بين تخوين شقيقين وربما بين توممين ، تؤدى إلى الرغبة الجنسية بين الذكر والأنثى ، وتؤدى إلى إعمار الكون ، والتناسل والنسب والصهر ، ومثل هذه الرغبة نجدها بين الحيوانات والطيور لحكمة إلهية ..

قال تعالى : وَمِن كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زُوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَلَكُّرُونَ . (الذاريات : ٤٩).

وقال عز شأن : سُبُحَانَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْزَعَ كُلُّهَا مِمَّا تُسَبِّتُ ٱلَّأَرُضُ وَمِنَّ أَلفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ . (يس : ٣٦).

إن العلماء هم الذين يدركون روعة هذا الكون ، وروعة الجمال في الألوان والأصباغ ، ودرجات التفارت ونسبتها في اللون الواحد ، فيؤمنون بالله عز وجل عن معرفة دقيقة رعلم مياش. ٢٩ - إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَلَبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَّفْتَهُمْ سِرًا وَعَلَائِيَّةً يَرْجُونَ تِجَدَرَةً لَّن تَبُورَ .

إن الذين يقرءون القرآن الكريم قراءة تدبر رتمكن وتعلّم واهتداء بما فيه ، وعمل بأوامره ، واجتناب نواهيه ، حال كونهم قد أقاموا الصلاة كاملة الأركان ، مشتعلة على الخشوع وحضور القلب ، وقد أنوا زكاة أموالهم ، وأخرجوا نفقة مناسبة للفقراء والمساكين ، ووجوه الخير في السر والعلن ، هؤلاء قد أحسنوا ا التجارة مع الحق سبحانه ، فباعوا قليلاً ، واشتروا كثيرًا ، وأنفقوا في هذه الحياة الفائية ، وحصدوا ثمار ذلك في الباقية ، فتجارتهم رابحة ، وجزاؤهم مضاعف .

قال تعالى : وَإِنْ بَكُ حَسَنَةٌ يُضَاعِفُهَا وَيُؤْتِ مِن لَّكُنَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا . (النساء: ٤٠) .

٣ - لِنُوَافِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَصْلِهِ إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ .

لووفيهم ثراب ما عملوا ، ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم على بال ، فهو سبحاته صاحب الفضل والمنة ، والمغفرة للانوب ، وهو للشكور للحسنات ، حيث يضاعفها لفاعليها .

قَالْ قَتَادَةً : كَانَ مَطَرِفَ – رحمه الله – إِذَا قرأَ هَذَهِ الآية يقول : هذه آية القُرُّاء .

* * *

المفردات:

من الكتاب؛ القرآن.

ثم أورثنا الكتاب، أعطيناه بالا تعب ولا مشقة كما يعطى الميراث.

اصطفيت اخترنا ، واشتقاقه من الصفو وهو الخلوص من شوائب الكدر.

ظالم لنفسه الظلم تجاوز الحد ، أو من رجحت سيئاته على حسناته .

مسقستسد، متوسط، أو هو من تساوت حسناته مع سيئاته .

سابق بالخيرات؛ سبق غيره بعمل الخير؛ أو هو من رجحت حسناته على سيئاته.

أســـــاور، جمع سوار، وهي حلية تلبس في اليد.

أذهب عنا الحزن : أزال الحزن الشامل لأحزان الدنيا والآخرة .

المستعسب؛ تعب ومشقة .

السعف والما أعياء وكلال من التعب ، يقال: لغب لغويًا كمنَّم ، أعيا أشد الإعياء .

التفسيره

٣ ١ - وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَاۚ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدَّقًا لَمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهُ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَعِيسٌ .

بيان لتشريف الله لهذه الأمة ، وتكريم لرسولها ، وتوثيق للكتاب المنزّل ، وأنه من عند الله ، وتثبيت لفزّاد النبي ﷺ .

و المعنى : والقرآن الكريم الذي أوحيناه إليك بواسطة جبريل هو الحق ، أنزله الله بالحق ، ونزل على رسوله بالحق ، وقد نزل مشتملاً على الحق والصدق ، والهدى والإيمان وشرائع الإسلام .

مُصَدِّقًا لُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . . .

مؤيدًا لما سبقه من الكتب ، كالزيور والتوراة والإنجيل ، التي أنزلها الله باعية إلى الإيمان ، محرُضة على التقوى والهداية ، فالقرآن نزل مؤيدًا ومصدُّقًا لما سبقه من الكتب ، حيث اشتدت الحاجة إلى رسول جديد ، وكتاب جديد ، يكون جامعًا لشريعة خالدة ، وصالحًا لهداية الناس .

وفي معنى الآية قوله تعالى: وَبِالْحُقِّ أَنزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزلُ ... (الإسراء: ٥٠٥).

وقوله عز شانه : فَزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتُلَبِ بِٱلْحَقّ مُصَدّقًا لَمُا بَيْنَ يَفَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْرَلَـةُ وَٱلْإِمْجِيلَ ﴿ مِن قَبْلُ هَدَّى لَلْنَاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ … (ل عمران: ٣ ، ٤) .

والله تعالى يصطفى لرسالته من يشاء .

قال تعالى : أَلَلَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتُهُر ... (الأنعام: ١٢٤).

وهو الخبير بعباده ، البصير بحاجة الذلق إلى رسول ، الحكيم في اختيار الرسول .

٣٧ - تُمُّ أَوْرَقَنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ آصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِتُفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ صَابِقٌ بِٱلْخَيْرَاتِ باذَتِ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ ٱلْفَصَلُ ٱلْكَبِيرُ .

جمهور المفسرين على أن هذه الفئات الثلاث من المؤمنين من هذه الأمة ، ويعضهم فسر الظالم لنفسه بالكافر ، وقد سُئل أبو يرسف رحمه الله عن هذه الآية ، فقال : كلهم مؤمنون ، وأما الكافرون فصفتهم بعد هذا ، وهو قوله تعالى : وَاللَّذِينَ كُفُرُوا لَهُمْ ثَارُ جَهُتَّمَ .. (فاطر: ٣٠) .

ومعنى الآية مع ما قبلها : الذي أوخيناه إليك من القرآن الكريم هو الحق ، وقد أورثنا هذا الكتاب أصحابك من الصحابة والتابعين ، وتابعيهم ممن يسير سيرتهم إلى يوم القيامة .

أو المعنى:

اصطفينا أمة محمد ﷺ ، وجعلناها أمة وسطًا ، وزودناها بميراث عظيم هو هذا القرآن الكريم ، المشتمل على العبادات والمعاملات والآداب ، والأخبار عن الأمم السابقة ، والبيان الجميل ، والإعجاز في عرض أدلة القدرة ، وبيان جمال الكون وإبدام الخاق ، ومظاهر البعث والقيامة .

وقد ورث القرآن طوائف ثلاث: طائفة ظلمت نفسها بارتكاب المعاصى ، أو التقصير فى حق هذا الكتاب ، وطائفة مقتصدة متوسطة ، تعمل بالقرآن حيثًا وتهمل حيثًا آخر ، وطائفة سبًّاقة للخير بإذن الله وترفيقه ، فهى حريصة على الكتاب والعمل بما فيه ، والمسابقة إلى تلاوته وتنفيذ أوامره ، واجتناب نواهيه بإذن ربها وعنايته وهدايته .

روى عن عمر رضى الله عنه قال - وهو على المنبر -- : قال رسول الله ﷺ : «سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج : وظالمنا مغفور له ٩٣٩.

وإنما قدم الظالم للإيذان بكثرة أفراده ، وأن المقتصدين قليل بالنظر إليهم ، والسابقين أقل من القليل ، وقيل : قدم الظالم لثلا ييناس من رحمة الله ، وأخَر السابق لثلا يعجب بعمله ، فتعين توسيط المقتصد .

ونالاحظ أن القرآن الكريم في سورة الواقعة بدأ بالسابقين ، فقال تعالى :

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأُولِينَ ، وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ . (الواقعة : ١٢ ، ١٤) .

وثنى بأصحاب اليمين ، وقال عنهم : ثُلَّةً مِّنَ ٱلْأَوْلِينَ هَ وُثُلَّةً مِّنَ ٱلْأَخْرِينَ . (الواقعة : ٣٩ . ٤٠) . ثم تكلّم عن أصحاب الشمال وذكر أنهم في جهنم . كما ذكر القرآن الكريم أن السابقين قلة ، حين قال : وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ . (سبأ: ١٣) .

وقال عز شأنه : وَإِنْ تُطِعُ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلَ ٱللَّهِ ... (الأنعام: ١٦٦).

ولعل من المناسب أن نقول إن القرآن الكريم يبدأ في كل حالة بما يناسبها ، ففي سورة البقرة مثلاً بدأ بالمؤمنين ، وثنى بالكافرين ، ثم تحدُّث طويلاً عن المنافقين وعن شياطينهم ، وضرب أمثلة توضح حالهم ، فلكل سياق حكمته وطريقته ومناسبته .

٣٣ - جَنَّاتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَهَا يُحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَأُوْلُؤًا وَلِنَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ .

أى: يدخل مؤلاء الطوائف الثلاث جنات إقامة: السابقون لسبقهم ومسارعتهم في الخيرات ، والمقالصون لترجع حسناتهم أو تعادلها مع سيئاتهم ، والظالمون لأنفسهم لأنهم عملوا معامىي ثم تابوا منها ، أو لم يتويوا فاستحقوا العذاب في جهنم ، ثم يدخلون الجنة لإيمانهم وإسلامهم وتوحيدهم لله ، ويحلون في الجنة بأسار من نهب مرصع باللؤلق ، ويكون لباسهم حريدًا خالصًا ، وقد أباحه الله لهم في الأخرة ، لأنهم امتنعوا عن ليسه في الدنيا ، استجابة لأمر الله تعالى لهم .

ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الأخرة» (٣٠). وقال: «هي لهم في الدنيا ، ولكم في الأخرة» (١٠٠).

وعلى هذا تكون الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة من هذه الأمة ، والطماء أولى الناس بهذه النمحة.

أخرج أحمد ، وأبر داود ، والترمذي ، وابن ماجة ، عن قيس بن كلير قال : قدم بجل من أمل العدينة إلى أبي الدرداء رضى الله عنه - وهو بدمشق ، فقال أبو الدرداء : ما أقدمك يا أخى ؟ قال : حديث بلغنى أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ ، قال : أما قدمت لتجارة ؟ قال : لا ، قال : أما قدمت لحاجة ؟ قال : لا ، قال : أما قدمت إلا في طلب هذا الحديث ؟ قال : نعم ، قال رضى الله عنه : فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من سلك طريقاً يطلب فيه علمًا ، سلك الله تعالى به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضم أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كنضل القمر على سائر الكولكب ، إن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافره (٥٠٠). ٣٤ - وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيَّ أَذْهَبُ عَنَّا ٱلْحَزَنَّ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ .

لقد متَّعهم الله في الجنة بألوان من النعيم الحسى والمعنوى ، ذكر النبي ﷺ حَلَىُ أهل الجنة فقال : ومسرَّرون بالذهب والفضة ، مكالة بالدر ، وعليهم أكاليل من درُّ وياقوت متواصلة ، وعليهم تاج كتاج العلوك ، شباب حرد مرد مكحولون: (٩٠).

متَعهم الله بما كانوا يشتاقون إليه في الدنيا ، لتقرّ أعينهم وتتلج صدورهم ، وأراحهم الله من الدنيا وأحزانها والابتلاء فيها ، كما طمأنهم بعد الحساب والجزاء بدخول الجنة ، فقالوا شاكرين معترفين : الحمد لله حمدًا كثيرًا طبيًا مباركًا فيه ، الذي أذهب عنا حرّن الدنيا ، وأذهب عنا رهبة الحساب والخوف من العقاب ، وغفر لنا برحمته ، وشكر لنا بفضله ، إن زينا أَفْفُورٌ . يغفر الجنايات وإن كثرت ، شَكُورٌ . بقبول الطاعات وإن قلت .

أخرج ابن المنذر ، عن ابن عباس أنه قال في ذلك : غفر لنا العظيم من ثنوينا ، وشكر القليل من أعمالنا .

٣٥ - ٱلَّذِي ٓ أَحَلُّنَا ذَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَصْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌّ وَلَا يَمَسُّنا فِيهَا لُغُوبٌ .

الذى أسكننا الجنة وهى دار الإقامة الدائمة من فضله ، وفيها نعيم أبدى سرمدى لقاء عملنا المحدود فى الدنيا ، حيث كنا نتعب وننصب أملاً فى متاح الجنة ، فأنحلنا الله بفضله جنات إقامة دائمة ، لا عمل فيها ولا نصب ، فله سبحانه الفضل والمنة ، والثناء الحسن الجميل ، فقد كافأنا على القليل ، بالنعيم الدائم الأبدى السرمدى .

ررى البخارى فى صحيحه ، أن رسول الله ﷺ قال : ولن يُدخل أحدكم الجنة عملُه» قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : «ولا انا ، إلا أن يتغمدنى الله برحمته ، فسددوا وقاربوا ، ولا يتمنين أحدكم الموت ، إما محسنا ظلمه أن يزداد فى إحسانه ، وإما مسيئا ظلمه أن يتوب "".

جاء في تفسير ابن كثير:

لَا يَمَشِّنَا فِيهَا نَصَبُّ وَلَا يَمَشِّنَا فِيهَا لُغُوبٌ.

أى · لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء ، والنصب واللغوب كل منهما يستعمل في التعب ، وكأن المراد بنفي هذا وهذا عنهم ، أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم والله أعلم ، فمن ذلك أنهم كاتوا يجهدون أنفسهم في العبادة في الدنيا ، فسقط عنهم التكليف بدخولها ، وصاروا في راحة مستمرة .

قال تعالى: كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِتَنَّا بِهَآ أَسْلَقُتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَّةِ . (الحاقة: ٢٤).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْلُهُمْ نَارُجَهَنَّ مَلَايُقَضَىٰ مَلَتِهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُ مِنِّ عَدَايِهَا كَذَلِكَ جُزِى كُلِّ كَفُورِكَ وَهُمْ مَصَّطَرِثُونَ فِهَا رَبِّنَا ٱخْرِجْنَا نَصْمَلْ صَلِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَا نَعْمَلُ أَوْلَيْنُعَبِرُكُمْ مَّا يَتَكَ شَكْرُ فِيهِمنَ تَذَكَّرُ وَجَاءَ كُمُّ النَّذِيْرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّلِيدِينَ مِن ضِّمِيدٍ ۞ إِنَّ اللَّهَ عَلِمُ غَيْبٍ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ مَعْلِمِتُمُ

المفردات ،

لا يُقضى عليهم فيموتوا ، لا يحكم عليهم بموت ثان فتحصل لهم الراحة .

يمس طرخ ون ا يستغيثون في النار بصوت عال ، والمسراح : الصوت المرتفع المصحوب بالتعب والمشقة ، ويستعمل كثيرًا في العويل والاستفائة ، وأصله : يصترخون ، فأبدلت التام طاء

فسم مسركسم؛ من التعمير بمعنى الإيقاء والإمهال فى الحياة الدنيا ، إلى الوقت الذي كان يمكنهم فيه الإقلاع عن الكفر إلى الإيمان .

مايستسنكسر فيه ألم نعطكم من الوقت ، الذي كنتم تتمكنون فيه من التذكر والاعتبار .

مسين تسينكيوه متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه .

السينسينيسر ، الرسول ، أو المشيب ، أو العقل ، أو موت الأقارب ، أو كل أولئك .

0.0061

ذات المسميسيسيور وخفاياها من النزوات والميول .

التفسير،

٣٦ – وَٱلَّذِينَ كَفُوواْ لَهُمْ نَارُ جَهَتْمَ لَا يَقْمَنَىٰ عَلَيْهِمْ لَيَمُونُواْ وَلَا يَخَفَّفَ عَنْهُم مَّنَ عَلَابِهِا كَذَالِكَ نَجْوِى كُلُّ كَفُورٍ .

بعد أن ذكر نعيم أهل الجنة ، وحمدهم لله ، وشكرهم له سبحانه أن أنظهم الجنة فى راحة وسرور ، ذكر هنا عقاب أهل النار .

و المعنى : أعددنا للذين كغروا بالإسلام ، ورفضوا الإيمان بالله ويرسوله نار جهتم ، عذابها مستمر أبدى سرمدى ، فهم في عذاب أبدى لا يحيون حياة كريمة ، ولا يموتون فيستريحوا ، ولا يخفف عنهم من العذاب ، وقد استحق هذا العذاب الشديد كل كافر ، شديد الكفر والجحود ، وقد ورد هذا المعنى في آيات القرآن الكريم ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : وَنَادُوْا يُلْمَالِكُ لِقُصْ عَلِيّا رَبُّكُ قَالَ إِنَّكُم مُّلْكِوُونَ ﴿ (الزهرف: ٧٧) .

وقوله تعالى : إِنْ ٱلْمُعْرِينَ فِي عَلَابِ جَهَتْمَ خَلِلُونَ وَلاَ يُقَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُلِسُونَ . (الزعرف: ٧٥ . ٧٥). وقوله تعالى : ثُمَّ لاَ يَعُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْتَى ْ . (الأعلى: ١٣).

وثيت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا برن» [10]

فما أشد شقاء الكفار، وما أشد عنتهم.

٣٧ - وَهُمْ يَصْفَرِ عُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَعْرِجْنَا لَهُمَلُ صَالِمُ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَا لَفَمَلُ أَوْلَمُ لُعَمْرُكُم مَّا يَمَذَكُرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ وَجَاءَكُمُ ٱللّذِيرُ لَلْمُولُوا فَعَا لِلطَّالِمِينَ مِن لُصِيرٍ .

تصف الآية ألوان العذاب والهوان والنكال الذي يتعرض له أهل النار ، فهم يصرخون ويستغيثون بصوت مرتفع ، حيث يشتد عويلهم وصراخهم واستغاثتهم يقولون : يا ربناء أخرجنا من هذا العذاب الشديد ، وأرجعنا إلى الدنيا لنعمل عملاً صالحًا ، نتدارك به الأعمال الكاسدة التي كنا تعملها في الدنيا .

أَوَلَمْ نُعَمَّرْكُم مَّا يَعَلَكُرُ فِيهِ مَن تَلَكُرُ وَجَاءَكُمُ ٱلثَّلِيمُ ...

أن لم نعطكم عمرًا طويلاً كافيًا لأن يتعظ ويتذكر فيه من أراد التذكر والاعتبار ، وجاءتكم الرسل أو الشيب أو موت الأقران ، أو وجوب استخدام العقل والفكر واللب ، في أن وراء هذا الكون البديم إلهًا خالقًا واحدًا بيده الخلق والأمر .

قال ابن كثير:

أى: أو ما عشتم في الدنيا أعمارًا ، لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم ؟

وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد ههذا:

فقال زين العابدين : إنه مقدار سبع عشرة سنة .

وقَالَ قَادَة : اعلموا أن طول العمر حجة ، فنعوذ بالله أن نُعيِّر بطول العمل، وقد نزلت هذه الآية وإن فيهم لابن ثماني عشرة سنة .

وقال وهب بن منبه: عشرين سنة.

وقال الحسن: أربعين سنة.

وقال مجاهد ، عن ابن عباس : ستين سنة . وهذا أصح الآراء .

أخرج الإمام أحمد ، والبخاري ، والنسائي ، وغيرهم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : «أعنر الله تعالى إلى امرئ أخُر عمره حتى بلغ ستين سنة» (٨٠٠) .

فَلُوقُواْ فَمَا لِلطَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ .

فذوقوا ونالوا عذاب جهنم ، لأنه معد للظالمين أمثالكم ، وليس لكم نامس ولا معين ، جزاء ظلمكم وكغركم بالله ورسوله .

٣٨ - إِنَّ ٱللَّهَ عَلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَلُواتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِلَاتِ ٱلصُّدُودِ .

إنه سيحانه مطلع على الخفايا والنوايا ، وعلى ما غاب عنكم فى السماوات والأرض ، فاتقوه واحذروا أن يطلع على ما فى ضمائركم من الكيد لرسوله ، وأنكم تريدون إطفاء دينه ، وتنصرون آلهتكم التى لا تنفعكم شيئًا يوم القيامة .

إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ . `

هو سبحانه مطلع على ما تكنه الضمائر، وما تنطوى عليه السرائر، وسيجازي كل عامل بما عمل.

لقد صمم الكافرون على ما هم فيه من الضلال إلى الأبد ، فمهما طالت أعمارهم ، فلن تتغير أحوالهم ، وكان عقابهم في جهنم جزاءً وفاقاً على عزمهم وتصميمهم ، أنهم لو خلُدوا في الدنيا أبدًا لما آمنوا بالله ورسوله أبدا .

قال تعالى: وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَذَابُونَ . (الأنعام: ٢٨).

﴿ هُوَالَذِى جَعَلَكُرْخَلَتِهِ فَ فِي ٱلْأَرْضُ فَنَ كَفَرُهُ وَاللّهِ كُفْرُهُ وَلاَ يَزِيدُ ٱلْكَفِينَ كَفْرهُمْ عِندَ رَبِّهِمُ اللّا مَقَنَّا وَلا يَزِيدُ ٱلْكَفِرِينَ كَفْرُهُمُ اللّاحَسَارَا ﴿ قُلْ أَرْءَ يَمْ شُرَاعًا مُمْ اللّهِ عَنْ اللّهُ عَلَى مِن دُونِ اللّهِ أَرُونِ مَا ذَا خَلُقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمَ فَلَمْ مِرْكُ فِي السّمَونِ اللّهِ أَرْهِ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الل

فردات :

مستقستساء بغضًا وغضبًا.

خسماراء هلاكًا وضلالاً.

أرأيتم شركاءكم؛ أخبروني عن آلهتكم الذين أشركتموهم في العبادة.

شرك في السماوات ، نصيب في خلقها .

يمسيسته ، حجة ظاهرة .

غسسسسرورا؛ أباطيل تفرّ، وهي قول الرؤساء للأتباع: إن هذه الألهة تنفعكم وتقريكم إلى الله.

يحصد بحفظ .

أن تسمسسرولا ؛ أن تنهدًا وتضمحلا .

التفسيره

٣٩ – هَوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ صَلَّتِهَ فِي ٱلأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفُرُهُ, وَلَا يَوِيدُ ٱلْكَـُـْهِوِينَ كُفُرُهُمْ صِدَّرَبُهِمْ إِلَّا مَقْتَا وَلا يَوْيدُ ٱلْكَنْفِرِينَ كُفُرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا .

جعل الله الناس خلائف يخلف بعضها بعضاء ، فأمة تغنى ، وأمة تقوم ، وجيل يغنى ، وجيل يأتى بعده ، وأمة تمتز وتقوى ، وأمة تنل وتهرى ، وبيد الله مقاليد للسماوات والأرض ، يغير ولا يتغير ، يحيى ويميت ، ويمز ديدَل ، ويغنى ويفقر ، وهو على كل شيء قدير ، ومن واجب المخلوق القانى أن يتأمل فيمن فنى قبله ، وفيمن سيأتى بعده ، وأن يتفكر فى الأمم التى بادت كماد وثمود ،وأن الله قادر على إملاك الظالمين فى كل وقت وحين ، وأن المسئولية فربية ، والتيمة فربية .

فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفُرُهُ, ...

فمن جحد الخالق ، وأهمل العقل والتدبر والتأمل ، فسيتحمل تبعة كفره ، وعقاب عمله .

وَلاَ يَزِيدُ ٱلْكَلْهِرِينَ كُفُرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَلْهِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا .

أى: إن عاقبة الكفر هي المقت الشديد، والغضب من جبًّا السماوات، وإصرار الكافرين على الكفر لا يزيدهم إلا هلاكًا وبهارًا وخسارًا في الآخرة، بدخول النار والحرمان من الجنة.

 أَوَ تُوتِشُمْ شُرَكَاءَكُمُ اللَّذِينَ لَدْعُونَ مِن دُودِ اللَّهِ أَرْرِنِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْدُ فِي

 أَلَا أَرْضَيْمُ مُكِنَا فَهُمْ عَلَىٰ يَتِنَت مُنْهُ بَلِّ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ يَفْعَلُهِمْ يَفَطْلُهِمْ يَقَطْلُ إِلَّا خُرُورًا .

هذه الآية مناقشة ومواجهة للمشركين عبّاد الأصنام ، أو لكل مشرك يعيد غير الله من الجِن أو الملائكة أو البقر أو غير ذلك .

والمعنى :

أخبروني عن هؤلاء الشركاء الذين جعلتموهم شركاء لله في العبادة ، هل خلقوا شيئا في هذه الأصنام أو الشركاء الأرض ، وهي تشهد كلها بوحدانية الصنام سبحانه ، وأنه ليس له شريك ؟ وهل هذه الأصنام أو الشركاء شاركاء غل خلق السماوات ، وهي بكل ما فيها من عُلقٌ وأبواج وشعرس وأقمار وليل ونهار ، تنطق بأنها صنعة الله الواحد القهار ؟ وهل أنزلنا كتابًا من السماء على هؤلاء الشركاء ، بأنهم آلهة يستحقون العبادة؟ ويتسم المعنى لأن يكون أيضًا كالآتي : هل أنزلنا عليكم يا كفار مكة كتابًا من السماء ، فأنتم منه على بيئة ويليل ، بأن الأصنام التي تعبدونها ألهة تستحق العبادة ؟ والاستفهام في الثلاثة استفهام إنكاري ، جوابه: أن الأصنام تستحق العبادة ، ولم تشارك في خلق السماء حتى تستحق العبادة ، ولم ينزل كتاب من السماء يبين ويؤكد أن الأصنام تستحق العبادة ، ولمًا تقرر نفى أنواع الحجج ، أضرب عنهم يذكر ما

بَلْ إِن يَعِدُ ٱلطَّالِمُونَ يَعْضُهُم يَعْضًا إِلَّا غُرُورًا.

أى : إن الذي حملهم على الشرك هو تغوير الرؤساء للأنباع ، وقولهم : إن الأصنام ترجى شفاعتها ، والحقيقة أنها لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تشفع ، وقولهم : مَا نَعْبُلُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ (لُفَيَّ ... (الزمر : ٣) ما هي إلا أباطيل اقترفوها ، وستلقى هذه الأصنام في النار مع عبَّادها ، مهينة ذليلة هي ومن عبدها .

قال تعالى : وَٱلْلَيْنَ تَدْعُونَ مِن دُولِهِ مَا يَهْلِكُونَ مِن قِطْعِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَشْمُعُواْ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا آسَنَجَائِواْ لَكُمْ وَيُوْمَ ٱلْقِيْسُهُ يَكُمُّونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُشْكُكُ مِثْلُ خَبِيرٍ . (دامل: ۱۲ ، ۱۵)

وقال تعالى : آخَتُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزُوْ جَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَشْدُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ . (السلال: ۲۲ ، ۲۷) .

٤١ - إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَنُو ْ تِ وَٱلَّا رُضَ أَن تَزُولَا وَلَيْنِ زَالَنَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا .

إن القدرة بيد الله ، والعزة لله جميعًا ، وهو رحده الخالق الرازق ، فيُرم السماوات والأرض ، خلقهما على غير مثال سابق ، وهو سبحانه بمسك نظام الكون ويحفظه ، ويرفع السماء بالا عمد ، ويبسط الأرض ، و ويحفظ السماء والأرض من الفناء أن الزوال والتلاشى ، ولئن أشرفقا على الفناء أن الزوال ما أمسكهما من أحد بعد الله كانثا من كان ، أو بعد زوالهما ، حين تشاء القدرة ذلك ، فتيدل الأرض غير الأرض والسماوات حين تنقهى الحياة ، فتنشق السماء على غلظها ، وتستجيب لخالقها ، وتتمدد الأرض ، ويشتد زلزالها ،

قال تعالى : يُوْمَ تُبَدُّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلَّأَرْضِ وَٱلسَّمَنُوَاتُ وَيَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَادِ . (إبراهيم : ٤٨) .

إِنَّهُ, كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا .

فهو راسم الحلم على العصاة والكفار ، حيث لم يماجلهم بالعقوية ، وهو واسم المقفرة ، يتوب على التأثيين ، ويقبل من أناب إليه ، ويمهل العصاة إلى حين .

قال تعالى : وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لَّمَن ثَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَلْلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ . (طه : ٨٢) .

جاه في المحديدين ، عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ وإن الله تعالى لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرقعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهاز قبل عمل الليل ، حجابه النور أو النار ، لو كشفه لأحرقت سيحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، [۵] ﴿ وَأَفْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْفَضِمْ لَبِ جَلّهَ هُمْ فَيْدِرُّ لَيْكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمُ فَلَمَا جَاءَهُمْ فَيْدِرُّ لَيْكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ فَيْنِيُّ مَا زَادَهُمْ إِلَّا فَهُولَ يَنْظُرُونَ ﴾ اسيحكبارا في الأرض ومكراً لشيَّتِ اللّهِ تَبْدِيلاً وَلَن يَعِدُلُمُ مَن مَيْهُ الْمَكُلُ وَلَى يَعِدُلُمُ مَن مَيْهُ الْمَكُلُ وَلَى اللّهُ وَلَا يَعْدُلُونَ فَيْلَامُ اللّهُ وَلَا يَعْدِيلًا وَلَا اللّهُ وَلَا يَعْدُلُونَ وَلَا فِي اللّهُ وَلَا يَعْدُلُونَ وَلَا فِي اللّهُ وَلَا فَي اللّهُ وَلَا فَي اللّهُ وَلَا فَي اللّهُ وَلَا مَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا مُعْدَلُونَ وَلَا فِي اللّهُ وَلَا فَي اللّهُ وَلَونُوا حَدْلُونَ اللّهُ وَلَا لَكُونُ وَلَا فِي اللّهُ وَلَا فَي اللّهُ وَلَا مُعْدِيرًا اللّهُ وَلَا مِنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ مَا فَلَكُمُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُو

المفردات:

جهدأيمانهم طاقتها وغايتها .

المستهمين البي يبلغهم ويخوفهم.

أهدى من إحدى الأمم ، أهدى من كل واحدة من أمتى اليهود والنصاري ، وغيرهما .

است سك بارا، عتوا وتعاليًا عن الإيمان.

مسكـــر الســـهـــئ، مكر العمل السيىء ، وهو الشرك ، وخداع الضعفاء ، وردّهم عن الإيمان ، والكيد لرسول الله .

ولايسحبين، ولا يحيط.

و نتظرون .

سنسة الأولسيس، سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم.

تسبيس عيسالا ، وضع غير العذاب موضع العذاب.

السيسم جسره: ليمنعه بالقهر والغلبة ، أو ليسبقه ويفوته.

سيبيب وار فعلوا من السيئات.

فاست المراد الإنس والجنِّ .

قال في ظلال القرآن :

إن نظرة إلى عالم السماوات والأرض ، وإلى هذه الأجرام التى لا تحصى ، منتثرة فى ذلك الفضاء ، الذى لا نظر له حدوداً ، وكلها قائمة فى مواضعها ، تدور فى أفلاكها ، محافظة على مداراتها ، لا تختل ولا تخرج عنها ، ولا تبطئ أو تسرح فى دورتها ، وكلها لا تقوم على عمد ولا تشد بأحبال ، ولا تستند على شىء من هنا أو هناك ... نظرة إلى تلك الخلائق الهائلة العجيبة ، جديرة بأن تفتح البصيرة على البد الخفية القاهرة القادرة ، التى تمسك بهذه الخلائق وتحفظها أن تزول .

تمهيده

بعد أن وصف القرآن يد القدرة ، التى تمسك بخلق السماوات والأرض ، وتحفظهما من الزوال ، أهذ يناقش أهل مكة فى موقفهم ، وصدودهم عن الإيمان ، بعد أن أقسموا بالله جهد أيمانهم إن جاءهم رسول من عند الله فسوف يتبعونه وينصرونه .

التفسيره

٤٧ ﴾ و وَٱلْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيُعَنْيهِمْ لَئِن جَاعَهُمْ نَلِيلٌ لِّبَكُونُنَّ ٱهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلأَمْمِ فَلَمَّا جَاعَهُمْ نَلِيلٌ لَّا وَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا .

كانت العرب تسمع عن أعمال اليهود مع أنبيائهم ، حيث كذبوهم وقتلوا بعضهم ، وحرُفوا الترراة ، واعتدوا في السميم من جهد ، واحتدوا في السبت ، فأقسموا بالله وبالنوا في القسم ، واجتهدوا أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم من جهد ، لئن جاءهم رسول كما جاء اليهود والنصاري ، يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده ، ليكونن في تصديقه واتباعه أهدى من كل أمة من اليهود والنصاري ، ومن أية أمة بلغت من الطاعة والهداية وحسن الاتباع ، أن يقال فيها واحدة الأمم تفضيلاً لها على غيرها ، فلما جاءهم النذير وهو محمد ﷺ ، يدعوهم للإيمان ، ويحدّرهم وينذرهم عذاب الله إن كذبوا ، كفروا به وأعرضوا عنه ، وما زادتهم دعوته وهداياته إلا نفورًا من الإسلام ، وإعراضًا عن نبيه محمد ﷺ.

٤٣ – آسَنِكَارًا لهي آلَارْضِ وَمَكَرَ السَّيْعِ وَلا يَحِيقُ الْمُكُرُ السَّيُّ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلَ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنْتَ آلاَّرْلِينَ فَلَن تَحِدُ لِسُنْتَ اللَّهِ تَلِيهِ لَبُلِيهِ السُّنَّتِ اللَّهِ تَمْوِيلاً .

تكمل هذه الآية الآية السابقة ، فعندما جامهم محمد ﷺ أعرضوا عنه وابتعدوا ، وما زادهم دعارَه -وهدايته إلا نفورًا منه، ومن تفصيل ذلك النفور : تكبرهم واستعلارُهم بالباطل ، وإدعارُهم أنهم أعلى شأنا من المؤمنين ، وأن المؤمنين فقراء ضمغاء ، ثم اجتهاد هؤلاء الكفار في الكيد والدسّ ، ومكر العمل السيع ، جيث عذبوا المؤمنين وضايقوهم ، وحاولوا حبس النبى أو نفيه أو قتله ، ودبروا الكيد ، ودبرُ الله حفظ رسوله ، وحلّ بهم عاقبة مكرهم ، وعلى الباغي تدور الدوائر .

وَلاَ يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ...

ولا يحيط المكر السيئ ، ولا ينزل عقابه إلا بأمله الذين دبرُروه ويبتوه ، ومن أمثال العرب: (من حفر لأخيه جبًّا ، وقع فيه منكبًا) ، وقد حاق مكر هزلاء يهم يوم بدر ، حيث قتلوا وأسروا وانهزموا ، ونصر الله المؤمنين عليهم نصرًا عزيزًا .

تلك سنة الله التي لا تتخلف ، أن يمهل الظائمين وأن يحق الحق ، وأن يأخذ الظائمين بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر .

فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوْلِينَ .

أى: ما ينتظرون إلا سنة الله تعالى في المكذبين السابقين ، كعاد رثمود حيث أخذهم الله بتعذيب مكذبيهم .

فَلَن تَجِدَ لِسُنتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً .

تلك قوانين كونية ثابقة ، وضعها الله تبارك وتعالى ، ومنها أن يرسل الرسل ، وينزل الكتب ، ويمهل الناس ، وينزل الكتب ، ويمهل الناس ، ويقدّم لهم صدق الدعوة ، وأدلة الإيمان ، فإذا استند العنت والتكذيب كانت العاقبة للمتقين ، والمذاب للكافرين ، تلك سنة الله التى لا تتبدل ولا تتحول ، فلا ينقل العذاب عن المكذبين ، ولا يحوله إلى غيرهم ، لأنه عادل حكيم ، فلا يضم الشيء في غير موضعه .

وقريب من معنى هذه الآية قوله تعالى : وَإِذْ يَهَكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُشِّتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُشْرِجُوكَ وَيَشْكُرُونَ وَيَفَكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيُّرُ ٱلْمُشَكِّرِينَ . (الانتفار: ٣٠) .

\$ ٤ – أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي آلَارْضِ فَيَطُرُواْ كَيْنَ كَانَ عَنشِهُ ٱلْذِينَ مِن فَبْلِهِمْ وَكَانُواْ أَهَدُ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيْصْوَرْهُ. مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمْدُوا شِوْلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّهُ كَانَ عَلِيمًا قابِيرًا .

أَعَمَى مَوْلاء الكفار ، فلم يسيروا في الأرض جهة الشام أن اليمن ، ليمتبروا بما أصاب المكلبين قبلهم ، مثل ثمرد وعاد ، وغيرهم من الأمم الطالمة ، التي كنبت أنبياءها ، وعَلَدَتْ وجحدت المعجزات والبينات ، وكانوا في قوة ومنعة ، وأجساد مثينة شديدة ، وعمارات ومصانع ، وأبنية قوية عزيزة ، وقد اشتد عنتهم ، واعتدادهم بقوتهم ، وظنوا أن قدرة الله لا تصل إليهم .

قال تعالى : فَأَمَّا عَادُ فَأَسْتَكُبُرُوا فِي ٱلْأَرْصَ بِغَيْرِ ٱلْحَقَّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَا قُوَةً أَوَلُمْ يَرُواْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي حَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوْةً وَكُلُواْ بِقِلْتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ وِيحًا صَرْصَوًا فِي أَيَّامٍ نُجِسَاتٍ لَتَلِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْعَرْى فِي آلْحَيْرَةِ ٱلدُّنِيَا وَلَمَدَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُصَرُّونَ . (فسلت: ١٥٠ ـ ١٥)

إن يد القدرة الإلهية التي أهلكت السابقين ، وكانوا أشد قوة من أهل مكة ، قادرة على أن تنزل العذاب بالكافرين المكذبين ، وقدرة الله لا تحد ، وما كان الله ليمنعه عن مراده أى شيء ، في السماوات ولا في الأرض ، فهر سبحانه فعًال لما يريد : إنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادُ شِيًّا أَنْ يَقُولُ لَهُرُ كُن فَيْكُونُ . (يس : ١٨).

وكان سبحانه : طَلِهاً . لا يقيب عن علمه شيء ، وكان سبحانه . فَلْبِرُا . لا يقلبه غالب ، ولا يقوته هارب .

٥ ٤ - وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ آقَاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَائِهِ وَلَلْكِن يُؤَخْرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَل مُستَّى فَإِذَا جَاءَ اللهِ عَلَىٰ عَلَىٰ طَهْرِهَا مِن دَائِهِ وَلَلْكِن يُؤخْرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَل مُستَّى فَإِذَا جَاءَ اللهِ عَلَىٰ عَلَيْهِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ بَصِيرًا.

هذا هو ختام سورة فاطر ، التي بدأت بحمد الله فاطر السماوات والأرض ، جاعل الملائكة رسلاً أولي أجذحة .

وهنمت ببيان رحمة الله وحلمه ، فكأن سائلاً سأل من هؤلاء الكفار وقال : لِمَ لَمُ يُعجِّل الله لنا العقوبة ؟ وأين هو العناب الذي تهددنا به ؟

فكان الجواب هو هذه الآية التى تغيد الآتى: لو عجل الله العقوبة لكل مخطئ فى هذه الأرض لأهلك الناس جميعًا، ولأصيبت الدواب بسبب خطأ ابن آدم، حين تنزل الصواعق، أو تجتاح الأرض الأوبئة، أو الأمراض أو الزلازل أو البراكين، لكن حكمة الله تعالى اقتضت أن يرْجل عقاب المكذبين.

إِلَىٰٓ أَجَلِ مُسَمَّى ...

هو انتهاء حياتهم ، أو يؤجل عقاب الأمة إلى انتهاء الأجل المحدد لها في هذه الأرض ، فإذا لنتهت الحياة على هذا الكوكب ، وجاء البعث و الحشر والحساب والجزاء ، فإن الله تعالى عالم مطلع ، وشاهد ويصير ، بكلّ فرد من الأفراد ، ويكل أمة من الأمم ، ويكل جيل من الأجيال ، وهو سبحانه سريع الحساب لا يشغله مثان عن شأن . وهي معنى الآية قوله تعالى : أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم يَرَآءَةٌ فِي الزَّيْرِ مَا أَم يُقُولُونَ نَحَنْ جَمِيعً شُتَصِرٌ ه سُهُوْرَهُ الْجَعْمُ وَيُولُونَ النَّبُرَ ه بَلَّ السَّاعَةُ مُوعِلُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَنْفَعْ وَأَنْدُ

وقوله سبحانه : وَكَذَالِكَ أَخْدُ رُبُّكَ إِذَا أَخَدَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلْلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥ أَلِيمٌ شَدِيدٌ . (هود : ٢٠٢).

من تفسير ابن كثير

لقوله تعالى : أَوَلَمْ يُسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ لَيَنظُرُواْ ... الآية .

قل يا محمد ثهؤلاء المكذيين بما جنتهم به من الرسالة : سيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذّبوا الرسل ، كيف دمر الله عليهم ، فخلت منهم منازلهم ، وسُليوا ما كانوا فيه من النعيم ، بعد كمال القوة ، وكذرة العدد والعُدّد ، وكثرة الأموال والأولار ، فما أغنى ذلك عنهم شيئًا ، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء ، لأنه تعالى لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض .

إِنَّهُ, كَانَ عَلِيمًا قَابِيرًا .

أي : عليم بجميم الكائنات ، قدير على مجموعها .

تفسير الشيخ عبد الحميد كشك الأية الأخيرة

من سورة فاطر

وَلَوْ يُوَاخِذُ ٱللَّهُ آلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن ذَابَّةٍ ...

على هذا منطق العدل . . .

وَلَئكِن يُؤخَّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلِ مُّسَمَّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَعِيرًا

هذا منطق الفضل ، فإن يعاقب فهمحض العدل ، وإن يثب فهمحض الفضل ، إن الله لا يعجل كعجلة أحدكم .

روى البخارى ، ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : وإن الله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ١٠٠٠ .

وهي معنى الآية قوله تعالى هي سورة النحل: وَلَوْ يُؤَاعِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِطُلْمِهِم مَا تَوَكَّ عَلَيْهَا مِن دَاتَهُ وَلَلْكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَيْ أَجُل مُسمَّى فَإِذَا جَاءً أَجَلُهُم لَا يُسْتَعْبِرُونَ سَاعَةُ وَلاَ يُسْتَعْبُونَ ذَ (النحل: ١١).

فاللهم عاملنا بفضاك ولِحسانك ، ولا تعاملنا بميزانك ، وعاملنا بما أنت أهل له ، فأنت أهل الثقوى وأهل المغفرة ٩٠٠.

مجمل ما اشتملت عليه سورة فاطر

- الأبلة على قدرة الله بإبداعه للكون وأنَّه المنعم المتفضل.
 - ٢ تذكير الناس بالنعم ليشكروها .
- ٣ تثبيت فواد الرسول ﷺ بذكر تكذيب السابقين للمرسلين.
 - ٤ بيان اختلاف ألوان الجبال والناس والدواب والأنعام .
 - ٥ تقسيم المؤمنين من حيث العمل إلى ثلاثة أقسام.
- ٦ جزاء المؤمنين بألوان النعيم في الجنة ، وجزاء الكافرين بألوان العذاب في النار.
- ٧ ~ مناقشات متعددة للمشركين ، ولفت أنظارهم إلى مظاهر القدرة في السابق واللاحق .

* * *

تم بحمد الله تفسير صورة فاطر بمدينة بورصيد. مساء الثلاثاء ٢١ ربيح الآخر ٢٠ ٤ هـ ، الموافق ٣ أغسطس ١٩٩٩ م والحمد لله حمدًا كثيرًا طيًا طاهرًا مباركًا فيه كما يرضى ويعب والصلاة والسلام على سيدنا محيد وعلى آله وصحيه أجميس .



أهمداف سسورة يسس

سورة يس مكية ، نزلت في الفترة المتوسطة من حياة المسلمين بمكة ، أي فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، وإيانها ٨٣ آية ، نزلت بعد سورة الجن .

وللسورة اسمان : سورة يس لافتقاحها بها ، وسورة حبيب النجار لاشتمالها على قصته ، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: وَجَاءَ مِنْ أَفْصًا الْمُمْيِنَةِ رَجُلُ يَسَمَىٰ قَالَ يُلقُومُ ٱلْبُورُ سَلِينَ . (يس : ٢٠).

أن هذا الرجل يسمى «جبيب النجار » .

مقصود السورة

قال الفيروزبادي:

معظم مقصود سورة يس: تأكيد أمر القرآن والرسالة ، وإلزام الحجة على أهل الضلالة ، وضوب المثل بأهل قرية أنطاكية ، في قوله تمالي : وَآشْرِبُ لَهُم مُثَلاً أَصْحَلَبَ ٱلْقَرِيّةُ إِذْ جَآعَهُا ٱلْمُوسُلُونَ . (يس: ١٧)

وذكر قصة حبيب النجار الذي جاه من أقصى المدينة يسعى ، وبيان البراهين المختلفة في إحياه الأرسان المختلفة في إحياه الأرض المبتة ، وإبداء الليل والنهار ، وسير الكواكب ودوران الأفلاك ، وجرى الجوارى المنشأت في البحار ، ونلة الكفار عند الموت ، وحيرتهم ساعة البعث ، وسعادة المؤمنين المطيعين ، وشغلهم في البخة ، وتميز المؤمن من الكافر في القيامة ، وشهادة الجوارح على أهل المعاصى بمعاصيهم ، والمنة على الرسول ﷺ بصيانته من الشعر ونظمه ، وإقامة البرهان على البحث ، ونفاذ أمر الحق في كن فيكون ، وكمال ملك ذي بصيانته على الرسول "كمال ملك ذي المجازل على كل من كل أكبري تراكز ونفاذ أمر الحق في كن فيكون ، وكمال ملك ذي المجازل على كل بدر المجانب أن أسرت عند المجازل على كل حال (٢٠) في قول المجانب أن أسرت عند) .

ملامح السورة

سورة يس لها وقع خاص في نفوس المسلمين ، يرددون قراءتها في المبياح والمساء ، وتقرأ على المريض للشفاء ، وعلى المحتضر لثيسير خروج الروح ، وعلى المقابر لتنزل الرحمة على الموتى ، وقد أخرج ابن حبان في صحيحه مرفوعا : «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر الله له ٢٠٠٥ . وتتميز سورة يس بقصر الآيات ، وسهولة القراءة ، وتتابع المشاهد وتنوعها ، من بدء السورة إلى نهايتها .

والموضوعات الرئيسية في السورة ، هي موضوعات السور المكية ، وهدفها الأولى هو بناء أسس العقيدة ، فهي تتعرض لطبيعة الوحي وصدق الرسالة ، وتسوق قصة أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ، لتحذر من عاقبة التكذيب بالوحي والرسالة ، وتعرض هذه العاقبة في القصة على طريقة المترأن في استخدام القصص لتدعيم قضاياة ، وقرب نهاية السررة تعود إلى الموضوع ذاته فترضح أن ما يوحي إلى محمد ﷺ ليس شعرا ولكن ذكر وقرآن مبين .

كذلك تتعرض السورة لقضية الألوهية والوحدانية ، فيجىء استنكار الشرك على لسان الرجل المؤمن ، الذى جاء من أقصى المدينة ليعلن إيمانه بالمرسلين، وهو يقول : وَمَالِيَ لاَ أَعَبُدُ ٱللَّذِي فَطَرَني رَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . (يس : ٢٣) .

والقضية التى يشتد عليها التركيز فى السورة ، هى قضية البعث والنشور ، وهى تتردد فى مواضع كثيرة من السورة ، وتحكى السورة قصة أبى بن خلف ، حين جاء بعظم قد رمَّ ويلى وصار تراباً ، ثم ضغط عليه بيديه ، ونفخ فيه فطار فى الفضاء ، ثم قال : يا محمد تزعم أن ربك يبعث هذا بعدما رم وبلى وصار تراباً ، فقال له النبى على المستخد على عدخلك ولدخلك الناره ، قال تعالى : وَضُّرَبُ ثَنَّ مُثَارٌ وَنْسِيَ خُلْقُمْ قَالَ مُن يُحْي المُظَنِّمَ وَهِي رَمِيمٌ * قَلْ يُعْضِهَا ٱلْلَوْيَ ٱلنَّامَةًا أَوْلَ مُرَّةً وَهُو بَكُلُّ خَلْقَ عَلِيمٌ . إنس : ٧٩ . ٧٥ .

والقضايا المتعلقة بينام المقيدة ، تتكرر في السور المكية ، ولكنها تعرض كل مرة من زاوية معينة ، تحت ضوم معين ، مصحوية بمؤثرات تناسب جوها ، وتتناسق مع إيقاعها وصورها .

«وهذه المؤثرات منتزعة في هذه السورة من مشاهد القيامة - بصفة خاصة - ومن مشاهد القمة ومواقفها وحوارها ، ومن مصارع الفابرين على مدار القرين ، ثم من المشاهد الكونية الكثيرة ، المتفرعة الموحية : مشهد الأرض الميتة تدب فيها الحياة ، ومشهد الليل يسلخ منه النهار فإذا هو ظلام ، ومشهد المسمس تجرى لمستقر لها ، ومشهد القمر يتدرج في منازله حتى يعود كالعرجون القديم ، ومشهد الفائك المشحون يحمل ذرية البسر الأولين ، ومشهد الأنعام مسجرة للآسميين ، ومشهد النطقة وتحولها في النهاية إلى إنسان فإذا هو خصيم مبين ، ومشهد الشجر الأخضر تكمن فيه النار الذي يوةدون» (**)

فصول السورة

يجري سياق السورة في عرض موضوعاتها في ثلاثة فصول:

١ - رسالة ورسول

يستفرق الفصل الأول من السورة الآيات من (١ – ٢٩) ، ويبدأ بالقسم بالحرفين «يا . سين» وبالقرآن المحكم على صدق رسالة النبي ﷺ ، وأنه على صراط مستقيم ، ثم يبين أن القرآن منزل من عند الله ، لإنذار المحرب الذين لم ينذر آباؤهم من قبل . فوقعوا فيما وقعوا فيه من الغفلة ، وحق العذاب على أكثرهم بسببها ، وقد جرت سنة الله ألا يعذب قوما إلا بعد أن يرسل إليهم من ينذرهم ، ثم وصف حرمانهم من الهداية وامعانهم في الغواية ، كأنما وضعت أغلال في أعناقهم بلغت إلى أذهانهم ، ووضعت سدود بين أيديهم ومن عماروا لا يبصرون ، وبين أن الإنذار إنما ينفع من البع الذكر ، وخشى الرحمن بالغيب ، فاستعد قلبه لاستقبال دلائل الهدى ، وموحيات الإيمان . ثم يوجه النبي ﷺ إلى أن يضرب لهم مثلاً أصحاب القرية

قصة أصحاب القرية:

ضرب الله لأهل مكة مثلا قصة أهل أنطاكية بالشام ، أرسل الله إليهم رسولين ، هما يوحنا ويولس من حواريي عيسى ، فكنبهما أهل القرية ، فأرسل الله ثالثًا على درجة من الذكاء فى توجيه الدعوة ، واستمر التكنيب من الكافرين ، وييان الحجة وأدلة الإيمان من المرسلين . ثم جاء رجل مؤمن يسمى حبيب النجار فدعا قومه إلى الإيمان بالرسل ، فاتهموه بأنه مؤمن ، فأعلن إيمانه فى ظروف حرجة ، وتعرض الرجل للإيذاء والقتل ، فطنى بالشهادة والجنة ، وتمنى لو أن قومه يطمون منزلته الآن عند الله .

أما القرية الظالمة نقد صاح بها مك صيحة أملكتها ، أفلا يمتبر أمل مكة بهذه القرية ، ويالقرون التي ملكت جزاء كغرما ؟ وسيجتمع الجميع أمام الله يوم القيامة ، ويتميز المؤمنون بحسن الثواب ، ويحل بالكافرين سوء العقاب .

٧ - أدلة الإيمان

بعد الحديث في الدرس الأول عن المشركين الذين واجهوا دعوة الإسلام بالتكذيب ، والمثل الذي ضربه الله لهم في قصة أصحاب القرية المكذبين ، وما انتهى إليه أمرهم من الهلاك بصبيحة الملاك فإذا هم خامدون ، تحدثت الآيات من (٣٠ – ٦٨) عن موقف المكذبين بكل ملة ودين ، وعرضت صور البشرية المسالة على مدار القرون ، ثم أخذت في استعراض الآيات الكرنية ، التي يمرون عليها معرضين غافلين ، وهي مبثوثة في أنفسهم وفيما حولهم . فالماء الذي يحيى الأرض بأنواع الجنان والنخيل والأعناب ، والليل والنهار والشمس والقمر ، واللبات والإنسان ، وكل ما في الكرن قد أبدع بنظام دقيق ، فللشمس مدارها ، وللقمر مساره ، ولليل وقته ، وللنهار أوانه ، لا يقاشر كركب عن موعده ، ولا يختل نظام ، ولا تضطرب حركات الكون : وَكُلِّ فِي فَلَكِ

ثم تحدثت الآيات عن عناد المشركين ، واستعجالهم بالعناب غير مصدقين : وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَنْنَا ٱلْوَعْدُ إِن كَشُمُ صَلْفِقِنَ . (يَسِ ٤٨٠).

ويمناسية ذلك يستعرض مشهدا من مشاهد القيامة ، يرون فيه مصيرهم الذي به يستعجلون ، كأنه جاَضر تراه العيون .

٢ - وحي لا شعر

يشتمل الدرس الثالث على الآيات من ٦٩ إلى آخر السورة ، ويكاد هذا الفصل يلخص موضوعات السرة كلها ، فينغى في أوله أن ما جاء به محمد ﷺ شعر ، وينغى عن الرسول كل علاقة بالشعر أصلا ، ثم يعرض بعض المشاهد واللمسات الدالة على الألوهية المنفردة ، وينعى عليهم اتخاذ ألهة من درن الله يبتغون عندهم النصر ، وهم الذين يقومون بحماية تلك الآلهة المدعاة ، ويتناول قضية البحث والنشور ، فيذكرهم بالنشأة الأولى من نطفة ، ليروا أن إحياء العظام وهي رميم كتلك النشأة ولا غرابة ، ويذكرهم بالنشأة الأولى من نطفة ، ليروا أن إحياء العظام وهي رميم كتلك النشأة ولا غرابة ، ويذكرهم بالشجر الأعضر الذي تكون فيه النار ، وهما في الظاهر بعيدان ، ويخاق السماوات والأرض وهذا الطقت شاهد بالقدرة على خلق أمثالهم من البحر في الأولى والأعرة ، وفي عتام السورة نجد برهان القدرة الإلهية والإرادة الريانية ، فالله عمالك كل شيء في الدنيا والأخرة ، وإليه المأب والمرجع ، قال تعالى : إنما أخرفة إلا أن يقول لَهُ رُدُ وَيُكُونُ ، وَسُهُ مَثَنَ اللّذي يَبِو مَلَكُونُ كُلُ شُيْءَ وَالْكُوتُ مَعُونَ ، (س : ٢٠ ٨٠٥) .

المطردات :

والصّران المحكيم : الواو للقسم ، يقسم بالقرآن ذي الحكمة .

بنك نمن المرسلين ، أقسم : إنك من الأنبياء المرسلين إلى قومهم .

على صراط مستقيم؛ طريق قويم ، من عقائد صحيحة ، وشرائع حقة .

حسق السقسول، ثبت ورجب الحكم بالعذاب على أكثر أهل مكة.

أضم الله إلى العنق التعذيب. وهو ما تجمع به البد إلى العنق التعذيب.

مسقسم حسون ، رافعرن رؤرسهم لا يستطيعون خفضها ، غاضون أيصارهم في عدم التفاتهم إلى الحق ، وهو تمثيل يواد به أنهم لا يذعنون للإيمان ، ولا يخفضون نفوسهم له .

من بين أيديهم المامهم.

فأغشب تاهم، فغطينا أبصارهم وأعميناهم.

السيدكيين القرآن.

خشبى السرحسمان الخشى عقابه.

وأجسر كسريسم، هو الجنة.

إنا نحن نحيى الموتى ، نبعثهم بعد الموت .

مساقستمسوا ، ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة .

إمام مسبسيس، أمل يؤتم به ، أو اللوح المحفوظ ، أو صحائف الأعمال .

أسياب النزول :

ورد أن الأيات من ١ - ٧ نزلت حين حاول جمع من كفار قريش ، أن يأخذوا النبي ﷺ ليمنعوه من تلارة القرآن ، وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم ، وإذا بهم عمى لا يبعمرون ، فلم يستطيعوا إبذاء، ﷺ .

وأن الآية الثامنة : إِنَّا جَمَّلُنَا فِيَ أَخَنَاقِهِمْ أَظَلَاً ... نزلت في أبي جهل ، حين قال : لئن رأيت مصدًا لأنطن به ، نقالوا له : هذا محمد ، فكان يقول : أين هو ، أين هو ؟ لا يبصره .

وورد في سبب نزول الآية الثانية عشرة : إِنَّا نَحْنُ نُحْي ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكُّتُ مَّا قَلْمُواْ وَعَالَارَهُمْ ...

أخرج الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه ، عن أبي سعيد الخدري قال : كانت بنو سلمة في ناحية المدينة ، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد ، فنزلت هذه الآية ، فقال النبي ﷺ «عليكم منازلكم فإنما تكتب آثاركم» ٨٠٠.

التفسير،

۱ - پش.

قال ابن عباس : معناها يا إنسان . والمراد به محمد ﷺ ، كما يشير إليه الخطاب بعده ، في قوله تمالى : إِنَّكَ لَهِنْ ٱلْمُرْسَلِينَ .

وقيل : إن يسّ ، اسم من أسمائه ﷺ ، قاسمه طه ، واسمه يسّ ، واسمه محمد وأحمد ، ومزمل ومدتّر ، ويشير ونذير ، واسمه العاقب الذي لا نبي بعده ﷺ .

وقيل: إنها حروف للتنبيه يفتتح بها الكلام مثل: ألا ، ويا .

وقيل: إنها حروف للتحدى والإعجاز.

٢ - وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ.

وأقسم بالقرآن الحكيم ، المشتمل على الحكمة ، والحكمة صفة العاقل ، وقد كان القرآن حكيما في
دعوته ورسالته ، وعرض أدلة الله في هذا الكون ، وحديثه عن قصص السابقين ، وعرضه الشرائع هذا الدين
وأدابه ، ووصوله إلى الفكر والقلب والوتر الحساس للإنسان ، في حديثه عن بدء الخليقة ، وعن تكوين
الإنسان ، وعن تصوير الميعاد والحساب والجزاه، وعن ذلة الأصنام ، وضياع الشركاء المزعومين ، وعن
تفرد الله تعالى بالقدرة والعزة ، والملك والملكوت .

٣ - إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ .

أقسم الحق تعالى بحروف مقطعة ، وأقسم بالقرآن الحكيم ، على أن محمداً ﷺ من جنس المرسلين ، الذين أرسلهم الله تعالى إلى عباده ، لتعليمهم وإرشادهم ، وفي هذا ود على الكافرين الذين كذبوه ، ويصفوه بأنه شاعر أو مجنون .

ا - عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

أنت على طريق قويم ، واضح سهل ميسر ، وشريعة سهلة سمحة ، لا تعنّف فيها ولا القواء ، وكتاب واضح في بيان العقيدة والشريعة ، والحق والباطل ، والحلال والحرام ، وهذا الكتاب ، وهذه الشريعة وهي الإسلام ، بسيطة سهلة ، يفهمها الأمن والمتعلم ، وساكن الكوخ وساكن للقصر ، ورجل البادية ورجل المدينة ، والقرآن يعطى لكل إنسان ما يناسبه ، والإسلام دين الله المستقيم ، وقد مدح القرآن الاستقامة . قال سبحانه : إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَسْمُواْ تَسَرُّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَاتَئِكَةُ ٱلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزُنُواْ ... (نصلت: ٢٠).

وفي سورة الفاتحة : أَهْلِنَا ٱلْهُرُاطُ ٱلْمُسْتَقِيمَ. (الفاتحة : ٦) .

وقال رجل: يا رسول الله ، قل لى في الإسلام قولا وأقلل فيه لعلّى أعيه ، فقال له ﷺ «ثل آمنت بالله شم استقمه (۱۳۰) .

وهال تعالى : وَأَنَّ هَلْمَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَأَتْبِعُوهُ وَلَا تَتْبِعُواْ ٱلسُّهُلَ لَتَقَوْقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ... (الأنعام : ١٥٣).

٥ - تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ.

استئناف لإظهار فخامة القرآن الكريم الإضافية ، بعد بيان فخامته الذاتية ، بالقسم به ووصفه بالحكمة ، فهذا القرآن كلام الله ، وهو تنزيل العزيز الغالب ، الرحيم بعباده ، ولهذا ففية عزة المرمنين ، وقوتهم وتماسكهم ، وهم به خير أمة أخرجت للناس ، وهم بالقرآن والتمسك يه أهل لرحمة الرحيم .

٣ - إَتُعَادِرَ قَوْمًا مَّا أُعَادِرَ عَايَا أُوهُمْ فَهُمْ غَنْهُلُونَ .

أنزل عليك القرآن لتنذر به أمة العرب ، الذين بَعْد عهدهم بالرسالة ، فقد أرسل إسماعيل منذ فترة - بعيدة ، وبعد عهد العرب بالرسالة والرسل ، لذلك ساد بينهم الجهل ، والفقلة عن الإيمان وأسبابه ، لأنهم لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ ، فكارت فيهم الفقلة ، وتجاهل قوانين الله وأسكامه ، وآياته في خلق الكون ، وأرسال الرسل ، فكان محمد ﷺ بشيرًا للمؤمنين ونذيرا للكافرين .

٧ – لَقَدْ حَقُّ ٱلْقُوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ .

لقد حق قضاء الله فيهم ، حين قال : لَأَمُلَأَنْ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ . (السجدة : ١٣) .

لقد حق عليهم عدم الإيمان ، بسبب تعنتهم وكفرهم ، وإصرارهم على الضلال والغواية ، فسلب الله عنهم الهدى ، وتركهم فى غوايتهم .

٨ - إِنَّا جَعَلْنَا فِي ٓ أَغْتَلْقِهِمْ أَغْلَنَالاً فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُقْمَحُونَ .

قمع البعين: إذا أصابه داء يفرض عليه أن يظل رأسه مرفوعاً، فالكفار أعرضوا عن الحق واستكبروا. وأصرّوا على الكفر، كأنَّ في أعناقهم طوئًا من الحديد ، يكون ملتقى طرفيه تحت الذقن ، فلا يمكن أحدهم من أن يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا ، رأسة مرفوع إلى أعلى ، ونظره متخفض إلى أسفل ، والعراد أنهم بتكبرهم وتجبرهم ، كأنهم ممنوعون عن اتباع الحق ، مصوّرون بصورة إنسان لا يكاد يرى الحق أو يلتفت إلى جهته ، أو يحنى له رأسه .

٩ - وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشِيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُشعِرُونَ .

لقد عاشوا في ظلام النفس ، وظلام الكفر ، وظلام الإعراض عن الحق ، كأن سدًا عظيمًا أمامهم ، يحجب رئيتهم ، وكأن سدًا عظيمًا خلفهم ، وعَطينا أبصارهم فهم لا يقدرون على إبصار شيء أصلا ، لا من أمامهم ولا من خلفهم .

وقيل: إن الآيتين نزلتا في بنى مخزرم ، وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدًا ﷺ يصلّى ليرضخن رأسه ، فأتاه وهو يصلّى ، ومعه حجر ليدمغه ، فلما رفع يده انثنت إلى عنقه ، ولزق الحجر ببده ، حتى فكّره عنها يجهد ، فرجع إلى قومه فأخيرهم ، لكن العيرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالأولى أن تظل الآية عامة ، لتشمل كل معرض عن الحق، ولا مانع أن يكرن أبو جهل ضمن من اشتملت عليهم من المشركين ، الذين حق القول على أكثرهم .

١ - وَسَوَآةٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ .

لكون إعراضهم عن الحق إعراضًا قويًا أصبيلاً ، فقد استكبروا في أنفسهم ، وعتوا عتوا كبيراً ، كأنما وضع سدِّ أمامهم ، وسدِّ خلفهم ، واشتد العمى في أبصارهم ، فلا يرون الحق ولا يهتدون إليه ، ونتيجة لذلك أن إنذارك إياهم أوعدم إنذارك سواء عندهم ، فإذا أنذرتهم لا يؤمنون ، وإذا لم تنذرهم لا يؤمنون ، فلا تأس على كفرهم ، ولا تتعذب بإعراضهم ، فلا فائدة ترجى منهم ، فقد ماتت قلويهم ، وعميت بصائرهم ، وكلًا عمل كفرهم ، وكلًا تعدل والبحث عن الهداية ، وقريب من هذا المعنى قوله تعالى : إِنَّ اللَّيْنِ كَفُرُوا سُواءً عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَى فُلُوبِهِمْ وَعَلَى أَسْعِهِمْ وَعَلَى أَنْمَارِهِمْ فِشْدُوةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . واللهذائية ، وقريب من هذا المعنى قوله تعالى : إِنَّ اللَّيْنِ كَفُرُوا سُواءً عَلَيْهُمْ اللهذائية ، وقريب من هذا المعنى قوله تعالى : إِنَّ اللَّهُ عَلَى فُلُوبِهِمْ وَعَلَى أَنْمَارِهِمْ فِشْدُوةً وَلُهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . واللهذائية ، وقد يب من هذا المعنى قوله تعالى : إِنَّ اللهُ عَلَى فُلُوبِهِمْ وَعَلَى الله عَلَى اللهذائية ، وقد يب من هذا المعنى قوله تعالى : إِنَّ اللهُ عَلَى فُلُوبُهُمْ أَمْ لُو اللهِمْ وَعَلَى أَنْهُمْ أَمْ لُمْ اللهِ الهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ الهُ اللهُ اللهِ اللهُ الله

١١ – إِنَّمَا تُعلِوْ مَنِ ٱلنَّبِعَ ٱللَّذُكُرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَلْنَ بِٱلْفَيْبِ فَبَشَّرْهُ بِمَعْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ.

إنما ينفع الإنفار وتفيد الدعوة إلى الإسلام القلوب الصالحة ، التى اتبعت القرآن وهدايته ، وأنامت فيه الفكر والنظر ، وتأملت في معانيه ، ولم تصرّ على اتباع الشيطان ، بل راقبت ربُّها في السرّ والعلن ، وخشيته في الخلوة والجلوة ، فمن كان هذا حاله ، وذاك سلوكه فهو حرىًّ بأن تبشره يمغفرة واسمة ، وأجر عظيم ، لا يقدر قدره . قال ثعالى : وَإِنِّي لَغَفُارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا ثُمٌّ ٱهْتَدَىٰ . (طه : ٨٢) .

١٧ - إِنَّا نَحْنُ نُحْيَ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكُتُبُ مَا قَلْمُواْ وَءَالَسْرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ.

إنا قادرون على إحياء الموتى ، وبعثهم من قبورهم للحساب والجزاء ، وقد سجلنا لجميع الموتى * مؤمنين أو كافرين ما قدموه وأسلفوه من عمل صالح أو سيئ ، وما تركوه من أثر صالح أو خبيث ، فنجزيهم على كل عمل قدموه في حياتهم ، أو تركوا أثره بعد وفاتهم ، نجازيهم بالإحسان إحسانًا ، وبالسوء سوءًا ، وقد ضبطنا كل شيء وأحصيناه في سجل مضبوط.

لقد كان كفار مكة ينكرون البعث ، ويقولون : ما هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع ، وما يهلكنا إلا الدور ، والسورة مكية تواجه كفار مكة ، وتخبرهم أن البعث حق ، وأن الجزاء من جنس العمل ، والله سيحصى على كل إنسان ما قدمه وما أخره ، ما قدمه من عمل مسالح كالمسلاة والزكاة والمسدقة ، وما أخره وما خلقه بعد موته من وصية نافعة أو بناء ملجأ أو مدرسة أو مستشفى ، أو كتاب علم أو تفسير قرآن ، أو علم تطبيقى يفيد الأمة ، ويأخذ ببدها إلى التقدم والقوة ، كل ذلك يسجله الله ويحاسب عليه ، كما يسجل على الكافرين والفابئين ما قدموا من ضلالات ورذائل ، وما أخروا من عمل على نشر الرذيلة والسوء ، في المافرية المساقد ، أو الأفكار الفضالة .

وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْصَيَّنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ.

وكل عمل كانتًا ما كان قليلاً أو كبيرًا ، عظيمًا أو معفيرًا ، مثال أو ضارًا ، بيُّناه وحفظناه في إمام مبين ، وأصل عظيم الشأن ، مظهرًا لما كان وما سيكون ، وهو اللوح المحفوظ الذي يرتم به ويقتدى ويتبع ولا يخالف .

قال تعالى : وَكُلُّ إِنسَدْنِ أَلْوَمْنَلُهُ طَائِمَوْهُ فِي عُقِهِ وَلَعْرِجُ لَهُ يَوْهُ ٱلْقِينَهُةِ كِتَابًا يَلْقَلُهُ مَشُووًا هِ ٱلْوَأَ مُحَدَّبَكَ كَفَىٰ يَنْفُسِكَ ٱلْنُوْمُ عَلَيْكَ حَسِيًا . (الإسراء: ١٩٤٠).

وقال عز شأنه : عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتُلبِ لَّا يَضِلُّ رُبِّي وَلَا يَنسَى . (طه : ٥٠).

وقال سبحانه : وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُو * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَّرٌ . (القمر: ٥٣ ، ٥٧).

وقال سبحانه: إنَّا كُتًا نَسْتَسِخُ مَا كُتُمُّ تَعْمَلُونَ . (الجاثية: ٢٩).

وقال تعالى : أَحْصَلْهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ... (المجادلة : ٦) .

وذهب بعض المفسرين إلى أنه يمكن تفسير هذه الآية بأن الله تمالى يحيى قلوب الكافرين ، ويهديهم إلى الإيمان ، كما صنع يوم فتح مكة ، حين نخل الناس في دين الله أفواجاً ، وحين اتسع صدر الإسلام ، فيفنا عن كفار مكة ، وتحوّل كفار الأمس ، إلى مؤمنين مجاهدين يفتحون فارس والروم ، ومصر وشمال أفريقيا ، حتى دانت ثلاثة أرباع المعمورة بالإسلام ، خلال مائة عام من الرسالة المحمدية ، ونطق باللغة العربية كثيرون ممن دخلوا في الإسلام ، وكانت الثقافة الإسلامية ، واللغة العربية والقرآن الكريم وعلومه التي نشأت حوله ، موردًا صافيًا ، للأمم التي دخلت في الإسلام ، وساعد على ذلك أن الإسلام رسالة عامة للعرب والعجم ، والإنس والجن ، والناس تُجمعين .

قال تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَلْمِينَ . (الأنبياء : ١٠٧).

من تفسير ابن كثير

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ...

أى: يوم القيامة ، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيى قلب من يشاء من الكفار ، الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة ، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق ، كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب : آغَلُمُواْ أَنَّ ٱللَّهُ يُعْي آلاًرُّ مَن بَعْدُ مُوْتِهَا لَذَمْ يُتَّا لَكُمُ ٱلْإِنْبُ لَمُلْكُمُ تُعْفَلُونَ ، (الحديد : ١٧) .

وقوله تعالى : وَبُكُّتُ مَا قَلْمُواْ ... أَى : من الأعمال .

وفى قوله تعالى : وَعَالَّذِهُمُّ ، قولان ، أحدهما : نكتب أعطالهم التى ياشريها بأنفسهم ، وآثارهم التى التُروها من بعدهم ، فنجزيهم على ذلك أيضًا ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر .

وهذا كقوله ﷺ فيما أخرجه مسلم ، عن جرير بن عبد الله الهجلى : همن سن فى الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن يُنقص من أوزارهم شيئًا، ^{١٨٨}.

وهكذا الحديث الآخر الذي أخرجه مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : وإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : علم ينتفع به ، أن ولد مسالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعدمه؟؟ .

> وقال مجاهد في قوله تعالى : وَنَكُبُ مَا قَلْمُواْ وَعَالَلُوهُمْ . ما أورثوا من الضلالة . وقال سعيد بن جبير : وَعَالَدُ هُمْ . معنى : ما أثروا .

يقول : ما سنُوا من سنة فعمل بها قوم من بعد موتهم ، وهذا القول هو اختيار البغوي .

والقول الثانى: أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية ، قال مجاهد: مَا فَلَسُواْ . أعمالهم وَعَاشَرُهُمْ ، قال : خطاهم بأرجلهم .

وقال قتادة : لو كان الله عز وجل مغفلا شيئًا من شأنك با ابن آمم ، أغفل ما تعفى الرياح من هذه الآثار ، ولكن أحصى على ابن آمم أثره ، وعمله كلّه ، حتى أحصى هذا الأثر ، فيما هو من طاعة الله تعالى أو من معصيته ، فمن استطاح منكم أن يكتب أثره في طاعة الله تعالى ظليفعل .

وقد وردت في هذا المعنى أحاديث: منها ما أخرجه الإمام أحمد ، والإمام مسلم ، عن جابر بن عبد الله رضي الله منهم الله عنهما قال : هلت البقاع حول المسجد ، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد ، فيلغ ذلك رسول الله عنها في الله عنها الله عنها

أي: الزموا دياركم حتى تكتب آثار خطواتكم إلى المسجد.

وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْصَيْنَكُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ.

أي: وجميع الكائنات مكتوبة في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ.

إِمَامٍ مُّبِينِ . ههنا هو أم الكتاب : قاله مجاهد وقتادة ، وكذا هٰى قوله تعالى : يَوْمَ تَلْحُواْ كُلُّ أَنَاس بِإِسْلِمِهِمْ (الإِسْراء: ٧٧) .

أى : بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر ، كما قال عز وجل : وُوْضِعَ ٱلْكِتَابُ وَجِأْسَةَ بَالنَّبِيِّنَ وَالشَّهِدَاءِ .. (الزمر: ١٩).

وقال تعالى : وَوُضِعَ ٱلْكِسُكُ فَتَرَى ٱلْمَحْرِضِ مُلْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَسُويُكُنَا مَالِهُ للْهَ ٱلْكِسُدِيلَا لِعَامِرُ صَغِيرَةُ وَلَا كِيرَةً إِلَّا أَحْصُلُهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاصِرًا وَلا يَظْلِمُ زَلِكَ أَحَدًا . (التعلد : ١٩)٧ (١٩٠

قصة أصحاب القرية

المطردات ،

واضرب لهم مشلا، اذكر لهم قصة عجيبة، قصة أصحاب القرية، وضَرَبُ المثل يستعمل تارة في تشبيه حال غريبة بأخرى مثلها ، مثل : وُصَرَبُ ٱللَّهُ مُثَلاً لَلَّائِينَ ءَامُّواْ ٱمْرَاْتَ فِي تَشْهِ فَي نكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد إلى تشبيهها بنظيرة لها ، مثل قوله تعالى: وُصَرَبُنا لُكُمُ اللَّمُثَالَ . (الراهبة ٤٤) . أي : وبينا لكم أحوالا غاية في الغرابة كالأمثال . (الراهبة ١٤) . أي : وبينا لكم أحوالا غاية في الغرابة كالأمثال .

المسرسطسون، هم أصحاب عيسى ، أرسلهم مقررين لشريعته.

ويرى أ. عبد الكريم الخطيب أن المرسلين هم: موسى ، وهارون، والثالث هو مؤمن من

آل فرعون يكتم إيمانه، وقيل: هم رسل أرسلهم الله إلى القرية مستقلين بالرسالة.

ع____زژنــاه قوینا وشدنا.

المسلاغ المعيين، التبليغ الواضح الظاهر للرسالة.

تـطين التفاؤل والتشاؤم بالطير: التفاؤل والتشاؤم بالطير.

الترجم الكم؛ لنرميتُكم بالحجارة .

<u>ليمستكم</u>، ليصيبنكم.

طــــاثــــركــــم، سبب شؤمكم.

مسير في العصيان.

اقصى المدينة، أبعد مكان فيها.

رج لنجار.

يس من يعدو ويسرع.

هـ طررات الما خلقنى وابتدأ وجودى.

تـــرجـــعــون، تردُّون من الموت إلى الحياة بالبعث.

ولا يستسقستون؛ لا يخلصوني من الضرّ الذي أرادني الرحمان به.

إِذَا التَّذَدُّ مِنْ دُونِهُ ٱلْهَةَ.

مسيسيسة، وأضح.

قيل ادخل الجنة؛ قيل له عند موته : ادخل الجنة.

يا ثيت قومي يعلمون؛ تمنَّي أن يعلموا بحاله وحميد عاقبته، فيؤمنوا مثل إيمانه.

تمهيده

هذه تصدة رسل الله إلى قرية ما ، ومقاومة أصحاب القرية للرسل، وقيامهم بتطلات باطلة لعدم الإيمان، مثل بشرية الرسل، ومثل أن الرُّسل شوّم عليهم، وهي تهم باطلة، ناقشها القرآن في عدد من قصص العرسين .

فقد شاء الله أن يكون الرسل بشرًا من الناس، يأكلون ويشربون ويمرضون ، وتصبيبهم الأفاد، والأمراض والأحزان فيصبرون، ويأتيهم النصر والفتح فيشكورن ، ويهذا تتم القدوة والأسوة ، وهي قصة فهها تضحية من الرسل ، وتضحية من حبيب النجار ، أو من شخص مؤيد للرسل جاء من أقصى المدينة ، وأعان إيمانه بالرسل في شجاعة ، وقدّم الأدلة لقومه عن أسباب إيمانه ، ثم تعرض للبلاء المبين ، حتى مات قتيلا شهيداً فدخل الجنة ، وتعني لقومه الهداية.

التفسيره

١٣ - وَآصْرَبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَلْبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَاْءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ .

واضرب أيها الرسول الكريم لكفار مكة ، قصة عجيبة تنطبق على حالهم، قصة رسل من رسل الله تعالى، أرسلوا إلى قرية ما، يدعون للإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخو.

وقد ذهب القرطبي إلى أن هذه القرية هي أنطاكية، وهي قرية ببلاد الشام، تقع شمال سوريا، وقيل: إن عيسي بعنهم إلى أنطاكية للدعاء إلى الله تحالي.

وثلاحظ أن سياق القصة يدل على أن هؤلاء الرسل، كانوا من عند الله تعالى.

قال تعالى: إِذْ أَرْسُلْنَا إِلَيْهِمُ ٱثْنِيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَمَزَّزْنَا بِعَالِثٍ . . (يس: ١٤).

كما نلاحظ أن أهل أنطاكية أمنوا برسل عيسى، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح عليه السلام، ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربع اللاتى فيهن بطاركة، وهى: (القدس) لأنها بلد المسيح، و(أنطاكية) لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، و(الإسكندرية) لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البطاركة والمطارنة والاساقفة والقساوسة، ثم (رومية) لأنها مدينة الملك قسططين، الذى نصر دينهم ووطده.

وقد اختار هذا الرأى ابن كثير عند تفسيره لهذه الآيات وأيده بعدة أدلة ١٠٠١.

ونلحظ أن القرآن الكريم أهمل أسماء أشخاص ويلاد، لأن العبرة لا تتعلق باسم الشخص أو اسم القرية، ومن ثم أغفل القرآن التحديد، ومضي إلى صميم العبرة وليابهها. ١٤ - إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ ٱلْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَتَرُزُنَا بِثَالِتِ فَقَالُواْ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ .

فهى قرية أرسل الله إليها رسولين، كما أرسل موسى وهارون إلى فرعون وملته، فكذبهما أهل الك القرية. فعززهما الله وقواهما برسول الثان يؤكد أنهم جميعا من عند الله، وتقدَّم الالتهم بدعوتهم إلى أهل القرية ، فقالوا : إِنَّا إِلْكُمْ مُرْسَلُونَ . أَى: فأطيعونا فيما ندعوكم إليه من إخلاص العبادة لله تعالى، ونيذ عبادة الأصنام.

. ويعض المقسرين ذكر أنّ الرسولين هما : يحيى، ويولس، وأنّ الله عززهما برسول ثالث اسمه: شمعون.

وقال آخرون أسماء أخرى ، والعبرة لا تتوقف على معرفة الأسماء ، ويكفينا معرفة العمقة بأنهم رسل الله إلى قرية من القرى ، إذ إن هذا التحديد ربما أمخلنا في الإسرائيليات أو الروايات الضميفة .

١٥ - قَائُواْ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرَّ مُثْلُنَا وَمَا أَنَوْلَ ٱلرُّحْمَانُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَشُمْ إِلَّا تَكُلْبُهُونَ .

أي: احتج أصحاب القرية عليهم بأنهم بشر مثالهم، فُلِمَ أرحى إلى الرسل دون الباقين من أهل القرية، ولِمَ لا يوحى إلى أهل القرية، كما أوحى إلى الرسل، وهذه شبهة راودت كثيرا من الأمم المكتبة حيث توقعوا أن يكون الرسول ملاكا، أن متميزا بميزات حتى يؤمنوا به .

وقد أراد الله أن يكون الرسول بشراء يأكل ويشرب وينام وينزرج، ويتعرض للمرض والأكم، كما يتعرض للسرور والنصر، للتم القدوة العملية به غي سائر شئون الحياة .

قال تعالى: ذَالِكَ بِأَنَّهُ, كَانَت تُأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيَّاتِ فَقَالُواْ أَبَشَرٌ يَهُدُونَنَا ... (التغابن: ٦) .

وقال تعالى: وَمَا مَنْعَ ٱلنَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ ٱللَّهُدَىٰ إِلاَّ أَنْ قَالُواْ أَبْعَثَ ٱللَّهُ بَشُرًا رُسُولاً . (الإسراء: ١٤).

ثم تدرج أصحاب القرية من تكذيب الرسل الثلاثة، إلى إنكار الوحى فالرسالة ، وجحود ما أنزك الله على رسوله، واتهام الرسل الثلاثة بالكنب صراحة ودون موارية، حيث قالوا: وَمَاّ أَنْزُلُ ٱلرَّحْمَانُ مِن شَيْءٍ إن أُشَمْ إِلاَّ كَذَيُونَ

١٦٠ - قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَّيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ .

أنسموا لهم أنهم صادقون في الرسالة، والأمر أمر اختيار من السماء، لبعض البشر المؤملين لهذه المهمة السامية، حيث ينزل الله عليهم الوجي والهداية، ويكلفهم بالبلاغ الواضع.

١٧ - وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا ٱلْبَلَاعُ ٱلْمُبِينُ .

مهمتنا تبليغ الرسالة تبليفا واشحا، بالآيات الشاهدة على صدقنا، ويذلك التبليغ نكون قد أدينا المهمة، لأن الهداية من الله، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

١٨ - قَالُواْ إِنَّا تَطَيِّرْنَا بِكُمْ لِمِن لَمْ تَعَهُواْ أَنْرْجُمَنَّكُمْ وَلَيْمَسِّنَّكُم مُنَّا عَلَابٌ ٱلِيمِّ .

قال أصحاب الغرية للرسان: إنا تشاءمنا منكم، وضاقت نفوسنا برؤينكم، وكرهنا دعوتكم، وهذه عادة الجهال عندما يضيقرن بأمر ويكرمونه، فإنهم يتشاءمون به، ولا يطيقون رؤيته أو الاستماع لمن يدعو إليه.

ثم هددرا الرسل وزجروهم قاتلين: إن لم تنتهوا غن الاستمرار فى تبليغ رسالتكم، لنقتلنكم رميا بالحجارة، ولينزلن عليكم منا صنوف العذاب والألام.

١٩ - قَالُواْ طَآئِرُكُم مُعَكُمْ أَيْن ذُكَّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ .

قالوا لهم: إن تطيركم وتشارُّمكم نابع من داخل أنفسكم ، ومن تفكيركم السيئ، فنحن لم نفعل شيئا يقتضى تشارُّمكم، كل ما فعلناه أن ذكرناكم بالله ، وبدعوناكم للإيمان به، وخوَّفناكم من عذابه، وهذا كله خير، وداع للتفاول والسرور، والهدى والإيمان .

بَلَّ أَنتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ .

متجارزون الحدّ في الطّلم والعثوّ، ممعنون في الشرك، تعيشون فيه وتقيمون عليه، والمصائب التي حاقت بكم من سوء أعمالكم.

· ٢ - وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِيئةِ رَجُلَّ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْقَوْمِ ٱلبُّعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ.

وصلت بعوة الرسل فيما سبق إلى مرحلة حرجة، أهل القرية يكذّبونهم ويهددونهم، ويرفضون دعوتهم ، ونجد رجلا هي آخر المدينة قد استقر الإيمان في قلبه، والهمأن اليقين في فؤاده، فلم يقيع ساكنا، بل جاه يعدر مسرعًا، ينمنع قومه بالإيمان، ويقول لهم: يُنْفُومُ أَتَّبُواُ ٱلْفُرُسُلِسُ، الذين يحملون هدى السماء، ورجى الله الحلى للقدير، ويرشدونكم إلى توحيد الله، والإيمان به ويملائكته ورسله واليوم الآخر.

٧١ - آتَبعُواْ مَن لا يَسْتَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُهْتَلُونَ .

إن هولاء الرسل لا يطلبون منكم مالا، ولا يبتغون كسيا ولا نفعا، وإنما يقومون بأعمالهم ابتغاء وجه لله ورجاء هدايتكم وإرشادكم إلى ما فيه استقامة دنياكم، وسعادة آخر تكر. لقد سلكت الهداية والإيمان قلوبهم، فأرادوا أن ينقلوا إليكم هذه الهداية وذلك الإيمان بالله، احتسابا لوجهه وطمعا في رحمته.

٢٢ - وَمَالِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَّنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

لم لا أعبد الذى خلقنى، وبيده الخلق والأمر، وملك الدنيا والآخرة، وإليه ترجعون يوم القيامة، فيحكم بينكم بالعدل، ويكافئ المؤمنين، ويعاقب المجرمين، إن هذا الخالق الذى فطرنا وأوجدنا من العدم، من حقه أن يُعبد وأن يُوحَّد، وألا يعبد معه آلهة أخرى .

٢٣ - وَأَتَعِدُ مِن دُونِهِ وَالِهَةُ إِن يُرِدُنِ ٱلرَّحْمَانُ بِصُرٌّ لا تُفْن عَنَّى شَقَاعَتُهُمْ شَيْنًا وَلاَ يُنقِدُونِ .

أثبت في الآية السابقة أن الذي خلقه هو الله، وأن العبادة ينبغي أن تتجه إلى الخالق سبحانه وتعالى، لا إلى الأصنام التي لم تَخُلُق، وهي لا تنفع ولا تضرّ ولا تشفع، ولا تنقذ عابدها من عذاب النار. ومعنى الآية :

إنه لا يصمح لى أن أتخذ من دون الله أصنامًا أو آلهة أخرى، كائنة ما كانت هذه الآلهة. لأنه: إن أير أنز ٱلرَّحْسُنُ بِشَرَّ لاَ يَفُن عَنِّى شَفَاتَتُهُمْ مُشِيَّا وَلاَ يُعِقُونِ . ٱلرَّحْسُنُ بِشَرِّ لاَ يَفْن عَنِّى شَفَاتَتُهُمْ مُشِيَّا وَلاَ يُعِقُونِ .

لأن هذه الآلهة لا تملك شيئا، وبيد الله كل شيء، وإذا أراد الرحمان أن يصيبني بضرر، فإن هذه الآلهة لا تنفعني بشيء، ولا تملك حتى أن تتشفع لى عند الله، ولا تملك أن تنقذني من عذاب الله، وبهذا المنطق المقلى ظل هذا المؤمن ينافش قومه ويقدم الأدلة المقلية على وجود الله، وعلى أن يبده سبحانه النفع والضرّ وحده، وأن الأصنام والأوثان التي يعبدونها لا تملك شفاعة له إلى الله، ولا تملك إنقاذه من عذاب الله،

وَلا يُبْقِذُونِ. ولا تستطيع هذه الآلهة إنقاذي، وتخليصي مما يصيبني من ضر أراد الرحمان أن ينزله بي.

٢٤ - إِنِّيَ إِذًا لَّفِي طَلَلْلِ مُّبِينٍ .

إنى إذا عبدت من درنة آلهة لا تملك نفعا ولا ضرًا، ولا شفاعة، ولا إنفاذًا لى، فإنى أكون في ضلال مبين، وهلاك أكيد، فعبادة غير الله سفه بيُّن، وضلال واضح، يضر فاعله فى الدنيا والآخرة.

٧٥ ~ إِنَّى ءَامَنتُ بِرَبُّكُمْ فَآسْمَعُونِ .

أعان إيمانه بالله في غير موارية ولا ترده، وجعلها مسيحة قوية ليسمعوها، فقال: فَأَسْمُونِ . فاسمعوا إيماني ، وسجلوه على وقيل: إن أهل القرية قالوا لحبيب النجار ، أو لهذا الرجل المؤمن الذي جاء ساعيا : أو أنت على دين هؤلاء الرسا؟ فأجابهم بالإيجاب، وورد أن أهل القرية عذبوه عنابا أليما، حتى خرجت أمعاؤه من ديره، فاتجه جهة الرسل، وأعلن إيمانه بريهم، في جهر وإعلان ليسمعوا إيمانه، ويشهدوا

والسياق يحتدل هذا وذلك ، أي أن يكون خطابه لأهل القرية أو للرسل، كما يثبت لهذا المرمن الروح الفدائية في تأييد الرسل، والإيمان بالله تعالى، والجهر بهذا الإيمان، وتقديم الأدلة على صدق الإيمان، وعلى بطلان عبادة الأمسام.

قَالَ قَتَادَةً : جِعلوا يرجمونهُ بالحجارة، وهو يقول: (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون) ، فلم يزالوا به كذلك حتى فارق الحياة .

٢٦ - قِيلُ ٱذْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَلْلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ .

لقد قتله قومه، وعذَّبوه عذايا أنيما، فقال له الله تعالى عند خروج روحه مؤمنا بالله، مجاهدا في سبيل الله: ادخل الجنة مع الشهداء الأبرار، الذين مع في حياة برزخيه أبدية، أرواحهم تسبح في الجنة، وترد أنهارها وأشجارها، وتتمتع بنعيم الجنة وخيراتها وظلالها ورحماتها.

وحين دخل هذا المؤمن الجنة ررأى نعيمها، تمنى لقومه أن يطموا هذا الثواب العظيم الذي آل إليه، والنعمة الكبرى التي منُّ الله بها عليه.

٢٧ - بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ .

ليتهم يعلمون بمألى وحسن حالى، ومغفرة ربى لتنويي، وما نالتي من الكرامة وحسن الجزاء، حتى بعملوا مثل عملى، وينالوا مثل جزائي.

قال العلماء: نصح قومه حيا، ونصح قومه ميتا، وهذا شأن المؤمن المظمر، يحبُّ الخير الناس جميعا.

قال تعادة : لا تُلقى المؤمن إلا ناصحًا، لا تلقاه غاشًا.

وقال القرطبي في تفسيره:

في مذه الآية تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والحلم على أهل الجهل، والتروف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار، وأهل البغي، والتشمّر في تخليصه، والتلطف في افتدائه، والاستغال بذلك عن الشماتة والدعاء عليه، ألا ترى كيف تمنّى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل، وهم كغرة عبدة أصناح، اهـ

والحمد لله حمدًا كثيرا طهبا طاهرًا مباركا فيه ، كما يرضى ربنا ويحب، اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

رَبُّنَا ءَائِنَا مِن لَّذُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئُ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . (الكهف: ١٠) .

* * *

تم تفسير الجزء الثاني والعشرين من كتاب الله العزيز، مساء يوم الأحد ٢٧ ربيع الآخر سنة ٢٠٤١ هـ. الموافق ٨ أغسطس سنة ٩٩ ٩ ١ م ، بمدينة بورسعيد بجمهورية مصر العربية.

و الحمد لله رب العالمين، و صل اللهم و سلم على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الذين .



(١) كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر :

رواه الترمذي في تغسير القرآن (٢٠٧١) وأحمد في مسنده (١٣٣٧) من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يمر
بباب غاملة سنة أشهر إذا غرج إلى مبلاة الفجر بقول: «المسلاة با أهل البيت فإنسا بريد الله ليفهب عنكم الرجس أهل
اليت ويظهر كم تطهيراً به قال أبو عيسى: هذا حديث حدين غريب من هذا الرجه إنما نعرفه من حديث حداد بن سلمة.
ورواه مسلم في فضائل المسحابة (١٣٤٤) من حديث حديث عرب من هذا الرجه إنما انعرفه من حديث حداد بن سلمة.
ورواه مسلم في فضائل المسحابة (١٣٤٤) من حديث مدين من هذا الرجه إنما انعرفه من حديث عداد بن سلمة.
ورواه مسلم في فضائل المسحابة (١٣٤٤) من حديث على فأدغله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت غاملة فأدخلها ثم جاء على فأدخله ثم جاء الله إنه ورواه الترمذي في تغسير القرآن
(١٤٠٤) وفي المناقب (١٧٨٧) من حديث عدر بن أبي صلمة ربيب الذبي ﷺ قبل انا زائل منه الآية على الذبي ﷺ
مناف المناقب (١٧٨٧) من حديث عدر بن أبي صلمة ربيب النبي ﷺ قبل انا زائل منه الآية على الذبي ﷺ
مناف المناقب (١٨٧٧) من حديث عدر بن أبي صلمة بين أم سلمة ، عما فاطعة وحدنا وحسينا فجلهم المناج والله المناقب المناقب المناقب المناقب المناقب المناقب المناقب عنه قالت : وربه أحده في مسنده (١٩١٠ع) بين الله تعالى عنها أنها عن عنه قالت : وربه أمند في مسنده (١٩١٠ع) ولمن المناقب عنها أنها عن عنها قالت : وربه أمنا كل المناقب المناقب المناقب الأنها عن عنه قالت : وبيه إلى رسول الله ﷺ فيطست أنظره حتى جاء رسول الله ﷺ ويمه المناقب عنها أنها عنها على فقدة ثم أنف عليه بهاء أنها كل واحد منهما بيده حتى بخل فأدنى عليا وقاطعة فأجلسهما بين يديه أوقال كماء ثم ثلا هذه الآبة : ﴿إلما يهذه الله بدية أوقال كماء ثم ثلا هذه الآباء إلى الله المناقب وأمال اليت ويطهر كم تعليه رقاطعة فأجلسهما بين لهم هزاد أدل يبتى وأمال اليت ويطهر كواحد منهم عالى واحد منهم الميده عتى وأمل المدينة وأمل المناقبة أعلى أمالهمة والمحدد أناف علية وقاطعة فأجلسهما بين المناقبة وأمل الميت واطه والمناقبة عنه أساقبة أعلى واحد منها والمع منذه أدام يبتى وأمل اليتي أماله، عنه أله المنافب المنافب عنه أمالهم عناؤه أمالهم عنائه أمالهم عنائه أمالهم عناؤه أمالهم المنافب عنه أمالهم المنافب عنه أمالهم عناله المنافب عالم هذه المنافب عالم هذه المنافب عالم هذه المنافب عالمنافب على وقاطعة فأمالهم والاحالة المنافب على وقاطعة فأمالهم عنا

(Y) لدعى بعض الشيعة أن هذه الآية خاصة بعلى وفاطمة والحسن والحسين ، دون أزواج النبي ﷺ ، مع أن الخطاب في القصر الآية لأزواج النبي ﷺ ، إذ ليس فيه صيغة من صيغ القصر القيد لأزواج النبي ﷺ ، إذ ليس فيه صيغة من صيغ القصر الصعوفة في القرآن الكريم ، ونصّه في صحيح مسلم ، عن عائشة قالت : خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرجل فجاء الحسين فأسطه ، ثم جاءت فاطمة فأسطها ، ثم جاء على فأسطه ، ثم قال : ﴿إنما يريد الله ليقمب عكم ...﴾ الآية .

(٣) أحكام القرآن ٣/٢٥٣٧.

(٤) إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين:

رواه أحد في مسنده (٢٠٣٣) من حديث أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله: ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال
قالت: ظلم يرعني منه يوما إلا وتناؤه على المنبر: «يا أيها الناسء قالت: وأنا أسرح رأسي فلفقت شعرى ثم بنرت من
الباب فبحفات سمحي عند الجريد فسمعته يقول: «إن الله عز وجل يقول ﴿إِنَّ المسلمين والمسلمات والمؤتين
والعراسات ... ﴾ هذه الآية قال عنان والعد الله فيم مفرة وأجرًا عظياً ﴾. ورواء المترمذي في تضيير القرآن (٢٣١٦) من
حديث أم عمارة الأنصارية أنها اتند للنبي ﴿إلله ققالت الله إلى بشاء فنزات
حديث أم عمارة الأنصارية أنها اتند للنبي ﴿إلله ققالت الله إلى الرجال وما أرى النساء ونكري بشيء فنزات
مذه الآية ﴿إِنَّ المسلمين والمسلمات والمؤتين والمؤتات ... ﴾ إلا ية ، قال أبو عيسى : هذا حديث عربي .. ورواه
الثرمذي في القسيد إنضار (٢٠٢٧) من حديث أم سلمة أنها قالت : يغزر الرجال ولا تغزي النساء وإنما لنا المسلمين
مأذر الله يدارك وتمالي ﴿ولا تعنوا ما فضل الله به بعضم على بعض ... ﴾ قال مجاهد : وأنزل فيها ﴿إن المسلمين
والمسلمات ... ﴾ وكانت أم صلمة أول نظمينة قدم العينة مهاجرة ، قال أبو عيسى : هذا حديث مرسل ورواه بعضهم
عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مرساز أن أم سلمة قالت كذا وكنا ... في ناس خديث مرسل ورواه بعضهم عن بنون أبي نجيح عن مجاهد مرساز أن أم سلمة قالت كذا وكنا ... في ناس خديث عرس عن مجاهد مرساز أن أم سلمة قالت كذا وكنا ... في كان بأبي نجيح عن مجاهد مرساز أن أم سلمة قالت كذا وكنا ... عن كن ناس أبي نجيح عن مجاهد مرساز أن أم سلمة قالت كذا وكنا ... عن كن ناس أبي نجيح عن مجاهد مرساز أن أم سلمة قالت كذا وكنا ... عن كن ناس غيرة عن مجاهد عن مجاهد مرساز أن أم سلمة قالت كذا وكنا ... عناسات عن المناس المسلمات ... عناس عن المناس المناسات عن المناسات عناسات عناسات

(a) علىكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى الي :

رواه البخارى في الأدب (۱۹۰۴) ومسلم في الدر (۱۹۷۳) وأبعد داور في الأدب (۱۹۸۹) والترمذي في الدر (۱۹۷۱) وابن
ماجة في المقدمة (۲.) والدارسي في الرفاق (۲۷۷) وأحمد في مسنده (۲۳۲) من حديث عبد الله عن الذبي قضية قال
مإن الصدق يهدى إلى المبر ، وإن الدر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليمحدق حتى يكون سديقاً ، وإن الكتب يهدي إلى
الفجور وإن الفجور يهدى إلى المثار ، وإن الدرجل ليكتب حتى يكتب عند الله كتاباء ، ورواه أحمد في مسنده (۵) عن
حديث أرسط بن عمر قال قدمت الددينة بعد وفاة رسول الله في بسنة فألفيت أيا بكر يخطب الناس فقال : قام فينا
رسول الله في عام الأول فخنقته المبرة ثلاث موارثم قال : يا أيها الناس ساوا الله المعافاة فإنه لم يؤت أحد مثل يقين
بعد معافاة ولا أكد من ريبة بعد كفر وعليكم بالمسدق فإنه يهدى إلى الدر وهما في البنة ، وإيماكم والكذب فإنه يهدى .
إلى الفجور وهما في النار .

(٦) الإحسان أن تعبد الله :

رواه البشارى في الإيمان (٥٠) وفى تفسير القرآن (٤٧٧٧) ومسلم فى الإيمان (٨٠) والترمذي فى الإيمان (٢٦١٠) والنسائى فى الإيمان (٤٩٩٠، ١٩٩١) وأبو داود فى السنة (٤٩٥٥)، وابن ماجة فى المقدمة (٢٦، ١٨)، وأحمد (٢٦٩، ٢٧٠) ٢٧٦ ، ٢٨٢١، ١٦٢١) من حديث أبى هريرة، ومن حديث عمر بن الشطاب. وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٧) سبعة يظلهم الله في ظله :

رواه البخارى فى الأذان (۱۲۰۰) وفى الزكاة (۱۲۳۷) وفى الرقاق (۱۲۵۷) وفى الحدود (۱۲۵۸) ومسلم فى الزكاة (۱۲۲۱) ، والترمذى فى الزهد (۲۲۹۱) والنسائى فى آداب القضاة (۲۸۰۰) وأحدد (۹۳۷۲) ومالك فى الجامع (۱۷۷۷) من حديث أبى هريرة .

(٨) يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج:

رواه البخارى فى المسرم (١٩٠٥) وفى التكاح (٥٠٦٥، ٥٠٦٥) وسلم (١٤٠٠) وأبوداود فى التكاح (٢٠٤٢) والترمذى فى التكاح (٢٠٨١) والنصائى فى الصوم (٢٢٤١، ٢٢٤١) وفى التكاح (٢٢٤٧) وابن ماجة فى التكاح (١٨٤٥) والدارمى فى التكاح (٢١٦٦، ٢١٦١) وأحمد فى مسنده (٤٠١١، ٤٠٢٥، ٤٢٠٥، ٤١٥) من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا : وها معشر الشباب من استطاع الهاءة فليتزوج ، فإنه أغض للهمس وأحسن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاءه .

(٩) تفسير القرطبي ٦ / ٢٥٤٥ .

(۱۰) تفسير القرطبي ٦/٥٤٢٦ .

(١١) انظر تفسير ابن كثير ، فقد كتب كلامًا موفقًا ، اقتبسنا منه ثلك .

(١٢) الرويا الصالحة :

رواه البختاري في التعبير (۱۹۹۰) من حديث أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرزيا المبالحة» . ورواه مسلم في الصلاة (۲۷۹) ، وأحدد (۱۹۰۳) ، والنساشي في التطبيق (۲۰۱۵ ، ۱۹۲۷) ، وأبو داود في المبلاة (۲۸۲) ، وإنن ماجة في تعبير الرزيا (۲۸۹) ، والدارمي في الصلاة الإملاء من حديث ابن عباس قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبى بكر فقال: «أيها الناس إنه لم يبرق من مبشرات النبوة إلا الرئيا المسالحة براها المصلم أو ترى له ، ألا ولين نهيت أن أفراً القرآن راكماً أو ساجدًا فأما الركزع فنظموا فهه الرب عز وجل، وأما السجود فاعتموا في الدعاء فقص أن يستجلب لكم» دوراه الترمذي على الرؤيا (۱۲۷۷) وأحده في مسئده (۱۲۶۲) وأمن صديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : وأن الرسالة والنبوة قد انقطمت فلا رسول الله ﷺ : وأن الرسالة والنبوة قد انقطمت قلل : هرية الحسلم وهي جزء من أجزاه النبوة» وقال القرمة على المشركة قالوا: يا رسول الله ، وما العبشرات قلل : هرية العبشرات العبشرات أن المناسخة في رسول الله إلى المائلة والنبوة قد انقطمت تعبير الرئيا (۱۲۹۷) والداري في الرئيا (۲۲۹۷) وأصده في مسئده (۲۲۹۷) من حديث أم كرنا الكميية قالت: سمعت تعبير الرئيا (۱۲۹۸) والدارية ويقيت المبشرات» ورواه أحمد في مسئده (۲۲۹۲) من حديث أمي الطفيلة قال: شار رسول الله ﷺ : «لا نبوة بعدى إلا المبشرات» ورواه أحمد في مسئده (۲۲۵۷) من حديث أمي الطفيلة قال: شالويا المبالدة» ورواه أحده في مسئده (۱۲۶۵۷) من حديث أمي الطفيلة المبالدة على المبالدة على المبالدة إلى المبالدة إلى المبالدة المبالدة على المبالدة إلى المبالدة إلى المبالدة إلى المبالدة يراما الرئيا المبالدة يراما الرئيا المبالدة ورواه مالك في المبالدة ورواه المبالدة إلى المبالدة المبالدة

(١٣) إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد :

رزاه البخاري في تفسير القرآن (٤٨٩٦) ومسلم في الفضائل (٢٣٥٤) والترمذي في الأدب (٢٨٠٠) وأحمد في مستده (١٣٩٣) من حديث جبير بن معلم رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن لي أسماء أننا صحد وأننا أحمد وأننا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأننا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأننا العاقب» .

(١٤) جزء من سنة وأربعين جزءًا من النبوة :

رواه البيخاري في التدبير (١٩٨٣) ومسلم في الرؤيا (٢٧٦٤) من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : «الرؤيا السيخة المستقد من الجيئوا المستقد من الرؤيا (١٩٨٧) من حديث عبادة المستقد من الرؤيا المستقد عن النبوة» . روراه المشاري في التعبير (١٩٨٧) من حديث المستقد أن من التعبير (١٩٨٨) من حديث أن مديرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «رؤيا المؤمن جزء من سنة وأربعين جزءا من النبوة» . ورواه المشاري في التعبير (١٩٨٩) من حديث أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ قبل عدري المستوربة المؤمن جزء من النبوة» . وقياء المشاري في التعبير (١٩٨٩) من حديث أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ قبل: «الرؤيا الصالحة جزء من سنة وأبعين جزءاً من الذبوة» .

(10) لا يبقى بعدى من النبوة :

تقدم تخریجه ، انظر هامش (۱۲)

(١٦) إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتا :

رواه البخارى فى المناقب (٣٥٣٤ ، ٣٥٣٥) ومسلم فى الغضائل (٢٧٢٦) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : وإن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بينًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل لذات يطرفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأذا اللبنة وأذا غاتم النبيين» .

(١٧) الحزب ٤٣ من ١٩٤ – التقسير الوسيط بإشراف الأزهر.

(١٨) تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح:

رواه البخارى فى الأنان (143) وفى تفسير القرآن (٢٧١٧) ومسلم فى المساجد (146) والترجذي فى التفسير (٢٢٥) والنسائى فى السلاة (٤٨٠) وابن ماجة فى المسالة (٢٠١٠) وأحدد (٢٧١٠ / ٢٧٥٠) ٢٨٠٠) من حديث أبي مربية كَيْمَا بلغظ بدفسل مسلاة البوجية على مسلاة الواحد خمس وبحثور ندوجة ، ترجّتهم هلائكة القبل وملائكة النهاز فى مملاة السبح» يقول أبو مربية : الرواح إن شنتم (وقرآن القجر إن قرآن القجر كان مشهورة). ورواد البخارى فى مواتيت المسلاة (٥٥٥) . ورفى القدوية (٨٤٥) وأحدد (٢٩٦٠ / ٢٩٢١) والمسائى فى المسلاة (٨٤٥) وأحدد (٢٩٦٠ / ٢٩٢١) ومالك فى القداد المسلاة (٨٤٥) أحدد (٢٩٦٠ / ٢٩٢١) ومالك فى القداد المسلاة (٢٤٥) من حدودة أبي هريرة بالفلة : ويشافيرن فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنابل ... العديث ...

- (۱۹) تفسير القرطبي ۱۴/۲۰۰.
- (٢٠) مكرر مم ما يعده وأمين» ويكون النبيء والذبي اسمين.
 - (٢١) مكرر مع ما قبله ، ويكون المرسَل والمرسِل اسمين ،
- (٢٢) التفسير المنير للأستاذ وهبة الرّحيلي ، الجزء ٢٢ من ٥٠ ٥٥ .

(23) زوجتكها بما معك من القرآن :

روله البخارى فى قضائل القرآن (٧٠٩ ه) وفى الذكاح (٧٥٣ ه) وأبر داود فى الذكاح (٢١١١) والترمذى فى الذكاح (٢١١١) والترمذى فى الذكاح (١١١٤) وأحد فى صدنده (٢٢١٤) من حديث علمها لله وأسواء فقال التيام القالد إنها قد وبعد نفسها لله وأرسوله في فقال ان وعام لمن في النساء من حاجة ، فقال رجل : زوجنيها ، قال : «أعطها ثوباً» فال : لا أجد قال : «عام عامل من القرآن» قال كا وكذا ، قال : «فقد زوجتكها بما معك من القرآن» قال كا وكذا ، قال : «فقد زوجتكها بما معك من القرآن» قال كنا وكذا ، قال : «فقد زوجتكها بما معك من

(٤ ٢) اللهم هذا قعلى قيما أملك :

رواه أبر داود في النكاح (۲۹۲۶) والترمذي في النكاح (۱۱۶۰) والنسائي في عشرة النساء (۲۹۶۳) وابن ماجة في النكاح (۱۹۷۱)، وأحمد (۲۲۵۸۷) والدارسي في النكاح (۲۲۰۷) من حديث عائشة ، واللفظ لأبي داود ، وأشار الترمذي إلى تضميفه .

(٩٥) من كانت له امرأتان:

رواه أبو باود فى النكاح (٣١٣٣) والترمذي فى النكاح (١١٤١) والنسائي فى عشرة النساء (٣٩٤٣) وابن ماجة فى النكاح (١٩٦٩).

(٢٦) فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتها :

رواه البخارى فى الوضوء (١٩٩) وفى الأذان (١٦٥) وفى اللهبة (٢٨٨) وفى فرض الخمس (١٩٩٩) وفى المفازى (١٤٤٧) وفى الطب (١٩٧٤) ومسلم فى الصلاة (١٨٨) واللفظ له من حديث عائشة قالت: أول ما اطتكى رسول الله ﷺ فى بيت ميمونة فاستأذن أزياجه أن يمرض فى بيتها وأذن له قالت: فضرج ويد له على الفضل بن عباس ويد له على رحل أخر وهو يخط برحليه فى الأرض.

(٧٧) انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم :

رواه الترمذي في النكاح (۱۰۸۷) والنسائي في النكاح (۲۳۳۵) وابن ماجة في النكاح (۱۸۳۵) والدارمي في النكاح (۲۷۲۷) وأحمد في مستده (۱۷۷۸۸) من حديث المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ: «انظر إليها فإنه أحرى أن يزيم بينكما»، قال أبر عيسي: هذا حديث حسن.

(٢٨) لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش :

رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٧٩ ، ٤٧٩) وفي الاستثنان (٩٣٢ ، ١٣٧١) ومسلم في النكاح (١٤٧٨) من حديث أشى بن مالك رفض الله عنه قال: لها تزرج رسول الله ﷺ زيف بنت جحض دعا القرم فطعور أم جلسوا يتحدثون وأينا هم وكانه يتهيأ للقيام ظلم يقوموا فلما رأى ذلك قام ظلم قام فام من وهد ثلاثة نفر فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطقت فجئت فأخيرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاء بيرة، ويبنه فائزل الله فإناً فها للقين آموا لا تعافراً بيرت التي ... ﴾ الآية.

(٢٩) إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو نحوه:

رراه مسلم في النكاح (١٤٢٩) وأبو داو. في الأطعمة (٣٧٣٨) وأحمد في مسئده (٦٣٠١) من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ: وإذا بدعا أحدكم أخاه فليجب عرسًا كان أو نحوه» .

(٣٠) أو دعيت إلى ذراع أو كراع الأجيت :

رواه البخاري في الهبة (٢٥٦٨) وأحمد في مسنده (٩٢٠١) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ملو يحيث إلى نراع أو كراع لأجبت ، ولو أمدي إلى نراع أو كراع القبلت» .

(٣١) أخرجه البخاري في : ٦٥ - كتاب التفسير ، ٣٣ - سورة الأحزاب ، ١٠ - باب ﴿إِنَّ اللَّهُ وَمَلَّاتُكُتُهُ يَصِلُونَ عَلَى اللَّهِ ﴾

(٣٢) اللهم صل على محمد :

رواه البخارى في أحاديث الأنبياء (٢٣٧٠) وفي التنسير (٤٧٩) وفي الدعوات (٢٣٥) وسلم في المسلاة (٢٠١) من
حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه ، أنه قبل: يا رسول الله أما السلام عايك فقد عرفناه ، فكيف المسلاة عليك ؟ قال:
«قولوا: اللهم معل على محمد رعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد صجيد . برواه الإنجازي في التصور (٤٧٨) وفي الدعوات (٢٩٥٨) من
محمد رعلى محمد رعلى أل براهيم إنك حميد مجيد» . ريواه الإنجازي في التضير (٤٧٨) وفي الدعوات (٢٩٥٨) من
عديث أبي سعيد المُحدري قال : فلنا : يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلى ؟ قال : هذاوا : اللهم عمل على محمد
عبدك ررسوك كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد رعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم » . ورواه
البخاري في أحدادين الأنبياء (١٣٦٩) وفي الدعوات (١٣٦٠) ومصلم في المسلاة (٢٠٤) من حديث أبي مجمد الساعدي
رضى الله عنه ، أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلى عليك ؟ قال رسول الله ﷺ ، «قولوا: اللهم مسل على محمد
وأزراجه وفريته كما عليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزراجه وفريته كما ياركت على آل إبراهيم إنك محميد
مجيده . ورواه معلم في الصلاة (٥٠٤) من حديث أبي مصحود الأنصاري قال : أتنا رسول الله ﷺ وبنحن في مجلس
سعد بن عبادة فقال له بشور بن سعد : أمرنا الله تقال نصلى عليك يا رسول الله فكيف تصلى عليك ؟ قال : فسكت
على آل إبراهيم و عدد دوعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في للعالمين إنك حميد مجيد ، والسلام
كما قد عاديه .

(34) من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا:

رواء مسلم في الصلاة (٢٠٨) وأبو داود في الصلاة (٣٠٠) والترمذي في الصلاة (٨٠٥) والنساني في السهو (٣٠٦) وأحمد في مسنده (٨٦٣٧) من حديث أبي هرورة أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشرا».

(٣٤) إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة :

رواء أبو داود في المسلاة (١٩٣٧ ، ١٥٣١) والنسائي في الجمعة (١٣٧٤) وابن ماجة في إقامة المسلاة (١٠٥٥) وفي الجيئات الجنائز (١٣٧٦) والدارمي في المسلاة (١٥٧٧) وأحمد في مسنده (١٥٧٧م) من حديث أوس بن أوس قال . قال رسول الله ﷺ : بإن من أفضل أياءكم يوم الجمعة فيه خلق آمم ، وفيه قيض، وفيه النشخة ، وفيه المععقة ، فأكثروا على من المسلاة فيه فإن مسلاتكم عمروضة على» قال : قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ يقولون بليت، فقال ﷺ : وإن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء» .

(٣٥) إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول:

رواء مسلم في المسلاة (٢٨٤) وأبو داود في المسلاة (٣٧٠) والترمذي في المتأتف (٣٦١٤) والنصائي في الأذان (٨٧٨) وابن خزيمة في مصيمه (١٨٨) وأعدد في مسنده (١٩٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العامن أنه سمع الذي ﷺ يقول: وإذا سمنتم المؤذن فقولها عثل ما يقول ثم مطوا على ، فإن من معلى على مسلاة معلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله في الرسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعهد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فنن سأل في الوسيلة حلت له الشفاعة .

(٣٦) قال ابن كذير : وهذا أثر حسن ، وقد توسع ابن كثير في فضل المبلاة على النبي ﷺ وآبابها ، وما يتطق بهذه الآية ، فليرجم إليه من أراد .

(٣٧) أتضرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم :

ر واه مسلم فى البر (۷۸۹) رأبور داوره فى الأنب (۴۸۷) والترمذى فى البر (۲۹۳) والدارمى فى الرقاق (۲۷۲) واصد فى مسنده (۲۰۱۰) من حديث أبى مريرة أن رسول الله ﷺ قال : «أندرون ما الغيبة» ٢ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : «ذكرك أشاك بما يكرمه قبل ' أفرأيت إن كان فى أهى ما أقول ، قال : «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد سنته» .

(٣٨) أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله :

(٣٩) بشروا ولا تنقروا ويسروا ولا تعسروا:

رواه البخارى فى العلم (۱۹) من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا ويشروا ولا تنفروا» ـ رواه مسلم فى الجهاد (۱۷۲۷) وأبو باود فى الأدب (۱۸۳۵) وأحده فى مسنده (۱۲۷۸۷) من حديث أبى موسى قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث لحدًا من أصحابه فى بعض أمره قال : «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تحسروا» ـ ورواه أحده فى مسنده (۱۹۲۰) من حديث سعود بن أبى بودة عن أبيه أن الذبى ﷺ بعث معاذا وأبا موسى إلى للومن فقال : «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا ، وتطاوعا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا ، وتطاوعا ولا نفرة فيه يزور أحدهما صحابه .

(+٤) النظر تفسير القاسمي ٥٤٦/٥ نقلا عن عن الإكليل وفيه ما يفيد: أن أن رجلا أو أكثر اقتصبُّوا أثر امرأة ، فغلبوها على نفسها ، ففجروا بها كان عقابهم أن يرثفنوا فتضرب أعناقهم ، لقوله تمالى : ﴿أَحَدُوا وَقَالِوا تَقْبِلاُ﴾ .

(٩ ٤) ما المستول عنها بأعلم من السائل:

تقدم تخريجه ، انظر هامش (٦)

(27) اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرا:

رواه البخاري في الأذان (٨٣٤) ومسلم في الذكر (٢٧٠٥) ، كالاهما عن أبي يكر.

(٤٣) قمن يعدل إذا لم يعدل الله ورصوله :

رواه البخارى في فرض الخدس (٣٦٥٠) ومسلم في الزكاة (٣٦٠) من حديث عبد الله بن مسعود قال: لما كان يوم حغير أثر النهي ﷺ أناسا في القسمة أغاسل الأفرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عبينة علل ذلك، وأعطى أثامًا من أشراف العرب فأثرهم يومنذ في القسمة ، قال رجل: وللله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فقات: والله لأخبرن الغني ﷺ فأتيته فأغمرته ، فقال : «فمن يحدل إذا لم يحدل الله ورسوله ، رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصيره.

(٤٤) انظر تفسير ابن كثير.

(٤٥) في ظلال القرآن ٢٢/ ٥١ مطابع عيسي البابي الطبي وشركاه -- مصر.

(٤٦) انظر كتاب «المرأة في الإسلام» د . عبد الله شحاتة ، مطابع الهيئة المصرية العامة الكتاب ، الباب السادس : زيجات الرسول 警護 وحكمة تعددهن .

(٧٤) من كانت له امرأتان :

تقدم تخریجه ، انظر هامش (۲۰)

(٤٨) انظر تفسير المنار للآية الثالثة من سورة النساء ، وتفسير الشيخ محمد العدنى للآية في كتابه : «المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء» ، وتفسير القرآن الكريم : للدكتور عبد الله شحائة الجزء الرابح ، الآية ٣ من سورة النساء .

(٤٩) انظر ظلال القرآن بقلم سيد قطب ٢٢/٥٣ – ٥٦ .

(• ه) قال الفخر الرازى : ﴿مَمَاجِرُينِ﴾ حال معناه سعوا فيها وهم يريدون التعجيز ، أى : إبطال عمل الآيات ومتع الناس من التمسك بها ، والمجز عن الرمبول إلى هنيها .

(١٥) ما أكل أحد طعاما قط خبرا من أن يأكل من عمل يده :

رواه البخارى في البيوح (٣٠٧) وفي أحاديث الأنبياء (٣٤٧٧) من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أن داود النبي عليه السلام كان لا يأكل إلا من عمل يده . ورواه البخارى في البيوع (٢٠٧٧) من حديث المقدام رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : هما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده .

(٥٢) الفشر الرازي ٩/١٩٦ ، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٩٥) تفسير القرمليي ٩/١-٥٥ وفيه : قال العلماء : وذلك الفسرورة إلى ذلك ، وحاجة البنات حتى يتدرين على تربية أولادهنُ ، ثم إنه لا بقاء ذلك ، وكذلك ما يصنع من الحلاوة أو من العجين لا بقاء له ، فرخمن في ذلك ، والله أعلم .

(\$ 0) إن أشد الناس علمابًا عند الله يوم القيامة المصورون :

رواه البخارى فى اللباس (٩٩٥٠) ومسلم فى اللباس (٩٩٠١) من حديث عبد الله بن مسعود قال : سمعت الذبي ﷺ يقول : وإن أشد الفاس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون» .

(٥٥) أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام :

رواه البخارى فى الجمعة (١٩٣١) وفى أحاديث الأنبياء (٢٤٢٠) ومسلم فى المبهام (١٩٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العامر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له : وأحب المبلاة إلى الله مبلاة داو. عليه السلام ، وأحب المبهام إلى الله صبام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثة وينام سعسه ، ويصوم يوكًا ويقطر بوكًاه .

(٥٦) أفلا أكون عبدًا شكورًا:

رواه البخارى في العمداة (۱۹۲۰) وفي تفسير القرآن (۱۹۸۳) وفي الرقاق (۱۹۵۷) ومسلم في صفة القيامة (۲۸۲۹) والبخدادي في سنده والبخدادي في المسادة (۱۶۷۸) وأحمد في مسنده والمؤدنان من المسادة (۱۶۵۸) وأحمد في مسنده (۱۹۷۸) من حديث المفيرة: إن كان الندي مُلا ايقول عليه المؤرخ المناسبة في استفاه فيقال له ، فيقول : «أفلا أكون (۱۷۷۳) (۱۷۷۳) من حديث ماشقه فيقال له ، فيقول : «أفلا أكون عبدا شكرراه . ورواه البخارى في تفسير القرآن (۱۹۸۷) ومسلم في صفة القيامة (۲۸۲۷) والحمد في مسنده (۲۸۳۷) من حديث عاشقة رفي الله عنها أن ندي الله هُلا كان يقوم من اللبل حقيث الله وقد غير الله لاء وقد غير الله كان عبدا شكرراه ، فلما كثر واله ابن ماجة في إقامة المملاة (۱۹۲۰) من حديث أبي موردة قال - كان رسول الله هُلا يمكن عبدا شوره ، قبل عروم قال - كان عبدا شكرراه ، فلما كثر واله الله الكان عبدا شكراء ، فلما كثر واله الله الكان عبدا شكرياء مناسبة أبي موردة قال - كان عبدا شكرياء مناسبة أبي موردة قال - كان عبدا شكرياء مناسبة أبي موردة قال - كان عبدا شكرياء مناسبة أبي من حديث أبي موردة قال - كان شكراء مناسبة المحلاة (۱۳۵۰) عندان مناسبة عبداً عبداً عشراً عنداً من نديك وما تأخر ، قال : «أملا أكرن شكررا» مناسبة عبداً عبداً شكراء مناسبة عبداً مناسبة عبداً شكراء مناسبة عبداً عبداً شكراء مناسبة عبداً المحدد عبداً شكراء مناسبة عبداً المحدد عبداً شكراء عبداً المحدد أبي مناسبة عبداً المحدد عبداً المحدد أبي المحدد المحدد المحدد المحدد المحدد المحدد المحدد المحدد أبياً المحدد ال

(٧٥) عجبًا للمؤمن :

أهرجه مسلم في الزهد (۲۹۹۹) ، وأحمد (۲۰۵۰ ، ۱۸۶۱ ، ۲۳۵۰ ، ۲۳۵۰) ، والدارمي (۲۷۷۷) ، من حديث مسهيب بن سنان قال: قال رسول الله ﷺ «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ناك لأحد إلا للمؤمن إن أمسابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أمسابته ضراء صبر فكان خيراً له» .

(٥٨) أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي:

رواه البخارى فى النيم (۲۳۵) وفى المملاة (۲۶۸) ومسلم فى المساجد (۲۷۸) وانسانى فى الغسل (۲۲۸) وفى المساجد (۲۷۸) وانساختى فى الغسل (۲۷۸) واندارسى فى المساجد (۲۷۸) واندارسى فى المساجد (۲۷۸) واندارسى فى المساجد (۲۷۸) واندارسى فى السير (۲۵۸) واندارسى فى السير (۲۵۷) واندارسى فى دورت أميد (۲۷۷) من حديث أبي من دورت واندارسى فى دورت أميد (۲۷۳۷) من حديث المينارسى ورواء أحدد (۲۷۳۷) من حديث عدرو بن شعيب عن أبيه عن جده و رواء أحدد (۱۹۳۳) من حديث أبي موسى وشى الله عنه .

(٥٩) يعثت إلى كل أحمر وأسود :

رواه مسلم في المساجد (٥٤١) من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ويعثت إلى كل أحمر وأسود ...ع الحديث . وانظر ما قبله .

(٩٠) هرقل سأل أبا سفيان عن رسول الله :

رواه الهضاري (۷ ، ۱ ه ، ۲۲۸۱ ، ۲۲۷۶ ، ۲۰۵۲ ، ۵۹۸۰ ، ۲۲۲۱ ، ۲۲۹۲) ومسلم (۱۷۷۳) والترمذي (۲۷۱۷) من حديث صخو بن حرب .

(٦١) أشد الناس بلاء الأنبياء :

يزُب به البخارى فى كتاب العرضى ، ورواه الترمذى فى الزهد (۲۳۹۸) ، وابن ماجة فى الفتن (۴۰۲۳) ، وأحمد (۱۵۸٤ ، ۱۵۹۷ ، ۱۹۵۸) ، والدارمى فى الرفاق (۲۷۸۳) ، من حديث سعد بن أبى وقاص ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

(27) إذ الله لا ينظر إلى صوركم :

رواء مسلم في البر (٢٥٦٤) وابن ماجة في الزهد (٤١٤٣) وأحمد في مسند (٧٧٦٨) من حديث أبي هريرة قال · قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم واكن ينظر إلى تلويكم وأعمالكم».

(33) قد أفلح من أصلم ورزق كفافا وقعه الله :

رواه مسلم في الزكاة باب في الكفاف والقتاعة (١٠٥٤) والترمذي في الزهد باب سا جاه في الكفاف والعمير عليه (٢٤٥٧) من حديث عبد الله بن عمرو · أن رسول الله ﷺ قال: «قد أظلع من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله».

(٤ ٩) لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعو ضة :

رواه الترمذي (۲۲۳) وابن ماجة (۱۸۰) من حديث سهل بن سعد وقال: هذا حديث صحيح غريب من هذا الرجه. ولفظ الترمذي: «لم كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً عا الحديث. ولفظه عند ابن ماجة : «والذي نفس بهده للدنيا أهرن على الله من هذه الشاة على أمثلها ولو كانت الدنيا تعدل -به الحديث. قال السيوطي ن زيادة الجامع في تغريج الحديث: الترمذي والحاكم وصححه ، من حديث سهل سعد وضعفه الذهبي. قال المماني في المالي المالي الفيض : قال الترمذي: صحيح غريب ، وليس كما قال ففيه عبد الحديث بن سليمان أورده في الضعفاء وقال أبو داود : غير نفج ، ورواه عنه الحديث من مناه الذهبي في الضعفاء : مذكر الحديث ، ورواه عنه الحاكم أيضًا وصححه فرده الذهبي بأن زكريا بن منظور ، قال الذهبي في الضعفاء : مذكر الحديث ، ورواه عنه الحارق وحذ الدمانية .

(٩٥) إن في البنة غرفا ترى ظهورها :

رواه الترمذي في البر (۱۹۸۶) وفي البنة (۲۵۲۷) وأحمد في مسنده (۱۳۵۰) من حديث على قال: قال الذي 瓣: «إنّ في الجيئة غرفا ترى ظهررها من بطرتها ويطرتها من ظهررهاء فقام أعرابي فقال: لدن هي يا رسول الله ٢ قال: «لمنّ أهاب الكلام وأطعم الطعام وأنام المديام وصلى لله بالليل والناس نيام». قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

(٦٦) يا ابن آدم أنفق أنفق عليك :

رواه البخارى في تفسير القرآن (٤٦٤٤) وفي التوحيد (٤٧٩) ومسلم في الزكاة (٩٩٣) من حديث أبي مربوة ببلغ به النبي ﷺ قال: مقال الله تبارك وتمالى: يا ابن آدم أنفق أنفق علوك، وقال: يمين الله ملأي» وقال ابن نمير: ملأن سحاء لا يغيضها شيء اللول والنهار.

(٩٧) ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان:

رواه البشارى فى الزكاة (١٤٤٧) ، ومسلم فى الزكاة (١٠١٠) ، وأحمد (٧٩٩٣) من حديث أبى هريرة . ورواه أحمد (٢٩٢١٤) من حديث أبى الدرياء رضى الله عنه .

(38) بعثت أنا والساعة جميعًا :

رواه أحمد في مسنده (٢٢٤٣٨) عن بريدة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «بعثت أنا والساعة جميعًا إن كابت لتسبقني» .

(٦٩) ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار :

رواد أحمد في مسئده (١٩٥٠) من حديث تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: طبيلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أسخك الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكتره، وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتى ، فقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والدز، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصفار والجزية. قال الهيئمي في المجمع : رواه أحمد، والطبراني ، ورجال أحمد رجال القصديم .

(٧ ٧) جاء الحق رزهق الباطل :

رواه البخارى فى المظاهم (۲۶۷۸)، وفى الدخازى (۲۲۷۸) وفى التفسير (۲۷۷۰)، ومسلم فى الجهاد والسير (۱۷۸۱)، وأحد (۲۷۲۵) والترمذى فى التفسير (۲۱۲۵) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وفيه عن ابن عمر ، ورواه مسلم فى الجهاد والسير (۱۷۲۰) ، وأحد (۲۰۵۱) من حديث أبنى هريرة .

(٧١) انظر يصائر ذري التمييز في لطائف الكتاب المزيز ، للفيروزيادي ٢٨٦/١ .

(٧٢) في ظلال القرآن بقلم سيد قطب ٢٢/ ٩٦.

(٧٣) في ظلال القرآن بقلم سيد قطب ٢٢/٢٣٦ .

(٧٤) أنه رأى جبريل له ستمالة جناح :

ر واه البخارى في بده الطلق (۲۳۳۷ ، ۶۸۵۰ ، ۶۸۵۷) و مسلم فى الايمان (۱۷۶) سئل زر بن حبيش عن قول الله تمالى : ﴿ فَكَانَ قَالِ مَنْ أَوْ أَدْنَى فَأُوحِى إلى عبده ما أُوحى﴾ فقال : حدثنا ابن مسعود : أنه رأى جبريل له ستماتة جناح .

(95) اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت :

رواه البخارى فى الأذان (١٩٤٤) وفى الدعوك (١٣٣٠) وفى القدر (١٣٦٥) وفى الاعتصام (٧٩٩٧) ومسلم فى المساجد (٩٣٥٠) وأصد فى مستده (٩٣٥) وأحد فى مستده (٩٣٥) وأحد فى مستده (٩٣٥) وأحد فى مستده (١٣٤٩) وأحد فى السهو (١٣٤٩) والدارمى فى المسلاة (١٣٤٩) وأحد فى مستده (١٧٦٧٣) من حديث وراد كاتب الدغيرة بن شعبة ، قال :أملى على الدغيرة بن شعبة فى كتاب إلى معاوية أن النمي ﷺ كان يقول فى دير ، كان ملاء مكتوبة : ولا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الدلك وله الحدد وهو على كل شىء قدير ، اللهم لا حائمة لما أعطيت ولا معطى لما مقدم ، ولا ينفع ذا الجد مثل الجده .

(٧٦) ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض:

رواه مسلم في الصلاة (٤٧٧) وأبو داود في العملاة (٨٤٧) والنسائي في التطبيق (٨٠٠٨) وأحمد في مسنده (٨١٤١٨) من حديث أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إنا رفع رأسه من الركوح قال: «رينا لك الحمد ماء السمارات والأرض، وماء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منحت ولا ينفع ذا للجد منك الجده.

(٧٧) اللَّمة : الخطرة التي تقع في القلب، أو الإيمار والتوجيه إلى العمل ، أو الطائف الذي يطوف بالنفس لتحريكها إلى نوازع المش أو الخير .

(٧٨) إن للشيطان لمة باين آدم :

رواه الترمذى فى التفسير (۲۹۸۸) من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: بأن للشيطان لمة بابان آدم والملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيماد بالشر وتكتيب بالمحق ، وأما لمة الملك فإيماد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجر ذلك طبط أنه من الله فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتحوذ بالله من الشيطان الرجيع، من هرة وأواشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحظة ...﴾ الآية ، قال السيوطى فى المدر : أخرجه الترمذى وحسنه والنسائى وابن جرير وابن المنشر وابن أبى حائم وابن حبان والبهيهلى فى الشعب من ابن مسعود . الحديث ، فذكره مرفوعاً.

(٧٩) إن أحدكم يجمع خلقه في يطن أمه :

رواه البخاري في بدء الخلق (٢٩٦٩)، ومسلم في القدر (٤٧٨١)، وأحمد (٢٠٤١، ٣٨٨٧)، والترمذي في القدر (٢٠٦٣).

(٨٠) من سره أن يسط له في رزقه أو ينسأ له :

رواه البخارى فى البيوح (٢٠٦٧) وفى الأدب (٥٩٨٥ ، ٥٩٨٦) ومسلم فى البر والملة (٢٥٥٧) وأبو داود فى الزكاة (١٩٦٢) (١٢١٧/ ، ١٢١٧٧) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من سره أن يبسط له فى رزته أن ينسأ له فى أثره ظليمىل رحمه .

(81) اللهم لك الحمد أنت تور السماوات والأرض:

رواه البخاري في التهجد (۱۲۲۰) وبصلم في صلاة المسافرين وقصرها (۱۲۸۸) ، والترمذي في الدعوات (۱۳۵۰). والنساني في قيام الليل (۱۲۰۱) وأبر داور في الصلاة (۱۰۵۰)، وابن ماجة في إقامة الصلاة (۱۳۵۵)، وإحمد (۲۵۷۰). وصالك في النداء للصلاة (۲۵۱) ، والدارمي في الصلاة (۱۶۵۸).

(٨٢) سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج :

قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شهية وابن المنثر والبيهقي في البحث عن عمر بن المطلب أن وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي طبقت النازع بهذه الأبة الى الآل الآل إن سابقتا سابق، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له . وقال : وأخرج المطلب : سمحت رسل الله ﷺ قبل إن «سابقتا سابق» ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له » وقرأ عمر ﴿فُعنهم طالم قضه . وقال : وقال : وأخرج ابن النجار عن أنس أن النبي الله الله الله المقبل على الله المقبل وقال : وسابقا من من المنازع في الغيض : أعله المقبلي بالقضل وقال: لا يتابع على حديثه ثم سابق له هنا المنازع على المنازع على المنازع عمرية بن المحديثة ثم سابق له هنا المنازع عمرية المسابق وعدو ضعفوه أه من الهزائ عن العقبل : لا يتابع على حديثه ثم سابق له هنا المناز رواه عند عمرية بن الحصين وعدو ضعفوه أه من يقدي مناذ الله من المنازع أن المنازع بن من المحديث وعدو ضعفوه أه من يقدي منه ابن معين ثقائله استذكرة.

(٨٣) من لبس الحرير في الدنيا فأن يلبسه في الآخرة :

رواه البخارى فى اللباس (٥٨٣٧) ومسلم فى اللباس (٢٠٧٣) من حديث أنس ين مالك عن الذيني ﷺ قال : من ليس الحدوير فى الدنيا فتن يليسه فى الأخدة، ورواه البخاري فى اللباس (٢٨٣٥) من حديث عبد الله بن الزيير، عن اللبي ﷺ قال : ممن ليس الحرير فى الدنيا لم يليسه فى الآخرة، ورواه البخارى فى اللباس (٥٣٤٥) ومسلم فى اللباس (٢٠٧٨) من حديث عمر قال : قال النبي ﷺ : من ليس الحرير فى الدنيا لم يليسه فى الأخرة، ورواه مسلم فى اللباس (٢٠٧٤) من حديث لي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : من ليس الحرير فى الدنيا لم يليسه فى الأخرة،

(84) هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة :

رواه البخاري في اللباس (۱۵۲۸) وأبر داود في الأشرية (۱۳۷۳) والترمذي في الأشرية (۱۸۷۸) وابن ماجة في الأشرية (۲۲۱۶) (۲۲۸۶) من حديث حديقة قال : قال رسول الله ﷺ : «الذهب والفضة والحرير والديباج هي لهم في الدنيا ولكم في الأخرة» .

(٨٥) أخرجه الإمام أحمد ، ورواه الترمذي ، وأبو داود ، وابن ماجة ، انظر مختصر تفسير ابن كلير تحقيق محمد على الصابوني الحجلد ٣ ص ١٤٩.

(٨٦) رواه ابن أبي حاتم عن أبئ أمامة رضي الله عنه ، انظر مختصر تفسير ابن كثير للصابوني .

(٨٧) لن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا ولا أنت :

رواه البخاري في العرضي (۲۷۲ه) ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار (۲۸۱۱) ، من هديث أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : دان يدخل أحدًا عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : «لا ولا أنا إلا أن يتفعدني الله بفضل ورحمة ، فسدول وقاربوا ولا يتمنهن أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا ، وإما مسينًا فلعله أن يستغتب

(٨٨) أما أمل النار الذين هم أهلها :

رواه مسلم فى الإيمان (١٨٥) وابن ماجة فى الزهد (٤٣٠٩) وأحدد فى مسنده (١٠٦٧) من حديث أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: وأما أمل الذار الذين مم أملها فإنهم لا يمرتون فيها ولا يحيون ولكن ناسًا أممايتهم الذار بذنويهم -- أو قال بخطاياهم -- فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا لذن بالشفاعة فجىء بهم ضباتر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قبل: با أمل الجنة أنهضوا عليهم فينيتون نبات الحية تكون فى حميل السول، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية .

(84) أعذر الله إلى امرئ أخَر أجله :

رواه البخاري في الرقاق (۱۹۱۹) وأحمد في مسنده (۷۲۵۲) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال وأعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة» .

(۰) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب قول ﷺ وإن الله لا ينام ... ۱ ۱۸٫۸ وقع ۱۷۹ ، وقد أخرجه ابن ماجة في المقدمة ، باب أنكرت الجهمية ۷۱/۱ رقم ۱۹۲ ، والإسام أحمد في مسنده ٤٠٠/٤ – ٤٠١ ، وانظر مختصر تفسير ابن كلير المجلد التالث من ١٥٠ تحقيق محمد على المسابوتي .

(٩١) البخاري ، كتاب التفسير ، سورة هود ٦/٩٤ ، ومسلم ، كتاب البرّ والصلة ، ياب تحريم الطلم ١٩٩٧/٤ رقم ٢٥٨٣.

(٩٧) في رجاب التفسير ، عبد الحميد كتلك ، المجلد الخامس ، المكتب المصرى الحديث من ٥٩١ ه ، القاهرة ٢ شارح شريف عمارة اللواء ت ٧٩٣٤١٧٣ .

(۹۳) بصائر ذری التمییز ۱/۲۱۰ بتصرف.

(٩٤) انظر بصائر ذرى التمييز ١/٢٩٢.

(٩٥) في ظلال القرآن ٧/٢٣.

(٩٦) إن آثاركم تكتب فلا تتقلوا:

رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣٢٢٦) من حديث أبي سعيد الخدري قال . كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّا نحن نحي الموتى وتكتب ما قاموا وآثارهم ﴾ فقال رسول الله ع الأركم ، تكتب فلا تنتقلواء . وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٩٧) قل آمنت بالله ثم استقم :

رواه مسلم في الإيمان (٣٨) والترمذي في الزهد (٢٤١٠) وابن ماجة في الفتن (٣٩٧٢) وأحمد في مسنده (١٤٩٩١، ١٤٩٩٢ ، ١٤٩٩٣ ، ١٨٩٣٨) والدارمي في الرقاق (٢٧١٠ ، ٢٧١١) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي . وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٩٨) من سن في الإسلام سنة حسنة :

رواه مسلم في العلم (١٠١٧) وفي الزكاة (١٠٥٤)، والدارمي في المقدمة (٥١٧ ، ١٥٤)، والترمذي في العلم (٢٦٧٥)، وابن ماجة في المقدمة (٢٠٣) ، وأحمد (١٨٦٧٥ ، ١٨٧١٨ ، ١٨٧٢٠) من حديث جرير بن عبد الله البجلي . ورواه أحمد (۱۰۲۷۸ ، ۲۳۷۰) من حديث أبي هريرة . ورواه أحمد أيضًا (۲۲۷۷۸) من حديث حذيفة ، ورواه ابن ماجة في المقدمة (٢٠٧) من حديث وهب بن عبد الله .

(٩٩) إذا مات ابن آدم انقطع عمله :

رواه مسلم في الرصية (٣٠٨٤) ، والترمذي في الأحكام (١٢٩٧) ، والنسائي في الرصايا (٣٥٩١) ، وابن ماجة في المقدمة (٢٣٨) ، وأحمد (٨٤٨٩) ، والدارمي في المقدمة (٨٥٨) . وهو بلقظ : «إذا مات الإنسان الحديث ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(۱ ۰ ۹) دیار کم تکتب آثار کم :

رواه مسلم في المساجد (٢٦٥) وأحمد في مسنده (١٤١٥) من حديث جابر بن عبد الله قال: خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم - وإنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد» ، قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك ، فقال : «يا بني سلمة ، بياركم تكتب آثاركم بياركم تكتب آثاركم» . وانظر هامش (٩٦).

(١٠١) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد على الصابوني ١٥٧/٣ باختصار، ويه عدد من الأحاديث النبوية فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

(١٠٢) مختصر تفسير ابن كثير ثحقيق محمد على الصابوني ٢/ ١٦١ ، حيث لختار ابن كثير أن هؤلاء الرسل رسل مستقلون في رسالتهم إلى قرية ما ، ليست أنطاكية ، وإن كان اسمها أنطاكية فهو توافق أسماء مع قرية أخرى ، غير أنطاكية المسيحية .

تم بحمد الله تعالى تخريج أحاديث وهوامش المناء (الثاني والعشرين)

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
27-73	﴿رمــن يــقــنت مــنــكــن لــاــه ورســواــه♦	71
27.73	﴿ يِـا نَسَاء السَّبِسِي لَسَتَسِنَ كَنَاهِدِ مِنْ النَّسَاءِ﴾	77
27.7	﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى	77
27.7	﴿ وَانْكُرِنْ مَا يَتْلَى فَي بِيوِنْكُنْ مِنْ آيَاتَ اللَّهُ وَالْحَكَمَةُ ﴾	37
£٣•٧	﴿إِنَ المسلمينِ والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾	٧٠
27173	﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾	47
27173	﴿ وَإِذْ تُشْوَلُ لُلَّذَى أَنْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَأَنْهُمَتُ عَلَيْهُ ﴾	۳۷
27173	﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِي مَنْ حَرِجٍ فَيَمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾	٣٨
27173	﴿السَّذِيسَ يَهِالْمُعُونَ رَسَالَاتِ السَّلَّهِ وَيَخْشُونَهُ﴾	۳٩
7/73	﴿منا كنان منجيميد أينا أحيد مني رجيالكيم﴾	٤٠
A173	﴿ بِا أَيِهِا الدِّينَ آمِنُوا اذْكُرُوا اللَّهِ ذَكُراً كَشَيْراً . ﴾	٤١
A/73	﴿ رســــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٤٢
8814	﴿مِنْ الَّذِي يَمِنْكِي عِلْسِينَكِيمُ ومِنْلِائْكِيَّتِهِ﴾	23
4/73	﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعدلهم أجراً كريمًا .﴾	٤٤
1773	﴿ بِمَا أَيِسِهَا النَّهِ فِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهَنَا وَمَيْشَرًا وَنَذَيْرًا ﴾	٤٥
1773	﴿وراعبينا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً ﴾	٤٦
1773	﴿ وَيَشْرَ الْمُوَّمِّنِينَ بِأَنْ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضَالًا كَبِيرًا ﴾	٤٧
2771	﴿ ولا تسطيع السكافسريس والسمنسافيقسيس ودع أذاهم	٤A
1773	ويا أيسها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات﴾	٤٩
7773	﴿يا أيها النبي إنا أحلكنا له أزواجك﴾	٥٠
7773	وترجى من تشاء منهن وتروى إليك من تشاء	٥١
FY73	﴿ لا يمل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج وار أعجبك حصفهن﴾	۲٥
2777	﴿ بِمَا أَيْنِهَا النَّذِينَ آمِنُوا لا تَعْضَلُوا بِيُوتَ النَّبِي ﴾	٥٣.
2777	﴿إِن تبدوا شيئًا أو تفشوه فإن الله كان بكل شيء عليمًا .	٥٤
2777	﴿لاجناح عليهن في أبائهن ولا أبنائهن	00
£77V	﴿إِنْ اللَّهِ وَمِالانْكَ تُنَّهُ يَمَالُونَ عَلَى النَّهِينَ ﴾	70
2777	﴿إِنْ الدِّينَ يسوَّدُونَ اللَّهِ ورسولِه لعنهم اللَّه﴾	٥٧

رقم الصفحة	أول الأيات	رقم الآية
2777	﴿ والذين يردُون المرَّمذين والمرَّمنات بغير ما اكتسبوا ﴾	٥٨
1373	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِي قَلَ لأَزْوَاجِكُ وَبِنَاتِكُ وَنَسَاءَ الْمَوْمَنِينَ ﴾	٥٩
3373	﴿لَنْنَ لَمْ يَنْتُهُ الْمَنَافَقُونَ وَالْذِينَ فَي قَلُوبُهُمْ مَرْضَ﴾	٦٠
3373	﴿ ملى عونيين أين ما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً . ﴾	71
3373	﴿ سننة السلم في النيسن خطوا مين قبيل ﴾	77
F373	﴿يســـأك الــــنــاس عـــن الســـاءـــة﴾	75
5757	﴿إِنْ اللَّهِ لَعِنْ النَّكَافَرِينَ وَأَعَدُ لَنَّهُمْ سَعِيْسًا ﴾	3.5
F373	﴿ شالدين فيها أبنًا لا يجدون وليًّا ولا تصيرًا . ﴾	٦٥
E787	﴿يبوم تسقبلي وجبوهمهم فني السنبار ينقبولبون﴾	77
5757	﴿ وقالوا رينا إنا أطعنها سادتنا وكبراءنا﴾	7.7
£787	﴿ربــنــا آتــهــم شــعـف يــن مــن الــعــذاب﴾	A.F
٤٣٥٠	﴿ يِا أَيِهِا الَّذِينَ آمِنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ أَنُوا مُوسَى﴾	74
٠٥٣3	﴿ يِمَا أَيِّهِمَا الَّذِينَ آمِنُوا اتَّقُوا اللَّهِ وَقُولُوا قَرَلاً سِدِيدًا . ﴾	٧٠
٤٣٥٠	﴿يصلح لكم أعمالكم وينفقر لكم ذنويكم﴾	٧١
2707	﴿إِنَا عَرَضَنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالِ﴾	٧٧
2707	﴿ليحذب الله المنافقين والمنافقات﴾	٧٣
8073	خلاصة ما تضمئته سورة الأحزاب	-
1773	تضسير سورة سبأ	-
7773	أهداث سورة سيأ	-
2777	﴿ الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ﴾	١ ،
٤٣٦٧	﴿يعلم ما يلج في الأرض وما ينضرج منها﴾	۲
2779	﴿ وقال الدنيسن كفروا لا تأثيبنا الساعة ﴾	٣
24.14	﴿ليدِن النيس أمشوا وعملوا الصالحات﴾	٤
2779	﴿والدنين سعوا في آياتنا معاجزين	٥
2779	﴿ ويسرى الدَّيْسَ أُوتُوا العلم الذي أَسْرَلَ إِلَيكَ مِنْ رِيكَ ﴾	1
2777	﴿ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم﴾	٧.
2773	﴿أَفْدَدَى على السلب كَدَيْسًا لُم بِسه جِنْتَ﴾	۸
2444	﴿أَفْلُم يَرُوا إِلَى مَا يِينَ أَيْنِيهِم وَمَا خُلُفَهُم﴾	. 4

رقم الصفحة	أول الأيات	رقم الآية
£4.0	﴿ ولقد آتينا باود مثا فضالاً ﴾	1.
0773	﴿أَنْ اعــمـــل ســـابـــغـــات وقـــدر فـــى الســـرد﴾	- 11
6443	﴿واسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر﴾	14
£770	﴿ يعملون له ما يشاه من محاريب وتماثيل	١٣
6449	﴿ فلما قضينا عليه الموت ما بلهم على موته إلا دابة الأرض ﴾	١٤
7473	﴿السَّفْدَ كَسَانَ لسبِسَا فَسَى مُسْتَكَدَ نَبَهُمُ آيِدَةً﴾	١٥
7473	﴿ فَأَعَارِ مُنْكِلُ فَأَرْسِلُنَا عَلَيْهُمْ سِيلَ الْعَرِمْ ﴾	17
7473	﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور.﴾	۱۷
27.47	﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة	1.4
7473	﴿ فسقسالسوا ريسنسا بساعد بسيسن أسسفسارنسا﴾	19
YAY3	﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه﴾	۲٠
7A73	﴿وماكان ك عليهم من سلمان﴾	۲١.
8788	﴿ قَسَلَ الدَّعِيلَ السَّذِينَ نَعْسَمَسَتُمْ مَسَنَ دَوَنَ السَّلَسَةِ ﴾	77
8444	﴿ ولا تَـنفع الشفاعـة عـنـده إلا لـمـن أنن اسه	77
£84.	﴿قسل مسن يسرزقسكهم مسن العسمساوات والأرض﴾	37
889.	﴿قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون .﴾	70
£44-	﴿قلىجمع بيننارينائم يقتح بيننا…﴾	77
£844.	﴿قَالَ أُرُونَانَ النَّيْانَ أَاسْمَاقَانَامَ بِهُ شُركاءً﴾	۲۷
844.	﴿ومِا أَرْسَا نَاكَ إِلا كَافَةَ الْأَنْسَاسِ﴾	44
644.	﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . ﴾	44
284.	وقل الكم ميسعاديسوم لا تستأخرون عنه	٣٠
3.673	﴿ وقبال المذين كفروا لن تنوسن بمهذا المقرآن	71
3.873	وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صديناكم	77
3 8 7 3	﴿ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار	44
884A	ورما أرسلنا في قرية من ننير إلا قال مترفوها	37
884V	ورة الوانسية المسر أمرالاً وأولادًا •	۳٥
884V	وُق ل إن ربى يبسط الرزق اسمن يشاء ويقسر	44
£ 79 V	وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقريكم عندنا زلفي	۳۷

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
2847	﴿والذيس يسعون في آيات خاصعاجزين أولئك	۳۸
2797	﴿قَالَ إِنْ رَبِي يَبِسِطُ الرَّزْقَ لَمِنْ يَشَاءُ مِنْ عَبِالَّهِ﴾	79
25.4	ويرم يصرهم جميعًا ثم يقول للملائكة ﴾	٤٠
25.4	﴿قسالسوا سبسحسانك أنت ولسيسف مسن دونسهسم	٤١
£ £ • Y	﴿ فَالِيومِ لَا يَعْمَلُكُ يَاعَضُكُمْ لَيْعَضْ تَفْخًا وَلَا ضَمَرًا ﴾	2.4
8 6 - 8	﴿ وَإِذَا تَــَـلَــى عَـلَــيـهـم آيــاتَـنْـا يــيـنــات قــالــوا﴾	73
88.8	﴿ومِا أَتَا يَسْسَاهُم مِنْ كَسَبِ يَسُورِ صَوْسَهِما﴾	٤٤
8 6 - 8	﴿ وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما أتيناهم	٤٥
£ £ • V	﴿قِلَ إِنْمَا أَعْظُكُم بِوَاحِدِةَ أَنْ تَقُومُوا لَلَّهُ مَثْنَى وَقُرَادِي﴾	٤٦
٤٤٠٧	﴿قَـل مَـا سَـالـتَـكَم مَـن أَجِـر فَـهِـو لَـكَـم﴾	٤٧
٤٤٠٧	﴿قَسَل إِنْ رَبِسَي يَسَقَسَدُكَ بِسَالَسَحَسَقَ عَسَلامِ السَّغَسِيسُوبِ ﴾	٤٨
٤٤٠٧	﴿قَالَ جِنَاءَ النَّصَقِّ وَمَنَا يَنْهِدَئُ النِّنَاطِيلُ وَمِنَا يَنْفَيْدَ .﴾	٤٩ .
£ £ • V	﴿قَـل إِنْ صَمِلِكَ فَـرَاتِـمِنا أَصْبِلُ عَـلْنِي سَفْسِنِي﴾	۰۰
£ £ • V	﴿ولـــوالــوالــوالمان المالية	٥١
٤٤٠٧	﴿وقالرا آمنا يه وأنى لهم التناوش من مكان يعيد .﴾	٥٢
٤٤٠٧	﴿وقد كنفسروا بسه من قبل ويسقند فسون بالغيب﴾	07
٤٤٠٧	﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم	30
8810	تضسير سورة فاطر	-
2217	أهداف سورة فاطر	-
· 733	﴿ السمى الله فساط رالسمارات والأرض﴾	\
£ £ 7 •	﴿ما يَفْتِح اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحِمةَ فَلَا مَمِنَكُ لَهَا﴾	٧
. 433	﴿يا أيها الناس انكروا نعمة الله عليكم﴾	٣
£ £ Y •	﴿ رَإِنْ يَكُنْهُ وَكُنْهُ عَنْهُ كُنْهِ عَنْ صِلْ مَنْ قَبِنْكُ ﴾	٤
7733	﴿يَا أَيْسَهِا الْسَنْسَاسِ إِنْ رَعْدَ الْسَلِّهُ حَتَّى﴾	٥
2577	﴿إِنْ الشَّيْطَانُ لَكُمْ عَنْدُو الْمَاتِ خَنْدُوهُ عَنْوُا﴾	٦
2577	﴿السنيسن كفسروا لسهم عسناب شديد﴾	٧
2577	﴿ أَفْ حَسَنَ زِينَ لَهِ سَنِ وَ عَمَالَهُ فَسَراَهُ حَسَفًا ﴾	٨
7733	﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سمابًا﴾	1

رقم الصفحة	أول الأيبات	رقم الآية
2577	﴿من كان يريد العزة فالله العزة جميمًا﴾	١٠
2277	﴿ والسلَّه هُـلَـقَـكُـم مِـن تَسَرَابِ ثَسِم مِـن نَـطَـفَـة ﴾	- 11
. 227.	﴿وسا يستسرى السيسمسران هستا عسنب خسرات﴾	۱۲
-733	﴿ يَبُولَجُ اللَّهُ لَ فَي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّهِلُ ﴾	14
1233	﴿إِنْ تَــدعـــوهـــم لا يســـمـــهــوا دعـــاءكـــم _﴾	١٤
2272	﴿ يِمَا أَيْسِهَا الْسَبْسَاسِ أَنْسَتُم السَفْسَقِيرَاء إلَِّسِ النَّاسِةِ﴾	١٥
3433	(إن يشا يستم بكم ويات بـ خساسق جـ ديـ د .)	17
3733	﴿ومِــا ناك مـــلـــى الـــلـــه بــــمــــزيـــــز.﴾	.11
2233	﴿ولا تــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	1.4
AY33	﴿ومِسا يستسرى الأمسمسي والسيمسيسر.﴾	15
£ £ 4 %	ولا السنطسسات ولا السندور.)	۲٠
A733	﴿ولا الـــــــــــــرور .﴾	71
- ££7A	وما يستدوى الأهمياء ولا الأموات	77
A733	﴿إِنْ أَنْتِ إِلا نِـــــــــدِي	77
A733	﴿إنَا أَرْسَالَ مِنْ إِنَا أَرْسَالُ إِنَّا أَنْ فِي الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ	27
A733	﴿ وإن يَكَذِبُ وَان شَقَد كَذَبِ الَّذِينَ مَن قَبِلُهُم﴾	٧٥
£ £ YA	﴿وُسِــم أَحْسِــدُن السِــدُيــــن كــــفــــروا﴾	77
1333	﴿ أَلَــم تَــر أَن السلــه أنــزل مــن الســمـــاء مـــاء﴾	77
1333	﴿ وَمِنْ النَّاسِ وَالدَوَابِ وَالْأَنْمَامِ مَحْتَلَفَ ٱلوَانَهُ كَتَلَكَ﴾	YA
1111	﴿إِن الدِّينَ يَسْتَلُونَ كَتِبَابِ السُّهِ وَأَسْامُوا الْعَسَادَةَ﴾	79
1111	﴿ليبرونيهم أجبورهم وينزينهم من تضلبه﴾	7.
ELLE	﴿ والـذي أوهـيــنـا إلـيك مـن الـكـتــاب هــ والــــــــ ﴾	77
1111	وثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا)	77
1111	﴿جِنات عنن يدخلونها يحلون فيها من أساور﴾	77
1111	﴿ وقدالوا السعد لله الدني أنعب عندا السعرن ﴾	72
EEEE	﴿الدنى أحاضا دار المقامة من فضاحه﴾	40
2224	﴿ وَالنَّيْنَ كُفْرُوا لَهُمْ نَارَجِهِنُمْ لَا يَقْضَى عَلَيْهُمْ ﴾	77
8889	﴿ رَمْم يَصْطُرَهُونَ قَيْهَا رَبْنًا لُقَرْجِنًا نَعَمَلُ مَالْدًا﴾	44

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
8889	﴿إِنْ السَّاسِ عَسَالِسِمِ عَسِيبِ السَّمَسَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	۸۳
7033	﴿ هِــو السَّذِي جِـعَـلسكِهم خَسَلانْسَفَ فَسَي الأَرضَ ﴾	44
7033	﴿قَلَ أَرَأَيْتُم شَرِكَاءِكُمُ الَّذِينَ تَدَعُونَ مِنْ دُونَ اللَّهِ﴾	٤٠
7033	﴿إِنْ السِلْسَهُ يَسْمُسُكُ السَّمْسِاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَنْ تَسْزُولًا﴾	٤١
\$ 8 0 0	﴿وألسموا بالله جهد أيمانهم لثن جاءهم نذير﴾	27
8800	﴿اسبتكبِسارًا مُسى الأرض وضكسر السيسئ	٤٣ ا
2200	﴿أَوَا مِ يَسْيِسُوا فَنِي الأَرْضِ فَيَهَ نَظْرُوا كِيفَ كَنَانُ﴾	٤٤
8800	﴿ وَلِو يَوْاَحُدُ اللَّهُ النَّاسِ بِمَا كَسِبُوا مَا تَرَكُ عَلَى ظَهِرِهَا مِنْ دَابَةٍ﴾	٤٥
887.	مچمل ما اشتملت علیه سورة فاطر	_
1733	تفسير سورة يس	-
7733	أهدات سورة يس	_
2577	(\ \
£ £ 7.7	﴿والــــة ـــرأن الــــد ـــك ـــيـــم .﴾	۲
£ £ 7.7	﴿إِنْكَ لَـــمــــــــــــــــــــــــــــــــ	٣
2577	(عــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٤
8877	﴿تــنــنيـــل الـــعـــنيـــز الـــرحـــيـــم.﴾	٥
2577	﴿لِــتـنــذر قــومُــا مِـا أنــذر آيـانهـم فــهـم غـافــلـون .﴾	٦
8877	﴿لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون.﴾	٧
2277	﴿إِنَا جِعَلَمَا فِي أَعِنَاقَهِم أَعْلَالًا فَهِي إِلَى الأَدْقَانَ﴾	٨
2277	﴿وجِعلتِا مِنْ بِينَ أَيدِيهِم سَدًا وَمِنْ خَلِقَهُم سَدًا﴾	٩
2577	﴿وسواء عليمهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون.﴾	1.
2577	﴿إنما تَنذَر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب﴾	١١.
8877	﴿إِنَا نَمَنْ نَحِينَ الْمُوتَى وَنَكُتُبِ مِا قَتَمُوا وَآثَارِهُمْ﴾	14
££Y£	﴿واضرب لمهم مستملاً أصسحماب السقسريسة﴾	١٣
££V£	﴿إِذْ أُرْسِلَمَ السَّالِ السَّاسِ السَّلِينَ فَكَذَبِ وَهَ مَا ﴾	١٤
EEVE	﴿قَالَدُوا مِنَا أَنْسَتُهُمُ إِلَّا بِشُسْرِ مَسْسُلُمُنَّا﴾	10
££Y£	وقدالسوا روسندا يدخله إنسا إلى يحم لدم رسطسون. ﴾	17
££V£	ووساعدليدنا إلا المبلاغ المبيين.)	14

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
££V£	﴿قَالُوا إِنَّا تَطْهُرِنَا بِكُمْ لَئُنْ لَمْ تَنْتُهُوا لَنْرِجَمْنُكُمْ﴾	14
8888	﴿ فَــالــوا طــانــركــم مــعــكــم	111
EEVE	﴿ رجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ﴾	٧٠
£ £ ¥ £	﴿ السبعدوا من لا يساألكم أجرًا وهم مهتدون . ﴾	41
££Y£	﴿وما لي لا أعبد الذي فيطرني واليه ترجعون .﴾	77
£ £ ¥ £	﴿أَتَ حُدِدَ مِدِنِ دُونِيهِ ٱلصَّهِيَّةِ﴾	77
8 £ ¥ £	﴿إِنْ مِي إِذَا لَصِفْ عِي ضِي اللَّهِ مِنْ عَلَيْهِ اللَّهِ عِنْ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ	4.5
EEVE	﴿إنْ إِنْ أَمَا تُنْ بِسِرِيكِمَ فِسَاسِمِ عِسِونَ .﴾	40
EEVE	﴿قــــيــــــــــــــــــــــــــــــــ	77
£ £ Y £	﴿بِمِا عَفْرِ لِي رَبِي وَجِعَلَنِي مِن المِكرمِينَ.﴾	YY
7433	تخريج أحاديث وهوامش	_
2299	فهرس الكتاب	-

تم بحمد الله الجزء (الثاني والعشرون) ويليه الجزء (الثالث والعشرون) بإذن الله تمالي

